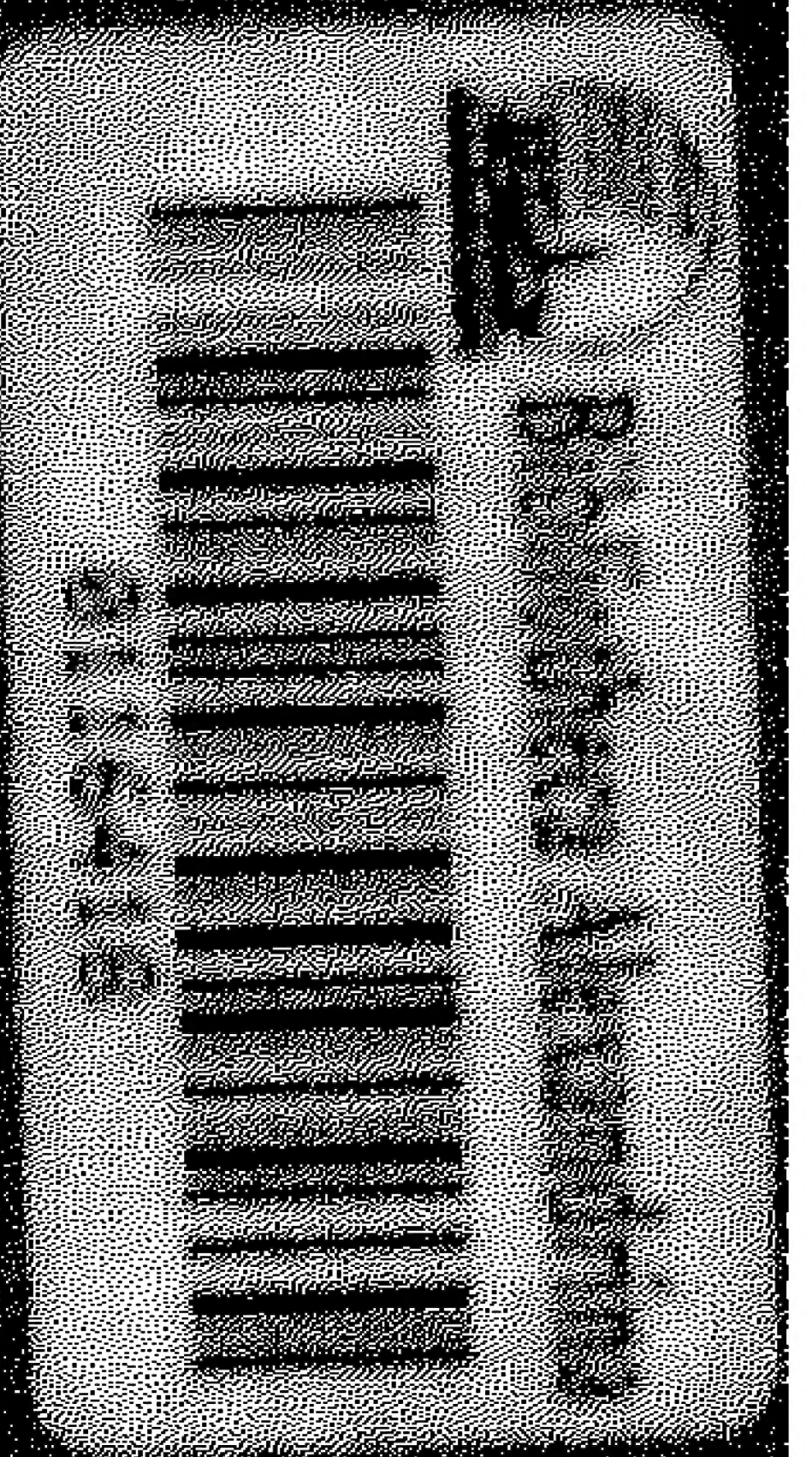
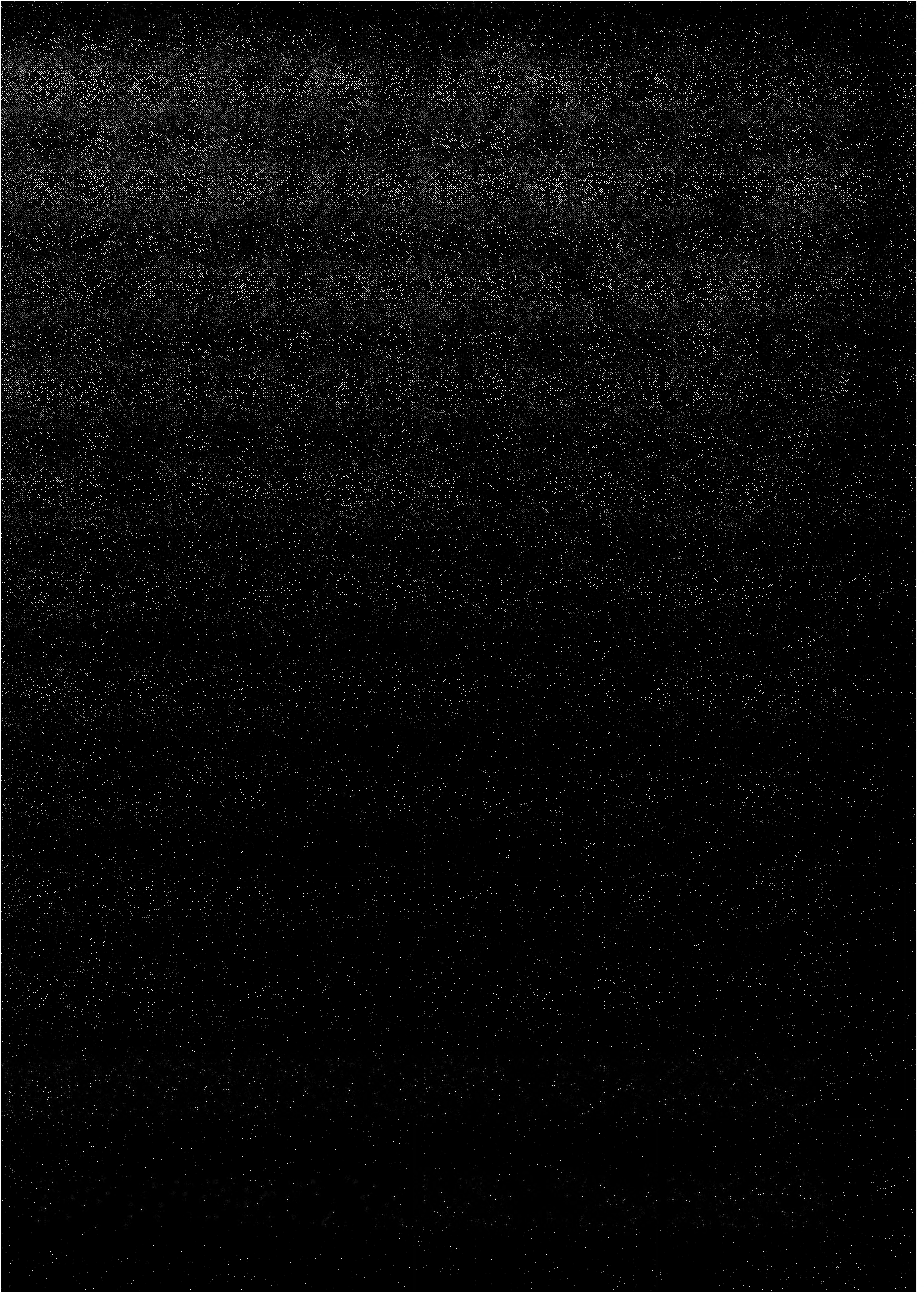


أحمد شوقي
الأعمال الكاملة
المسرحيات



مكتبة مصر العامة







أحمد شوقي الأعمال الكاملة المسرحيات



مكتبة مصر به العامه للكتاب

١٩٨٤

قام على تحقيق هذه الطبعة لغوياً وعروضياً
سعد درويش

وراجعها
الدكتور عز الدين إسماعيل

تصميم الغلاف والإخراج الفني : سعد عبد الوهاب

تقديم

يحتل الشاعر أحمد شوقي مكانة مرموقة في تاريخ الأدب العربي الحديث ، أهله لها عطاؤه الأدبي الغزير والمتنوع ، الذي شغل به الناس في حياته على مدى نصف وأربعين عاما ، ومازالوا يشغلون به حتى اليوم ، شأنه في هذا شأن المتنبي .

لقد كان مايزال حيا عندما اتفق النقاد في أمر شعره واختلفوا ؛ لكنه بعد وفاته صار ملكا للتاريخ ، فتواتر دوافع المعاصرة بوجهيها الإيجابي والسلبي ، وبقي نتاجه الأدبي حيا في ضمائر الأجيال ، مؤكدا أنه كان أمة وحده ، وأنه كان - بحق - شاعر أمته .

لم يكتف بأن يكون الشاعر المبرز في زمانه فيقتصر نشاطه الإبداعي على فن القصيد ؛ ولو فعل لكفاه أن يكون شاعر عصره ، كسائر الشعراء الكبار في تاريخ الأدب العربي ، ولكن طموحه الأدبي كان يجاوز هذه الغاية . كان يكفيه أن يكون الشاعر الذي رسخ دعائم النهضة الشعرية الحديثة ، ولكن إحساسه العميق بمطالب النهضة الأدبية بعامة ، دفعه - منذ صدر شبابه - إلى التطلع إلى آفاق أخرى من الإبداع الأدبي ، كان الواقع - آنذاك - يلح في طلبها . ولا شك في أن السنوات الأربع التي قضاها مبعوثا في فرنسا ، والتي أتيح له في أثناءها أن يزور إنجلترا ويمضي بها شهرا ، قد قوت في نفسه ذلك الإحساس ، من خلال ما اطلع عليه من أشكال

أدبية ، وبخاصة في مجال المسرح والقصة .

وهكذا اجتمعت كل الظروف ، العامة والخاصة ، على دفعه إلى الخروج من إطار القصيدة الغنائية المحدود ، وإلى المغامرة في عالم المسرح ، فكتب - وهو ما يزال في بعثته - مسرحيته الأولى المسماة «على بك الكبير» . ويبدو أنها لم تلق القبول من الحديو ، ولكن المؤكد أنها كانت - مثل كثير من الأعمال الأولى - عملا هزليا ، بدليل أن شوقي نفسه قد عاد في أخريات حياته فأعاد كتابتها .

والواقع أن إخفاق شوقي في هذه التجربة الأولى قد صرفه ردحا من الزمن عن الكتابة للمسرح ، ولكنه بعد أن عاد من بعثته واستقر به المقام في القاهرة ، اتجه إلى معالجة لون آخر من ألوان الإبداع الأدبي ، فكتب عددا من القصص ، في وقت لم تكن القصة فيه قد أصبحت فنا أدبيا معترفا به ومقدرا من البيئات المثقفة . ولأمر ما لم يشغل أحد من نقاد شوقي المعاصرين له بهذا اللون من النتاج الأدبي ، بل ما تزال العناية بهذه القصص التي كتبها شوقي محدودة للغاية حتى اليوم ، على الرغم من أهميتها التاريخية والفنية .

وهكذا شاءت الظروف أن يظل شوقي مرتبطا بفن الشعر في إطار القصيدة ، وأن تتحدد مكانته الأدبية على المستويين المصري والعربي في ضوء ما أبدع في هذا المجال ، على مدى نيف وأربعين عاما ، فكان تنويجه أميراً للشعراء في عام ١٩٢٧ . وعند هذا المدى كان شوقي قد استنفد كل الطاقات التعبيرية لإطار القصيدة ، وكانت ظروف المجتمع قد تطورت فحصلت مصر على وعد باستقلالها ، ووضع الدستور وقامت الحياة النيابية ، واستحكمت دعوات التجديد واتضح فيها الرؤية . عند ذلك عاود شوقي الحنين إلى مغامرته الأولى في كتابة المسرحية الشعرية ، فإذا هو يتجه إليها بكل طاقته ، وإذا هو في غضون السنوات الأربع أو الخمس الأخيرة من حياته يكتب سبع مسرحيات جديدة ، ويعيد كتابة مسرحيته القديمة «على بك الكبير» .

وإذا دل هذا النتاج الغزير في ذلك الزمن المحدود على شيء فإنما يدل على أن شوقي ظل طوال ذلك الزمن مؤرقا بفكرة المسرح ، وأن هاجس هذه الفكرة لم يكف

فى نفسه ، إلى أن صارت الظروف مواتية فانطلق الشاعر فى الكتابة كأنه يسابق الزمن ، وكأنه وجد أخيرا متنفسا لذلك الهم الثقافى الذى حمله فى قلبه وفى ضميره زمنا طويلا .

وقد كان المسرح فى مصر حتى ذلك الوقت قد غلب عليه تياران استجاب كلاهما لجانب من الذوق العام ، أحدهما تيار الترجمة والتمصير للمسرحيات الكوميدية ، وبخاصة كوميديات «موليين» ، والآخر تيار عربى ، يستمد موضوعاته من الحكايات الشعبية ، وبخاصة من «ألف ليلة وليلة» ، ويمتلىء بمقطوعات الشعر التى تؤدى غناء . ومن خلال النكتة أو الغناء كانت المسرحية تجد طريقها إلى نفوس جمهور المشاهدين . ومع ذلك فإنه إلى جانب هذين التيارين كان تيار ثالث يظهر على استحياء فى أعقاب الحرب العالمية الأولى نتيجة لتزايد الاتصال بين مصر والثقافة الغربية ، وعودة بعض المبعوثين الذين درسوا أصول المسرح وفن التمثيل ، والذين حرصوا على أن يقدموا الأعمال المسرحية الجادة لكبار الكتاب الغربيين ، وفى مقدمتهم شيكسبير وكورنى وراسين . وربما كان هذا المناخ الجديد - بالإضافة إلى عوامل أخرى - هو ما شجع شوقى على معاودة الكتابة للمسرح .

ومهما يكن من شىء فقد استهل شوقى نشاطه المسرحى بمسرحيته المسماة «كليوبترة» ، ثم أعقبها «مجنون ليل» و«قمبيز» و«على بك الكبير» و«عنترة» و«أميرة الأندلس» و«الست هدى» و«البخيلة» . ولاخلاف فى الترتيب من حيث الزمن حول المسرحيات الثلاث الأوليات ، والمسرحيتين الأخيرتين . وعلى كل فإن المدة القصيرة التى استغرقتها كتابة هذه المسرحيات جميعا تجعل للترتيب الزمنى لصدورها قيمة ثانوية . وما قد يراه بعض النقاد فى مسرحية متأخرة ، مثل «الست هدى» مثلا ، من تطور فى فن الكتابة المسرحية بالقياس إلى مسرحية متقدمة مثل «كليوبترة» أو «مجنون ليل» يمكن مراجعته فى ضوء حقيقة أن طبيعة الاختلاف بين الموضوع التاريخى المأسوى فى «كليوبترة» ، والموضوع الواقعى الكوميدى فى «الست هدى» قد اقتضت أسلوبين مختلفين للمعالجة .

من أجل هذا آثرنا ، فى هذا المجلد من الأعمال الكاملة لشوقى ، أن نقدم إلى القارئ هذه المسرحيات مرتبة على النحو التالى : عنتره ، مجنون ليلى ، أميرة الأندلس ، ثم قمبيز ، فكليوبترة ، فعلى بك الكبير ، فالست هدى ، فالبخيلة .

وقد آثرنا هذا الترتيب لسبب موضوعى ، يأخذ فى الحسبان نتائج شوقى الشعرى فى مجمله . فقد رأينا كيف أن شوقى قد كتب هذه المسرحيات فى أخريات حياته ، بعد أن كان قد استوفى حظه من كتابة الشعر فى إطار القصيدة . وقد لاح لنا أن ما كتبه شوقى من مسرحيات لا يكاد يخرج فى مضمونه الكلى وفى مغزاه الأخير عما استأثر باهتمامه فى «شوقياته» ؛ فهناك إطاران موضوعيان ارتبط بهما كثير من هذه الشوقيات ، هما الإطار العربى والإطار المصرى . ومن جهة أخرى يشكل التراث العربى مصدرا أساسيا وجوهريا لثقافة شوقى ، فى الوقت الذى يشكل فيه التاريخ المصرى منذ عهد الفراعنة حتى زمنه رافدا أساسيا لشعوره الوطنى . ومن أجل هذا وذاك كانت المسرحيات الثلاث الأولى - فى هذا الترتيب - هى ما استمد فيها شوقى من ثقافته العربية ؛ وكانت المسرحيات الخمس الأخيرة هى ما استمد فيها شوقى من التاريخ المصرى القديم والحديث نسبيا ، ومن الواقع المعاصر .

لقد كانت هذه المسرحيات تتويجا لرحلة طويلة فى عالم القصيدة ؛ وهى لذلك لا يمكن أن تنفصل عنها ، بل إنها تفسرها بقدر ما تفسر بها . وهذا موضوع دراسة طريف ، ولكن لا مجال له هنا .



وقد يقال إن قدراً لا يستهان به من قصائد شوقى قد تحرك فى إطار آخر غير الإطارين العربى والمصرى ، هو الإطار الإسلامى ، وإن الجزء الأكبر من هذه القصائد قد ارتبط بالترك وبسلاطينهم بوصفهم حماة الإسلام . ولم يكن شوقى يعتقد هذه العقيدة وحده ، بل كان هناك آخرون مثله ، يقودون تياراً سياسياً يصطارع مع غيره من التيارات . ومع ذلك لم يفكر شوقى فى أن يكتب مسرحية يستمد موضوعها من التاريخ التركى فى أى مرحلة من مراحلها ؛ وكل ما نعرفه فى هذا الشأن هو ما صرح به ابنه حسين من أن أباه كان قد شرع فى كتابة مسرحية عن محمد على الكبير ، رأس الأسرة المالكة فى مصر . أما القسم الآخر من هذه القصائد فيتعلق

بالإسلام في قيمه الروحية ومبادئه الأخلاقية . وفي هذا المستوى نستطيع أن ندرك أن هذه القيم والمبادئ كانت تسيطر على رؤية شوقي لسلوكيات بعض شخصه المسرحيين في بعض المواقف ، سواء منهم العرب والمصريون . ومن ثم كان من الصعب أن نعزل بعض مسرحياته لكي نصنفها في إطار إسلامي صرف .

ومرة أخرى يمكننا أن نتمثل تلك العلاقة القوية بين نتاج شوقي المسرحي ونتاجه الشعري إذا نحن أخذنا في الحسبان مصادر مادة هذه المسرحيات . فأربع من هذه المسرحيات مستمدة من التاريخ ، وهي قمبيز وكليوباترة وعلى بك الكبير وأميرة الأندلس ؛ واثنان منها مستمدتان من روايات شبه تاريخية ، هما عنتره ومجنون ليلى ، واثنان منها تضربان بجذورهما في قلب الواقع الذي عايشه شوقي ، هما الست هدى والبخيلة . فإذا عرفنا أن المسرحيات الأربع الأولى قد اتصلت بالملوك والأمراء والولاة وحياة القصور اتصالاً وثيقاً ، أدركنا العلاقة الموضوعية والنفسية بين هذه المسرحيات وكثير من قصائد شوقي في الأسرة المالكة وفي وصف حياة القصور التي خبرها عن قرب . وإذا عرفنا أن المسرحيتين التاليتين قد اتصلتا بشاعرين عربيين كانت عاطفة الحب مدار حياتهما ، أدركنا كذلك العلاقة الموضوعية والنفسية بينهما وبين قصائد شوقي الغزلية ، التي حاول فيها أن يشرح عاطفة الحب ، وأن يسمح لنفسه بالتعبير عن مشاعره الذاتية . ثم تأق المسرحيتان الأخيرتان فتعلنان - باتصالهما المباشر بالواقع الاجتماعي - عن مرحلة التحول في شعر شوقي إلى هموم الشعب ومشكلاته . وأيضاً فإن الاتصال بين الفكاهة الشعبية الساخرة فيها وشعر « المداعبة » عنده لا يحتاج إلى بيان .

وهكذا تصبح هذه المسرحيات في هذا النسق معبرة عن مناح ثلاثة ، هي المنحى التاريخي ، والمنحى الذاتي ، والمنحى الاجتماعي . وهذه المناحي هي نفسها التي يعلن عنها حصاد شوقي الشعري .

على أنه ينبغي أن يكون واضحاً أننا لم نقصد بهذه المقاربة بين نتاج شوقي المسرحي ونتاجه الشعري أن نقول إن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر أو يغني غناءه ؛ وأيضاً فإننا لا نقصد بها أن ندعم النقد القديم الذي ذهب فيه أصحابه إلى أن شوقي قد نقل شعره الغنائي إلى مسرحياته . وكل ما قصدنا إليه هو أن نشير إلى

الأطر الموضوعية العامة لعالم شوقي كما تتمثل في مسرحه وفي شعره على السواء .
ويبقى بعد ذلك أن يتميز الإطار الفني للمسرحية - حتى عندما تكون شعرية - عن
إطار القصيدة .

وقد كتب شوقي مسرحياته شعراً باستثناء مسرحية واحدة كتبها نثراً ، هي
مسرحية أميرة الأندلس .

وليس هنا مجال الخوض في علاقة المسرح بالشعر ، قديماً وحديثاً ، ولكن
ما ينبغي تسجيله هنا هو أن شوقي قد وجد نفسه - وقد أقدم على كتابة مسرح شعري
- مطالباً بأن يطوع ذلك القالب الضيق لمقتضيات الأداء المسرحي ، حيث تتباين
الشخص والمشاعر والأفكار في المواقف المختلفة ، وحيث يبطيء الحوار ويسرع وفقاً
لطبيعة كل موقف . ومن ثم فقد كان مضطراً - من أجل تحقيق هذا الأداء - إلى
الخروج من قبضة الوزن الشعري الواحد والقافية الموحدة ، إلى التنويع الدائم
للأوزان والقوافي ، على نحو يضمن مرونة الأداء ، ويلائم طبيعة الحوار في كل
موقف ، بل في كل منعطف شعوري أو فكري في داخل الموقف الواحد . ويمكننا أن
نلاحظ - بالإضافة إلى كل ذلك - أن بنية البيت الشعري الواحد صارت تفتت
أحياناً - وفقاً لمقتضى الحوار في مواقف بعينها - بحيث تستوعب مساحة البيت
اللغوية حواراً متبادلاً بين شخصيتين ، على نحو ما نرى في الحوار التالي من مسرحية
عترة :

عبلة : فتى ! ومن الفتى ؟

ناجية : من عامر

عبلة : وما حداه نحو عبس ؟

ناجية : الهوى

فهذه البنيات اللغوية الأربع ، المتمثلة في سؤاليين من عبلة ، وإجابتيين من
ناجية ، إذا ضمت جميعاً شكلت بنية عروضية لبيت شعري واحد ؛ لكن ورودها
على هذا النحو قد ذهب بالإيقاع الصوتي الحاد لهذه البنية العروضية ، وحقق للحوار

ما يقتضيه في هذه اللحظة من مرونة وسرعة . وما نحسب أن شاعرنا كان في مقدوره - وهو يرتاد كتابة المسرح الشعري في بيئة ألفت الشعر في شكل القصيدة - أن يطوع هذا الشكل لمقتضيات الحوار بأكثر مما صنع . ومن ثم يصبح ضرباً من التجنى ما ذهب إليه بعض الدارسين * من أن شوقي لم يستطع تكييف المعجم الشعري لمقتضيات الأداء المسرحي ، وأنه كان ينزلق في الاسترسال الغنائي .

حقاً إن هناك مواقف يسترسل فيها الشاعر فيجری على لسان أحد الشخصيات حديثاً قد يطول حتى ليوشك أن يكون قصيدة . ولكن التأمل في مثل هذه المواقف يدلنا على أن الشخصية لا تسترسل - في الأغلب الأعم - إلا لأنها في موقف « مناجاة » . والمناجاة بطبيعتها حديث مع النفس ، أو كشف عن مكنونها ؛ وهي وسيلة من وسائل الأداء المسرحي ، عرفها المسرح منذ القدم ، وما زال يستخدمها حتى اليوم . وكثيراً ما كان شوقي ينص في توجيهاته المسرحية على أن الشخصية في موقف مناجاة ، مثلما صنع - على سبيل المثال - في بداية الفصل الرابع من « مصرع كليوبترا » :

كليوبترا : « كأنما تناجي نفسها »

نام ماركو ولم أنم وتفردت بالألم
إلى أن تقول :

أيها العين أبصرى إنما كنت في حلم

وفي هذه اللحظة تلتفت إلى « شرميون » التي كانت تقف مع « هيلانة » في أقصى الحجرة والدموع تنهمر من عينيها فتقول لها :

يا شرميون بلغنا موقفاً حرجاً لا الرأي ينفعنا فيه ولا الباس .

ومن الواضح أن تغيير شوقي للوزن والقافية هنا ، فضلاً عن المضمون ، يوحى بخروج كليوبترا من حالة التفرد والاستغراق في المناجاة إلى حالة الحضور الجماعي .

ويبقى بعد هذا أن بعض الشعر الذي ورد في مواقف المناجاة مشبع بغنائية تؤهله لأن يلحن ويغنى . وسواء قصد شوقي إلى هذا قصداً أو صدر عنه بطريقة

عفوية فإن هذا المسلك لم يكن بمعزل عن هدف من أهداف المسرح العربي قبل شوقي ، وهو - كما ذكرنا - التأثير في الجمهور عن طريق الغناء . وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد مندور : « ونحن لا نلوم شوقي لتضمينه مسرحياته بعض المقطوعات الغنائية ؛ وكنا نود لو مثلت - كما قلنا - بعض تلك المسرحيات كأوبرا ، وعندئذ كان لا بد أن يخفى ما لاحظته بعض النقاد أو معظمهم من أن هذه المقطوعات الغنائية قد جاءت أحيانا دخيلة على بناء المسرحية ، معوقة لسير أحداثها وتطورها نحو خاتمته »* .

والواقع أن مواقف المونولوج المشبعة بالغنائية لا تصادفنا في كل مسرحيات شوقي الثماني ؛ فعلى الأقل هناك المسرحيتان الأخيرتان ، وهما « الست هدى » و « البخيلة » . هاتان المسرحيتان قد خلتا من الغنائية ، لا لأنها خلتا من مواقف المونولوج فحسب ، بل لغلبة الواقعية على أحداثهما كذلك . والواقع أن شوقي قد تنبه - بعد تجربته في « مصرع كيلوبتر » و « مجنون ليل » ، وبتأثير ما وجه إليه حينذاك من نقد - فخفف في مسرحياته التالية من مثل هذه المواقف .

* * *

وعلى الرغم من تنوع مسرح شوقي من حيث مصادر مادته ، ومن حيث أساليب معالجته ، فإن القارئ المتأمل لهذا التاج في مجموعته يستطيع أن يستشف صدور شوقي في هذا التاج كله عن مبدأ أخلاقي ، يحكم نظرتة إلى التاريخ أو ما يشبه التاريخ من جهة ، وفهمه لوظيفة المسرح من جهة أخرى . فهو فيما يختار من أحداث تاريخية يدير حولها بعض مسرحياته يكون مدفوعا بمشاعر وطنية ، وأعراف وتقاليد اجتماعية ، يستهدف تعميقها في نفوس الجماهير وتأكيدا في ضمائرهم . وهو من أجل ذلك لا يفسر غدر كيلوبتر بأنطوني على أساس من الانحلال في سلوكياتها ، أو ميلها إلى النجم الصاعد آنذاك وهو أكتافيو بقصد إغوائه ، وبرغبتها في تحقيق أمجادها الشخصية ، بل يفسر هذا الغدر في ضوء سياسة وطنية كانت كيلوبتر - في رأيه -

تتبناها ، مؤداها أن توقع بين قواد الرومان حتى يفنى بعضهم بعضا ، فتتمكن بهذا من بسط نفوذها على مصر وعلى الإمبراطورية الرومانية نفسها ؛ وكأن شوقي قد هدف من هذه المعالجة إلى إحداث نوع من التعاطف بين الجماهير وبينها ، وكسب

* محاضرات عن مسرحيات شوقي - معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٤ ص ٢٠ .

عطفهم عليها . أما أن يكون قد نجح في تحقيق هذا الهدف أو لم ينجح فهذه مسألة أخرى .

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن موقفه من واقعة زواج « نيتاس » من قمبيز ؛ فهو يميل إلى جعل إقدامها على الزواج من هذا الملك الغريب موقفا وطنيا منها . لقد كان قمبيز قد هدد وطنها مصر بالغزو عندما رفض فرعون مصر أن يزوجه من ابنته . وقيام نيتاس بدور البديل هو نوع من التضحية بالنفس فداء للوطن . هكذا أراد لها شوقى ، على الرغم من أن رؤية أخرى للأحداث نفسها قد تنتهى إلى تفسير آخر لسلوك نيتاس ، مغاير لما رآه شوقى . وفي هذه الحال يمكننا أن نقبل وجهة نظر شوقى أو نرفضها ، ولكن دون أن نذهب إلى تخطيطه . فشوقى لم يغير من أحداث التاريخ الكبرى المرصودة ، ولكنه مضى يفسرها في ضوء مبدئه الأخلاقى ، ويوجه مغزاها توجيهها خاصا ؛ وهذا حق مشروع له ولكل الأدباء ، عندما يتجهون إلى التاريخ ليأخذوا منه مادة موضوعاتهم .

ويرتبط بهذا المنزع عند شوقى ما يمكن ملاحظته من اختياره من حياة الأمة الحقب التاريخية التى تكون فيها فى حالة انكسار ، أو تكون قد ألت بها فيها بعض الكوارث . فالنظرة العجلى قد ترى فى هذا الاختيار تعارضا مع أهدافه الوطنية ، وإلا فقد كان الأولى به أن يختار الحقب التى يبلغ فيها الوطن أوج الازدهار ، والتى يحقق فيها أمجاده . هكذا كان اختياره لأحداث « قمبيز » و « كليوبثرة » ؛ فالأحداث الأولى تنتهى إلى سقوط مصر تحت سيطرة الفرس ؛ والأخرى تنتهى إلى وقوعها تحت سيطرة الرومان . فإذا اتجه إلى الأندلس اختار الحقب التى أخذ فيها حكم « الطوائف » فى الانهيار ، وعلى وجه التحديد حقبه انهيار دولة المعتمد بن عباد فى إشبيلية . أما فيما يتصل بتاريخ مصر الحديث نسبيا فقد اختار - فى « على بك الكبير » - حقبه تصور انحلال الحياة السياسية والاجتماعية على أيدي المماليك فى زمن الحكم العثمانى . لكن المتأمل فى المسرحيات التى دارت أحداثها فى هذه الحقب يدرك أنها أكثر ما تكون ملائمة لكتابة « المأسى » المسرحية بصفة عامة . لكن شوقى - مدفوعا بأهدافه الأخلاقية - كان يبحث فى قلب هذه الانتكاسات التاريخية عن البطولات التى تكتسب عندئذ قيمة وأهمية خاصة فيبرزها .

هذا فيما يتصل بمسرحياته الأربع ذوات العلاقة الوثيقة بالتاريخ المعترف به . أما فيما يتصل بمسرحيتي « عنترة » و « مجنون ليلى » فالهدف الأخلاقي يتركز في تأكيد المبادئ والأعراف والتقاليد التي درج عليها المجتمع . فالقيم والأعراف الاجتماعية السائدة تمثل عند شوقي الإطار المرجعي للحكم الأخلاقي على شخصه . فإذا اصطدمت مشاعر الفرد بأعراف الجماعة كان على الفرد أن يضحي بمشاعره في سبيل تحقيق هذه الأعراف . وفي هذا يتمثل الصراع الذي كتب على الشخصية المأزومة عنده أن تخوضه . وهذا المنحى يدل على رغبة شوقي في عدم الاصطدام بالتقاليد والأعراف ، أو إحداث أي هزة لها ، وميله - على العكس - إلى تأكيدها .

إن ليلى حين خيرت في الزواج بين قيس وورد لم تردد في اختيار ورد ، على الرغم من حبها لقيس . على أن رفضها لقيس لم يقم على أساس من مبدأ نابع من ضميرها الشخصي ، بل من ضمير الجماعة التي كانت تأبى للفتاة أن تزف إلى من شبب بها في شعره ، وكشف عن مشاعر الحب نحوها . فالتقاليد القبلية إذن هي التي اصطدمت برغبة ليلى ، فضحت بحبها أو بالزواج ممن تحب ، إبقاء منها على تلك التقاليد . وكذلك كانت التقاليد القبلية - على نحو آخر - هي المتسلطة في « عنترة »

وعلى الجملة يمكن أن يقال إن التزام شوقي الأخلاقي بوجهيه الوطني والعرفي هو المسئول عما يكشف عنه تحليل الصراع في مسرحياته التاريخية وشبه التاريخية من نجاح أو إخفاق .



وكل من يتأمل مسرحيتي شوقي الأخيرتين ، « الست هدى » و « البخيلة » ، يدرك التطور السريع الذي حققه شوقي في مجال الدراما الشعرية . وهذا التطور يتمثل في عدة مستويات .

فعلى مستوى الاتجاه العام خرج شوقي نهائيا من إطار المأساة الكلاسيكية وانتقل إلى الملهاة الواقعية . وقد استتبع هذا انصرافه عن شخوص الملوك والأمراء . وعن الشخوص الذين صنعت الرواية الشعبية من حياتهم أسطورة ، واتجاهه إلى شخوص

عادين مآلوفين من طبقة البرجوازية في مجتمع المدينة الذي عاصره . والطريف أن الشخصية الرئيسية في كلتا المسرحيتين شخصية نسائية . فالست هدى امرأة ثرية ودميمة ، يطمع أزواجها الواحد بعد الآخر في أن يرث ثروتها . والبخيلة كذلك امرأة تكتنر الثروة وتحرم نفسها وكل من حولها منها . ومن ثم كان أساس الدراما في المسرحيتين هو المفارقة . والمفارقة من شأنها أن تثير الضحك ، ولكنها قد تنطوي كذلك على نقد لاذع . وبهذا تسجل هاتان المسرحيتان تطورا في إنجاز شوقي الدرامي على مستوى الموضوع والتناول .

وقد استتبع هذا كله تطورا ملحوظا على مستوى الأداء اللغوي والشعري . فاللغة في هاتين المسرحيتين قد اقتربت إلى حد كبير من لغة الكلام وإن حافظ الشعر على تماسكها .

ومن جهة أخرى اكتسب الشعر كثيرا من المرونة والحركة نتيجة لتطويعه لمقتضيات الحوار . وسوف يلاحظ قارئ هاتين المسرحيتين إلى أى مدى امتزجت اللغة فيها بالشخص و صارت دالة عليها ، وإلى أى مدى استوعب الشعر الإيماءات والنكات والتعبيرات الشعبية دون أدنى افتعال أو تكلف .

وبعد فليس الهدف هنا تقديم دراسة أو ما يشبه الدراسة لهذه المجموعة من المسرحيات ؛ وإنما هي كلمة تقديم لها ، لن نحول بحال من الأحوال بين القارئ وما ينتهي إليه من آراء خاصة . وقد اقتضى هذه الكلمة إصدار هذه المسرحيات الثماني مجتمعة في مجلد واحد ، بعد أن صدرت كل مسرحية منها في كتاب على حدة . والحق أن معظم هذه المسرحيات قد طبع خلال الخمسين عاما الماضية عدة طبعات . أما مسرحية البخيلة فلم يسبق نشرها في كتاب قط ، إلا في هذه الطبعة التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب . وقد كان من أثر الطبعات المختلفة غير المسئولة لتلك المسرحيات أن كثرت فيها التحريف والتشويه والأخطاء اللغوية والعروضية ، وتداخلت فيها أحيانا أقوال الشخص و اختلطت على نحو يفسد

المشهد . وكان لابد من تدارك هذه الأخطاء والعيوب جميعا ، وإصدار هذه الطبعة الجديدة من هذه المسرحيات ، محررة ومدققة قدر الطاقة ، ضمن مشروع لإصدار أعمال شوقي الكاملة ، على نحو يليق بمكانته الأدبية في تاريخنا الحديث ، ووفاء لأجيال المستقبل .

القاهرة في ١٦/١/١٩٨٤

عز الدين إسماعيل

أحمد شوقي

الأعمال الكاملة

المسرحيات

عنترة	١
مجنون ليلى	١٠٥
أميرة الأندلس	٢٣١
قمبيز	٣٤٥
مصرع كليوباتره	٤٤٩
على بك الكبير	٥٤٩
الست هدى	٦٦٣
البحيلة	٧٢٩

عن ترة

تمهيد

زمن الرواية : حوالى منتصف القرن الأول قبل الهجرة

مكان الرواية : بادية نجد - أحياء عبس وعامروما بينهما

أشخاص الرواية :

عنزة ، فارس بنى عبس ، أسود اللون لأمه .

عبلة ، محبوبة عنزة وابنة عمه .

مالك ، أبو عبلة ، وعم عنزة ، وهو سرى من

سراة عبس .

زهير
عمرو { ، إخوة عبلة .

صفير ، سرى من سراة عامر يحب عبلة ويتردد

على حياها ويخطبها .

ضرغام ، فارس شاب من فرسان عبس يحب

عبلة ويخطبها كذلك .

ناجية ، فتاة من عبس تحب صفرا .
 شداد ، أبو عنزة .
 داحس ، رفيق عنزة .
 { مارد ، عبدان .
 غضبان
 رستم ، قائد الفرس .
 سعاد ، خادم عبلة .
 نكرات مسرحية ، رجال وخدم وفتيات من عبس وعامر
 راقصات ومغنيات وزامرون ،
 ولصوص ...

الفصل الأول

« عين ذات الأضاد في يمين المسرح وقد حفت بالنخيل. »
« وفي اليسار مضارب بنى عبس ، وأظهرها نخيمة مالك الحمراء »
« التي يبدو جزء منها حوله ومن ورائه فضاء . في جبهة المسرح ربوة »
« عالية وكثبان من الرمال تستوى بالأرض من ناحية اليمين . »
« الوقت في مطلع الشمس وقد وقف عنرة أمام الخيام باديها »
« عليه النصب والكلال . يسمع تباح كلاب من وراء الخيام »

المشهد الأول

عنبرة :

سَلِي الصَّبْحَ عَنِّي كَيْفَ يَاعَبَلُ أَصْبَحُ وَأَيْنَ يَرَانِي نَجْمُهُ حِينَ يَلْمَحُ
أَفِي خِيَمَتِي كَالنَّاسِ أَمْ فِي بُيُوتِكُمْ أَبْتُ الْخِيَامِ الشُّوقَ وَهُوَ مَبْرَحُ
أَقْبَلُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ وَرُبَّمَا تَلَقَّيْتُ عَنْ مُنْهَلَةِ الدَّمْعِ تَسْفَعُ
أَرَى يُوْقِسُوْنِي فِي دِيَارِكِ رَاحَةً كَمَا يَسْتَرِيحُ ابْنُ السَّبِيلِ الْمَطْرَحُ
أَبُوكَ غَيْرِ الْقَلْبِ لَمْ يَعْرِفِ الْهَوَى وَلَمْ يَذَرْ مَا يَأْسُو الْقُلُوبَ وَيَجْرَحُ

يَخْفُ لَوَاشٍ يَشْرَحُ الزُّورَ سَمْعُهُ وَفِي أُذُنِهِ وَقَرٌّ إِذَا جِثْتُ أَشْرَحُ
أَرَى الْغَيْدَ مِنْ حَوْلِي وَفِيهِمْ سَلَوَةٌ فَمَالِي أَرَدُ الْقَلْبَ عَنْكَ فَيَجْمَعُ
فَمَا سَرْنِي مِنْهُمْ مَا كَانَ يُشْتَهَى وَلَا رَاقَ لِي مِنْهُمْ مَا كَانَ يَمْلَحُ
أَحِيدُ عَنِ السَّارِي لَكِي لَا يَرِيكُمْ وَأُقْصَى كِلَابَ الْحَيِّ عَنِّي فَتَنْبَحُ
فِيَا عِبَلٌ قَدْ طَالَ التَّنَائِي وَظَلُّهُ مَتَى بَتْدَائِنَا الْحَوَادِثُ تَسْمَعُ؟

[يصعد الربوة من اليمين]

يَا لَيْتَ حُبِّكَ عِبَلٌ لِي حُبُّ الْقَطَاةِ لِشَكْلِهَا
أَوْ حُبُّ قُبْرَةِ الصِّفَا لِأَلْفِهَا وَخِلِّهَا
أَوْ مِثْلُ حُبِّ نَجِيبَةٍ مَجْنُونَةٍ فِي خَلِّهَا
لَيْتَ افْتِنَاكَ لَمْ يَكُنْ إِشْجَاعَتِي وَفَضْلُهَا
أَوْ لَيْتَ حُبِّكَ لَمْ يَكُنْ لِقَصَائِدِي وَلَنْبِلُهَا

[يهيئ لنفسه مضطجعا وراء نخلتين على الربوة تحجبانه
عن سائر المسرح جهدا المستطاع ثم يرقد ويعلو نباح
الكلاب وثغاء الشاء وصياح الديكة ويمر به فتیان
سائران على الربوة وقادمان من ناحية الخيام]

المشهد الثاني

أحد الفتيين: ماذا لك؟ مَنْ؟ قَفُوءًا، انْظُرُوا جُلُودُ صَخِيرٍ أَمْ جَسَدُ؟
الآخر: هذا الفتى عنترَةُ كُلُّ الثَّرَى لَهُ وَسُودُ

قَدِ التَّوَى كَالْأَفْعُوَا نِ وَمَطَّى كَالْأَسْدُ

[يهبط الفتيان الربوة ويخنفبان

ناحية اليمين وراء النخيل ويسمع

صوت هاتف من وراء الخيام]

المشهد الثالث

الهاتف : الديكُ عند البيوتِ صَاحَا يا حَيَّ عُبْسٍ عَمُوا صَبَاحَا

حَيَّ هَلَا يَا رُعَاةُ هُبُوا هَاتُوا الْمَوَاشِي خُذُوا الْبِطَاحَا

هَلُمَّنْ يَا رَاعِيَاتِ عُبْسٍ الرَّغَى وَالْحَلْبَ وَالْفَلَاَحَا

[يخرج صبية وجوار من كل ناحية في الحى مازين بالخيمة
الحراء ومنجهين الى الحظائر وراء النخيل ينشأ مجلس جماعة من
الجوارى على حفا في العين يملأن الجرار ومن بينهن ناجية ثم
تخرج عبلة من الخيمة الحراء وتقف أمام بابها تمطى وتشاءب]

المشهد الرابع

عبلة : وَاْدَى الصِّفَا تَجَاوَبْتُ وَزَقَزَقْتُ عَصَافِرُهُ

وَأَنْتَبَهْتُ خِيَامَهُ وَأَسْتَيْقَظْتُ حَظَائِرَهُ

صَاحَتْ هُنَاكَ شَاوُهُ وَهَهْنَا أَبَا عِرُهُ

أَوَّلُهُ فِي بُلْبُةِ الْفَجْرِ بَحْرِي وَآخِرُهُ
 نَبَاتُهُ وَمَاؤُهُ وَظِلُّهُ وَحَافِرُهُ
 فَنَاءُ تَتَقَى : جِئْنِ الصِّفَا يَا عَذَارَى وَأَمْلَأْنِ مِنْهُ الْجَرَارَا
 الْأَخْرِيَّاتُ مَتَغْنِيَاتُ :

جِئْنِ الصِّفَا

الأولى وحدها :

مَاءٌ مِنَ الْفَجْرِ أَصْفَى فِرْدُنْ صِفًّا فَصْفًا
 وَاقْعُدْنَ فَاضِرْبُنْ دُفًّا وَقَمْنِ فَاضِرْبُنْ طَارَا
 الْأَخْرِيَّاتُ : جِئْنِ الصِّفَا يَا عَذَارَى وَأَمْلَأْنِ مِنْهُ الْجَرَارَا
 الْأُولَى : تِلْكَ دُمُوعُ الْغَوَادِي جُمْعُنْ مِنْ كُلِّ وَادٍ
 فِي عَيْنِ ذَاتِ الْأَصَادِ ثُمَّ انْفَجَرْنَ انْفِجَارَا
 الْأَخْرِيَّاتُ : جِئْنِ الصِّفَا يَا عَذَارَى وَأَمْلَأْنِ مِنْهُ الْجَرَارَا
 الْأُولَى : رِدْنِ الْقَرَّاحِ الرُّلَالَا رِدْنِ الرِّحِيقِ الْحَلَالَا
 فَمَا سَقَى مِنْدُ سَالَا كَيْثِلِ عَيْسِ دِيَارَا
 الْأَخْرِيَّاتُ : جِئْنِ الصِّفَا يَا عَذَارَى وَأَمْلَأْنِ مِنْهُ الْجَرَارَا

[تدخل عبلة نخيمتها ويمر صخر أمام الخيام متهاديا
 واقفا في المسرح هنا وهناك بين الحين والحين]

المشهد الخامس

إحدى الفتيات : ناجيةُ اسمعي انظري من الفتى يا ناجية؟

ذاك الفتى المهندم السحلو الرقيق الحاشية

ناجية : كيف ألم ترى قبل هذه في الناحية؟

الفتاة : لله ما أطرفه

ناجية : أحببته يا غاوية

خليه فهو مغرم صب بأخرى سالية

الفتاة : من الفتى؟

ناجية : من عامي أبوه موفور النعم

يقال في حظاره ألقان من حمر النعم

الفتاة : يحب من؟ يعبد من؟ يا ليتني كنت الصنم

ناجية : إن التي هأم بها بغير عبيد لم تهتم

الفتاة : عيلة؟

ناجية : لم لا؟ إنها اليوم حديث للأمم

صيرها عنزة نارا على رأس علم

[تظهر عيلة على باب الخباء]

المشهد السادس

ناجية :

خيمتك الحمراء يا عبلَ لعمري فاخِره
تصلح أن يسكنها عقائلُ المناذرة

فتاة :

متعت يا أختُ بها وعاشَ أهلوك وعاشَ مالكُ
ولا تزالُ عامِسة وعشتِ في بيتك يا عبلَ المدى
مع رجلٍ كأنه ليثُ الوغى

مخبر :

بل رجلٍ كأنه بدرُ الدجى

عبله :

بدرُ الدجى؟ لا، ليس ذاك بُغيتي
إن كان في الأسماريات عندنا
نحنُ الغواني حسبنا بدرُ السما
البدرُ في بيض ليليه معي
أوفي الكرى على المضاجع انحنى

مخبر :

ماذا تريدن إذن؟

عبله :

أريدُ أجلادا شديدة القوى
وساعداً خشناً بكمود الصفا
ليث الشرى

مخبر :

وسخنة كأنما قد قُلبت
على هبابِ القدرِ وجهها وقفًا

عبلة :

تُرِيدُ أَنْ تَسْخَرَ مِنْ عُنْزَةٍ ؟ بَيْنَ كَفَى يَا صَخْرُ تُعْرِضُهَا كَفَى
إِنْ كُنْتَ كَالْفَتَيَانِ فَاْمِضْ لِأَقِيهِ

صخر :

أَنَا ؟ أَلَا قِيَهُ أَجْنُونُ أَنَا ؟
لَمْ لَا تَقُولِينَ الْقَ حَيَّةَ الصَّفَا أَوْ أَسَدَ الصَّخْرَاءِ أَوْ ذُبَّ الْفَلَا

عبلة :

خَلَّكَ مِنْهُ صَخْرُ لَا تَقْتَسِ بِهِ لَا تَتَرَنَّ صَخْرُ بِفَارِسِ الْوَعَى

صخر :

الْحَقُّ أَنِي يَا بِنَا تَ عُبْسَ خَائِنِي الصَّبِيرِ

سَمْتُ مِنْ عُنْزَةٍ

وَمِنْ شَأْنِهِ الْعِطْرُ

وَمِنْ حَدِيثِ بَاسِهِ

وَمِنْ نُعُوتِهِ الْأُنْحَرُ

وَقُتْنَةِ الْبَدْوِ بِهِ

وَشَأْنُهُ بَيْنَ الْحَضَرِ

أَكُلُ ذُبِّ رِيهِ

وَشَبْعُهُ مِنَ الْبَشَرِ

وَكُلُّ لَيْثٍ فَاتِكَ

وَكُلُّ حَيَّةٍ ذَكَرُ

وَكُلُّ سَيْلٍ لَمْ يَدْعُ

وَكُلُّ رِيحٍ لَمْ تَذَرُ

عِنْدَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

إِ كَانَتْ لَهُ خَطَرُ ؟

عبلة :

خَلَيْنَ صَخْرًا دَعْنُهُ

قَدْ قَتَلَ الْفَقِيَّ الْحَسْدُ

إِسْمَعْنَ شَاةَ عَامِي

مَاذَا تَقُولُ فِي الْأَسَدِ

صخر :

شَاةٌ أَنَا يَا بَنَاتِ عُبْسِ

إِحْسَبْنِي الشَّاةَ مَا يَضُرُّ ؟

فِي الشَّاةِ وَاللَّهِ كُلُّ خَيْرٍ

وَلَيْسَ فِيهَا أَذَى وَشَرُّ

مِزَاجُهَا هَادِيٌّ لَطِيفٌ وَشَكْلُهَا رَائِقٌ يَسْرُ
عَبْلَةٌ [ضاحكة]: اخُحْكُنْ يَا بَنَاتِ الْعَامِرِ شَاةٌ
[ثم الى صخر]: بُسْبُسُ تَعَالَى بُسْبُسُ

أخرى : هُسْ شَاةٌ عَامِرٍ هُسِي

خُذِي كُلِّي مِنْ تُمْسِي

صخر : شَهِدَ اللَّهُ قَدْ أَسَاتَنَ فَهَمَا

عَبْلَةٌ : نَحْنُ؟ بَلْ أَنْتَ قَدْ أَسَاتَ مَقَالًا

صخر : مَا الَّذِي قُلْتَ؟

عَبْلَةٌ : قُلْتَ مَا قِيمَةُ الْبَا سِ وَصَغُرْتَ عِنْدَنَا الْأَبْطَالَا

صخر : إِنَّمَا قُلْتُ تَأْخُذُ الذُّبَّةُ الذُّبَّ وَتُعْطِي اللَّبَاءُ الرِّبَالَا

وَابْنَةُ النَّاسِ لَا بَنَهُمْ فَقْدِيمَا سَخَّرَ اللَّهُ لِلنِّسَاءِ الرِّجَالَ

عَبْلَةٌ : لَا تَرِيدُ الرِّجَالَ يَا صَخْرُ إِلَّا جُبْنَاءَ أَذَلَّةٍ أَنْذَالَا

صخر : بَلْ أُرِيدُ الْحَيَاةَ خَيْرًا وَسَلْمًا لَيْسَ شَرًّا سَبِيلُهَا وَقِتَالَا

أُرِيدُ الْجَمَالَ لِهَذَا الْجَمَالِ وَأُبْغِي الشُّبَابَ لِهَذَا الشُّبَابِ

وَيَحْزُنُنِي أَنْ تُزَفَّ الظُّبَاءُ إِلَى أَسَدِ الْغَائِبِ أَوْ لِلذُّبَابِ

وَأَنْ تُحْمَلَ امْرَأَةٌ كَالشُّعَاعِ عَرُوسًا إِلَى رَجُلٍ كَالْهَبَابِ

وَفِي الْبَيْدِ كُلُّ فَتًى كَالسَّرَاجِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَوْ كَالشُّهَابِ

عبلة : جميلٌ وليس بِحامي البيوتِ ولا مانعٍ من يدِ ماله
 اذا ما عوى الكلبُ ضلَّ السلاحَ وبُلَّ من الخوفِ سرَّوَالهُ
 يحدُّ بزوجتِهِ للغيرِ ويرمى الى الذئبِ أطفالهُ
 صخر : ومن تعنَّ يا عبِل؟

عبلة : ومن يا صخر من تعنَّ؟

لقد أسرفتَ في التعريضِ باللبثِ وفي الطعنِ

[تسمع ضجة وأصوات استغاثة من ناحية الخيام]

عبلة : ويحَ جيرانِي وويحِي صرَخاتُ وصفيرُ
 وعلى الخيماتِ أشباحُ وأقدامٌ تدورُ

أُترى قد نزلَ اللَّصُّ بعُيسٍ والمُغِيرُ؟

صخر : الحياةَ الحياهِ النجاةَ النجاةَ

الفرارَ الفرارَ القِفارَ القِفارَ

[يفتر الجميع من هنا ومن هناك وتبقى عبلة

وحدها فتخرج اليها من الخيمة الخادم سعاد]

المشهد السابع

سعاد : سيِّدتي هيَّ أهربي جمعُ الشَّياطينِ اقترَبْ

عبلة : أهربُ؟ لا! ما في طباعِ العرَبياتِ الهربُ

نَحْنُ ثُلُثَانِ يَا سَعَادُ تَعَالَى بِجَانِبِي
بَلْ قَفَى حَيْثُ أَنْتِ فِي طَرْفِ الْبَابِ رَاقِبِي

سعاد : ومي

عبلة : ما الذي حملت ؟

خَلِيلِي وَصَاحِبِي

سعاد [وتظهر خنجرها] :

[تدخل عبلة الخلية ويسمع صوتها

من الداخل وترى من الباب]

عبلة : خُنْجَرٌ مِثْلُ خُنْجَرِي جَرْدِيهِ تَأْهِسِي
خُنْجَرِي أَيْنَ خُنْجَرِي الْيَوْمَ مَنِي هُوَ ذَا خُنْجَرِي تَعَالَى أَعْنِي
حُطَّ عَقَابِي وَحَامٍ عَنْ قُدْسِ السُّعْزَى وَرُدَّ اللَّصُوصَ عَنْهَا وَعَنِي

[تتجه عبلة الى منم بداخل الخلية]

عُزَّائِي قَوِي يَمِينِي	عُزَّائِي لَا تَحْذُلِينِي
أَبِي تَأْخَرُ عَنِّي	وَأَخَوَتِي تَرُكُونِي
وَأَيْنَ مَنَتُهُ الْيَوْمَ	أَيْنَ حَامِي الْعَرِينِ؟
لَوْ كَانَ فِي أَرْضِ مَبِيسَ	بِحِرْدِ السَّيْفِ دُونِي
عُزَّائِي مَعْبُودَ ثَقِيفِ	وَالْمَلَّةَ الْعَرَبِ
إِنَّ اللَّصُوصَ طَمِعُوا	فِيَا مَلِيكَ مِنْ ذَهَبِ

لَنْ يَسْلُبُوكَ شَعْرَةً وَفِي عِرْقٍ يَضْطَرِبُ

[تخرج عبله]

كَيْمَ الرِّجَالِ هَلُمَّ قَوْمِي أَنْظِرِي يَا سَعَادُ

[تدور سعاد حول الخباء في حذر ثم تعود]

سَعَادُ : سَيِّدَتِي لَا تُرَاعِي حَوْلَ الْخَبَاءِ ثَلَاثَةَ

وَجُوهُهُمْ كَالْحَيَاتِ وَبِالْثِيَابِ رِثَاءَهُ

المشهد الثامن

« يظهر أحد اللصوص فتختبئ الفتاتان وراء باب

الخباء ، حتى إذا حاذى الباب طعته عبله في ظهره »

عبله [هامة] : ذَيْبٌ؟ تَعَالَ خُذْ بِمِيتِ قَتَلْتَهُ بِضَرْبَةٍ

المشهد التاسع

« يظهر لص آخر فتطعنه سعاد »

سعاد [هامة] : وَأَنْتِ أَيْضًا يَا شَقِي خُذْ امِضْ مِتْ بِهِ الْحَقِ

اللعن [ممددا على الأرض] :

آه من الحناجر

الأول :

شلت يمين الغادر

[يظهر لصوم آثرون]

من هنا وهناك وراه الجباء

المشهد العاشر

سعاد : سيدي

عبلة : سعاد ماذا؟ ما الخبر؟

سيدي الآن نواجه الخطر

سعاد :

سرب من الذئاب تحونا انحدرو

بل هوذا سعاد في البيت انفجر

عبلة :

قفي سعاد ناحيه دونك تسلك الزاوية

وانت من ورأيه

سعاد :

عبلة : لا بل مكاني ههنا فربة الدار أنا

سعاد للنيه أحلى من الدنيه

ولا يزيد في العسر شيء إذا الموت حضر

هي ابنتي تقني وتوليطني برقي

وقاتي لي الجمع معي

أحد الصوص : السلاتُ أكبرُ ما ذاك ؟

عبلة : خنجرُ

[تجادل أن تطلعه فيمحك بذراعها ويمسك لص آخر

بذراعها الأخرى و يقبض لصان آخران على سعاد]

الصص : ما للبرقعاتِ والحناجرِ يَحْمِلْنَهَا؟

عبلة : رُدِّعْ كُلَّ فاجرٍ

لص آخر : تعالى اسفري ارفعي ما ذا وراء البرقع ؟

الآن تمضين معي !

[يحمل بعض الصوص عبلة وسعاد الى ما وراء

الستار من ناحية اليسار فتسمع استغاثة عبلة من

هناك بينما يبقى في المسرح سائر الصوص]

المشهد الحادى عشر

عبلة | مستصرخة | وَاغْنَتَا وَاغْنَتَا لَيْتَكَ عِنْدِي فَتَرَى

حَلَّ الذئبُ سَاحَتِي إِلَى يَالَيْتَ الشَّرَى

أحد الصوص : الْخِيَمَةُ الْحَمْرَا الْقُبَّةُ الْكُبْرَى

هُنَا رَوَائِعُ التَّحَفِ هُنَا نَفَاسُ الطَّرَفِ

هُنَا عَصَائِبُ الْيَمَنِ وَوَشْيُهَا الْغَالِي الثَّمَنُ

آخر [مسكا بخناق أخيه] :

بُشْرَايَ دَعِ يَا ابْنَ الزَّانَا الْقُرْطُ لِي
آخر : بَلْ لِي أَنَا

الأول : السَّيْفُ بَيْنَنَا حَكْمٌ

الثاني [ويطعمه] : خُذْهَا وَمَا شِئْتَ فَتَمْ

الثالث : لَا لَكَ الْقُرْطُ وَلَا لَهُ

[ثم يلعن الثاني]

أَعْطِنِيهِ يَا حُثَّالَهُ

[ضجة الغارة مستمرة من وراء الستار . يقدم
من يسار الربوة المرتفع شذاد ومالك فيهرب
الصوص ويثر القادمان بمنزلة وهو نائم]

المشهد الثاني عشر

شذاد : أَضْجَعَةً يَا عَبْدُ وَالْحَىُّ سَيِّ

عنزة : مَنِ الْمُنَادِي؟ سَيِّدِي : صَوْتُ أَبِي؟

شذاد : مَاذَا يَقُولُونَ غَدًا فِي الْعَرَبِ !

[يظهر من يمين الربوة بعض الهاربين]

المشهد الثالث عشر

أحد الهاربين :

أُيِّعَتِ الْحِظَارُ وَالْحِيَامُ وَاخْتِطَفَتِ بَحْرَةٌ يَا هُمَامُ

مالك : وَأَفْرَسًا طَارَ بِهَا الطَّغَامُ !

مالك [لعنزة] : عنتر قم ردّ على جرّوتي

عنزة [برود] : سِرْأَنْتَ أَنْقِذْهَا وَأَبْعَثْ إِخْوَتِي

وَحَلَّتِي أَغْنَمَ لَذِيذَ غَفَوَتِي

[ويرقد]

هارب آخر : يَا سَيِّدَ الْمَاءِ لَيْسَ لَنَا الْمَاءُ

أَطْرَدْتِ الْإِبِلُ وَسَيَقَتِ الشَّاءُ

شَدَاد : يَا بَنَ شَدَادَ

عنزة [بهم] : مَا أَنَا أَبْنُ لَشَدَادَ وَلَكِنْ عَبْدٌ يُسُومُ وَيَسْقِي

لَسْتُ مِنْ عَبَسَ لَا؛ وَلَسْتُ لَكَ ابْنًا لَوْ أَنَّ أُمَّيْ أَفَاتَنِي مِنْكَ حَقِّي

شَدَاد : قُمْ يَا قَتِي عَبَسَ انْهَضْ ذُدْ عَنْ حَرِيمِي وَعَنِي

إِذَا رَدَدْتِ السَّبَايَا فَانْتَ عَنْتَرَةُ ابْنِي

عنزة : يَا سَيِّدَ الْحَيِّ قُلْ لِي مَتَى قَطَنْتَ لِشَأْنِي

أَأَنْتَ ذَا تَدْعِينِي وَكُنْتَ تَبْرَأُ مِنِّي؟

هارب ثالث : يَا سَيِّدَ الْوَادِي هِيَ أَحْمِيهِ هِيَ

عُبْلَةُ ...

عنزة [ناهضًا] : مَا الْخَطْبُ؟

الفتى : سَلَّتْ مِنْ الْحَيِّ

عنزة :

أنا كالليث ما الهزيمة في طبعي وليس الفرار لي في جبلة
 أناحر وإن أبت عبس والناس وآبأى السراة الأجلة
 لا لحرثي أموت ولكن حبذا الموت في سهيلك صبله

[يسمع صوت امتثانة من وراء السنار]

المستغيث : عنزة الباس ويا عزيز الحار
 تلك نسا عبس حل عليها العار
 عنزة : ليثك يا عبس يا عبس كيثك
 عنزة الروع أمن سربيتك

[يسمع صوت عبله من بعيد ومن وراء السنار]

عبلة : واعنترتا واعنترتا

عنزة :

ليثك عبل الليث أتى
 عبلة يا عبل لا تراعى
 ليثك بالسيف بالقناة
 يا عبلة القلب لا تراعى
 ليثك بالروح بالحياة
 تأمل غضبي تريها
 كغضبة الليث للباة

[يظهر جماعة من اللصوص من ناحية النيام
 يحملون أسلاباً ، ويحاولون الهرب عن
 طريق المين حيناً سمعوا صوت عنزة فيبهط
 عنزة من الربوة ويقطع عليهم الطريق]

المشهد الرابع عشر

عنزة : يا سَرَقَه يا فَسَقَه الليثُ جَا
 رُءُوسَكُم نَفُوسَكُم أَوْ فَالْنَجَا
 خَلُّوا الحُلَى دَعُوا الوُسْدَ
 مَنْ يَخْتَلِسُ جَلَّ مَسَدُ
 فَوَيْلَهُ مِنْ الأَسَدِ

[يهجم عليهم]

أحد اللصوص : عنزة جاءكُم إِنِّي أَنَا القَسُورَه
 عنزة : عنزة سُوِّقُوا النِّعَمُ إِلَى الحِطَّارِ
 عنزة : رُدُّوا الحَرَمَ إِلَى الحَيِّمِ لَأَقُودَ السَّيْلَ وَالنَّارَ
 هَامُوا يَا ذِئَابَ القَفْرِ رِيحًا أَجْرٍ إِعْصَارًا
 هَامُوا جَمْعَكُمُ وَاجْرُوا سَيِّقُ بَيْنَنَا قَارًا
 فَهَذَا اليَوْمُ فِي اليَدِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي حَذَارُ
 مَنْ يَتَرَنُّ بِاللَيْثِ مَنْ ؟ إِنِّي أَنَا سَيْلٌ وَنَارُ
 هَامُوا الْقَنَا الْقُودَا هُنَا عَنزَةٌ هَيُّوا الْفِرَارَ
 أحد اللصوص : زَجْرَةٌ قَسُورَه لَا تُحْجِمُوا فَذَلِكَ عَارُ
 آخِسِر : بَلْ اهُجِمُوا وَأَقْدِمُوا

أسيد : مكانكم يا قوم لا تفرقوا كم ذامن العبد الى كم تفرق ؟
 [عنزة] : هلم عنتر القني تسق الردى أو تدوني
 عنزة : من الفتى ؟

أسيد : ابن حرة !
 عنزة : عرضت يا أحمدش بي

أنا ابن شداد فرب أبوك؟ جيشي بالأب
 أسيد : أبي معاتق الأسل سل عن أبي من شئت سل
 عنزة : شداد أعل وأجل

أحد الصوص : صاحبكم وعنزة يا عجبا هيا نرة
 أسيد شهم أسيد باسل
 تعال تنظسر كيف ينازل
 لبث الصغارى غول القبائل

[يظن عنزة أسيد فبرديه ثم يجرى الى ما وراء
 الخيام باحثا عن حيلة ووراء مالك وشداد]

المشهد الخامس عشر

لص : أسيد عيش أنت أسيد يستاهل
 من يطفر النار فليس بالمعاقل

آخر : هذا القدر من يقحمه
هذا الصخر من يصدمه

[يفزع اللصوص من اليمن ويدخل عنزة
وعجلة من اليسار ووراءهما داحس وسعاد]

المشهد السادس عشر

عنزة :

ليك عيلة يا فداك حياتي
لورن صوتك في جوانب حفرتي
اليدي تحت يدي وتحتك ضيعة
رؤعت بنت العم ؟

عيلة : مم ؟

عنزة : ألم يرع

مرأى البزاة حمامتي وقطاتي

عيلة :

مرأى البزاة؟ ترى اللصوص بوازي
جبناء حطافون أكبر همهم
هم دون ذلك، هم حدا نذرة
عكاز شيخ أو حلي قساة

عنتره : ماذا القيت من اللصوص؟

عبلة : بل امض سل

[تشير الى قنيلين على باب الخباء]

هذين كيف تلقيا طعناتي

أنا وابنتي هاتيك جندلناهما

عنتره : حق سعاد فعلت

سعاد : سل مولاتي

عنتره :

أجل أرى جثة وأخرى داحس ماذا ترى؟

داحس : دماء

عنتره : أأنتما تقتلان

عبلة : لم لا؟

عنتره : من قلد الخنجر الطباء؟

عبلة : ذئاب قفر مشيت إلينا
كوالحا تضيير العدا

عنتره : وأين كان الرجال؟

عبلة : سلهم

عنتره : وكيف لم يسمعوا النداء؟

عبلة : لقد تلفت لم أجدهم ولم أجذ حولي النساء

عنزة [ملتفتا لداحس] :

دَاحِصٌ يَجْعُ وَأَسْمِعُ وَنَادِ . عِبِلَةٌ مَعِي
وَأَنَّهَا سَالِيَةٌ وَأَنَّهَا لَمْ تُرَعِ

[تدخل سعاد الخباء وينادي

داحس من وراء الخيام]

المشهد السابع عشر

داحس : ياعبِسُ بُشْرَى لَكُمُ قَدْ وَجَدْتُ أَخْتُكُمُ
عنزة حيا لَكُمْ وعبلة يَلْنَكُمُ

عبلة : عنزة ؟

عنزة : عُبِلَةٌ

عبلة : مِنْ أَيْنَ ؟

عنزة : مِنْ طَوْلِ السُّرَى

سَرَيْتُ أَبْنَى الْحَى لِي كُلُّهُ حَتَّى دَنَا
وَجِئْتُ فِي مُنْبَلَجِ الصُّبْحِ أَسَاقِ الضُّحَى
عَسَايَ أُرْعَى شَاءُكُمْ كَعَادَتِي فِيمَنْ رَعَى

عبلة : لَا لَسْتَ تَرْعَى الشَّاءَ يَا عَنْتَرُ بَلْ تَرْعَى الْحَمَى

وَأَيْنَ يَا بَنَ الْعَمِ كُنْتَ لَمْ تَزُرْنَا مِنْ مَدَى

عنصرة : في عالم الدنيا وفي وادي الحياة وفي شعابه
في اليد عيلة في عريسين الليث في سلطان غايه
عيلة : سعاد

[تخرج سعاد من الخباء ويعود داحس من وراء الخيام فيصعد الربوة ويختفي وراء النخيل]

المشهد الثامن عشر

يا بنت اذهبي جيئي بثمرولبن

[تدخل سعاد الخباء]

المشهد التاسع عشر

عنصرة :

أجل لي ثلاث ألبس البيد حائرا كما يلبس الليل الطويل سقيم
إذا قت من ذئب عثرت بجية طريق منايا ككله وشموم
أهيم على وجهي وقلبي من الجوى على وجهه بين الضلوع يهيم
ويهدأ إلا حين تهترأ به ويطرق إلا حين يشخص ريم
أجىء حاكم من نجوم بعيدة وترجع بي من حيث جئت نجوم
ويحزني يا عبلى أنى أزورك فيصرف عني الوجه وهو كريم
يكاد يسئل السيف حين أجيئه ويوقد نار الطرد حين أريم
نخاض الموالى في حديثي وأقبلت على من الوادى الظنون تحوم

وكم رام وُدى في القبائل سيدٌ وودّ مكانى في الديار زعيمٌ
ولو لم يكن يا عبل عمّا ولا أباً لعيلة سيم الخسف وهو كظيمٌ
عبلة :

تسوم أبى خسفاً ؟

عنزة : معاذك عبلتى

معاذ الهوى إني اذنب للثيم

ولكن عمى جار

عبلة : هب لى ذنبه

وهبني التي جارت أكنت تلوم ؟

عنزة :

عيلة جورى وأتركي عمنا يجر فإني على عهد الهوى لمقيم

[تخرج سعاد من الحباء حاملة قصعة فيها مجيع
وهو طعام يصنعه العرب من التمر واللبن ، فتضع
القصعة على الأرض وتدخل من حيث ترجعت]

المشهد العشرون

عبلة : عنتر خذ قاسمى الحجيما

عنزة :

هاتى فقد كدت أموت جوما

[يجلسان الى قصعة المجيع فتناول

عبلة بضع بلحات تعطيا الى عنزة]

عنصرة :

حَسْبِيَ النَّوَى عِبِلَ مَا فِي التَّمْرِ لِي أَرْبُ مُنَايَ كُلُّ نَوَاةٍ خَالَطَتْ فَالِكَ
 التَّمْرُ أَطْيَبُ مَا فِيهِ النَوَاةُ إِذَا مَرَرْتُ بِشَعْرِكَ أَوْ مَسَّتْ شَايَاكَ
 لَقَدْ مَرَرْتُ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي شَجَرٍ نَضِرُ وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ الْغَيْثُ مَضَحَاكَ
 مُطِيبٌ تَفَحَّحَنِي مِنْهُ رَائِحَةٌ كَالْمُسِكِ يَاعِبِلَ أَوْ تَعْلُو عَلَى ذَاكَ
 فَقُلْتُ عِبِلَةٌ فِي الْوَادِي مَشَتْ وَرَمَتْ عَلَى نَوَاحِيهِ مِنْ فِيهَا يَمْسُوكَ

عبله : لقد أحسنت يا عنتر فاقبل من في التمر

عنصرة : يروحي قوك يا عبلة هاتي الشهد والخر

عنصرة : عبس اشهدوا عبلة قد قامت تزق عنصرة
 كما تزق فرخها على الغصون القبرة

عنصرة : عبِل

عبله : ليلك سمي الخيل

عنصرة : لاما أنا للخيل يا عبيلة حام
 عبلة :

من إذن يمسك النجيسة في السسريج ويحمي النجيب خلف الجمام؟

عنصرة : ألهذا أحببتني ؟

عبله : وإشأن كضحى الشمس أو كبذر التمام
 كل يوم يُقال عنصرة أزدى كميًا وقام عن ضرغام

عنزة :

لم لا تعشقين عبلَ جَوَادِي؟ لم لا تعشقينَ عبلَ حُسَامِي؟
أَو لَيْسَا هُمَا شَرِيكَيَّ فِي الْفَتْكِ وَضَرْبِ الطَّلِي وَحَصْدِ الْهَامِ؟

[يظهر داحس على الربوة ثم يهبط منها
حاملًا معه فراخ نسر وثلاثة أشبال]

المشهد الحادي والعشرون

عبله : ماذا؟ ما تحمل؟ ماذا عنزة؟
ما تلك عنتر؟

عنزة [متناولاً فرخ النسر من داحس] :

هَذِي	يَا عِبْلَ أَفْرَاخُ نَسِيرِ
إِغْتَرَّيْ أَبَوَاهَا	وَكُنْتُ بِالشَّعْبِ أَسِيرِ
فَظَلَّ الْأَبُ صَدْرِي	وَعَطَّتِ الْأُمُّ ظَهْرِي
وَمَسَّيَانِي بِكَرٍّ	عَلَى الْجِبَالِ وَفَرٍّ
تَوَقَّمَانِي صَيْدًا	يَهْنِي الْفِرَاخَ وَيَمْرِي
فَلَمْ أَكُنْ غَيْرَ يُتَمِّ	لِيُبْتَغِيَ الصَّيْدَ مُرًّا

عبله : مَاتَا؟

عنسمرة : أَجَلُ لَقِيَا عِبْلَتِي جَزَاءَ التَّجَرُّبِ

مُحَطَّمِينَ بِكَفَى مَمَزَّقِينَ بِظُفْرِ

[يدخل جماعة من المارين فتيانا وفتيات
من ناحية العين و بينهم صغرونا جبهة]

المشهد الثاني والعشرون

صغرو : عبلة لم تُسَبَّ

صوت : عبلة في الحى

آخر : عنصرة ثم لا خوف من شىء

عبلة : وما هذه الأخرى؟

عنصرة : شُوبُلُ ثلاثة

تعرض لى ليث يُدِلُّ بِبَاسِهِ

وقد ملأ اليداء رعدا كأنما

مَشِيَتْ إِلَيْهِ فَأَنْتَنَى فَعَلْبَتُهُ

ظللنا مليا أتقىبه ويتقى

فأغمدت سيفى فى قرارة جوفه

الى أن تعايا فى يدى فذبحته

ونم من كفى فى أعنة ساج

تُرَبِّى هُنَا بَيْنَ الْيُوتِ وَتُصَلِّحُ

الى جانبيه لبوة تُتَجِّعُ

بكل سبيل ذورعود ملتح

فأقبل تياه انلطا يترفع

ويعجم فى قول الوعيد وأنصح

أليس لسيفى ذلك الغمد يصلح؟

ومن ذارأى الضرغام كالشاة يُذبح

تركته ورأى فى الدم الحتر يسبح

عبلة :

وما صَنَعْتَ بِاللِّبَاةِ يَا بَنَ عُمُ

عنزة :

عَفَوْتُ عَنْهَا

عبلة :

ذَاكَ وَاللَّهِ الْكَرَمُ

عنزة : اقْتَحَمْتَنِي مَرَّتَيْنِ وَأَنْشَنْتَ

لَمْ تَرَ مِنْ فَائِدَةٍ أَنْ تَقْتَحِمَ

أَنْتِي ضَعِيفَةُ الْقُوَى تَرَكْتَهَا

إِنَّ الْإِنَاثَ عِنْدَ امْثَالِي حُرْمٌ

صخر :

شَبُولٌ تُرَبِّي فِي الْبُيُوتِ أَغَابَةٌ

حِمَاكُمُ ؟

عنزة :

وَنَحْنُ الْأَسَدُ فِي الْغَابِ نَسْرَحُ

وَمَالِكَ يَا هَذَا وَعَبْسٌ وَدُورِهَا

وَمَا أَنْتَ ؟ مَنْ هَذَا الْفَقِي الْمَتَوَقِّعُ ؟

صخر :

فَقِيٌّ زَائِرٌ مِنْ عَامِي مِنْ سَرَاتِهَا

وَمَا هُوَ إِلَّا مَعْجَبٌ مُتَمَدِّحٌ

عبلة :

جَبَانٌ ذَلِيلٌ جَاءَ عَبْسًا وَمَاءَهَا

يَعْرِضُ لِلْإِفْكِ الْعَذَارَى وَيَفْضَحُ

فناة :

فَقِيٌّ عَامِيٌّ فِي كُرْبَةٍ أَيْنَ عَامِرٌ ؟

يَكَادُ فَنَاهَا فِي السَّرَاوِيلِ يَسْلَحُ

نَاجِسَةٌ : أَسَاتَ بِهِ يَاعْتَرِ الظَّنُّ

مَا أَرَى

عنزة :

وَأَسْمِعُ ؟ أَنْتِي عَنْكَ يَا فُحْلٌ تَنْضَعُ ؟

مخبر [هـ] :

دَعِينَا دَعِيَّهَ لَا تَرِيدِيهِ ثَوْرَةٌ

ناجسة : تنحَّ اذنْ قداوشك الكُبحُ ينشأحُ

[ينصرف الجميع فلا يبق إلا حيلة وعثرة]

عسرة :

يا عبلَ كم ببدأ جُبْتُ مخوفةٌ قد فُتُّ إلى بذليها والذَّيْفُ سِيْفُهُ
فلقيتُ كلَّ منازلٍ بسلاحِهِ وجعلتُ أضربُ باليدَيْنِ وبالْقِمْ
أُحرْتُ رُحَى وأدخرتُ مَهْنَدِي وربطتُ سُرْجِي للكميِّ المَعْلَمِ
حتى تراءتُ ظبيَّةٌ فَمَلَّاتُ مما رأتُ رُعباً فلم تَتَمَسَّكْ
لما رَأَيْتُي والسَّباعُ تَتَوَشَّيْ نفرتُ بفارِكِ من عيونِ المَوَسِمِ
رِيمٌ تَلَقَّتْ لَمْ يَفْتِكِ بِحِيْدِهِ وبمَقْلَتَيْهِ وَقَتَّيْهِ بِالْمَعْيَمِ
فمنَعَتْهَا مِنْ كُلِّ خَسَارٍ ثَائِرٍ وأبْحَثَهَا الوَادِيَّ وَقَاتُ لَهَا آسَلَمِي

يا لَيْتَنَا يا عبلَ عُصْفُورَتَانِ في غُصْنِ خَسَالٍ أو على فَرْعِ بَانٍ
في رَوْضَةٍ غُفْلٍ وراءَ الرُّبَا لم يَسْقِهَا إِلَّا الفَوَادِي يَدَانِ
على جَنَاحَيْكَ جَنَاحِي وَفِي فِي مَكَانٍ أَلْبَسَ هَذَا الْجُرَانِ
عَبْلَةٌ : لقد ودِدْتُ فوقَ ما شئتُ لنا ما قد سَوَرَهُ

من عَيْشِيَّةٍ وَاذْعَةٍ خَامِسِيَّةٍ مُسْتَوْرَةٍ
لا بَغْيُونِ النَّاسِ أو أَلْشَهْسِمِ مُسَكَّرَةٍ

- عنزة : لو لم تهيمى عبلتى بجملاتى المنصكرة
 وليس بى أنا ولا بسعنتى المحقرة
 لقلت إذ دعوتنى يا قمرى يا سكرة!
- عبلة : هذا السوادُ يا بن عمى مثل صبغة السحر
 كالسك والكحل هما فى مفرقى وفى البصر
 وما يضرُّك السوا دُ يا بن عمى ما يضرُّ
 الكعبةُ الغراءُ من أحسن ما فيها الحجر
 البَدُو فى إجلاله وفى وقاره الحضر
- عنزة : ماذا وددت يا عيىل يا حياة عنزة؟
 وددت أنى صدفت وأنت فيه جوهرة
 فى زاهر لم يدربعدُ الغائصون خبرة
 وموضع لم يسمع الفلك به ولم يره
- عنزة : بى أنت يا عبلة بى لا بل بأمى وأبى
 لا بل بعيسى بل بنجيد بل بملك العرب

الفصل الثاني

المنظر الأول

« المكان كما كان في الفصل الأول إلا أن خيمة مالك قريية »
« جدًا تملأ المسرح ارتكاد ، ويدور بها كأنه ستر مسدول »
« ولا أثر لعين ذات الأصا د ولا لسائر خيام بني عبس ، »
« ويرى مقدم المسرح كأنه طريق عام أمام الخباء . »
« الوقت في الأصيل وقد وقفت عبلة وناجية توصو صان »
« من ثقوب في باب الخباء ثم تتحدثان »

المشهد الأول

عبلة : مَنْ يَأْتُرِي الرِّجَالُ مَنْ؟ أَتَى الْجَمْعُ يَا نَاجِيَّةُ؟
ناجينة : ضَيُوفُكُمْ مِنْ عَامِيٍّ مِنْ السُّرَاةِ الْعَالِيَّةِ

عبلة : وفيم يا أختُ جاءوا

ناجية :

لا أذير... ما يطلبونا

عساهو رسل خيرٍ لعلهم خاطبونا

عبلة :

من عامرٍ أجلُ عرفتُ بعضهم ويخطبونَ عندنا من ياترى؟

ناجية :

أظنُّ بنتَ مالكٍ عالمةٌ بكل ما جرى ويحوى في الحمى

ومن عسى يُخطبُ في الحمى سوى عبلة ربة السناء والسنا؟

عبلة : هازلة يا أختُ أم مجنونة أنتِ؟ أجااء القومُ من أجلِ أنا؟

ناجية : لا تُتكري عبلة لا تجاهلي لم يبق سرًّا أمرُ ذلك الفتى

عبلة : فتى ومين الفتى؟

ناجية :

من عامرٍ

وما حداه نحو عيس؟

عبلة :

الهوى

ناجية :

عبلة : وما أسمه

ناجية : صخر

عبلة : لعله الذى فى كل مغربٍ على الماء يرى

ناجية : كيف أما تهوينه يا عبلى

عبلة : لا أخطاك ما حسبت يا ناجى لا

ناجية : يا فرحا خلبه لى تولى

عبلة :
 اذهبي به متى أخذته منك متى
 | تنصرف عبلة من اليسار متربطة ، وتعود ناجية
 الى الوصوة من نقوب الخباء ، وبعد لحظات
 يقدم صخر من اليمين متأبطا صرة فمها ثياب |

المنهماء الثانى

ناجية :

عم صباحا يا عامرى إلى أين؟

صخر :

الى عبلة

ناجية :

أيمكن ذاك؟

صخر : لم لا

ناجية : عبلة ترى الذئب فى جوار الفيا فى لكنها لا تراكا

صخر : ما تقولين ؟

ناجية : لم أقل غير حق هي يا عامرى تهوى سواك

صخر : عبلة لى غدا

ناجية : خدعت ولم يصدقك شيطانك الذى مناك

صخر دغ عبلة وخل هواها وتمول الى التى تهواك

صخر : أنا أهوى سواك يا أختي عيسى

ناجيسة : إميص لا تلت يا غبي مناسكا

| ينضم ف صخر من ناحية اليسار، ثم تبعا

ناحية بعد قليل من التفكير ثم يخرج باب

السند المسدول عن داخل النجاة آ

المنظر الثاني

« داخل خيمة مالك وتبدو النعمة على كل ما فيها وقد جلس »
 « مالك القرفصاء في جانب ، وجلس في جواره وفي الجانب الآخر »
 « رجال من بني عامر — خدم وقوف بيباب في صدر الحباء »

المشهد الأول

مالك :
 أَلْخُزُورَ، أَلْخُزُورَ ؛ أَلْنَارَ، أَلْنَارَ ؛ قِرَى الضَيْفِ ضَيْفُنَا الْيَوْمَ عَامِرُ
 [ينصرف الخدم]

المشهد الثاني

يا مَرْحَبًا بِعَامِرِ الْعِلْيَةِ الْأَكْبَرِ
 حَفْظٌ لِعَمْرَى عَظِيمِ
 الضيفان : لَنَحْنُ أَعْظَمُ حَفْظًا
 مالك : سَرَاةُ عَامِرَ عِنْدِي
 أحد الضيوف : فِي دَارِ سَيِّدِ عُبَيْسِ

آخر : في البيد يا مالك قول شائع نريد أن نعلم منك خبره
ثم نخوض في الذي جئنا له

مالك : هاتوا أسألوني راشدين برره
ماذا لك ؟

الضيف : إن الناس قد تحدثوا أنك لن ترضى بغير عنتره
مالك : صهراً ؟

الضيف : أجل
مالك : من قال ؟ ذلك كذب أيطمع الأسود أن أصاهره ؟
الضيف :

ذلك يا مالك ما قلت لهم

[ثم يثقف حوله]

لا يسمعن ابن الإماء لا يره !

آخر :
عبلة لا تهدي إلى ابن أمة يرعى الشويهاث ويسقي الأبعرة
آخر :

أبا عبلة جئناك نخطب عبلة

مالك : لين ؟

الأول : لنجيب سيد وابن سيد

لأبيض من فتيان عامر ماجيد وليس لعبد عند شداد أسود

- مالك : ما اسمُ الفتى
الأول : صخرٌ من ولد الأشتَر
مالك : وهل رأى هبة ؟
آخر : ألف مرّة وتَمِيعَ الحُرّ حديثاً المُرّ
مالك :
أَصِيحُوا لى... أصحابكم شجاع؟ فعبلة تُبغِضُ الرجلَ الجبّار
أحدهم :
كَلَيْتَ الغابِ إقداماً وكراً إذا اعتقل المهتد والسّانّا
مالك :
أَصِيحُوا لى أصحابكم جوادُ فعبلة تُبغِضُ الرجلَ البخيلاً
أحدهم :
يَكادُ ندى يديه حين يهيمى يُنسى حاتم السّمح المنيلاً
مالك :
أَصِيحُوا لى أصحابكم جميل؟ فعبلة تُبغِضُ الرجلَ الدّميماً
أحدهم :
ألم ترهُ ألم تنظر اليه اذن لم تُبصِرِ الملكَ الكريمَا
مالك :
أَصِيحُوا لى أصحابكم فصيح؟ فعبلة تُبغِضُ الرجلَ العيياً
أحدهم :
ألم ترقط قساً فى عكاظ؟ وشعباناً اذا شيد النّيبان؟

مالك :

أَصِيخُوا لِي أَصَاحِبُكُمْ رَقِيقٌ؟ فَعَبْلَةٌ تُبْغِضُ الرَّجُلَ الْعَنِيفَ
أَحَدَهُمْ .

سَتُلْفِيهِ إِذَا حَمَلَتْ إِلَيْهِ وَدَيْعًا مِثْلَ نَعِيجَتِهَا الْوُفَا

مالك :

أَصِيخُوا لِي أَصَاحِبُكُمْ غَنِيٌّ؟ فَعَبْلَةٌ طِفْلةٌ تَهْوَى الثَّرَاءَ

أَحَدَهُمْ :

سَتُسْكِنُهَا الْقُصُورَ كَبْنَتِ كُسْرَى وَتُلْبِسُهَا الْجَوَاهِرَ وَالْفُرَّاءَ

آخِر :

ذَكَرْنَا شَيْخَ عُبَيْسٍ كُلَّ شَيْءٍ وَلَمْ تَذْكُرْ لَنَا مَهْرَ الْفَتَاةِ

آخِر :

فَهَيَّ سَلِ اقْتَرِحْ مَا شِئْتَ هَيَّ أَلْفٌ نَجِيَّةٌ أَمْ أَلْفٌ شَاةٌ؟

مالك :

هَلَيْسَتْ أُنْثَى مُثْرٍ غَنِيٌّ فَلَا أُنْثَى النَّعَاجِ وَلَا النِّيَاقَا

وَلَسْتُ بِجَاعِلٍ مَهْرًا لِبْنِي هِجَانَ الْإِبِلِ وَالْحَيْلِ الْعِتَاقَا

أَحَدَهُمْ : وَلَكِنْ مَا تُرِيدُ ؟

مالك :

أُرِيدُ شَيْئًا لَوْ ابْتُلِيَ الْحَدِيدُ بِهِ لَضَاقَا

أحدم : إذن فاذكره قلّه

مالك : وما انتفاعي ولو حملتُ صخرًا ما أطاقا

أصيحُخوا إلى أذهبوا قولوا للصخرِ يُقدّم رأس عنترة صدّاقا

أحدم :

نقول له انتزع قلل الرواسي؟ نقول له أهدم السبع الطباقا؟

نقول له تطالبه بمهر تضيق به القبائل أن يساقا

آخر :

ولم لا؟ ما هنالك مستحيل هناك دم سئلنا أن يراقا

أليس المال يصنع كل شيء؟ ويرشو السمر والبيض الرقاقا

ولو هبط الأباطح مال صخر لغطى الشام أو غمر العراقا

إذا أعياه رأس العبد أغرى موالي بيته ورشا الرقاقا

مالك :

الآن فهتمتمو قد ضقت ذرعا بعنترة وضقت به خنّاقا

أريد العبد ميتا ما أبالي قضى بالسيف أم مات اختناقا

أريد فراقه وأريد حرا من الأضهار يئلني الفراقا

إذا ذاق الهلاك لنا عدو أنسأل عنه أين وكيف ذاقا؟

أحد الضيوف :

في غيد نحر وقدر في غيد دُف وزامر

انهمضوا بورك في الصَّهر لعنيس ولعامر

[يهون بالقيام]

مالك : مكانكم يا ضيوف عيس هنيئة تطعموا المحيعة

تجميع البيد من لبن وتمر ولا تلقاه إلا عند عيس

إذا الغلمان للأضياف قاموا فإني خادم ضيفي بنفسي

[ثم يخرج لياتهم بالطعام]

المشهد الثالث

أحدم للآثر : لقد كذبت كثيرا وقلت والله زورا

قد زدت للشاة شاة وللبعير بعيرا

وقد صنعت لصخر محالبا وزئيرا

وربما طار صخر إذا رأى عصفورا!

الآخر : أجل كذبت وما ضرر لست أول كاذب

وكلنا قد كذبتا لكى تقوم بواجب

لقد خطبنا لصخر والكذب فن الحواطب!

ثالث : ومالك كيف نسيت كلمات قالها

مباهيا بينتيه ومظهرا كمالها

سمعناه يقول ولا يبالى فعبلة تبغض الرجل الدميا

ولم نر قبل عبلة في البوادي فتاة علقّت عبدا زينا
 سمعناه يقول ولا يبالي فعيلة تبغض الرجل العنيفا
 ولم نر قبل عبلة في البوادي فتاة علقّت ذبّا مخوفا
 | يدخل مالك حاملا قصعة فيها طعام
 ومن ورائه غلمان يحملون مثلها ، توضع
 القصاع على الأرض ، وينصرف الغلمان |

المشهد الرابع

مالك : المجميع المجميع يا ضيف عبس | طعموه اطعموه اهنيئامريئاً
 | يقبل الحاضرون كلهم على القصاع |

أحدم : ألبان عبس تفضل العقارا

آخسر : وتمسرها تكلم العذارى

آخسر : أفدييهما من لبن وتمير

آخسر : [هامسا] لا أشتريهما بريق خمير

مالك : الآن استعملوا الحزم فما نعلم ما يطرا

بنى عامر لا تجرؤا لما كان هنا ذكرا

أحدم : أبا عبلة لا تخش سيقى ما جرى سيرا

آخسر : وما ضر إذا نحن أذعنا الأمر ما ضرنا؟

ولم لا نذكر الخطبة أو لا نعلن البشري؟

إذن أنت تخاف العبد أو تحشى له شراً؟
مالك : أليس الحزم أن نأخذ من عنزة الحذر؟
فقد يقتلني وحدى وقد يقتلنا طراً
ولا يبقى لنا شاة على المرعى ولا بكراً
أحدهم : أبو عبلة بالعبد وما يفعله أذى
فيسيروا بالذى قال ولا تعصوا له أمراً
[يقومون عن الطعام ثم يحبون مالك ويبدأون
في الانصراف فاذا انصرفوا وقف مالك بباب الخباء]
أحدهم : في ذمة الله وفي حفظه... مالك
مالك : محروسين بالله

المشهد الخامس

مالك : عبّل
عبلة [من وراء السار] : أجي ؟
مالك : من أين يا عبلة

المشهد السادس

[تدخل عبلة]

عبلة : من خبائيسا

مالك : وأين تمضين ؟

عبلة : أهيبُ بسُقاةِ شائيا

مالك : قفي أسمعني لي ساعةً وخفّفي عنائي

عبلة : قل أبي مر

مالك : إذن تعالى أصيخني وزهير أخوك أين زهير ؟

عبلة : مع عمرو هناك

مالك [ينادي] : يا عمرو

عمرو [من وراء السار] : ليّسك أبي

يحيى تعالى هي زهير

[يدخل عمرو وزهير]

المشهد السابع

مالك :

عبل أصغى في أرض تجد شباباً أطلعوا في سمائها أقماراً

منهم الأسدُ جراً وثباتاً والقوارينُ نعمةً ويساراً

مثلُ صخرٍ

عبلة : ومن يربك صخر ؟

عمرو : عامري من أرفح اليد داراً

زهير :

مِنْ بَنَى الْأَشْتَرِ الْكَثِيرِينَ مَالًا وَنَحِيلًا وَضَيْعَةً وَعَقَارًا
عبلة :

قَدِ عَرَفْتُ الْغُلَامَ ذَاكَ الْفَقِي النَّضْوِ الَّذِي لَا يُطِيقُ يَقْتُلُ قَارًا
كُلَّ يَوْمٍ مَعَ الْعَذَارَى كَثِيرُ السُّعْجِبِ مُسْتَحْيِيًا كَأَحَدِي الْعَذَارَى
أَتَرَى يَا أَبِي وَأَنْتَ أَنْحَى يَا عَمْرُوكَيْفَ انْتَقِشْتُمَا الْأَصْهَارَا
زهير :

وَأَنَا لَا أَرَى عُيْلَةً خَيْرًا مِنْ أَيْبَهَا وَلَا إِخِيهَا اخْتِيَارًا
أَنْتِ مَقْتُونَةٌ بِأَسْوَدَ عَبْدٍ مِنْ بَنِي عَمَّنَا تَسْرِبَلُ قَارًا
عبلة :

أَوْتَعْنِي الَّذِي حَمَى حَوْضَ عَيْسٍ وَكَسَا الْيَدَ سُودَدًا وَنَحَارًا؟
وَالَّذِي قَلَّدَ الْوَقَائِعَ وَالْأَيَّامَ عَيْسًا وَخَلَّدَ الْأَشْعَارَا
يَا زُهَيْرُ أَتَيْدُ مَتَى كَانَتْ الْأَلْوَا ثُ تَبْنِي وَتَهْدِمُ الْأَحْرَارَا؟
لَمْ يَحْطِ السَّوَادُ مِنْ أَسَدِ الْقَفْرِ وَلَمْ يَرْفَعْ الْبَيَاضُ الْحِمَارَا
أَرَأَيْتَ السَّوَادَ قَدْ عَبْدَ اللَّيْلَ كَمَا عَبْدَ الْبَيَاضُ النَّهَارَا؟
مالك : زهير

زهير : أبي

مالك : اصْبَحْ عَمْرُو اسْتَمِعْ وَيَا عِبَلْ أَنْ لَنَا أَنْ نَجِدْ

عبلة :

مَتَى كُنْتُ هَا زِلَةً يَا أَبِي؟

مالك :

هَزَلْتُ ابْنِي وَأَضَعْتُ الرَّشْدَ

وَمَا زِلْتُ بِالْعَبْدِ مَفْتُونَةً وَهِيَّاتَ بِالْعَبْدِ يَرْضَى أَحَدُ

فَلَا أَنَا أَرْضَى وَلَا أَخَوَاكِ وَلَا مَنْ تَدَانِي وَلَا مَنْ بَعْدُ

عبلة :

أَعْتَرَهُ يَا أَبِي قَدْ عَنَيْتَ ؟

مالك :

أَجَلْ

عبلة :

وَأَلْعَنُتَ الرَّعْبَ الْمُضْطَهَّدَ !

أَبِي قَدْ تَمَكَّنَ مِنْكَ الْوُشَاةُ وَأَثَرُ فَيْكَ كَلَامُ الْحَسَدِ

أَلَيْسَ ابْنُ عَمِّي ؟ أَلَيْسَ الْجَوَادُ ؟ أَلَيْسَ الشُّجَاعُ أَلَيْسَ الْأَسَدُ ؟

أَمَّا هُوَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَتِي ثُمَّ أَنَا أَبٌ فِي الْأَوَّالِي وَبَعْدُ ؟

وَفِي الْيَسِيدِ رُدَّةٌ لِأَبَائِهِ وَلَيْسَ إِلَى الْأُمَّهَاتِ الْوَلَدُ

أَبِي عَنَتُهُ لَيْسَ يَزْنِيحِي وَلَا عَبِيدُ

وَلَمْ يُجَلِّبْ مِنَ النُّوبِ وَلَمْ يَحْضَرْ مِنَ السُّنْدِ

وَلَكِنْ مَيَّسَمُ اللَّوْنِ كَيْثِلُ الْأَسَدِ الْوَرْدِ

فَقَى كَالْأَسْمَرِ اللَّدِينِ بِجَمِيلِ الشَّعْرِ الْجَعْدِ

شُّجَاعُ ذَائِعِ الصَّبِيَةِ جَوَادُ وَاسِعِ الرَّفْدِ

عمرو :

أبي سُدى تَرَجِعُ الْمُفْتُونَا وَعَبَثًا تُخَاطِبُ الْمُجْنُونَا

زهير : فَرُّ يَكُنْ مَا شِئْتَ أَنْ يَكُونَا

مالك :

الْأَمْرُ يَا عِبْلَ مَا تَأْمُرِينَا فَالْشَّأْنُ يَعْينِكَ لَيْسَ يَعْينُنَا

جبله :

ذَلِكَ أَمْرٌ الرَّأْيُ فِيهِ لِعَمْرٍو وَزُهَيْرٌ وَلَيْسَ لِي الرَّأْيُ فِيهِ

يَا أَبِي أَعْقِدْ عَلَى زُهَيْرٍ لَصْغِيرٍ أَوْ فَرِّجْهُ يَا أَبِي مِنْ أَخِيهِ

مالك [ق دهن] :

أَزُوجُ الرِّجَالِ بِالرِّجَالِ؟ ذَاكَ لَعَمْرِي مُنْتَهَى الْخَبَالِ

زهير : اسْتَهْتَرْتُ أَخِي قَمَاتُ بَالِي

مالك : إِذْنُ يَا عِبْلَ أَصْرَرْتَ؟

جبله : أَجَلٌ وَلَيْكَ مَا كَانَا

فَلَنْ أَرْضَى سِوَى عَنزَةَ ابْنِ الْعَمِّ إِنْسَانَا

[ثم يخرج فاضبة]

المشهد الثامن

مالك : إِذْنُ فَانْتَظِرِي يَا عِبْلَ لِأَعْبِدِ وَلِي شَانَا

[يخرج في أثر ابنته ويقبل صخر من

ناحية الطريق من جهة اليسار ومعه

الصرة التي كان يحملها في المنظر الأول]

المشهد التاسع

مضمر : عمرو زهير؟ عجب الحظ صديقاي هنا!
يا طيبها لقاء

عمرو : لله ما أسعدنا

أهلاً بصغير مرحباً بالقمر العالی السنا
ما هذه الحلة ما أظرفها ما أحسنها

زهير : أصنعة الشام؟

مضمر : ولم لا تذكري اليمنا؟

صنعاء أعلى من دمشق سلعة وثمنها

عمرو : تلك أمور يا أنحى يعرفها أهل الغنى

زهير : وما ذلك ما المنديل يا صغير وما فيه؟

مضمر : ثياب مثل أثوابي من الوشي وخاله

لكل منكم ثوب إليه جئت أهديه

[يفرد العرة فيتناول كل منها حلة]

زهير : عمرو تأمل يا لها حلة لله ما أبهى وما أبهى

الحق ما قال قتي عامر صناعاً أعلى بلد منسجا

[يرى في الصرة طرحة من حرير فيتناولها]

وتلك عمرو ؟

عمرو : طرحةٌ مثلُ ذُنَابِي الطَاوِسِ

كَمِثْلِهَا مَا لَمَسْتُ فِي الْوَشْيِ كَفَّ لَا مِيسَ

عمرو مبتسماً : هِدِيَّةٌ لِعَبْلَةٍ ؟

حضر : مجلوبةٌ من فَارِسِ

زهير : خلّنا صخرٌ من هداياك . قل لي كيف أزمعت أن تُلاقى عنزة ؟

حضر : فداً على العبدِ أَصْبُ النَّحْسِ عُبْدِينَ مِنْ شَرِّ الْعَبِيدِ نَفْساً

ومن أشدّهم قُوًى وبأساً

إن صارَ عا جُلُودَ صَخْرِ صُرَا أَوْ قَارَعَا ضَيْغَمٍ غَابِ قُرَا

أَوْ رَمَيَا الشَّمْسَ أَصَابَا الْمَطْلَعَا

غَضْبَانُ وَهُوَ الْمَنِيَّةُ وَمَارِدٌ وَهُوَ حِيَّةُ

كَلَامُهُمَا جَنِيَّةُ

ها هما أَقْبَلَا تَأْمَلُهُمَا يَا عَمْرُو

[ينظرون الى شبعين قاذمين من ناحية اليمين]

ماذا أقول جنيان

عمرو :

ولئن يا ترى هُما ؟

مصر : السابق الأول عبيد وقد شريتُ الثاني

[يدخل المهدان غضبان ومارد]

المشهد العاشر

تعال غضبان قل لصخر كم أسيد صيدت ؟

غضبان : نحو ألف

عمر : ألف ؟ أفي اليد ألف ليث لو قلت لثين كان يكفي !

زمير : وكم ذئبا قتلت ؟

غضبان : اثنين !

عمر : ماذا ؟

غضبان : قتلْتُ عِدَادَ ناصيتي ذئابا !

زمير : وكنت إذا بعثت لها سهاما وجئت تجسها وجدث كلابا !

وأنت يا مارد قل لي كيف صيدك الأسد ؟

مارد : أصيده إذا أتى لبطن واد فرقد

وكنت فوق تحلة يزل عنها من صعد

وَالْقَوْسُ فِي حُضْنِي كَمَا تَحْتَضِنُ الْأُمُّ الْوَلَدَ
وَكَانَتِ السَّهَامُ فِي كَنَاتِي بِلا عَدَدٍ
هُنَاكَ أَرْمِي فَأَسْأَلُ الرُّوحَ مِنْ أَصْلِ الْجَسَدِ
فِي حَائِطِ التَّامُورِ إِنْ شِئْتُ فِي رُكْنِ الْكِدِّ

عمرو : غَضْبَانُ

غضبان : لِيكَ

عمرو : أَجِبْنِي

غضبان : سَلْ مَرِي

عمرو : كَيْفَ لَقَا عَنْزَةَ الْغَضَنَفَرِ؟

غضبان : وَجْهًا لَوَجْهِ؟

زهير : لَمْ لَا؟

غضبان : لَا أَجْتَرِي

زهير : كَيْفَ تَبِعَهُ إِذْ ذُنُوتُهُ تَشْتَرِي؟

غضبان : أَقْدَفُهُ مِنْ فَرَسٍ يَخْتَجِرِ أَتْرُكُهُ كَالْتَيْلِ الْمَعْفَرِ

مضمر : وَأَنْتَ يَا مَارِدُ لَسْتَ مُجْهَلُهُ

مارد : مَنْ يَجْهَلُ اللَّيْثَ؟

مضمر : فَكَيْفَ تَقْتُلُهُ؟

مارد : آتَى لِرَاسِ جَبَلٍ فَأَنْزَلَهُ وَثَمَّ

مَاذَا ؟

مضمر :

لِي سَهْمٍ أُرْسِلُهُ

مارد :

يُودَعُ الْحَيَاةَ مِنْ يَسْتَقْبِلُهُ

[بها مس الثلاثة لحظة ثم يخبه عمرو

ومضمر ناحية اليمن لينصرفا]

عمرو : الْخَيْرُ فِي الْعَبْدَيْنِ سِيراً امِضِيَا رَاشِدَيْنِ

[يخرج عمرو ومضمر وينصرف العبدان من ناحية اليسار

وتسمع ضجة تتعالى شيئاً فشيئاً ، وصياح وعويل ،

فمظهر عبلة من الباب الذي في الصدر ، فزعة مضطربة.]

المشهد الحادى عشر

أصوات من الخارج : وَأَوْلَدَا ! وَأَكِيدَا ! وَأَأْسَدَا !

عبلة : زُهِيرُ مَا الضُّجَّةُ ؟ مَا هِذِهِ الرَّجَّةُ ؟

زهير : أَحْسَبُهَا قَافِلَةً مُدِيرَةٌ مُنْهَزِمَةٌ

تَعَرَّضْتُ لِفَاتِكِ فَرَدَّهَا مُعْطَلَةً

[يسمع صوت مناد ينادى]

الصوت : يَا مَعْشَرَ الْيَدِ اسْمَعُوا بُشْرَى لَكُمْ أَهْلَ الْحَيِّمِ

يُظْهِرُ عَيْسَ وَوَرَاءَ السَّحَى إِبْسَلُ وَغَسَنَمُ

أَلْفَانِ أَوْ مَا نَحْوَ ذَاكَ مِنْ كَرَامِ النَّعْمِ
كَانَتْ إِلَى كَسْرِ سَاقٍ وَإِلَى أَرْضِ الْعَجَمِ

[يسمع صوت مناد آخر من ناحية أخرى]

الصوت : وراء الحى يا عبس مِنْ الْأَنْعَامِ أَلْفَانِ
جَنَى عَشْرَةَ الْفُلُحَا مِنْ أَسْلَابِ سُوحَانَ
وَكَانَتْ فِي الْفَلَا تُزْجَى إِلَى كَسْرِ بْنِ سَاسَانَ
أَلَا فَلْيُعْلَمِ الْقَاصِي مِنَ الْخِيَامِ وَالْدَانِي
بَأَنَّ اللَّيْثَ قَدْ جَادَ عَلَى الْحَى بِقُطْعَانِ
زهير : مَنْ اللَّيْثُ ؟

عبلة : لَحَاكَ اللَّهُ هَلْ فِي الْبَيْدِ لَيْثَانٌ ؟

[يمر على الطريق رجال ونساء هم فلول القافلة المسلوبة

في هيئة ذعر واضطراب داخلين من اليمين]

المشهد الثانى عشر

أحمد : وَذِرَاعِي وَأَيْنَ مَنِّي ذِرَاعِي ؟
آخر : أَيْنَ سَاقِي قَدْ طَيَّرَ السَيْفُ سَاقِي ؟

امرأة : نَعْلِي . تَرَكْتُ فِي الْقِتَالِ نَعْلِي

أخرى : أَمَا أَنَا خَلَقْتُ فِيهِ بِعَلَى

آخر : وَأَفَرَسِي مَا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ !

أَيُّ جَبَانٍ حَطَّنِي عَنْ سُرْبِهِ وَطَارِيهِ !
عجوز [باكية] :

لَهْفِي عَلَى فَوَارِسٍ مِنْ قَوْمِي نَامُوا عَلَى الْعَرَاءِ شَرَّ نَوْمٍ

يَا لَيْتَنِي لَمْ يَتَأَخَّرْ يَوْمِي

مسلة : تِلْكَ الْعُجُوزُ ثَاكِئَةٌ تَبْكِي ابْنَهَا فِي الْقَافِلَةِ

يَا أُمُّ مَاذَا دَهَمَاكَ أَوْجَعَ قَلْبِي بِكَالِكَ ؟

العجوز : عِشْرُونَ مِنْ بَوَائِلِ الْفُرْسَانِ تَحْتَ لَوَاءٍ وَلَدَى سِرْحَانٍ

مسلة :

سِرْحَانُ لَيْثُ الضَّرْبِ وَالطَّعَانِ ؟

العجوز : أَجَلُ تَرَكْتُهُمْ عَلَى الْمَكَانِ

وليمة الحداة والغربان

مسلة : إِذْ سِرْحَانُ فِي الْقَتْلِ لَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ تَكَلِّي

من المُغِيرُ ؟

عصبة

العجوز :

مَنْ الزَّعِيمُ ؟

مسلة :

عَنْسَتُهُ

العجوز :

عبلة : عَنْزَةٌ يَفْعُلُ أَفْعَالُ اللَّصُوصِ الْفَجَرَةُ ؟

العجوز : لَا يَا ابْنَتِي ظَلَمْتِي عَنْزَةٌ لَمْ يَتَّيْدِي

عَنْزَةٌ كَاللَّيْثِ عِنْدَ شَبْعِهِ لَا يَتَّيْدِي

عبلة : مَنْ بَعَثَ الْحَرْبَ إِذْنُ وَمَنْ جَنَاهَا ؟

العجوز : وَلَدِي

تَكَلَّمْتُ عَلَى الدَّرْبِ خَيْرَ الْبَيْنَيْنِ وَقَاجَانَا فِي الطَّرِيقِ الْهَبْلُ

وَكُنَّا ثَلَاثِينَ غَيْرَ الرَّمَاةِ

مَنْ أَمْرَأَةٌ مَعَنَا أَوْ رَجُلٌ

وَكَانَ السَّوَامُ كَثِيرًا يَضِيقُ

بِهِ السَّهْلُ أَوْ يَتَغَطَّى الْجَبَلُ

وَكُنَّا نَيْمُ أَرْضِ الْعِرَاقِ لِنَجْتَازَهَا

عبلة : نَحْوِ كَسْرَى ؟

العجوز : أَجَلْ

عبلة [فاضية] : لَتَمَطُّوا الرِّشَا وَتَنَالُوا الْمَنَى وَيُمْنَحَّ سَرَحَانُ بَعْضِ الْعَمَلِ

وَيُنْحَكَمُ فِي الْيَدِ بِأَسْمِ الْهَمَامِ وَتَحْتَ ظُفْيِ فَارِسٍ وَالْأَسَلِ

ذَلِيلُ بَابِ أَنْوِشِرَوَانَ وَعِنْدَ الْحَيَامِ الْعَزِيزِ الْبَطْلِ

إِلَى كَمْ تَهَيِّمُونَ تَحْتَ النُّجُومِ وَتَفْتَرِقُونَ اقْتِرَاقَ السُّبُلِ ؟

فَنَصِفُ قِطَاعَ رَعْتِهَا الذَّنَابِ وَنِصْفُ عَلَى الْيَدِ فَوْضَى هَمَلِ ؟

وليس لكم دولة في الوجود وتسحبكم كالذيول الدول
ألم على حوضكم قبصر وكسرى على جانبيه نزل
ويحكمكم تحت نير الغريب ومهمازه الأذعياء الدخل
هم الأمراء وقد يرتدون بساب الأعاجيم ذل النذل

أحدهم : سمعت !

آخر : ما ذاك ؟

الأول : سمعت الناعية ؟

فهت !

الثاني : فارقني تخرج ناعية

الأول [عبلة] يالك من مكاره تلعن في الأكاسرة

وتلعن المناذرة !

الآخر : عبلة تنطق الذهب لو كنت تعقل انخطب

الأول : وما الذي ترمي له ؟

عبلة : أرمي لتحرير العرب

الأول : تحویرهم ؟ يم ؟

عبلة : من القيد

الأول : وكيف قیدوا ؟

عبلة : الفرس والروم استرقوا قسومنا واستعبدوا

الثاني [لأخيه]: مالى إذن؟

الأول : ماذا؟

الثاني : لا قيد فى رجلى

وأنت والناس جميعكم مثلى !
مبلة : ألا بطل نلتقى حوله
كإسرائيل حول لواء الرسل؟^(١)

يفك من الرق أعناقنا
كما فك موسى رقاب الأول

الأول : وجدناه؟

صوت : من ذاك من ياترى
يكون؟ تكلم لك الويل قل

مبلة : أتتسون عنتره العبرى؟

صوت : أيجكنا العبد هذا خبل!

ليئس أمير الرجال الغراب
ويئس الدليل إذا ما حبل

الأول : أيجد عنتره؟

آخر : خله
فما جد فى قوله بل هزل

مبلة : ما بالكم جبتمو
يا عبس قوما ونسا؟

حتى رمى هذا الفقى
عنتره بما رمى

(١) بنو إسرائيل .

أليس في أرجلكم نعلٌ وفي الأيدي عصا؟

[يهجون على من سب عنزة ويضربونه]

الأول : مالك يا فتى بلغت في الوقاحة المدى

آخر : ما ذا الذي غرّك يا كلبُ بضرغام الشرى؟

المضروب : وأنت ما يعنك من عنزة؟ وما الذي يعنك من شأني أنا؟

عبلة :

صدقت ما كنت لتعني أحدا لو لم تخض في الفرقد العالی السنا

أما ابنُ شذاد فدخر قومه بهم من راح ويعني من غدا

[يسمع صوت عنزة من وراء]

السنار فادما من ناحية اليسار]

عنزة : يا يسدُّها أنا ذا أنا حامى حماك وربُّ غايك

إن كنت جاهلتي أنرجى بجميع ظفرك لى وتايك

هاتي أسودك كلها هاتي الكوايسر من ذئايك

أحدهم : يا رجالُ الفِرار قد طلع الليثُ علينا هبوا الفِرار الفِراراً

[يفزّون جميعاً من ناحية اليمين وتبقى عبلة وحدها]

المشهد الثالث عشر

عنزة [من وراء الستار] :

أيا عبل

عبلة : مَنِ الطَّارِقُ مَنْ بِالْخِيْمَةِ أَسْتَذِرِي؟

مَنْ الْهَاتِفُ مَنْ؟

[يدخل عنزة]

المشهد الرابع عشر

عنزة : عنزة العيسى

عبلة : يا بشرى !

عنزة : تَعَالَى ظَبِيَّةَ الْقَبَاعِ أَجِيرِي أَسَدَ الصَّحْرَا

ستار

الفصل الثالث

المنظر الأول

« المنظر في وادي الصفا على مقربة من حي بني عامر على سبيل »
« مطروق • عيون ونخيل وأشجار ، عقلت حبله بغيرها تحت شجرة »
« منها ، على بعد قليل • أناس يقدون ويروحون على الطريق »

المشهد الأول

عجلة :	قل لي ربك من تحب	ومن تحبك يا بعيد
	أى النياق فإنهم	على مرأعينا كثير
	وهل اكتفيت بناقة	أم أنت كالعيسى زير
	تلهو بما دفع الراح	إليك أو ساق البكور
	متنقلا بين البيوت	على عقائلها يدور

ما حقُّ عنزٍ عندنا إلا التجنبُ والنفورُ
 مالى تملكُ مُهَجَّتِي عبدٌ على عبيسٍ أميرُ!
 لو يجمعُ العربُ السَّيرُ لجاءهُ يسعى السَّيرُ
 كالليلِ إلا أنه فى عيني القمرُ المنيرُ
 حسدَتْنِي الدنيا عليهِ وكلُّ محسودٍ خطيرُ

[تنسلى عبلة باطعام بغيرها بينا يمر]

فى الطريق ثلاثة فتيان ، فيلهجون عبلة]

المشهد الثانى

فرداد : يُجَيِّرُ ماذا ضرُّ لو أنا أتينا الشجرة
 هلم نلهو سامةً بالغادة المتظيرة
 بجسير : أنا مجنون أنا ألهو يريم القسورة؟
 لا يا أحمى لا أجترى على لباة عند سقرة
 الثالث : صه صه يجير حسب يا فرداد ثورته
 دما الفضول وابعثا تحية معطره
 ما تلك إلا عبلة ما عبلة بنصكره

[ينصرفون من الجانب الآخر ويسمع

صوت عنزة من وراء الستار]

المشهد الثالث

عنصرة : يا عبل ...

عبل [لنفسها] : منذ اين ادى عبل ؟ عنصرة ؟

عنصرة : يا عبل ...

عبل [لنفسها] : تلك لعمرى نبرة الأسد

هذا هو الحب هذا اسمي على فيه ياتي من القلب أو ياتي من الكبد

يردد اسمي في اليبداء منفردا وربما نسي اسمي غير منفرد

عنصرة :

يا عبل أين جبين لست ساليه طلق البشاشة حلوا كالمصباح ندى

وأين يا عبل فرع كان فأغيتي وكان لهوى اذا ضفرتة وددي

ولى يد خشنه الأظفار أنقلها من الغداير أحيانا الى اللبد

تعيث من شعر الغادات فى تحمل حيننا ومن شعر اللبوات فى زرد

[يقبل عنصرة فى اثره داحس فنهض

داحس وراء الشجر بعيدا عن المسرح]

المشهد الرابع

عنصرة : من أرى ؟ عبلة ؟

عبلة : من ؟ عنصرة ؟

عنزة : مُهَجَّتِي عِبْلَةٌ مَاذَا تُصْنَعِينَ؟

عِبْلَةٌ : نَخْرَجْتُ لِلزُّهْمَةِ عَلَى الصُّفَا وَحْدِي
أَقِضِي هُنَا بِرَهْمَةٍ أَبْتُ مَا عِنْدِي
نَحْمِلَةَ الْبَابِ وَرَوْضَةَ الرَّئِدِ

عنزة [مشيرا الى البعير] :

وَذَاكَ يَا نُورَ عَيْشٍ؟

عِبْلَةٌ : هَذَا بَعِيرِي صَبَاحُ
رَبِّي مَعِي وَبَعِيرِي تَحْتِي وَهَذَا السَّلَاحُ

[وتريه سلاحها على هودج البعير]

عنزة :

أَمْثَلِكِ عَيْلَ تَحْتِي بِأَمْسٍ شَيْءٍ
لَقَدْ قُرِنَ اسْمُكَ الْمَحْبُوبُ بِاسْمِي
وَتَتَّخِذُ الْكَفَّائِينَ وَالرَّامِحِينَ
أَمَا يَكْفِي اسْمُ عَنْزَةٍ سِلَاحًا

عِبْلَةٌ : مَنْ أَيْنَ يَا ابْنَ الْعَمِّ؟

عنزة : مِنْ عَالَمِ الْيَسِيدِ

عِبْلَةٌ : هَلْ مِنْكُمْ مَنْ فَتَاةٍ تَمُّ
يَقُولُونَ عَنْزَةٌ لَمْ يَقِفْ
مَاذَا مِنْ الْغَيْسِدِ؟
يَحْيَى مِنْ الْيَسِيدِ إِلَّا خَطَبُ

فَقَالَ لِمَاتِيكَ مَا تَشْتَهِي وَغَازَلَ تِلْكَ وَأُخْرَى أَحَبُّ
خَلَائِلُهُ صَرْنٌ مِثْلَ الْحَصَى

عنبرة : وَأَنْتِ أَصْدَقْتِ هَذَا الْكَذِبَ

أَحَادِيثُ لَفَقَهَا حُسْدِي وَقَدْ يَخْلُقُ الْحَاسِدُونَ الرِّيبَ
مبلة : وَأَخْتُ سَعْدٍ ؟

عنبرة : مَا لَهَا ؟

مبلة : أَلَمْ تَقْدُ بَعِيرَهَا ؟

وَمَا تَسِيَّتَ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ أَنْ تَزُورَهَا

| يسمع حفيف في أوراق الشجر
ورط، أقدام فيقبل داحس مذعورا |

المشهد الخامس

داحس : سَيِّدِي سَيِّدِي خُذِ الْحُدْرَ

عنبرة : مَاذَا دَايِحَ ؟

داحس : أَحْسَسْتُ أَرْجُلًا وَدَيْبًا

عنبرة : لَا تَتَخَفْ دَايِحَ

داحس : بَلْ أَخَافُ وَأَخْشَى نَخَطَرًا مَاثِلًا وَشَرًّا قَرِيبًا

[يهرود داحس من حيث أني]

المشهد السادس

- عبلة : وماتكة ؟
- عنزة : كيف صُنِيَ بها ؟
- عبلة : بعثت إليها بجلد القمَر
- عنزة : وكيف وأين ؟
- عبلة : لقد كان ذلك
- فلا تُتَنَصَّل ولا تَعْتَذِرْ
- وهند بنت عامر
- ألم تَجِثْها في الحب ؟
- وابنة إسطام ألم
- تَنَزُّ عليها الذهب ؟
- وابنة شيان ألم
- تَطْرِبُها مُشَبِّها ؟
- عنزة : قد زوروا واختلقوا
- وحدُّوك الكذاب
- رُحْمالك ياعبل
- عبلة : دغى
- عنزة : من قال ذلك ؟
- عبلة : كثير
- عنزة :
- وَفِيمَ عن غُرَّة الصَّبْحِ ابْتَسَمَ
- لا وعينيك وأعظم بالقسم
- من رَعَى أَمْرًا عَظِيمًا لم يَنَمْ
- لم أتم ياعبل عن عهد الهوى
- حين أسقى بين عينيك الغنم
- اذكُرى ياعبل أيام الصبا
- يَغْتَرِفْنَ الماءَ من رَأْيِ السُّحْمِ
- وشوَّياتك حولي أَسْ

إن حضرت الماء حانت وارتوت أو تولّى الماء خبرى لم تمم
 اذ كرى إذ أنت طفلٌ حلوةٌ قد كساك الحسنُ فرقا لقدم
 إذ تَجِيئينَ بِصَبِيانِ الحى وصبايا الحى في ظلِّ الحليم
 فتقصينَ عليهم خبرى مع ذئب القفر أو ليث الأجم
 أنا يا عبلةُ عبدٌ في الهوى وأنا يا عبلٌ في القربى ابنُ هم
 اطلبي الإيوانَ أحملةً على راحتي كسرى وهامات العجم
 أو سليني الهرمَ المشهورَ يا عبلٌ أجلبُ لك من مصر الهرم
 أو سليني اليدَ مهراً أو سلي ما وراءَ السيد من خير النعم
 أو تعالى نخذي أشرف ما قلّدَ الإنسانُ سيفي والقلم
 ربّ خيلٍ قدتُ حتى قادني وحوى رقي بنات كالنعم
 وليوثٌ صدتُ حتى صادني رشا القايح ورُعبوب الأكم
 قد رهيّت النجمَ حتى ملّني وتعهّدْتُ الدُّبحَ حتى سئم
 أشتى طيفك في حلّم الكرى فيقولُ الليلُ لي أينَ الحلم ؟

[في هذه الأثناء يظهر مارد ولغضبان من وراء الشجر
 وفي غير الناحية التي اختفى فيها داحس ، فيستد
 أحدهما سهمه إلى ظهر هترة ، فتراه هبلة وتضطرب
 فيصبح هترة بالرجل دون أنت يلتفت إليه]

المشهد السابع

هنزة [ضاحكا] :

حَذَارِ يَاوَعْدُ حَذَارِ يَا لُكْعُ اللَّيْثُ لَا يَقْتُلُهُ الْكَلْبُ فَدَعْ

[يقع القوس من الرعب من يد مارد ثم يخرج]

هو نفسه الى الأرض ميتا ويفتر غضبان]

قد وقعت من يديه وقد وقع

المشهد الثامن

قَدْ كَانَ لَا بَدَّ أَنْ أَرَاهُ لِلَّيْثِ عَيْنَايَ فِي قَفَاهُ

سيري انظري مات ورب الكعبة زجرة الليث المصور صعبة

بَلِ اسْمِعِي عِبَلِ اسْمِعِي كَلَامِي لَوْلَاكَ لَمْ أَتُجَّ مِنْ الْجَمَامِ

قَدْ كُنْتَ أَنْتِ صَنِي قُدَامِي لَكَ اتِّجَاهِي وَبِكَ اهْتِمَامِي

رَأَيْتُ فِي عَيْنَيْكَ قَوْسَ الرَّامِي وَيَدُهُ فِي جَعْبَةِ السَّهَامِ

عبلة : وما رأيته ؟

عنزة : رَأَيْتُ الْعَيْنَ حَائِرَةً وَالْوَجْهَ لَوْنَهُ الْإِشْفَاقُ أَلْوَانَا

وَقَفَّ شَعْرُكَ وَأَنَسَابَتْ غَدَائِرُهُ كَمَا أَثَرَتْ وَرَاءَ اللَّيْلِ تُعْبَانَا

وَقَامَ صَدْرُكَ كَالْمُنْفَاحِ مُجْتَهِدًا لَا يُفْرِغُ الرِّيحَ إِلَّا ارْتَدَّ مَلَانَا

فقلتُ شرٌّ ورأيتُ لستُ أبصرهُ في عطفِ عبلةٍ لما رُوعتُ بآنا
ولاح لي الحبُّ في عينيك مُرتبياً لم تستطِعي له يا عبلَ كتماننا
عبلة : الحبُّ كيف عرفتُ الحبَّ ؟

عنزة : منك ومن عينيكَ

عبلة : قد تكذبُ العينا ن أحيانا
عنزة :

لا عبلَ لا إن عينَ الحبِّ صادقةٌ وما تعودتُ من عينيكَ بهتاننا
عبلة :

أجل ولكن قديماً كان ذلك أجلاً هذا السوادُ لعيني كان إنساننا
عنزة : واليوم ؟

عبلة :

مالك في قلبي الجريح هوى اليوم عنتر من أحببتُ قد خانا
عنزة :

دعي الوسوس والأوهام عنك دعي يا عبلَ جري على ما قيل نسياننا
[يسع رطء أقدام]

عبلة : عنتر تلك ضجةٌ فلتسوار ناحية

لا يجد الواشي اليسنا سبلاً والواشيه

[يخنفان وراء الشجر ويقبل من ناعية أخرى مالك

وضرغام وزهير كأنهم مارون بالطريق، ويتشاعل

زهير بالشرب من ماء عين أو بشيء من مثل هذا]

المشهد التاسع

ضرغام : سيد الحى

مالك : ألف ليك ضرغامُ تكلمْ أتمَّ شئْ تقولُ ؟

ضرغام : سيد الحى عبلة اختارها القلبُ فهل لى الى الزواج سبيلُ ؟

مالك : والمهرُ يا ضرغامُ

ضرغام : مهرُ عبلة ؟ اقترحْ تَرهْ

قدَّره أو خلَّ الى عبلة أن تُقدِّره

وغالبًا ما شئتمَا فيه وظننا المقدَّره

مالك : المهرُ يا ضرغامُ غالبٌ فاجتهدْ أن تحزَّره

ضرغام : سلْ تاج كسرى واقترحْ عِمامةَ المنادِرهْ

سلْ سُبحةَ القيصرِ أو فاطبُ صليبِ القيصرهْ

مالك : المهرُ فوق ذاك

ضرغام : قلْ لا تخفْ أن تذكرهْ

مالك : اسمعْ إذنْ أصبحْ لهْ المهرُ رأسُ عنزتهْ

ضرغام [لنفسه] :

له الويلُ ماذا قال ؟

مالك : قد وجمَ الفتى

ضرغام : أبا عبلة اذكرْ هولَ ما أنت سائلُ

مالك : جِبْنَت !

ضرغام : معاذ الله ما الجبن في دمي

فَلِمَ ضِفَّتْ ذَرْعًا؟

مالك :

مهرُ عبلة هائل

ضرغام :

أَمْشَى إِلَى الْفُلْحَاءِ أَخْطَفُ رَأْسَهُ
كَرِيمٌ لِعَمْرَى وَالْكَرَامُ قَدْ انْقَضُوا
إِذَا قَالَ بَزَّ الْقَائِلِينَ رَنِينُهُ
هَزَارُ الْبَوَادِي طَارِحَتُهُ بِشَجْوِهَا
وَمَا بَيْنَنَا نَارٌ وَلَا بَيْنَ أَهْلِهِ
فِدَاءُ الَّذِي أَمْشَى إِلَيْهِ الْقِبَائِلُ
شُبَاعٌ وَشُعْمَانُ الرِّجَالِ قَلَائِلُ
وَمَا بَزَّهُ فِي أَيْكَةِ الْيَدِ قَائِلُ
رُبَاهَا وَغَنَّتْ فِي صَدَاهُ الْخَمَائِلُ
وَأَهْلِي مَدَاوَاتِ خَلَّتْ وَطَوَائِلُ

مالك : وَعِبَلَةُ يَا ضِرْغَامُ؟

ضرغام : مَا شَأْنُ عِبَلَةٍ؟

أَلَيْسَ فِدَايَا فِي الْجِجَارِ الْمَقَائِلُ؟

مالك :

ضرغام :

أَجَلٌ وَفِدَايَا الشَّمْسُ مَا التَفَّتِ الضَّمَى
صَلِيهَا وَمَا رَفَّتْ عَلَيْهَا الْأَصَائِلُ

مالك :

أَأَنْتَ تَخَافُ الْمَيْدَ؟

ضرغام : لِمَ لَا أَخَافُهُ

وَأَنْ أَبْنَ شَدَادٍ وَأَنْ دَاعَ بَأْسَهُ
فَسَتَى مِلْءُ بُرْدِيهِ هَفَافٌ وَنَائِلُ
تُخَافُ وَتُرَبِّي فِي الرِّجَالِ الْفَضَائِلُ

من العُصْبَةِ الْمَسْطُورِ فِي الْبَيْتِ شَعْرُهُمْ قَصَائِدُهُمْ أَسْتَارُهُ وَالْوَصَائِلُ
مالك :

فَا لَكَ مُصَفَّرًا كَأَنَّكَ هَالِكٌ مِنَ الْخَوْفِ قَبْلَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ زَائِلٌ؟
تَعَالَ زَهِيرُ أَسْمِعْ حِسْبَنَا هُ حَائِطًا
زهير : فَا هُوَ؟
مالك :

رَكْنٌ فِي الْعَوَاصِفِ مَائِلٌ
وَأَمَلْتُهُ سَيْفًا فَلَمَّا لَيْسَتْهُ إِذَا هُوَ عُودٌ أَنْكَرْتُهُ الْجَمَائِلُ
وَقُلْتُ غَمَامٌ يُمِيطُ الرُّحَى فِي غَدٍ فَكَانَتْ جَهَامًا مَا لَنَا فِيهِ طَائِلُ
وَقُلْتُ كَلِيبٌ نَسْتَطِيلُ بِصَهْرِهِ إِذَا هُوَ كَلْبٌ

ضرغام : ضَلَّ مَا أَنْتَ قَائِلُ
وَأَقْسِمُ لَوْلَا ظُيُفَةُ تَحْتِ خِيَمَةٍ وَغَصْنٌ حَوْتُهُ فِي الْجِبَالِ الْغَلَائِلُ
لَمَا رُحْتَ إِلَّا جُنَّةً فِي الثَّرَى لَقَى وَقَالَتْكَ مِنْ قَبْلِ الْمَغِيبِ الْغَوَائِلُ

مالك : تَجَرَّاتَ يَا ضِرْغَامُ
ضرغام : مَا تِلْكَ جُرْأَةً وَلَكِنْ كَمَا قَدْ كَلَّتْ لِي أَنَا كَائِلُ
مالك :

كَفَى حَسْبُ يَا ضِرْغَامُ حَسْبُ وَقَاحَةٍ فَا أَنْتَ إِلَّا مُكْثِرُ الزَّهْوِ خَائِلُ
لَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا شَفَّ عَمَّا وَرَاءَهُ وَقَامَتْ عَلَى لَوْمِ النَّجَارِ الدَّلَائِلُ
وَلَا يَرْفَعُ الْأَبْطَالُ أَنَّكَ مِنْهُمْ فَا هَذِهِ لِلْبَاسِلِينَ شِمَائِلُ

وما لك كالأبطال سيفٌ يُجِيلُهُ ولكن لسانٌ بالسفاهة جائلٌ
أبد كُرَّ عبدُ السوءِ في كل قفرةٍ وذكرك يا ضرغام في اليدِ خاملٌ
أما أنت كالفلحاءِ صنديدٌ قومه أما لك كالفلحاءِ سيفٌ وعاملٌ؟
ألا حسدٌ للعبدِ؟

ضرغام: لا ، لست حاسداً ولا أنا للنارِ الأكليةِ حاملٌ
أحسدُ من يحيا العفاةَ بماله ويأوى اليتامى ظلَّهُ والأراذلُ؟
أحسدُ من لا يعصمُ اليدَ غيره إذا زحفت من أرض كسرى الجحافلُ؟
أحسدُ من يُرجى لتأليفِ قومه إذا افرقت تحت الملوكِ القبائلُ؟
مالك :

يؤلفنا عبدٌ أما ثم سيدٌ عن العبدِ يغنينا أما ثم طاهلٌ؟
إذن فليستنا الخسفَ كسرى وقومه وقبصرُ الرومِ الجفأةَ الأراذلُ
أيمنعنا عبدٌ؟ إذن نحن عُزلٌ فإين عوالينا وأين المناصيلُ؟
ضرغام:

لقد عيل صبرى للذى أنا سامعٌ

مالك : إذا الصبرُ لم ينفذْ لما أنت طاهلٌ؟

ضرغام:

عقابٌ يُنسبك الوقاحةَ عاجلٌ وآخرُ متروكٌ إلى القسـدِ آجلٌ

مالك :

رَوَيْدَكَ يَا ضَرْغَامُ مَالِكَ هَازِيًا وَمَالِكَ قَدْ ضَاعَتْ لَدَيْكَ الْمَنَازِلُ؟
فَمَا الْعَبْدُ إِلَّا كَالدُّخَانِ وَإِنْ عَلَا إِلَى النَّجْمِ مُنْحَطًّا إِلَى الْأَرْضِ سَاقِلُ
ضَرْغَامُ :

تَعَالَ تَاهِبُ

[يَمْسِكُ بِكَفِّهِ فَيَهْرَهُ هَذَا]

مالك : كَاهِلِي خَلِّ كَاهِلِي

ضَرْغَامُ :
زَهِيرُ [صَائِحًا] :

هَلُمُّوا سَرَاةَ الْحَيِّ هَاتُوا رِجَالَكُمْ

مالك :
يَا عَبَسُ

[وَيَرَى عَنزَةً قَادِمًا فَيَجْرِي

نَحْوَ الْحَيِّ هُوَ رَابِنُهُ زَهِيرُ]

عَنْزَةُ؟

المشهد العاشر

عنزة [من وراء الستار] : لَبِيكَ مَا بِكُمْ؟ خَوْفٌ مِنَ السَّيْلِ أَمْ خَوْفٌ مِنَ النَّارِ؟
اللَّهُ أَقْرَبُ بِالْفُلْحَاءِ سِرِّكُمْ أَفَتَى الصَّرِيمِ وَلَيْتَ الْقَفْرَةَ الضَّارِي
[يُظْهِرُ عَنْزَةً]

المشهد الحادى عشر

مَنْ الْفَتَى مِنْ أَرَى؟ ضِرْغَامُ أَنْتَ هُنَا أَغَارَةٌ؟ أَيْنَ عَهْدُ الْجَارِ لِلْجَارِ؟
أَجِئْتَ تَسْبِي مَهَاتَى؟

ضِرْغَامُ: جِئْتُ أَخْطُبُهَا

عَنْتَرَةُ: مَا أَجْمَلَ الصَّدِّيقَ لَمْ يُلْبَسْ بِإِنْكَارٍ

فَمَا جَرَى؟

ضِرْغَامُ: نَالَ مِنَّا مَالِكٌ وَبَنَى طَيْكَ بِالشُّمِّ هَذَا الْعَائِبُ الزَّارِى

حَتَّى انصَرَفْتُ إِلَيْهِ كَى أَوْدَبَهُ

عَنْتَرَةُ: يَا لَيْتَ أَدَبْتَهُ تَأْدِيبَ جِبَّارٍ

ضِرْغَامُ

ضِرْغَامُ: عَنْتَرَةُ

عَنْتَرَةُ: اسْمَعْ بَيْنَنَا شَرَكُ فِى حَبِّ عِبِلَةٍ قَدْ يَدْنُو مِنَ النَّارِ

فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ أَتَى غَيْرَهَا أَرَبًا فَإِنَّ عِبِلَةَ آرَابِى وَأَوْطَارِى

ضِرْغَامُ:

وَأَنْتِ فَاعْبُدِ سِوَاهَا إِنَّنِى نَوْجَلُ جَعَلْتُ عِبِلَةَ أَوْثَانِى وَأَعْجَارِى

تعال نذهب الى شمس النهار معاً نقول عبلة قد خيرت فاخترى
فما ترى أنت ؟

عنزة : رأي أن نصير الى جمال تضحية أو فضيل إشار
رأسي ورأسك في الميزان قد وُضعا وحكم سيفك أو سيفي هو الجاري
من مات منا قضي حق الهوى كرماً وليس بالموت دون الحب من عار
ضمرغام :

رأيت عنزة رأيا لست أتبعه يا بابه حبي وإعجابي ولم يكاري
والله لا جمعنا ساحة

عنزة : لم لا ؟ الحرب تجمع مغواراً بمغوار
ضمرغام : هبني قتلتك

عنزة : ماذا ضر ؟

ضمرغام : كيف إذن تكون في اليد أنبائي وأخباري ؟
ألسن شبلًا قتيًا من شبولتها فهل أجرت في الرئال أظفاري ؟
وكيف أفلق رأسًا ملؤه شرف أحق من جهات الروم بالغاري ؟
وكيف أضرب عنقا في أمانتها كرامة القوم من بدو وحضار ؟
وكيف أرمي لسانًا طالك سقيت شهيد اليد من شرب وسمار ؟
عنزة ينادي : يا عبل

عبلة [من وراء الستار] : لبيك يا ابن العم

[تقبل عبلة]

المشهد الثاني عشر

- ضرغام : أنت هنا؟
- عبلة : أجل
- ضرغام : إذن سمعت ما قيل أذاك؟
- عبلة :
- أجل علمت بما قد دار بينكما
- عنبرة : فما ترين؟ لعل القول أَرْضَاكِ
- يا عبل حبك في لحي جرى ودمي وقد يهيكِ ضرغام ويهـواكِ
- ضرغام : أحبها حي العزى وأعبدها عِبَادَةَ اللاتِ
- عنبرة : بنتَ العمِّ بُشْرَاكِ
- ضرغام :
- ولو يُطافُ بغير البيتِ في زمني ما طُفْتُ يا عبل إلا حول مَنَّاكِ
- عبلة :
- ماذا تقول ابن عمي يمُّ تبشّرني بُشْرَى بِمَاذَا؟
- عنبرة :
- بهذا العاشقِ البَاكِ
- عبلة [لنفسها] :
- يُحِبُّنِي؟ رَبِّ أَشَقِيَّتَ الْفَوَارِسِ بِي فَلَا أُتِمُّ إِلَّا الْمَعْلَمَ الشَّاكِي

عنزة :

عبل اسمعي عبلي هذا الحب كيف أتى هل كان في قتراتي الدهر يلقاك؟
 عساه جاءك يشكو الحب من زمن لعله بالهوى من قبل نأجاك
 ضرغام هات تكلم

ضرغام :

أنت تظلميني فما نصبت لعيس قط أشراكي
 قولي لعنزة يا عبلي ما خلقي كما يقول ولا في شيتي ذاك
 هل التقينا على ذات الأصاد ضحى وهل لقيتك إلا في عذاراك؟
 وهل نظرتك إلا خاشعا خفرا كما نظرت وراء الستر عراك؟
 عنزة :

الآن يا عبلي تختارين راضية هالك الخطيين قد مدا يدا هالك
 ميلة :

إني قد اخترت يا ابن العم من زمن

عنزة :

من ؟

عيلة :

سيدي !

[تندفع اليه]

عنزة :

عبدك الوافي ومولاك !

[تسمع ضجة وقعقة سلاح وأصوات]
 [استغاثة من الحى كأنها من بعيد]

عبلة :

« وَيَخْ أَذْنِي صِيْحَةٌ وَفَوَارِسُ مَا ذَاكَ عَنَتْر؟ »

عنبرة :

غارة وصياح

عبلة : ضِرْغامُ عَنَتْرَ مَا مَقَامُ كَاهُنَا؟ وَالْحَيُّ قِمِّ مَرْوَعٌ يُعْتَسَاخُ

| يهبل داحس ، ينظر با |

المشهد الثالث عشر

عنبرة :

« مَاذَا وَرَأَيْكَ دَاحِجٌ مَا دَهَمَ الْحَيَّ ؟ »

داحس :

فَيْسَةُ عَلَيْهِمْ شِكَّةٌ وَبَيْبٌ

وَيَطَّقَتْ تُرَابَ الْمَهْدِ أَرْجُلُ خَيْلِهِمْ وَلَهَا هَلْسِيَّةٌ نَشْوَةٌ وَمِيسَخُ

عنبرة :

« أَيْمَنَ الْبَوَادِي ؟ »

داحس :

بَلْ غَسَّاسِنَةٌ عَلَى قَسَمَاتِهِمْ أَثَرُ النِّعَمِ صَبَاخُ

فِي ظِلِّ دُجَلَةٍ وَالْفَرَاتِ تَرْعَى هَوَا وَغَدَوْا عَلَى وَشَى الرِّيَاضِ وَرَاحُوا

أَوْلَادُ نَحِيمٍ وَالَّذِينَ رَمَى بِهِمْ أَرْضَ الْعِرَاقِ تَطْلُعُ وَيَطْلُعُ

جَاءَ الْجَازُ بِهِمْ وَمَكَّةُ وَالتَّقَتْ فِيهِمْ جِبَالُ حَوْطَا وَبَطَاخُ

تُسَيِّتُوا هُنَاكَ فَمَا تَصْلُبُ مَنِيرُ لَهْمُو وَلَا يَلُغُ الْقَتَامُ جَنَسَاخُ

عنبرة : « مَا يَتَغُون ؟ »

داحس : « أَظُنُّ رَأْسَكَ سَوْطَهُمْ عَتَفُوا بِهِ حَوْلَ الْبُيُوتِ وَصَاخُوا »

أَنسَيْتَ سِرْحَانَا وَكَيْفَ قَتَلْتَهُمْ وَفَوَارِسَا بَهْمَا بِسَيْفِكَ طَاحُوا
ضَرْغَامُ :

مَا الْقَوْمُ ؟

عنزة : عَسْكَرُ رُسْتَمٍ

ضَرْغَامُ : مَنْ رُسْتَمٍ ؟

عنزة : بَطْلٌ لَهُ شَرَفٌ وَفِيهِ سَمَاحٌ

وَقَتَّى يُعْظَمُهُ الْعِرَاقُ وَصَاحِبُ كِسْرَى إِلَيْهِ بِأَنَسِهِ يَرْتَاحُ

عنزة [لداحس] :

مَا شَكْلُهُ ؟ مَا لَوْنُهُ مَا وَجْهُهُ ؟

داحس : رَيَانٌ أَبْلَجٌ نَاعِمٌ وَضَّاحٌ

ضَرْغَامُ :

هَذَا الْجَمَالُ فَمَا شَجَاعَةُ رُسْتَمٍ

داحس : مَوْتُ لِمَنْ يَمْشِي إِلَيْهِ مُتَسَاحٌ

عنزة : وَثِيَابُهُ ؟

داحس :

زَرَدُ الْحَدِيدِ وَبُرْسُ ضَافٍ عَلَى أُعْطَافِهِ وَوَشَاحٌ

قَدْ حَفَّ سَاعِدَهُ السَّوَارُورُ وَرَفَّ فِي أُذُنَيْهِ قُرْطُ اللُّؤْلُؤِ اللَّاحُ

[تزداد الضجة وتقترب الأصوات]

: ضرغام

اسمع لواء البید أصغ لصوتهم هذا النداء يزيد والإلحاح

[يسمع صوت رستم]

: الصوت

العبد! رأس العبد

عنزة [لدا حس]: إمض فقل لهم رأسي لهم في منكبي مباح

[ثم يواجه الأشباح القادمة من بعيد]

يا قوم لم أفهم نداءكم أعزبوا إذ ليس في لغة الأسود نباح

ويح لرأسي قد غدا كرة لهم راح تبيء به وترجع راح

كثروا عليه في الطلاب ودونه لتقطع الأسياف والأرماح

[يقبل جماعة من الحى هاربين]

وينصرف عنزة وضرغام للقاء المهاجرين]

المشهد الرابع عشر

عنزة [من وراء الستار]:

ليتك يا أسوار تعلم أينما يئس عليه في غيد ويُنساح

عبلة [للقاديين] :

حَيْتُمُو عَيْسُ عُمُوا مَسَاءَ

عَيْسُ اسْتَمَعُوا الزَّيْبِرَ وَالْعُوَاءَ

قُومُوا انْظُرُوا عَنزَةَ اللُّوَاءِ

[يشرف الكل على المعركة الدائرة من وراء الستار]

أحدم : عَلَى قَدَمٍ حَيَّوْا الْعِلْمَ لَيْثَ الْأَجَمِ

عنزة [من وراء الستار] : عَبَلْ عَبَلْ

عبلة : لَيْكَ أَلْفَ لَبْ

أحدم : ذَاكَ عَبْدُ شَتَادٍ انْقَلَبْ

عبلة : بَلْ لَوَاءُ عَيْسٍ قَتَى الْعَرَبْ

أَنْصَبْتُوْا أَسْمَعُوا الرُّعْدَ فِي السُّحْبِ

تِلْكَ صَرْخَةُ اللَّيْثِ فِي الْقَصَبِ

أحدم :

وَأَخْرُ لَيْسَ دُونَ أَخِيهِ بَأْسًا

عبلة : أَجَلْ

الأول : ضِرْغَامُ الْعَضْبِ الْحُسَامُ

مُبِيدُ الضَّيْغَمِينَ بِشَيْعِ خَبْتِ

آخر : أَجَلْ ضِرْغَامُ الْمَوْتِ الزَّوَامُ

المنظر الثاني

« نفس المنظر بمسد زمن قصير ، لاتزال عبلة ومن معها من »
 « بنى عبس يشرفون على المعركة ، وإن كان يبدو أنهم قد تأخروا »
 « فى المسرح الى مكان أبعد من مكانهم فى المنظر الأول قليلا . »
 « فى مقدمة المسرح من ناحية أخرى جماعة قليلة من بنى نلم »
 « أنصار الفرس وببدا أحدهم صندوق وحديثهم يكاد يكون ممسا »

المشهد الأول

واحد من بنى نلم :

ماذا لك؟ ما الصندوق؟ ما يا كفكم؟

حامل الصندوق :

السلم يا إخوان والإصلاح

العبد رأس العبد بشرى فارس اليوم كل تحلة أفرح

[يفتح الصندوق فترى فيه رأس قنبل مغطى |

آخر :

أبراس عنتره أتيسم ماله يثرو؟ وما للستر عنه يراض؟

آخر :

أترأه حيًّا !

آخر : هل جُنِنتَ

الأول : إذن قضى وتملأست من غولها الأرواحُ

آخر :

من ذا الذى ذبح الغضنفر ؟

الجماعة : رُسْمٌ لخل العراق وكبشه النطاحُ

آخر :

حُطُّوه نَنْظُرْ يا إلهي مَا أَرَى [بكشف القائل الرأس]

ويلٌ لهم أى الرءوس أظأحوا؟

ما ذاك عنترة ولكن رُسْمٌ مَنْ يا ترى الجاني من السقاح؟

آخر :

من غير عنترة يُجَنِّدُ رُسْمًا قد كان بين الضيفين كفاحُ

ما تَنْظُرُونَ الرأس في الدِّم غارقًا وعليه من كل الجهات جراحُ؟

لمنفى على قسماته وجبينه عفت البشاشة وانطفأ المصباحُ

آخر [صاعحا] :

يا لكسرى ونواحي فارس لقتيل حول عبس دارس

فتك العبد بحر فارسي قائد الجحفل أسوار العراق

يَا بَنِي الْمُنْذِرِ آلَ الْأَشْهَبِ شَرَفَ الْفَرَسِ وَمَجْدَ الْعَرَبِ
 قَدْ صَحِبْتُمْ رُسْتًا فِي الْمُرْكَبِ فَارْكَبُوا فِي ثَارِهِ الْخَيْلَ الْعِتَاقِ
 بَيْنَنَا يَا عَبَسُ يَوْمٌ ذُو نَبَا

[تجبه الجماعتان: بنو عبس]

و بنو نلم بعضها الى بعض |

بنو عبس :
 أخدم : هذه السمر أمدت والظبي أزهفت وانتظرت يوم التلاق
 مبسلة : أولاد نلجم

آخر : مَنِ الْمُنَادِي؟

آخر : عيلة

الأول : مَنْ تِلْكَ؟

الآخر : بِنْتُ مَالِكٍ

عنترة جُنَّ فِي هَوَايَاهَا وَابْنَتُ جُنَّتْ بِهِ كَذَلِكَ

آخر : لِيكَ لِيكَ أُخْتِ عَبَسٍ

عيلة : أَلَا أَنْبَيْكُمْ بِأُمِّسٍ؟

ما نحنُ إِلَّا أَبْنَاءُ جَنَسٍ نحنُ بَنُو الشَّمْسِ وَالصَّحَارَى

لَا تَحْفَلُوا رُسْتًا دَعُوهُ خَلُّوهُ لِلْفَرَسِ يَثَارُوهُ

وَلَا يُقَاتِلْ أَخَا أَخُوهِ مِنْكُمْ وَلَا تَخْذُلُوا الدِّيَارَا

حُشِرْتُمْوَتَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ وَأُسْرِجُوكُمْ لِكُلِّ غَايَةٍ
وَسَعْتُمُو الْمَلِكَ وَالْوَلَايَةَ لِكُلِّ كَسْرَى وَكُلِّ دَارَا،
قَبِيلَةٌ تَحْتَ حُكْمِ كَسْرَى وَفِيصِرُ الرُّومِ دَانَ أُخْرَى

أَصْبَحْتُمُو لِلْغَرِيبِ جِسْرًا يَرْكُبُهُ كُلُّمَا أَغَارَا
أحدم : مَاذَا تَقُولِينَ يَا فَتَاةُ؟ أَيْتَرُكَ الْقَائِدَ الْغَزَاةُ
كَأَنَّهُ فِي الطَّرِيقِ شَاةُ وَذَايْحُ الشَّاةِ قَدْ تَوَارَى؟
عبلة : يَا لَحْمُ يَا بَنَى الْعَرَبِ يَا لَحْمُ حُرْمَةَ النَّسَبِ!
[ضجيج]

رُوَيْدَ مَا هَذَا الْجَلَبُ

بنو نلسم : نُرِيدُ رَأْسَ عَنَزَةٍ
عبلة : قَدْ رُمْتُمُو مَا لَمْ يَرَمْ مَا أَتَمُّوْا وَلَا الْعَجَمُ
بِبَالِغِي لَيْثِ الْأَجَمِ

بنو نلسم : نُرِيدُ رَأْسَ عَنَزَةٍ
أحدم : يَا عِبْلَ أُخِي رُسْتَا — إِن شَأْنُ — نَحْقِنِ الدِّمَا
أَوْ تَأُولِينَا الْمُجْسِرِمَا

الجميع : نُرِيدُ رَأْسَ عَنَزَةٍ

[يسمع صوت عنزة مقبلا من
بعيد فالتفت الى ناحيته الجميع]

الصوت :

أراك يا عبل تغضينا يا عبل من ذا تخاطبنا
من ذا الذي يرفع الجينا مخاطباً ملصقة العذارى.

عبلة :

عنزة البأس خل سيفك وعدتني في الحى هـ يفتك
ولا تير الأقربون حيفك ولا يقولوا العبيى جارا

ما أنت من ظلم القريب وهذه لحم قرابتنا الأداة فاء بدار
بالأمس تبنى ركن قومك باذخا واليوم تفعل فيه فعل الممول
بالبيت بالعزى بعبلة يلهوى بالحق لا سرت مسيرة مجمل
[بظهر منة]

المشهد الثانى

عنزة : مالك عبل ثائرة ما يتسنى المناذرة
صنائع الأكاسرة

بنو نلسم : نريد رأس عنزة

عنزة : رأسى أنا

واحد من بنى نلسم : لم لا أجل

عنزة : هل لنكوبه فبل

الكل : أَجَلْ أَجَلْ أَجَلْ أَجَلْ

عنزة :

يا بُعْدَ رَأْسِ عَنْزَةٍ !

يا نَحْمُ هَاتُوا جَمْعَكُمْ هَاتُوا الْقَنَّا وَاَمْضُوا الْكَسْرَى وَاَرْجِعُوا فِي جَحْفَلِ
جِيئُوا بِفُرْسَانِ الْعِرَاقِ وَفَارِسِ مَنْ رَاكِبٍ فَيْلًا وَمَنْ مُتَرَجِّلٍ
وَتَقَلَّدُوا أَمْضَى الْمَنَاصِلِ وَاطْلُبُوا رَأْسِي بِمَا قُلْدُمُو مِنْ مُنْصَلِ

هَلُمُّوا يَا بَنِي نَحْمِ خُذُوا رَأْسِي مِنْ جِسْمِي

بِمَا شِئْتُمْ فَبِالسَّيْفِ وَبِالرَّيْحِ وَبِالسَّهْمِ

[يَنَازِلُهُمْ وَ يَقْتُلُ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً فَيَفْرُونَ مَا تَحِينِ]

أحدم : خَلَى أَنْجُ بِنَفْسِي

آخر : أَنْجُ مِنْ جَبَّارِ عَيْسِ

ذَاكَ يَحْنِي وَلَا يَرُزُّ لِلْحَفِيَّ الْأَسَى

عبلة : رُحْمَاكَ عَنْزَةٍ

عنزة : أَنْتِ عِبْلَةٌ ذِي

عبلة : أَجَلْ

عنزة : مَا تَأْمُرِينَ سَلِي الْخَوَارِقَ أَفْعَلِ

عبلة :

رُحْمَاكَ عَنْزَةٍ لَا تَتِّمُ سَيْفًا وَلَا تَطْعُنُ بِرِيحٍ وَاتَّيْذُ وَتَمْهَلِ

[يُلْقِي عَنْزَةً سَلَاخَهُ ثُمَّ يَقْبَلُ عَلَيْهَا]

لم أنس ذِكْرَكَ والجراحُ تسيلُ من يدعي وتصبغُ أشقري بالعندم
 (ولقد ذكرك والرماحُ نواهلُ مني وبضُ الهندي تقطُرُ من دمي)
 فضيتُ أعتنقُ الرماحَ لأنها خطرتُ كاسمِ قَدِّك المتقومِ
 (ووددتُ ثقيلَ السُيوفِ لأنها لمعتُ بكارِقِ ثغرك المتبسِّمِ)

ستار

الفصل الرابع

« في حى بنى عامر وفي مضارب بنى الأشتر وفي خيام صخر . »
« سرادق نغم وسامر حافل فيه جماعة من سراة عبس وأخرى »
« من وجوه عامر ، خدم يروحون ويحيثون بقصاع الطعام »
« وأواني الشراب ، جماعة يزمرون ، وآثرون يضربون »
« على الدفوف والمزاهر »

المشهد الأول

أحدم : عبلة في الوشي	زُفَّتْ الى عامر
يا زامر الحى	هاتِ أشدُ يا زامر
هى ارتيجلُ هى	وأطرب السامر

شيخ من عامر :

الطعام الطعام يا عبس قوموا	الطعام الطعام ضيفان عامر
----------------------------	--------------------------

آخر :

الشرابَ الشرابَ تلك بواطيه وهذي أقداحه يا حساة
دونكم نمر عامر ما اكتست أطيّب منه ولا اللذّ النّواة
دونكم من زبيب جلق والطائف مالم يسقي الملوكة السقاة

آخر :

هذا شراب الرعاة دعني منه وهات اسقني الكروما

آخر :

هي جوارى الحمى هي صبايا طامير
قمن الى الدفوف واضير بن على المزاهر
زدن جمال العرس أو زدن جمال السامر
قد كمل الأس قد بعيت الكأس

قوموا اطربوا طمس

قد كمل السامر وزم الزامر
قوموا اطربوا طامير

غناء : يا عبّل حيننا إنا نحيّسوك

هاك الرياحينا ينفعن عن فيك

يا عبّل يا حرة يا ملكة الفيسد

أصبحت كالدره في مفريق البيسد

ضيف : لَا تَسْقِنِي التَّمْرَ وَلَا بَنَتَ الشَّعِيرِ وَالذُّرَّةَ
وعاطني ما يشربُ الرُّومُ وُم وراءَ أنقرة
إذا شربتُ أربعا منها انقلبْتُ عنزة!

[يسمع صوت عنزة من بعيد]

[يخاطب رجلا من وراء الستار]

صوت عنزة : مَنِ الرِّجَالُ ؟

صوت أحد الرجال : وَمَنْ أَنْتَ ؟

صوت عنزة : فَاتِكَ وَمُغِيرُ

من آثر العيشِ فليَنسجُ بالنفيسِ

لا جردَ اللهُ سيفي على عبسِ

واحد من بني عامر : عنزة ؟

آخر : ماذا ؟

الأول : عنزةُ جاءَ

آخر : بل ذاك سكرانُ يقولُ ما شاءَ

آخر : ماذا تردُّ المسوء ؟

آخر [ثملا] : ما ذاك إلا ثغاءُ

شويهةُ جاوبتها من المراعى الشاءُ

صوت عنزة : وقفتم يا رجال ؟

صوت أحد الرجال : أجل وقفنا

صوت عنزة :

نزال إذن نزال إذن نزال

صوت أحد الرجال : تأهب يا فتى

صوت عنزة :

أبناء عمى ؟

إلهى كيف أصنع بالرجال ؟

صوت أحد الرجال : تأهب يا فتى للقاء عيسى

صوت عنزة :

وأنتم فاستعدوا للقتال

[تسمع قعقة سلاح]

واحد من بني عامر :

أما تبليت الفتى

أما عرفت الزبحر ؟

واحد من بني عامر [ثملا] : عامر

آخرون : ماذا ؟

الأول : ظفرت

أيديكمو بالجوهره

سمائها بالنيرة

فزتم من اليد ومن

آخر : وبعد ؟ ...

آخر : ماذا تبلى ؟

فيم تصكك الخنجر ؟

الأول : أريد أن أعلم أين

اليوم أين عنزة ؟

عيس على سلاحها

وعامر منتظرة

وذلك سيفي في يدي

فليجئ العبد يره !

أحدهم : أَعُوذُ بِالْعُزَّى أَعُوذُ بِاللَّاتِ
آخر : نَعُوذُ بِالْبَيْتِ مِنَ الْفُجَاءَاتِ

صوت عنزة :

أنا الذى لَقَّبَنِي أَبِي وَأُمِّي الْقُسُورَةَ
صَجَّتْ ضَرَاغِمُ الْفَلَا مِنْ حَمَلَاتِي الْمُنْكَرَةِ

واحد من بنى عامر [لآخر من بنى عبس] :

أَوَلَمْ تَقُلْ لِي إِنْ رَأَسَ الْعَبِيدَ كَانَ صَدَاقَ عِبْلَةٍ؟

الآخر : قَدْ قِيلَ ذَاكَ أَجَلٌ

الأول : فَكَيْفَ إِذْ ذُنُوبُ نَرَاهُ؟

ثالث [من عبس] : أَنْتِ أَيْلَةُ !

منذ الذى يَقْوَى عَلَى رَأْسِ الْغَضَنَفْرِ عَنْزَهُ؟

قَدْ مَاتَ رَسْمُ دُونَهُ وَهَوَى أَسِيدُ الْقُسُورِ

وَجَنَى شِيُوخُ الْحَيِّ مِنْ مَهْرِ الْفَتَاةِ الثَّرَى

فَرَضُوا صَدَاقَ فِتَاتِهِمْ نَعْمًا تُسَاقُ وَأُبْعِرُهُ !

[يدخل عنزة ومعه رجال آثرون من عبس وفناة مقنعة

فينهض السامرون ويشهرون سيوفهم ويفر من

بنى عامر غير قليل ، ويرز لعنزة واحد من بنى عبس]

المشهد الثاني

المتقدم : أَنَا الَّذِي تَعْلَمُ عَبَسُ أَتَى أَذُودُ عَنْهَا وَتَذُودُ عَنِّي
خُذْ يَا ابْنَ عَمِّي الْحِذَارَ مِنِّي

عنتره : مَرْحَبًا بِكَ مَرْحَبًا بِكَ عِشْ تَمْتَعْ بِشَبَابِكَ

[يحمل عليه عنتره فيطير السيف من يده ولا يؤذيه]

تَعَالَ سَيْفُكَ طَارَا لَا تَخْشَ بِالْأَسِيرِ عَارَا
إِنِّي أُرْعَى الْأَسَارَى

[ياخذ رجل عنتره أسيرا]

عنتره : خُذُوا الْأَسِيرَ نَاحِيَةً وَلَا تَجْزُوا النَّاصِيَةَ

[يرزله آخر من بني عبس]

المتقدم : إِنِّي أَنَا الْغَضَنْقَرُ الْعَبَسِيُّ تَعْرِفُنِي الرِّمَاحُ وَالْقَيْسِيُّ
وَالْوَحْشُ فِي الْفَلَاةِ وَالْإِنْسِيُّ

عنتره [حاملًا عليه] :

أَنَا الْمَنَايَا الْمَائِلَةُ أَنَا الْقَضَايَا النَّازِلَةُ
غَضَنْقَرُ فِي قَافِلَةٍ

[يحمل سيفه]

سيفك يا هذا كسر وصاحب السيف أسر

[إلى رجاله] : خذوه

[إلى منزله] : هي إمض سر

[ياخذه رجال عنزة فيبرزله شاب ثالث]

المتقدم : أنا أخو الأشبال مثل أبي الرثال

بالقرب لا أبالي

عنزة : وأنت أيضا يا حدث ما الحرب يطفل عبث

قف لا تسر إلى الحدث

[يحمل عليه عنزة فيطير السيف من يده]

الشاب : أين مضى سيفي ؟ قد كنت في كفى

عنزة : لا تقسم ولا تسأل سيفك في سيفي دخل !

سر قف هناك يا بطل !

الآن أنت لعتي الحق بصاحبتك

إمض انضم إليهما

[رف هذه الأثناء يكون قد رفع يده من الأرض

مبارزا آخر كان قد خرج إليه فقلده بجانب الشاب]

وضم ذا إليك

[ثم يخاطب الجماعة]

سُدِّي حَرْبَكُمْ يَاقَوْمُ الْقُوَا سِلَاحَكُمْ وَلَا تُرْكِبُونِي فِي دِمَائِكُمْ وَزَرَا
رَأَيْتُمْ يَدِي؟

أحد بن عامر : مَا كَانَ أَكْثَرَ بَطْشِهَا؟

عنزة : وَسِيفِي؟

كسيف الموت يَفْرِي وَلَا يُفْرِي

آخر :

[يقترب عنزة من الفتاة]

[المقنعة التي دخلت معه]

انْهَضِي الْآنَ يَا عَرُوسُ تَعَالِي لَا تَتَّخِافِي مِنِّي وَلَا مِنْ رِجَالِي

بَطْلُ كُلِّهِمْ فَلَا خَوْفَ مِنْهُمْ كَيْفَ تَشْقِي النِّسَاءَ بِالْأَبْطَالِ

[يرفع عن وجهها القناع فإذا هي عبلة]

مخير [في ذهول] : مَنْ هَذِهِ؟

عبلة : عِبْلَةٌ!

مخير : مَنْ هِيَ تَزَوَّجْتُ إِذَنْ؟

مَنْ الَّتِي تَرَكْتُ فِي الْخِلَاءِ؟

وَمَنْ تُرَى تَكُونُ فِي النِّسَاءِ؟

رجل آخر : لَكِنْ أَيْجَنِي أَلَسْنَا فِي دَارِ مَخْرٍ وَعُرْسِيَّة؟

الآخر : نَعَمْ وَأَحْسَبُ مَخْرًا جَرَتْ أُمُورٌ بَخْسِيَّة

عنزة :

قِيَامًا عَامِرٌ انْتَظَرُوا قَضَائِي فَإِنِّي الْمَوْتُ مَا مِنْهُ فِرَارُ

وَأَنْتُمْ عَبَسُ لِلْأَوْطَانِ عُودُوا لَهَا فِي طَامِرٍ لَكُمْ قَسَارُ

تَسِيْتُ لَكُمْ وَأَنْسَى مَا جَنَيْتُمْ تُحِبُّ وَإِنْ تَنَكَّرْتَ الدِّيَارُ

الجماعة : [كل جملة يقولها رجل] :

العفو عنزة الصفح يا بطل
مرنا بما تشاء أمرك ممثّل

عنزة : رأيتمو يا قوم عبلة معي وكتمو حسيبتموها في الحبا

نيط بعيس وشباب عامر أن ينقلوها من حمى إلى حمى

ساقوا بعيرها وكانوا حولها عشرين فتيانا أشداء القوي

أدركتهم على الطريق فنجّا من المنون بالفرار من نجا

ومات دون الرجل نحو عشرة قد غودروا مجندلين في الفلا

وهؤلاء هم بنو العم أبوا إلا المسير معنا إلى هنا

كانت معي ناجية فركبت بعير عبلة وحثت الخطا

في وشي عبلة وفي نمارها وانطلقت تُحدّي باتباعي أنا

رجل : حديث عبلة عجب ليؤثرن في العرب

لتروينه الحقب

مضر : واشفقوتي وابلائي فقدت إبلي وشائي!

عبلة : يا مضر إن في الحباء جارية تهواك في السر وفي العلانية

- مخبر : جاريةٌ تحبُّني ! من ؟
 عبلة : ناجيةٌ
 مخبر : ناجيةٌ ؟ ومن أرادها لي ؟
 عبلة : أنا التي جعلتها مكانيةً
 منيرة : ناجيةٌ يا فتى جاريةٌ كالرثا
 وأنت باين بها إن شئت أولم تشا
 مخبر : قبلتُ بالحكم إن قبلتُ عامر
 مرهمٌ بما شئت أنت هنا الأمر
 منيرة : من يخالف إرادتي منكواً يبيض ناجيةٌ
 [لا يهزك أحد]
 قد قبلتم مشيتي ورضيتم قضائتي
 أشهدوا عرس عبلة واشهدوا عرس ناجية
 عبلة : إني أخاف
 منيرة : عجباً يخاف جار الأسيد
 عبلة : غداً يقال صدتي وكنت لي بمترصد
 غداً يقال قد تآ مرنا على التمرّد

يُقَالُ خَانَ عَمَّهُ

عنزة :	وَأَنْتِ	
عبلة :	خُنْتُ وَالْيَدِ	
عنزة :	لَيَقُلِ السَّامِرُ مَا	قَدْ شَاءَ وَلِهَذَا النَّدَى
	وَلتَقْسِمِ الْيَدُ لِمَا	نَأْتِي بِهِ وَتَقْعِدِ
	مَاذَا يَهُمُّ بَعْدَ مَا	قَدْ صَارَ كَثْرَى فِي يَدِي
	وَبَعْدَ أَنْ نِلْتِ مِنْهَا	كِ وَبَلَّغْتِ مَقْصِدِي
عبلة :	وَالنَّاسُ مِنْ كُلِّ فُضُو	لِي وَكُلِّ مُعْتَدٍ؟
عنزة :	النَّاسُ ؟ خَلَى لِقْنَا	فِي النَّاسِ أَوْ مُهْنِدِي
	أَنْتِ إِذَا أَطْعَمْتِهِمْ	مُخَّ الرِّشَاءِ لَمْ تُجْمَدِي
	غَدًا يَخْضُونُكَ بِالسَّتْمَلِيْقِ	وَالْتَّوَدُّدِ
	الْيَدُ مَعْبُدٌ وَأَنْتِ دُمِيَّةٌ	فِي الْمَعْبُدِ

واحد من عبس :

عنتر اسلم لعيس نحن فداؤك	لَقِيَ الذِّلَّ وَالرَّدَى أَعْدَاؤُكَ
لَقَدْ أَبَى عَمُّكَ أَنْ	يُهْدَى إِلَيْكَ الْجَوْهَرَةُ
عَمُّكَ نَحْنُ قَوْمُهُ	نَحْنُ لَنَا أَنْ نَأْمُرَهُ
عنتر هالك عبلة	عبلة هالك عنتره

عنتره : الآن صخر أمض إلى الحباء جئ بناجيته
 طمر طس أقبلوا زفوا العروس الغالية
 ما هي بالخدم في طس ولا بالرعية
 لكن فتاة حرة من البيوت العالية
 تزوجت بوافر المال كثير الماشية

مخر : عنتر

عنتره : صخر هات قل

مخر : وإيلي وشائيه؟

عنتره : ترد في غد اليك وهي مهر ناجية
 يا عبل ساعني في قريكم زمني وشاء رب الليالي أن تعيش معاً
 يا يدهي اشهدى أعراس عنتره ويا سباع تعالي هنى السبعاً
 حيلة :

التام في طمر شمل بعنتره وكان ظني في شمل به انصدماً
 قد اجتمعنا على عرس وفي فريج كم من شيتين بعد الفرقة اجتمعاً
 انى وضعت بناني في يدي أسيد لو مر غلبه فوق الصفا خشعاً
 سام القبائل إجلالي وملكتني عقائل البيد حتى صرن لي تبعاً

ستار الختام

مجنون لیلی

تمهيد

زمن الرواية :

صدر الدولة الأموية

مكان الرواية :

بادية نجد

أشخاص الرواية :

قيس — مجنون ليلي

ليلي

المهدي — أبو ليلي

ورد — زوج ليلي

ابن عوف — أمير الصدقات في الحجاز وعامل من

عمال بني أمية

زياد — راوية قيس وصديقه

منازل — غريم قيس في حب ليلي

بشر — رجل من بني عامر

- ابن ذريح — شاعر من شعراء الحجاز
 نصيب — كاتب ابن عوف
 سعد — رجل من بني عامر
 القريض — مغمض مشهور
 ابن سعيد — شاعر
 أمية — رفيق ابن سعيد
 الأموي — شيطان قيس
- عضرفوت
 هبيد
 عسر
 عاصف
 بلهاء — جارية قيس
 عفراء — جارية ليلي
- سلي
 هند
 عبلة
 رجال — قوافل — حداة — صبية — فتيات

الفضل الأول

« ساحة أمام خيام المهدي في حي بني عامر - مجلس من مجالس السمر في هذه
الساحة - فتية وفتيات من الحى يسرون في أوائل الليل ، وفي أيدي الفتيات
صوف ومغازل يلهون بها وهم يتحدثون - تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع
الستار ويدها في يد ابن ذريح »
« ليلى »

دعى الغزل سلمى وحيي معي منار الحجاز فتى يثرب^(١)
« تصالحه سلمى »

وياهيند هذا أديب الحجاز هلمي بمقدمه رحي
« تصالحه هند ويحتفى به السامرون »
« سعد »

أمن يثرب أنت آت؟

« ابن ذريح »

أجل من البلد القدس الطيب

« ليلي »

أيابن ذريح لقينا الغمام

« هند »

وطافت بنا نَفَحَاتُ النّبي

« عبلة - هامة إلى سعد »

مَنْ ابْنُ ذَرِيحٍ ؟

« سعد »

فَتَى ذِكْرُهُ على مَشْرِقِ الشَّمْسِ والمَغْرِبِ
رَضِيعُ الحُسَيْنِ عليه السَّلامُ وترْبُ الحُسَيْنِ من المَكْتَبِ

« عبلة - إلى بشر ومشيرة إلى ابن ذريح »

أَتَسْمَعُ بَشْرُ رَضِيعِ الحُسَيْنِ فِدَيْتُ الرَضِيعَيْنِ والرُّضْعَةَ
وأنت إذا ما ذَكَرْنَا الحُسَيْنَ تصاممتَ !

« بشر - هامة ومتلفتا كما عما يخشى أن يسمعه أحد »

لا جاهلاً موضِعَه

ولكن أخاف امرأً أن يرى على التشييع أو يسمعه
أحبُّ الحُسَيْنَ ولكننا لسانى عليه وقلبي معه !

حَبَسْتُ لسانى عن مدحه حِذارَ أُمِّيَّةٍ أن تقطعه
إذا الفتنَةُ اضطَرمَّتْ في البلاد ورُمِيتْ النِّجاةُ فكنْ إِمَّعَه !

« ليلي »

إِبْنُ ذَرِيحٍ نَحْنُ فِي عَزْلَةٍ فهل على مُسْتَفْهِمٍ مِنْكَ بَأْسٌ ؟

دارُ النبيِّ كيف خلّقتها؟ كيف تركت الأمر فيها يُساسُ

« ابن ذريح »

تركتها ياليسل مضبوطةً يحكمها والٍ شديدُ المراسِ
إن حديثَ الناس في يثربٍ همسٌ وخطوا الناس فيها احتراس

« ليلى »

ابن ذريح لا تجرُ واقتصدِ أحلامُ مروانَ جبالَ رواسِ
يؤسسون الملكَ في بيتهم والعنفُ والشدةُ عند الأساسِ

« تتضحك الفتيات وتقول إحداهن لأخرى »

« فتاة »

ليلى على دين قيسٍ فحيثُ مال تيميلُ؟
وكلُّ ماسرٍ قيساً فعند ليلى جميلُ

« ابن ذريح »

١٢٠

مسا الذى أضحك منى الطليباتِ المامريةِ
ألأنى أنا شيمىٌ وليلى أمويةٌ؟
إختلافُ الرأى لا يُفسدُ للود قضية

« ليلى »

أعزنى سماعك يا بن ذريح ولا تسمعِ الطفلةَ المأذية
أتيت لنا اليوم من يثربٍ فكيف ترى عالمَ البادية
أكنت من الدور أوفى القصور ترى هذه القبة الصافية؟
سكان النجوم على صدرها قلائدُ ماسٍ على غانيه

« هند »

كفى يابنة الخال ! هذا الحريرُ كثيرٌ على الرَّمْثة الباليه
تأملُ تر البيدَ يابن ذريح كمقبرةٍ وحشةٍ خاويه
سئنا من البيد يابن ذريح ومن هذه العيشة الجافيه
ومن مُوقِدِ النار في مَوْضِعِ ومن حالب الشاة في ناحيه
وراغيةٍ من وراء الخيام تُجِيبُ من الكَلأِ الثاغية (١)
وأتم يثربَ أو بالعراق أو الشام في الغُرفِ العاليه
مُغْنِيكو مَعْبَدٌ والغريضُ وقَيْنَتُنَا الضَّبُّعُ العاويه
وقد تأكلون فنونَ الطهارةِ ونأكل ما طهتِ الماشيه

« ليل »

قد اعتسفتُ هندُ يابن ذريح وكانت على مَهْدِها قاسيه
فما البيد الا ديارُ الكِرامِ ومَنْزِلَةُ الذَّمِّ الوافيه
لها قُبْلَةُ الشمس عند البُرُوعِ وللحَضِرِ القُبْلَةُ الثانيه
ونحن الرياحينُ ملءَ الفضاءِ وهنَّ الرياحينُ في الآنيه
ويقتلنا العِشْقُ والحاضراتُ يَتَمَنَّ من العِشْقِ في عافيه
ولم نصطدِّمِ بهومِ الحياهِ ولم نَدِرْ - لولا الهوى - ماهيه
وآنا نخف لصيد الظباءِ وآنا الى الأسد الضاريه

« هند - ساخره »

وفي كل ناحيه شاعرٌ يغنى بليلاه أو راويه

(١) الراغية : النافه والثاغية : الشاة

« تحاول ليلي أن تمد رجلها فتألم وتستغيث »
« ليلي »

قيسُ ، إلى قيس

« هند »

ما دهاك ليلي ما الخبر

« ليلي »

أحس رجلى خدرت حتى كأنها الحجر
« هند »

قد صحت قيسُ مرتين

« ليلي »

أو ثلاثاً ما الضرر

« هند - متهمكة »

إسم الحبيب عنبدنا نذكره عند الخدر

« ليلي »

هند كفى دعاة إن هو إلا اسمٌ حضر

« لنفسها »

يا قيسُ ناجى باسمك السقلبُ اللسانُ فغر

« عبلة - ضجرة »

أما سوى هذا الحديث شاغلٌ ؟ كيف ظلمت اليوم يا منازل ؟

« منازل - ضاحكا »

منازلُ اليوم كأمس هازلُ يشربُ أو يطعمُ أو يفازلُ

« هند »

بخ ! كذا فلتكن الحياةُ مُتْ يا بَعِيرُ وانقُ يا شاةُ
انفست في الترفِ الرعاةُ !

« ليلي »

وكيف ظلت اليوم سعدُ ؟ أهازلُ كتر بك أم في صالح ورشاد !

« سعد »

بل الجدُّ ياليلي سبيلي وديدني حياتي بوادٍ والمجنونُ بوادٍ
صحبْتُ زيادا طول يومى تلقفا لأشعار قيسٍ من لسان زياد
وإن زيادا - منذ كان - لرائحُ علينا بشعر العامريِّ وغاد
ولولا زيادُ ما تمثَّل حاضرُ بأشعار قيسٍ أو ترنم باد
« يبدو على ليلي شيء من الزهو فتهامس الفتيات »

« سلمى »

انظري هند ترى ليلي اكتست زهواً وكبرا
وتعالت كابتة النعمان أو كابتة محسرى ا

« هند »

لَمْ لا سلمى ، ألم يرفع لها المهنونُ ذكرا ؟

« عبلة »

لَمْ إذن ياهند من قيسٍ ومما قال تبرا ؟

« هند »

عبثُ النسوة ! إنا نحن بالنسوة أدرى ا

«سلمى»

سلوا الآن بشرا فيم أنفق يومه؟

«أصوات»

سلوه

«هند»

سلى يا ليلَ عن يومه بشرا

«ليلى»

وهل يومه الا شؤونٌ كأمسه من الصيد؟

«هند»

إن الصيدَ لذته الكبرى

«بشر»

نعم هو ملهاى الذى لا أمّله ولا النفسُ تُعطى عن تناوله صبورا
ولو كان عيشى فى قصور أمية لعلمتُ فنَّ الصيدِ فتیانها الزهرا
وما أنا صيَّادُ الأرانب مثلهم ولكن على حيَّاته أيلجُ الفقرا

«ليلى»

إذن هاتِ واصدقِ بشرُ فى القول مرّة

ولا تخترعِ أو تبني من حجَرٍ قصرا!

«بشر»

دعى عنك هذا الشجرُ يا ليلَ واسمعى

«ليلى»

تحدّثُ فلا واللهِ لم أضمرِ الشخرا

« بشر »

بَكَرْتُ كَدَّابِي الْيَوْمَ أَبْنَى قَنِيصَةً
وَمَنْ يَتَصَيَّدُ يَحْسِبُ الْغَنَمَ وَالْخُسْرَا
(رَأَيْتُ غَزَالًا يَرْتَعِي وَسْطَ رَوْضَةٍ
فَقُلْتُ أَرَى لَيْلَى تَرَاءَتْ لَنَاظِرَهَا) (١)

« هند - مشيرة الى ليلي »

وَأَيَّ اللَّيَالِي بَشْرُ آنَسْتِ ؟ هَذِهِ
« بشر »

إِذَا شِئْتُ - أَوْ هَاتِيكَ - أَوْ حُرَّةً أُخْرَى،
فَقُلْتُ لَهُ يَاظِي لَا تَحْشَ حَدَّثَا
(فَأَنَّكَ لِي جَارٌّ وَلَا تَرْهَبِ الدَّهْرَا)
(فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَذُئِبٌ قَدْ انْتَحَى
فَأَعْلَقَ فِي أَحْشَائِهِ النَّابَ وَالظُّفْرَا)
(فَفَوَّقْتُ سَهْمِي فِي كَتُومٍ غَمَسْتُهَا
فَخَالَطَ سَهْمِي مَهْجَةً الذُّئْبِ وَالنَّحْرَا)

« ليلي ضاحكة »

أَخِي بَشْرُ لَا شُلْتَ يَمِينُكَ مِنْ يَدِي
وَلَا فَضُّ فَأَكُ الصَّبْحُ وَاللَّيْلُ مَا كَرَا

(١) الأبيات التي بين الأقواس من شعر المجنون

سمعنا بإقدام اللصوص وفتكهم
 فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجرا !
 ووالله لم تغضب لظبي ولم تشب
 بذئب ولم تُعمل خيالا ولا فكرا
 أخذت فلم تترك لقيس بضاعة
 سرقت لعمري الظبي والذئب والشعرا !
 « ضحك من الجميع »

حديثُ الظبي والذئبِ وقيسٍ لستُ أنساه
 زيادٌ عنه ثباتي ولا ينبيك إلاه
 رأى قيسٌ على رابية ظبيا فناداه
 فألقى الظبي أذنيه ومسّ الأرضَ قرناه
 « ثم تقول في لوعة وموت مخفوض وكأنتما تحدث نفسيها »

برُوحى قيسٍ ! هل راحت ظبياه القاع تهواه ؟
 وهل يرثى له الريمُ ولا أرثى لبلواه ؟

« تسترسل في حديثها الأول : »

على فيه من العُشبِ بقايا صبغت فاه
 رأى في جيده قيسٌ وفي عينيه ليلاه
 فبينما هو في الشوقِ وفي نشوة ذكراه
 حبا الذئبُ من الوادي الى الظبي فأرداه

تغدى بحشا الظبي غداء ماتهنا
رماه قيس في المقتل بالسهم فأصماه
« بشر : مندفا بحماسة ! »

أجل ياليل ! ما قلت سوى شيء شهدناه
وإن لم تذكرى القبر ولا كيف خططنا
حفرنا القبر للظبي وقنا فدفناه
وصلينا على الميت وبالامع سقيناه
قولوا ولتقل ليلى معى يرجه الله !

« أصوات : بين الضحك والسخرية »

أجل بشر !

أجل بشر !

أجل رحمه الله !

« ابن ذريح »

بشر كفى هزلا وتحليطا كفى
أرسلنى قيس فلو أخبرتنى
بتنا نخاف أن يجبل خطبه
وقيس ياليلي وإن لم تجهلى
لم ندر فى حيك أو فى حيه
ولا جالا ، وهنا (ياليل) ما
ويابنة الم مضى الليل سدى
متى متى بأمر قيس يعتنى ؟
وتبلغ البسوى بقرى المدى
زين الشباب وابن سيد الحمى
فتى حصكاه نسا ولا غنى
ترين أنت لا الذى نحن نرى

« بشر - ساخرا »

يَحْ بَحْ ! ابنُ ذريحِ خاطبٌ

« ابن ذريح »

أُسكتِ فلست للمروءات أخا !

« ليلي - غاضبة »

فيم هذا الكلامُ يا ابنَ ذريحٍ ؟

« ابن ذريح »

إتقى اللهَ واقصِدِي في التجنى

« ليلي »

ما تجنّيت

« ابن ذريح »

بل ظلمت ، دعيني أحسن الذِّودَ عن صديقي وخِديني

« ليلي »

أنا أُولى به وأُحِبُّ عليه	لو يُداوِي برحمتي والتحنُّي
يَعْلَمُ اللهُ وحده ما لقيس	من هوى في جوانحي مستكين
إنني في الهوى وقيسا سواء	دَن قيس من الصبابة دَنِّي
أنا بين اثنتين كلتاها النا	رفلا تلحني ولكن أعني
بين حرصي على قداسة مرضي	واحتفاظي بمن أُحِبُّ ورضي
صنعتُ منذ الحداثة الحبَّ جَهْدِي	وهو مستهترُ الهوى لم يصري

قد تغنى. بليلة النّيل ، ماذا كان بالغيل بين قيس و بينى ؟
كل ما بيننا سلامٌ وردُّ بين عين من الرّفاق وأُذُن
وتبسّمتُ فى الطريق إليه ومضى شأنه وسرتُ لشأني
« تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه »
أَوْغَلُ اللَّيْلُ فَلَنَقَمْ

« ابن ذريح - متوسلا »

بل رويدا واسمعى (ليل)

« ليلي »

خلّ عنيّ دعنيّ ا

« تدخل خبائها بينما ينفض السامرون فلا يتناقل منهم فى القيام »
« الا منازل - الهرج والأُسف يسودان الجميع »
« بمر »

انفضّ سامرٌ ليلي وكان حَفًّا كَرِيما

« سعد »

قد فَضَّ ابنُ ذريح ففض عِقْدًا نطيا
أثار ليليّ فهاجت كما تنفّر رِيما
ترى أَتُبْغِضُ قيسا

« ابن ذريح »

لا تَقْلِبُوا الحَبَّ بِنِضا
ليلى العشيّة غَضِي ويُصبحُ الصّبحُ تَرْضِي

« سعد »

أَنعم (مُنَازِر) مساء

« منازل »

نعمت سعدُ مساء

« هند »

بشرُ مَسَّيْتِ بخير

« بشر »

أَنعمي هندُ مساء

« هند »

نحن يحويننا طريقُ فامض بلغني الخبياء

« سعد - ضاحكا »

احذري يا هند منه !

« هند »

أنا لا أخشى اعتداء

قد عرفتم وعرفنا كيف يصطاد الظباء !

« تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر »

« قيس وزباد من جانب المسرح الآخر »

« قيس »

سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى
وما البیدُ الا الليلُ والشعرُ والحبُّ

ملأت سماء البيد عشقا وأرضها
 وحملت وحدي ذلك العشق يارب
 ألم على آيات ليلى بي الهوى
 وما غير أشواق دليل ولا ركب
 وباتت خيامي خطوة من خيامها
 فلم يشفني منها جوار ولا قرب
 إذا طساف قلبي حولها جن شوقه
 كذلك يطغى الغلة المنهل العذب
 يحن إذا شطت ويصبو إذا دنت
 فياويح قلبي كم يحن وك يصبو
 وأرسلني أهلي وقالوا امض فالتمس
 لنا قبسا من أهل ليلى وما شبوا
 عفا الله عن ليلى لقد نوت بالذي
 تحمل من ليلى ومن نارها القلب

« منازل - وقد سمع مهمة الصوت ورأي شبيها في الظلام »

أرى شبيحا مقبلا في الظلام	وأسمع مهمة في الدجى
هو ابن اللويع دلّ الهزال	عليه ونم اضطراب الخطا
عدويّ المبين وما بيننا	ولا بين صاغيتينا ^(١) جفا
روى شعره البدو والحاضرون	وشعري ليس له من روى

(١) صاغية الرجل قومه

وهـام بليلى وهامت به لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرّد مستعظماً في البلاد وجُنّ فما ازداد إلا نهى
وإني لأبديّ اليه الوداد وأخفى له في الضلوع القلى
وأحسّده حسدا ما علمت أقيسُ الشقى به أم أنا
« يتقدم منهما خطوات »

من الراكب الليل ؟ قيسٌ أخى ؟

« قيس »

منازل ؟ ما أعجبَ الملتقى !

« منازل »

أقيساً أرى في ظلال البيوت ؟ وعهديّ بقيس حليف الفلا

« قيس »

منازل ، من أين ؟

« منازل »

من عندها من السمر المتع المشتهى

« قيس : حقا »

أمن عند ليلي تجرّ الديول حديثَ لعمرو أبي مفتري

« منازل »

بل الصدقُ ما قلتُ يا ابن الملوِّح

« قيس »

إخساً متى قلت صدقا متى ؟

وما كنت تصنع ؟

« منازل ساخرا »

ما يصنعون لهوت لعمرى فيمن لها
وسامر ليلي كثير الزحام فلت تعد شباب الحمى
وليلي تفيض على من تشاء رضاها وتحرمه من تشاء

« زياد مضطرب »

منازل، قيس، سبيلك قيس ! وكل لي تأديب هذا الفتى

« منازل - وقد أخذ بتلاييه »

تودبني زياد وأنت ظل لجنون وراوية لهاذي
وتزعم أني نذ لقيس رضيت من المصائب غير هذي

« زياد »

من قال ذا ؟ أنت لقيس نذ لم يبق فيك يا حياة جد

إمض بنا ناحية يا وغد !

« يجره الى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تختفي »

« فيقبل قيس على خباء ليلي وينادي »

« قيس »

ليلى !

« المهدى : خارجا من الخباء »

من الهاتف الداعي ؟ أقيس أرى ؟ ماذا وقوفك والفتيان قد ساروا

« قيس : خجلا »

ما كنتُ يا عمُّ فيهم

« المهدى : دهشا »

أين كنتُ إذن ؟

« قيس »

في الدار حتى خلتُ من نارنا الدار

ما كان من حطب جزلٍ بساحتها أودى الرياحُ به والضيفُ والجار

« المهدى - مناديا »

ليلي - انتظر قيس - ليلي

« ليلي - من أقصى الخباء »

ما وراء أبي ؟

« المهدى »

هذا ابن عمك مافي بيتهم نار

« تظهر ليلي على باب الخباء »

« ليلي »

قيس ابن عمي عندنا يا مرجبا يا مرجبا

« قيس »

متعتِ ليلي بالحيسا ة ، وبلغت الأربا

« ليلي : تنادي جاريتها بينما يختفي أبوها في الخباء »

عفراء

« عفراء - ملبية نداء مولاتها »

مولاتي

« ليلي »

تعالني تقضِ حقاً وجباً
خذي وعاءً واملئي به لابن عمي حطباً
: « تخرج عفراء وتنبها ليلي »

« قيس »

بالروح ليلي قضت لي حاجة عرضت
ماضرها لو قضت للقلب حاجات
مضت لأبياتها ترتاد لي قبساً
والنار يا روح قيسٍ ملء أيباني
كم جئتُ ليلي بأسباب ملفقة
ما كان أكثر أسبابي وعلائي

« تدخل ليلي »

« ليلي »

قيس

« قيس »

ليلى يجاني كلُّ شيءٍ إذ انتِ حُضرٌ

« ليلي »

جمعتنا فأحسنْتَ ساعةً تفضلُ العمرُ

« قيس »

أتجدِّين ؟

« ليلي »

ما فــــــرّوا دى حديدٌ ولا حجر
لك قلبٌ فسله يا قيس ينبتك بالخبر
قد تحملتُ فى الهوى فوق ما يحمل البشر

« قيس »

لست ليلالى داريا كيف أشكو وأنفجر ؟
أشرح الشوق كله أم من الشوق أختصر ؟

« ليلي »

نبنى قيسُ ما الذى لك فى البید من وطر ؟
لك فيها قصائد جاوزتها الى الحضر
كل ظبي لقيته صغت فى جيده الدر
أترى قد سلوتنا وعشقت المها الآخر ؟

« قيس »

غرت ليلي من المها والمها منك لم تغر
حبب البید أنها بك مصبوغة الصور
لست كالغيد لا ولا قر البید كالقمر

« ليلي : وقد رأيت النار تكاد تصل الى كم قيس »

ويح عيـني ما أرى قيس !

« قيس »

ليلي

« ليلي : مشفقة »

خذ الحذر !

« قيس : غير آبه الا لما كان فيه من نبوى »

رُبَّ فجرٍ سألتُهُ هل تنفستِ في السَّحَرِ
ورِياحٍ حَسِبْتُهَا جَرَّرتِ ذيلَكَ العِطَرِ
وغزالٍ جَفَّوْنَهُ سَرقتِ عينَكَ الجَوَّارِ

« ليلي »

إطرح النارَ يافقِ أنتِ غادرٍ على خطرِ
لهبِ النارِ قيسُ في كَمكِ الأيمنِ اتَّشَرِ

« قيس : مستمراً بعد أن رمى النار من يديه »

وذئابٍ أرقِ ياليلُ من أهلكِ الغُيُورِ
أنستِ بي ومرَّغتِ في يدي النَّابِ والظفرِ

« ليلي »

ويح قيسٍ تحرقتِ راحتاه وما شـعـرُ

« قيس »

أنتِ أججتِ في الحشا لاعجَ الشوقِ فاستعـرُ

ثم تخشينَ جمرَةً تَأْكُلُ الجِلْدَ والشَّعْرَ

« يترنح قيس في موقفه وتظهر عليه بوادر الانهيار »

« ليلي »

فِذَاكَ أَبِي قَيْسَ ، مَاذَا دَهَاكَ ؟ تَكَلِّمْ ، أَبْنِ قَيْسَ ، مَاذَا تَجِدُ

« قيس »

أَحْسُ بِعَيْنِي قَدْ غَامَتْ وَسَاقِي لَا تَحْمِلَانِ الْجَسَدَ

« يخرج صريعاً الى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة »

« ليلي »

يَا لَأَبِي الْجَارِ قَيْسٌ صَرِيعُ النَّارِ مُلْقَى بِصَحْنِ الدَّارِ

« يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاثتها »

أَبِي هَا أَنْتَ ذَا جِئْتَ أَغْنِنَا أَبْنَى أَدْرِكُ

لَقَدْ حُرِّقَ بِالنَّارِ فَمَا يَصْحَوُ إِذَا حُرِّكَ

« المهدي »

يَرَانَا النَّاسُ يَا لَيْلَى

« ليلي »

أَبِي أَنْفِ النَّاسِ مِنْ فِكْرِكَ

هَنَا لَا تَقْعُ الْعَيْنُ عَلَى غَيْرِي وَلَا غَيْرِكَ

وَلَا يَطْلُعُ إِنْسَانٌ عَلَى نَسْرِي وَلَا سِرِّكَ

وَلَا أَجْدَرُ مِنْ قَيْسَ بِأَشْفَاكَ أَوْ بَرِّكَ

أَبِي صَدْرِي لَا يَقْوَى فَاسْنَدُهُ إِلَى صَدْرِكَ

« المهدى - وهو يتلقى عنها جسد قيس ومحاول إلعاشه »

رعاك الله يالـيلى وكافاك على صبرك
أخافُ الناسَ فى أمرى وأخشى القلبَ فى أمرك
وكم داريتُ يالـيلى وكم مهّدتُ من عذرك
ولست الوالدَ القاسى ولا الطامعَ فى مهرك

« يناجى قيسا فى غيوبة »

أبا المهدى عوفيت ويا بورك فى عمرك
أرانى شعرك الويلَ وما أروى سوى شعرك
كما لذّ على الكره كلامُ الله للمشرك

« يتحرك قيس ويبدو عليه كآبة »

قيس

« قيس - يحاول الوقوف فتسنده ليلى »

لبّيك عمّ

« المهدى »

حسبك فاذهب لا تطأ لى بعد العشية دارا

« لبلى »

أبتى لا تجرّ على قيس

« المهدى »

لم لا إن قيسا على القرابة جارا

« ليلي »

أبتي ما تراه كالفنن الذبا وى نُحوّلا وكالمغيّب اصفرارا ؟
وتأملُ رداءه ويديه تجدد النار أو تر الآثارا
أبتي دعه يسترخ

« المهدي »

بل دعينا لا تزيدى ياليل سخطى انفجارا

« قيس »

حسبُ يا ليل، حسبُ ذلا لعمى وكفى حلفة له واعتذارا
عمُ ماذا جنيت ؟

« ليلي »

ماذا جنى قيس

« المهدي »

نسيت الرواة والأخبارا

« قيس »

إنهم يأفكون يا عم

« المهدي »

والغليل أليلاً غشيتَه أم نهارا ؟
ما الذى كان ليلة الغليل حتى قلت فيها النسيب والأشعارا ؟

« قيس »

لم تكن وحدها ولا كنت وحدى

إنما نحن فتية وعذارى

جمعنا خمائل الغيل بالليل كما يجمع الحمى الشمارا
ليس غير السلام ثم افترقنا ذهب يمينه وسرت يسارا
« المهدى »

إمض يا قيس إمض لا تكس ليلى كل حين فضيحة وشنارا
فكأنى بقصة النار تروى وكأنى بذلك الشعر سارا
وكأنى ارتديت فى الحى ذلا وتجلت فى القبائل عارا
إمض قيس إمض

« قيس »

عم رققا بليلى وبقيس ولا تكن جبارا
الحذار الحذار من غضب الله ومن سخطه الحذار الحذار
« المهدى »

إمض قيس إمض جئت تطلب نارا
أم ترى جئت أشعل البيت نارا ؟
« يخرج قيس »

سـتـار

الفصل الثاني

« طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب ، على مقربة من حى بني عامر حيث »
« تبدو مضارب هذا الحى على مدى البصر وعلى سفح جبل التوباد – قيس وزباد »
« جلوس الى جذع نخلة ، يستشرقان شبحا يسير نحوهما »

« قيس »

زيادُ ، ما تلك ؟ من الجؤنرية ؟ أتلك (بلهاء) ؟

« زياد »

أجل قيس هيّة

« تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة »

« قيس »

بلهاء كيف الحى ؟ كيف أمّيه ؟

« بلهاء – وهى تضع القصعة »

تسأل عنك كما سألت

« تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه »

« زياد »

بِاللهِ قَيْسٌ إِلَّا أَكَلْتُ

« يشق ميل قيس عن الطعام »

« بلهاء هامة لزياد »

زِيَادُ مَا ذَاقَ قَيْسٌ وَلَا هَمًّا

« زياد »

طَبَخُ يَدِ الْأُمِّ يَا قَيْسُ ذُقْ مِمَّا

الْأُمُّ يَا قَيْسُ لَا تَطْبُخُ السَّمَاءَ

« ينزع عن القصيدة غطاءها »

تَعَالِ تَأْمَلْ قَيْسُ ، تِلْكَ ذَبِيحَةٌ

« قيس »

عَسَى الْيَوْمَ نُحْرُ

« زياد »

أَيْنَ نَحْنُ مِنَ الْأَضْحَى ؟

« قيس »

أَرَى صُنْعَ أُمِّي يَا زِيَادُ ، فَدَيْتُهَا بروحى وإن حملتها الهم والبرحاً
ستخبرنا البلهاء

« زياد »

بِلَهَاءِ يَتْنِي وَلَا تَكْتُمِي عَنَّا الْحَدِيثَ وَلَا الشَّرْحَا

« بلهاء »

لَقَدْ مَرَّ عَرَّافُ الْيَمَامَةِ بِالْحِمَى فَمَا رَاعِنَا إِلَّا زِيَارَتُهُ صُبْحَا

طوى الحى حتى جاء عن قيس سائلا وأظهر ماشاء المودة والنصحا
 ولاحت له شاة جثوم بموضع تخيلها ظلا من الليل أو جنحا
 فقال اذبحوا هاتيك فالخير عندها فقام اليها يافع يحسن الذبحا
 فقال انزعوا من جثة الشاة قلبها فلم نال قلب الشاة نزعاً ولا طرحا
 فلما شويها رقى بعزائم عليها وألقى في جوانبها الملحا
 وقال اطلبوا قيساً فهذا دواءه كأنى به لما تناوله صحّا

« زياد »

تعلل قيس بالشاة عساها تذهب الحبا
 فما العراف بالمجهول لا علماً ولا طباً
 ولم تعلم عليه البيد تدجيلاً ولا كيداً
 طبيب جرب اليابس في الصحراء والرطبا
 فذق قيس ولا ترتب بما قال وما نبأ
 وتلك الأم يا قيس أطعها تطع الربا

« قيس »

زياد اسمع وكن عونى وخلّ اللوم والعنتبا
 إذا ما لم يكن بُدّ فإنى آكل القلب

« زياد »

قيسُ يبنى القلبَ يابلسها أين القلبُ أيننا ؟

« بلهاء »

هو عندي ويسيرُ ما اشتهى قيسٌ علينا
هو في الشاة

« زياد »

هلمّي أخرجي القلبَ إلينا

« بلهاء »

القلبُ ! أين القلبُ ؟ أين يا ترى وضعتُه ؟
يا ويحَ لي ! نسيتُ أني بيدي نزعته !

« قيس »

وشاةٍ بلا قلبٍ يداوونني بها
وكيف يداوي القلبَ من لاله قلب !

« تسير بلهاء الى الحى ويظهر صفار من ناحية الحى يلهون في طائفتين وإذا تقم
« أبصارهم على قيس وزياد تتغنى كل طائفة بغناء »

« الطائفة الأولى »

قيسُ عُصفورَ البوادي وهزارَ الرّبّواتِ
طرتَ من وادٍ لُوادي وغمرتَ الفلواتِ
إيه يا شاعرَ نجدٍ ونجىّ الطّبيّاتِ
أضمرَ الحبَّ وأبدٍ لأعفَ الفتّياتِ

« الطائفة الثانية »

قيسُ كَشَفَتَ العذارى وانتهكتَ الحرّماتِ
ودمغَتَ الحى عارا في السنين الغابراتِ

قد ذكرت الغيلَ دعوى واصطنعت الحلوات
صليت ليلي ببلوى منك دون الفتيات !
« يلقط قيس بضع حصوات من الأرض ويهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد »
« فينثر الحصى من يده ، بينما يظهر من جانب الطريق الآخر ابن عوف وكأنه نصيب »
« قيس : مناجيا نفسه »

قيسُ لا ! سامح صغارا لا يحشون الخطيئة
إنهم فيما أتوه ببغاوات بريئة
لقنوها كلمات نزهات أو بذئته

« زياد : وهو يصرف الصغار »

إذهبوا عودوا الى آبائكم واذكروا قيسا بخير يا خبث
إذهبوا أوحوا الى أترابكم وليبلغ حدثا منكم حدث
سيطر الحب على دنياكم كل شيء ما خلا الحب عبث

« يجرى الصغار أمام زياد مضطربين ثم يختفون عن الأنظار ، بينما يستلقى قيس »
« على الأرض في شبه إغماء »

« ابن عوف : الى نصيب وزياد يطارد الصغار »

انظر نصيب ضجة وصبية ورجل يرمى الصغار بالحصى
« نصيب »

أرى أميري نشأ تعلقوا بابن سبيل متعب واهى القوى

« ابن عوف »

بل امضِ سَلْهُ

« نصيب : معترضا زياد »

من الفتى ؟

« زياد : لنفسه وقد رأى ابن عوف »

ماذا أرى ؟ هذا أميرُ الصَّدَقَاتِ ههنا

« ثم يرد على نصيب »

قيسُ إمامُ العاشقين

« ابن عوف »

أَيُّهُمْ فُهِمَ كَثِيرٌ ، كُلُّ فَيْسٍ بِهِوًى

« زياد »

أَجَلٌ وَلَكِنَّ الَّذِي تُبْصِرُهُ أَرْفَعُهُمْ ذِكْرًا وَأَعْلَاهُمْ سَنَى

« ابن عوف »

لعله قيسُ الذي نَعْرِفُهُ لَقَدْ رَوَيْتَ شَعْرَهُ فِيمَنْ رَوَى
فَأَيْنَ ظَلُّهُ زِيَادُ ؟

« زياد »

أنا إذا أنا الذي يتبعُهُ حيثُ مشى

« ابن عوف »

أنت الذي تهدي لكلِّ قريةٍ مُجَاجَةً النحلِ ونفحةَ الرُّبَا
ما بالهُ يَطَأُ الترابَ حافيا وَيَقْطَعُ البِيدَ مُمَرِّقَ الرُّدَا
خُذْ يَا نَصِيبُ بُرْدَتِي فَنُطِّهْ لَا يُلْحِقْنَهُ مِنَ الْعُرَى أذى

« زياد »

إحفظ عليك البرد يا أميرُ لا فقرَ اليه بآبن سيد الحمى

إن لقيس من ثياب الوشي ما يفنى به العمر وما يُعي البلى

« ابن عوف : مناجيا نفسه »

يا ويح قلبي ما خلا من قسوةٍ ما باله رَقَّ لقيس ورثي

« يقبل على قيس »

قيسُ بُنيّ

« زياد »

هسو في إغماءة من وجده وما أظنه صحا

« يسمع صوت حاد من ناحية نجد ، ويتعالى الصوت قليلا قليلا حتى يظهر الحادي »

« ومن ورائه قافلة تسير الى المدينة ثم يذوب الصوت قليلا قليلا حتى ينقطع »

« أنشودة الحادي »

يا بُحِ سُدْ خُذْ بِالزَّمامِ ورحِّبِ

سرٌّ في ركاب الغمامِ ليثربِ

هَذَا الْحُسَيْنُ الْإمامُ ابنُ النِّبي

النَّسورُ في البيد زَادُ حتَّى غَمَرُ

أُحْدُ الْحِيا في الوهادِ أُحْدُ الْقمر

أُحْدُ جَمالِ البَوادِ زينَ الحَضَر

ابن النبي

« ابن عوف »

سمعتمو ؟ يا لك من رنة حادٍ مُطربِ

« زياد »

يا ليت شعري ما الركا ب من لواء الموكب

« نصيب »

قد بين الحادي قفل أصم أنت أم غبي ؟
 هذا منار العرب هذا الحسين ابن النبي
 هذا الزكي ابن الزكي الطيب ابن الطيب
 عارضنا الحسين في طريقه ليثرب
 هذا سنا جبينه مل الوهاد والرثبي
 قد جل حاديه جلا ل القاري المطرب

« ابن عوف هامسا الى نصيب »

نصيبه لا تسكن بنا مسالك التهم
 ولا تظاهر بالمسوى لوارث البيت العلم
 إحدز جواسيس ابن هند وعيون ابن الحكم
 نحن رجال دولة قوامه على الأمم
 ليس بعينها عمى ولا بأذننها صمم
 تسمع في ظل القصور همس رعايات الغنم

« الى زياد مشيرا الى قيس »

زياد انظر فما انفق صريح الوجد والذكرى
 كما مر بنا الركب الحسيني به مرّا

فلم یَشْغَلْ له بالاً ولم یوقظْ له فکراً

« زیاد »

رویدنا سیدی مهلاً ولا تستغرب الأمراً
لقد سقناه بالأمس فحجَّ الکعبةَ الفراً
فلما لمس الرکنَ ومسَّتْ یَدُهُ السَّترا
وقلنا الآنَ من لیلی ومن فتنَّها یرا
سمعناه ینادی الله من ساحتہ الکبری

« ابن عوف »

وماذا قال ؟

« زیاد »

ما تابَ من العشق ولا استبرا
ولکن قال یاربُ ملکْتَ الخیرَ والشرَّ
فها تِ النَّصْرُ إن کان هوی لیلی هو الضرا
وإن کان هو السحرَ فلا تُبطلْ لها سحراً
ویاربُ هَبْ السلوی لغيری وهب الصبرا
وهبْ لی مَوْتَةً الْمُضْنَى بها لا مِیثَةً أُخْرَى

« یقبل علی قیس ویمیل علیه بمحنان »

جنانیک قیسُ إلامَ الذهول ؟ أفقُ ساعةً من غواشی الخَبَلِ
صلیلُ البسفالِ ورَجْعُ الحُداءِ وضجَّةُ رَکبٍ وراءَ الجَبَلِ
وحدی یسوق رِکابَ الحَسَنِ یهزُّ الجبالَ إذا ما ارتجلُ

فلم يبقَ ما شِ ولا راكِبٌ على نَجْدٍ الا دعا وابتهلُ
 فقمْ قيسُ واضرعْ مع الضارعين وأنزلْ بِجَدِّ الحسينِ الأملُ
 « بسمع صوت حاد آخر قادمًا الى نجد من ناحية يرب ، على رأس فافلة أخرى »
 « وتمر هذه القافلة كما مرت الأولى »

« أنشودة الحادى »

هلا هلا هيأ * إطوى الفلا طيًّا * وقربى الحيا * للنازح الصَّبَّ
 جلاجل في البيد * شجية التريد * كرنة الغريد * فى الفن الرطب
 أناح أم غنى * أم للحمى حنا * جليجل رنا * فى شُعب القلب
 هلا هلا سبرى * وامضى بتيسير * طبرى بناطبرى * للماء والعشب
 طبرى اسبقى الليلا * وأدركى الغيلا * العهد من ليلي * ومنزل الحب
 بالله يا حادى * فتش بتوباد * فالقلب فى الوادى * والعقل فى الشعب
 يا قرا يبدو * مطلعهُ نجد * قد صنع الوجد * ما شاء بالركب
 « يفى قيس ثم يثلف مصفيا الى الحداء »

« قيس »

ليلي ! مناد دعا ليلي فحف له نشوان فى جنبات الصدر عريذ
 ليلي ! انظروا البيد هل مادت بأهلها
 وهـل ترنم فى الزمار داودُ

ليلي ! نداه بليلى رن فى أذنى سحر لعمري له فى السمع ترديدُ
 ليلي تردد فى سمعى وفى خلدى كما تردد فى الأيك الأغاريدُ
 هل المنادون أهلوها وإخوتها أم المنادون عشاق معاميدُ

إن يشرَ كوني في ليلي فلا رجعتُ جبالُ نجدٍ لهم صوتا ولا اليدُ
أغيرَ ليلاي نادوا أم بها هتفوا فداء ليلي الليالي الخردُ الغيدُ
إذا سمعت اسم ليلي ثبت من خبلي وثاب ما صرعت مني العنايدُ
كسا النداء اسمها حسنا وحببه حتى كأن اسمها البشري أو العيد
ليلي ! لعل مجنون يُخيّل لي ؟ لالحي نادوا على ليلي ولا نودوا

« ابن عوف »

لا تكتب وتعال يا قيسُ استرح
مما تكابد في الهوى وتلاقى
« قيس »

هل أنت آسٍ يا أميرُ جراحتي
أم أنت من سحر الصباة راقٍ ؟
« ابن عوف »

بل من رؤاتك قيسُ من زمن مضى
لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق
« قيس »

قل للخليفة يا ابنَ عوفٍ في غدٍ منذ أباح له دمَ العشاق ؟
هدرت حكومتُهُ دمي فتحرّشتُ بدمٍ على سيف الجفون مُراق
« ابن عوف »

أرضيتني عند الخليفة شافعا ؟ يا قيس
« قيس : في أنفة »

لا والواحد الخلاق

بل عند ليلى فامض فاشفع لي لدى
 ليلى وناشيد قلبها أشواقى
 جئها فذكرها العهد وحفظها
 واذكر لها عهدى وصف ميثاقى
 ليلى إذا هي أقبلت حقنت دمي
 كرما وفكت يا أمير وثاقى
 « ابن عوف »

الآن قيس اذهب فبدل حلة
 وتردد غير ثيابك الأخلاق
 فالصبح تدخل حى ليلى قيس فى
 ركبى وبين بطائى ورفاقى
 « قيس : الى زياد »

أسمعت ما قال الأمير؟ زياد، طر
 نحو الحمى بجناحى المشتاق
 اذهب وسل أمى أعز ملاسى
 من كل شامى وكل عراقى
 واذكر لها فضل الأمير، ولم تزل
 نعم الأمير قلائد الأعناق

« يسير زياد نحو الحى بينما يتمسح قيس بابن عوف كالطفل »
 سكر الصنعك بأمرٍ ودمت مقصود الرحاب
 عجل أمير

« ابن عوف ضاحكا »

بل انتظر أسيت يا قيس الثياب ؟

« قيس »

من مبلغ أمى الحزينة أن عفى اليوم ثاب ؟
 ومن البشير البك ياليلى بقیس فی الركاب ؟
 اليوم أهلا بالحياة ومرحبا بك يا شباب !

ستار

الفصل الثالث

« قطعة من الصحراء تندو في يسارها طائفة من مضارب بني عامر ممتدة الى ما وراء »
 « اليسار على سفح جبل التوباد - خباء مضروب الى يمين هذه الطائفة من المضارب »
 « كأنه نهاية خيام الحمى - على اليمين أشجار بان يقف في ظلها ابن عوف »
 « وحاشيته وقيس وزباد »

« ابن عوف »

تراءى الحمى للركب وأشرتنا على الشعب
 أفق قيس أما في رؤ به الخيمات ما بصي
 ألا تهتف بالشكوى الى لي --- لي وبالغضب

« قيس »

ديار الحمى من لبلى سسلام من شج صب
 على الحمى على الدار على لبلى على الحب
 عدا الركب على طيب كريح المندل الرطب
 فيا لبلى عسى اليوم أبل الشوق بالقرب
 عسى الخطبة لا تنزل في ناديك كالخطب

عساهم لا يقولون فتي مشتركُ اللب
ولا يذهبُ إحساني ولا يبقى سوى ذنبي
يقولون بها غنيّ لقد غنيتُ من كربى
سلى تُربك كم مرّغت خديّ على التُّرب
وكم جُدتُ على الرمل ولم أبحلْ على العشب
بدمعٍ مثل دمعِ الثُّكلِ مفروغٍ من القلب
« يتطلع ابن عوف الى ناحية الحى »

« ابن عوف »

قيسُ انتبه قيس

« قيس »

مَنْ المنادى ؟

« ابن عوف »

الحىُّ فى السلاح سدَّ الوادى
وأنت قيسُ بعد حينٍ غاد على خصومٍ لُدِّدٍ شِداد
فالتقَ الرجالَ صاحىَ الفؤاد لا تلقهم مُضِيعَ الرشاد

« قيس : متطلعا كذلك »

أُبَصِّرُ يا ابنَ عوفٍ حىَّ ليلي
فما لى لا أُحَقِّقُ غيرَ ليلي
لقد ألقى هوى ليلي حجابا
وبغضتِ النصيحَ إلى ليلي
تدجّج فى السلاح ولا تراها ؟
وإن كثر السوادُ لدى حماها
على عيني فلست أرى سواها
وسددت مسامعى عنه هواها

« يسمع من بعيد ومن ناحية الحى لب وقعقة »
« سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئا فشيئا »

أرى حى ليلى فى السلاح ولا أرى سلاحا كهجر العامرية ماضيا
دمى اليوم مهدور ليلى وأهلها فداء ليلى مهدرات دمايا
لى الله! ماذا منك باليل طاف بى وما ذلك الساقى وما ذا سقانيا؟
دعونى وما عندى ليلى أقوله ليلى وأستنشى الذى عندها ليا
أهيم فاستعدى نهارى على الجوى وأقبع ليلى أستجير القوافيا
(فما أشرف الأيفاع الاصابة) ولا أنشد الأشعار الا تداويا)
إذا الناس شطر البيت ولو وجوههم تلمست ركنى بيتها فى صلاتيا
(أصلى فما أدرى إذا ما ذكرتها) أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا)
توارت وراء البجع ليلى فخانها فم كابنسام الصبح يأبى التواريا
وطيب به خضت حوى الطيب كله فسهبه الأفايحى أو فهبه الفواغيا
فأحسست من فرعى لساقى هزة كأن عيانا منك لاقى عيانيا
دعونا وما يبقى إذا ما فنيتمو فوالله ما شئ خلا الحب باقيا
مشى الحب فى ليلى وفى من الصبا ودب الهوى فى شاء ليلى وشائيا
وإنى ولىلى للأواخر فى غد لشغل كما كنا شغلنا الأواليا

« يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترخى فينلقاه »
« زياد - تسمع أصوات الحى من قريب »

« ابن عوف »

زياد أدركه أدرك إنى أرى الداء عادة
لقد تضاءل قيس واصفر مثل الجراده !

وليس قيسٌ بملقٍ إلا إليك قياده
الآن أسعى لقيسٍ سعياً أخافُ فساده
فلِ بنا وبقيسٍ حتى يصيبَ رشاده

« يحملون قيساً ويختفون به وراء شجر »

« البان ، وتظهر طلائع الحمى من اليسار وعلى »

« رأسها المهدى ومازل ، وكلهم شاكي السلاح »

« المهدى »

يا قومُ إن البغىَ شرُّ مركبةٍ والخيرُ في جانبٍ من يُجنبه
هذا ابنُ عوفٍ قد أطلَّ موكبه وإن قيساً في الرّكابِ يصحبُه
جاء يرومُ صهرَكم ويخطبُه وقد علمتمُ كيف ساءَ مذهبه
وكيف طال بابتى تشبُّه

« صوت »

كلُّه الى سيوفنا تؤدُّبه لقد وجدناه وكنا نرقبه

« المهدى »

لا ، دمُ قيسٍ دمنّا لا تقربُه يكفيه منا أننا نخيبُه
ونصرفُ الأميرَ عما يطلبُه

« صوت آخر »

شيخَ الحمى لا تضعُفٍ ولا ترددُ وقف
دُد عن عقيلة الحمى وامنعُ حياضَ الشرفِ
لا تصغِرْ للشافعِ في قيسٍ ولا المستعطِفِ
ليس ابنُ عوفٍ في الذی سعى له بالمنصفِ

أيا لأمسير بعد ما أجار قيسا تحتفى؟
 لا تخش بأسسه ومن رجاله لا تخف
 نحن كعثمان وليلى بيننا كالصحف
 « يظهر ابن عوف وحاشيته من »
 « وراء الشجر ومعهم زياد »
 « ابن عوف »

عم أبا ليلى صباحاً
 « المهدى »
 عم صباحاً يا ابن عوف
 « ابن عوف »

قل لهم يلقوا السلاحاً ليس ذا موطن خوف
 « صوت من الحى »

يا ابن عوف يا أمير ليس ذا شأنا الولاة
 كيف تحمى وتجير مستبيح الحرمات؟
 « ابن عوف »

عامر يا أجود البطاح وأسمح الناس بطون راح
 مالى وللسيوف والرماح؟ ضيف أنا وما من السمارح
 ركد وجه الضيف بالسلاح ماجئتكم يا قوم للكفاح
 بل جئت للتوفيق والإصلاح

« تحدث ضجة في جانب الحى وتصايح وتهامس »
 « ثم يلقى كثير منهم السلاح ويغمد السيوف »

« صوت من الحى »

يا أبا ليلي بليلى جدُّ لقيسٍ بالحياةِ
إنه شاعرٌ نجدٍ ونَجِيُّ الظَّيَافِ
« صوت آخر »

قيسٌ أخٌ وابنُ عمٍّ وليس أهلاً لدمٍّ
نجمٌ أضواءُ بنجدٍ سما على كل نجم
هبوه جنُّ بليلى ليس الغرامُ مجرم

« منازل : حيث يستقبل الجمعُ خطيباً »

إن قيساً معشر الحى أخٌ وابنُ عمٍّ أفننه تبراون ؟
« أصوات »

لا وربَّ البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنٌ ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
إن قيساً شاعرٌ البید الذى لا يُجارى أفاتم منكرون ؟
« أصوات »

لا وربَّ البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنٌ ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
إن قيساً سيِّدٌ من عامرٍ وابنُ سادات ، أفیه تمترن ؟

« أصوات »

لا ورب البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنٌ ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
 إن قيساً قد بنى المجدَ لكم ولنجدِ أقيسٍ تكفرون ؟
 « أصوات »

لا ورب البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنٌ ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
 إن قيساً كاملٌ فى عقله أو آتسم على قيس الجنون ؟
 « أصوات »

لا ورب البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنٌ ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
 أنا لم أعدِ بقيس شاعرا لا ولا أنتم بقيس تعدلون
 « أصوات »

لا ورب البيت

« منازل »

أصغوا لى إذنٌ ثم ظنوا كيف شتم بي الظنون
 أنا فى ودى وإعجابى به لا يدانينى الرواة المعجبون
 شعره يبنى ويفنى غيره ليس كل الشعر ترويه القرون
 شعر قيس عبقرى خالدٌ ليه لم يتخلله المجون

ولو انت المتجسني شاعرٌ غيرُ قيسٍ أوشك الخطب يهون
 رَبِّ شِعْرٍ فال في ليلي ، به هتف البدو وضجَّ الحاضرون
 إنني أخشى عليكم عارَه رَبِّ عارٍ لبس تمحوه السنون
 ضجرت ليلي وضجت أمها وأبوها وتأذى الأقربون
 وغدا كلُّ فتى من عاميرٍ حين يلتقي الناس ، محنيّ الجبين

« أصوات كثيرة »

هو ماقلت

« منازل »

إذن ما بالكم لم تشوروا ، مالكم لا تغضبون ؟
 هو ذا قيسٌ مع الوالى آتى يطأ الحى وأتم تنظرون
 وأبو ليلي امرؤٌ أدري له رِقَّةَ القلب وأخشى أن يلين
 بعدَ حينٍ يعبثُ القومُ بكم ومن الحى بليلى يخرجون
 آت يا قومُ لكم أن تعلموا أن قيساً هتك الخدر المصون
 قيسُ لم يترك ليلي حُرمةً ما الذى أتم بقيس فاعلون ؟

« صوت »

ما جنُّ لابد من تأديبه

« صوت آخر »

إن بالسَّوطِ يُرَبَّى الماجنون

« صوت »

نأخذُ الحيَّ عليه

« آخر »

ولنقفْ دون ليلي وحماها كالحصون

« منازل »

حلَّ السلطان بالأمس لكم دمَّ قيسٍ ما الذي تنتظرون ؟

« صوت »

حلَّ السلطان بالأمس لنا دمه

« أصوات أخرى »

إنا بقيسٍ فاتكون

« ضجيج واندفاع »

« صوت »

مُنَازِ يا ابنَ العمِّ ما هذا الخبرُ ؟ رفعتَ قيساً فجعلته القمرُ
والآنَ أغريتَ بقتله الزُّمرُ كفعل جزار اليهود بالبقر
برأها من العيوب وعقرَ !

« يصعد بشر منبرا للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس »

« قائل »

إرجعوا يا قومُ هذا منبرُ

وخطيب

« يسأل أحدهم »

ليت شعري من يكون ؟

« آخر »

أو أعمى أنت هذا بشر

« آخر »

هل يحسن الخطبة بشر ويبين

« يحاول منازل أن ينسل من الجماهير »

« بشر »

قف منازل اسمع سمعت الرعد من جانبي صاعقة فيها المنون
وسمعت الذئب في جوف الفلا وسمعت الليث في جوف العرين
أخطيب أنت أم خطب وإن لم تهن والخطب أحيانا يهون

« منازل صامحا »

بشر . . .

« بشر »

قف، !

« منازل »

مالك يا بشر ولى ؟

إن حرب الأهل والصحب جنون

« بشر »

لم إذن حاربت قيساً لم تصن ؟

حرمة ابن العم أوحق الخدين ؟

« منازل »

قلتُ بشرُ الحق

« بشر »

خلّ الحق ما

أنت والله على الحق أمين
 إنما أنت لقيسٍ حاسدٌ منطوى الصدر على الحقد الممين
 كلما حدثت عنه عامراً قرأت في وجهك الداء الدفين
 ترسلُ الزفرة تتلو أختها وتفسُ الصدر من حين لحين
 يا منازٍ يا بن عمي أصغ لي أنت دون أنت دون أنت دون !

« منازل »

دعوني

« بشر من المنبر »

دعوني فلا بد لي

« رجل »

أنا تـك

« بشر »

لا بد أن أقتله

« منازل »

دعوني

« بصر »

دعوني

« رجل »

دعوه اتركوه

« آخر »

ومن كتف النذل أو كبته :

« منازل »

دعوني

« رجل »

دعوه

« آخر »

كلا البطلين

يقولُ الوعيدَ ولن يفعله

« بصر »

دعوني

« رجل »

تَقَدَّمَ

« منازل »

دعوني

« رجل »

انطلق

« بشر »

دعوني

جئته

« رجل »

« منازل »

دعوني

« رجل »

امش له

« آخر »

تَنَحَّوْا وَخَلُّوا سَبِيلَهَا وَلَا تَخْشَوْا الْوَقْعَةَ الْمَقْبَلَةَ

« بشر »

مَنَازِلُ فِي عَقْلِهِ كَامِلٌ

« منازل »

وعقلك يا بشرُ ما أَكْمَلُ

بشر

أَنْزَوْا عَلَى الْحَيِّ نَزْوَ الدِّيُوكِ وَتَقَفَزُوا كَالْأَكْبَاشِ الْمُرْسَلَةِ
وَتَقَلَّقُوا رَأْسِي كَرُمَانَةٍ وَأَفْلَقُوا رَأْسَكَ كَالْحَنْظَلَةِ
فَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْعَوِيلُ وَمَاذَا اتْتَفَاعَى بِالْوَلُولَةِ ؟

« زياد »

منازلُ كنت كثير الكلام . ووالله ماقلت الا الكذبُ

« صوت »

أترعمه كاذباً يا زيادُ . وقد زاد عن حُرَمات العرب؟

« زياد »

رويدك لا تنخدع يا فتى ولا تأخذ الأمرَ دونَ السببِ
 فلم ينبغِ الا خداعَ الجموع وجلبَ الظنونَ وخلقَ الرِّيبِ
 وأثرَ فيكم وفي آخرين وأفرغَ فيكم سُومَ الرُّقْبِ

« صوت »

منازلُ دافعَ عن سُنَّةٍ مُعَظَمَةٍ من قديم الحقب

« زياد »

تأمل منازلُ سُخْطِ الجموع وجهلك ماذا عليهم جلبُ !
 أجل قد غضبتَ ولكما لنفسك ليس ليلي الغضب
 تحضُّ على قتل قيسَ الرجال لتحظى بليلى إذا مذهب

« أصوات »

يُرِيدُ ليحظى بليلى ؟

« زياد »

نعم !

« صوت »

تَكَلَّمْ

« صوت آخر »

أَيْنَ

« ثالث »

إن هذا عجب !

« زياد »

سلوه ألم يكُ يَغشَى النَّدَى وَيطلبُ ليلي أشدَّ الطلب ؟

« صوت يخاطب المهدي »

إذن كان يخطبُ ليلي ؟

« المهدي »

نعم !

« صوت »

إذن قد تجنّ

« صوت آخر »

إذن قد كذب !

« زياد »

منازلُ قل لهمو كم ضرعت ليلي وكم أعرضت لم تُحبّ

« صوت »

منازلُ اخدعْ وغشّ غيري

« آخر »

قد جازَ الا على كذبك !

« ثالث »

ما أنتَ إلا جَوِّ شقيُّ تحبُّ ليلي ولا تُحبُّك !

« تحدث ضجة حول منازل ويقف ثلاثة رجال »

« في ركن قصي من أركان المسرح يتحدثون »

« الأول »

قد اختلف الحى فى أمر قيس
وليلى فكل له مذهب
وانت الى اى رأى تميل
واى الفريقين تستصوب

« الثانى »

إذا صدقت نظرتى فى الأمور ولى نظرة قلما تكذب
منازل غادر على خيبة وقيس على فضله أخيب
وقد يُحققان ويلقى النجاح غريب له فيكمو مأرب

« الأول »

غريب ؟

« الثانى »

أجل من نواحي ثقيف

« الأول » .

ومن ذاك ؟

« الثانى »

ورد

« الأول »

وما يطلب ؟

« الثالث »

رأيناه فى الحى يمشى الحياء وقيل أتى عامرا يخطب

« الأول »

وليلي ابنةُ الشيخَ مارأيها أما من حسابٍ لها يُحسبُ ؟

« الثاني »

أراها وإن لم تخطَّ الشبابَ عجزاً على الرأي لا تغلبُ
تصونُ القديمَ وترعى الرميمَ وتعطى التقاليدَ ما توجبُ
وبالجـاهليةِ إعجابُها إذا قل بالسلف المعجبُ
ومن سُنَّةِ البيد تقضُ الأكفُ من العاشقين إذا شبيبوا
فلا تعجبوا إن جرى حادثُ يحدث عنه ويستغربُ
وإن رضيتُ وردَ بعلاها وقيسُ الأحبُّ لها الأقربُ
فينا طالما التمت مهربا وأرضُ ثقيفٍ هي المهربُ

« منازل »

بنى عامرٍ لا تُضيعوا الحُلومَ فإن الأناةَ بكم أجملُ
هبوا لى آذانكم إننى أجدُّ وصاحبكم يهزلُ
خطبتُ وأخطبُ ليلي غدا وما لى يا قومُ لا أفلُ
وقد تُعرضُ اليومَ ليلي فلا أضيقُ، عسى فى غدٍ تُقبلُ
فما قيسُ أجدرُ منى بها ولا هو خيرٌ ولا أفضلُ

« زياد »

إليك منازلُ ! لا تنزِنُ بقيسٍ قد اختلف المنزلُ !
ولا يستوى الشاعرُ العبقرىُّ ومن هو من باقلٍ أبقلُ

« منازل »

وما أنت ؟ بیننا یزید

« یزید — ممسکا بذراع منازل »

ستعلم منی ما تجهل
هلم مناز، هلم الصراع ! وودع ضلوعك وانع الذراع

« منازل »

خل یزید خل عن ذراعی

« یزید »

سألت ما أنت ؟ فأصغر ، راع
إنی أنا ممزق الأضلاع !

« ثم یجره من ذراعه ویمضی به الی خارج المسرح »

« صوت »

ما ذا یكون یا ترى ؟

« آخر »

هیوا نری هیوا نری

« آخر وهم یتدافعون »

یزید غیر هازل

« آخر »

نوحوا علی منازل

« آخر »

حماسة وبازي !

« آخر »

هلكت يامنار !

« آخر من بعيد »

إهرب من البراز

« يخلو المسرح الآن إلا من المهدي وابن عوف »
 « ونصيب ثم كسمع صرخة من وراء الشجر »

« مهدي »

ما بقيس يابن عوف ؟

« ابن عوف »

إنه مغنى عليه

« مهدي »

قيس لا بأس عليك كبروا في أذنيه

« صوت من وراء الشجر »

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

« ابن عوف لنفسه »

سئى كبروا ما أذن قيس مفيقة وإن سكبوا فيها أذان بلال

ولكن على ليلي يفيق وشبهها إذا ما بدت ليلي بشكل غزال

ويصحو على ليلي إذا رد اسمها وراء بيوت أو وراء رجال

« المهدي »

دم الود والقربى وإن كان ظالما عزيز علينا أن نراه يسيل

وإني لإنسانٌ وإني لوالدٌ ولي مذهبٌ في والدين جميل
فرقا بقيس يا أميرٌ ونحّه بعيدا لعل الشرّ عنه يزول

« ابن عوف »

أناةً أبا ليلي وحلما ولا يكن عليك لطفيان الظنون سبيل
رددتم ركابي واتهمتم زيارتي وأجلبَ فتیانٌ وضجّ كهول
تأملُ تجدّ جمعا مغيظا وكثرة تصولُ وما تدرى علامَ تصول !
رءوسٌ تتزّى الشرف فيها وراءها نفوسٌ ذئابٌ مالهن عقول
تطلبُ أن يلقى إليها بحجة على غير جوع أو يساق قتيل
نواظرُ ما يأتى به اليوم من دم وإن لم يساورها صدّي وغليل
نزلتُ فلم أكرمُ فهل أنت متبعي وقومك نارَ الطرد حين أميل ؟
أبيتُم على القول قبل استماعه فلم تُنصفوا والمنصفون قليل
فهل لي أبا ليلي بناديك وقفة فإن الذي قد جئت فيه جليل
وما أنا مرء السوء أورجل الأذى ولكن سفيرٌ خيرٌ ورسول
ولم آتخذُ جاهَ الأمور ذريعة ألا إنما جاهُ الأمور يزول

« الهدى »

بقيتم بخير يا ولاة أمية ولا زال يقوى ركنكم ويطول

« مشيرا الى باب الخباء »

هنا مجلسٌ نأوى اليه لعلني أقولُ صوابا أو عساك تقول
وتمّ ترى ليلي وتسمع قولها وليلى لها رأىٌ يساق جميل

فسلها عسى أن نهتدى ماجوابها إباء وردّ أورشى وقبول

« بهم ابن عوف بخلع نعليه »

« المهدي »

أتحلّع نعليك لا يا ابن عوف نَشَدْتُكَ بالله لا تفعل
أتمشى الى منزلى حافيا فديتُك، من أنا؟ ما منزلي؟

« ابن عوف »

خلعتُهما وانتعلتُ الترابَ الى خيَمة السيّد المفضل

« نصيب : مت دخلا »

دعه يا مهديُّ يفعل إنما يرمي لمعنى
كالْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ هو بالعشاقِ يُعْنَى
الحسينُ انتعل الترابَ الى والدِ لُبْنَى
فراه حافيا في ساحة الدار فجئنا
قال لا أملك يا بن المصطفى بنتا ولا ابنا
أنت في الدار أميرُ فما شئتَ فُسرنا

« لنفسه »

يادهر دُرُ بما تشا ويا حوادثُ اهزلي ا
ويا وظيفةُ اعزبي ويا جرايةُ ارحلي
يبغى ابنُ عوفٍ أن يكو نَ كالحسينِ بنِ علي !

« يدخلان وينادي المهدي : »

هو الضيفُ ياليلَ هاتِ الرطبُ وهاتِ الشواءَ وهاتِ الحلبُ

وهاًتى من الشهد ما يُشْتَهَى ومن سَمَنَةِ الحى ما يُطَلَّبُ
فما هو ضيفٌ ككلِّ الضيو ف ولكن أميرٌ كريمُ الحسبِ
« ليلي من وراء حجاب »

أبى ألفَ لبيك !

« ابن عوف »

لا بل قفى فما بى ظمأه ولا بى سغبِ
وأعلمُ أن القرى دينُكم وأن أبالك جوادُ العربِ
ولكن طعمائى

« المهدى »

ماذا ؟ اقترحْ

« ابن عوف »

طعامُ الرسول بلوغُ الأربِ

« المهدى »

إذن قفى ليلي اقربى

« تظهر ليلي من وراء الستر »

تقدمى ورحبى

حلّ ابنُ عوفٍ دارنا

« ليلي »

أكرمُ به وأحبُّ
قد زارنا الغيثُ فأهلاً بالغمام الصَّيبِ

« ابن عوف »

أهلاً بليلى بالجمال بالحجى بالأدب
عشت وقيساً فلقد نوهتما بالعرب

« ليلي - بين المحل والنضب »

أقرن قيساً بنا يا أمير؟

« ابن عوف »

ولم لا وقد جئت من أجله
ومن أنا حتى أضم القلوب
وأعطت شكلاً على شكله
لقد جمع الحب رُوحكما
وما زال يجمع في حبله

« ليلي : في استحياء »

أجل يا أمير عرفت الهوى

« ابن عوف »

فهل عطف على أهله ؟

« يلتفت الى المهدى »

أبا العامرية قلب الفتاة
يقول وينطق عن بُله
فأصغ له وترقق به
ولا يسع ظلمك في قتله

« المهدى »

أظلم ليلي؟ معاذ الخنا! متى جارشينخ على طفله ؟
هو الحكم ياليل ما تحمين خذى في الخطاب وفي فصله

« ليلي »

أقيساً تريد ؟

« ابن عوف »

نعم

« ليلي »

مَنَى القلب أومنتهَى شُغله	إنه
وتمشى الظنوبُ على سِدْله	ولكن أترضى حجابي يذالُ
وينظرُ في الأرض من ذلّه	ويمشى أبى فيَغضُّ الجبينَ
ويقتلني الغمُّ من أجله	يدارى لأجلي فضولَ الشيوخ
حماقة قيسٍ ومن جهله	يمينا لقيتُ الأمرينِ من
وفي حَزْنٍ نجِدٍ وفي سهله	فُضحتُ به في شِعابِ الحجازِ
	فخذُ قيسُ ياسيدي في حماك

« في جِاء وإِباء »

وألقِ الأمانَ على رَحْلِهِ
ولا يَفْتَكِرْ ساعةً بالزواجِ
ولو كان مَرَّوانُ من رُسْلِهِ

« ابن عوف »

إذن لن تقبلي قيساً ولن ترَضِي به بعلا
إذن أخفق مسعاً وخاب القصدُ ياليلي

« ليلي »

على أنك مشكورٌ ولا أنسى لك الفضلا

وأوصيك بقيسَ الخيرَ لا زلتَ له أهلاً
لقد يُعَوِّزُهُ حَامٍ فَكُنْهُ أَيُّهَا الْمَوْلَى

« تلتفت الى أيها وكأنا نحاول »
« أنت تحبس في عينها دموعاً »

أبي كان وردٌ ههنا منذ ساعةٍ فقيم أنى ؟ ما يبتغى ؟

« المهدى »

جاء يخطُبُ

« ابن عوف »

ومن وردٌ ياليلي وهل تعرفينه ؟

« ليلي »

فتى من ثقيف خالص القلب طيبٌ
أتى خاطباً بعد افتضاحي بغيره وعارى، أهذا يا ابن عوفٍ يُخَيِّبُ ؟
أبي : أين وردٌ الآن ؟

« المهدى »

عند قرابةٍ من الحمى نسَّوه اليهم ورحبوا
فإن شئت أرسلنا اليه

« ليلي »

ابعثْ ادْعُهُ وجئنا بقاضى نجدٍ اليوم يكتب

« ابن عوف »

تجاوزت ليلي غابة السُّخْطِ فاذا كى عواقب رأيت قد رأيت سخيـفـ

« ليلي : متهمكة »

أ كنتُ ابنَ عوفٍ غيرَ أنثى ضعيفةٌ
تساهتُ لرأى في الأمور ضعيف

« ابن عوف »

أرى وقتي يا ليلَ كانت شريفةً ولكن جزائي كان غير شريف
« ليلي »

أنظفُ ثوبي يا أميرُ فطالما ظهرتُ به في الحى غير نظيف
« ابن عوف »

لئن كنتِ يا ليلي بوردٍ قريرةً فإني على قيسٍ لحدُّ أسيف
« ثم يخاطب أباه »

ألان بحفظ الله ياسيد الحى
لقد طال لبثى عندكم ووقوفى
ووقت يا ليلي

« ليلي »

لقد كنتِ سيدى حليفاً لقيس، هل تكون حليفي!

« ابن عوف »

سألت محالاً إنما جئتُ خاطباً لورد القوافى لا لورد ثقيف!

« يخرج من باب الخباء ويشيعه »

« المهدي الى ما وراء شجر البان »

« ليسلى »

ربّاهُ ماذا قلتُ ! ماذا كان من
 فى موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسناً
 فزعمتُ قيساً نالنى بمساءةٍ
 والنفسُ تعلمُ أن قيساً قد بنى
 لولا قصائده التى نوتّهن بي
 نجدُهُ غداً يطوى ويفنى أهله
 مالى غضبتُ فضاع أمرى من يدي
 قالوا انظري ماتحكّمين فليتنى
 ما زلتُ أهذى بالوساوس ساعةً
 وكأنى مأمورةٌ وكأنا
 قدّرتُ أشياءَ وقدّرَ غيرها

شأنُ الأمير الأريحيّ وشانى ؟
 فيه وكنت قليلة الاحسان
 ورمى حجابى أو أزال صياني
 مجدى وقيسٌ للمكارم بان
 فى البيد ما علم الزمان مكانى
 وقصيد قيسٍ فىّ ليس بفان
 والأمرُ يخرجُ من يد الغضبان
 أبصرتُ رشدى أو ملكتُ عنانى
 حتى قتلت اثنين بالهذيان
 قد كان شيطانٌ يقود لسانى
 حظٌ يخطُّ مصايرَ الانسان

ستار

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بني ثقيف ، في قرية من قرى الجن ، حيث اجتمعت طائفة منهم »
« للعفاوة بقيس وهو يهيم على وجهه ضالا في القلوات ، وبينهم شاب منهم »
« في شكل إنسى جميل الثياب يتردى الحرير من فرعه الى قدمه ، وعلى رأسه »
« عقلاان من الحرير المحلى بالذهب ، هو الأثموى شيطان قيس - الجميع يشدون »
« ويرقصون »

« نشيد الجن »

هذا الأصيل كالذهب يسيلُ بالمرأى العجبُ
على الوهاد والكُثْبُ

الرقصُ يبعثُ الطربُ	هلمَّ يا جنَّ العربُ
هلمَّ رقصَةَ اللَّهَبِ	إذا مشى على الخطبُ
نحن بنو جهنَّما	نغلي كما تغلي دَمَا
ثور في الأرضِ كما	ثارَ أبونا في السما
نحن بنو الجبارِ	العلمُ المنارِ

إِبْلِيسَ بِكَرِّ النَّارِ يَا عَزَّ مِنْ لَهُ انْتَمَى
نَحْنُ الرُّعُودُ الْقَاصِفَةُ نَحْنُ الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ
وَالظُّلُمَاتُ الزَّاحِفَةُ عَرَمَرَمًا عَرَمَرَمًا
لَنَا وَمَا لَنَا صُورُ نَرَى وَنَسْمَعُ الْبَشَرِ
وَلَا يَرَوْنَ مِنْ حَضَرَ مَنَا وَمَنْ تَكَلَّمَا
نَقُولُ حِينَ نَصْطَلِمُ بِسَادَةٍ أَوْ بِخَدَمِ
صَم صَم صَم صَم عَمَّى عَمَّى عَمَّى عَمَّى

« هبید »

فِيمَ اجْتَمَعْنَا هَهْنَا ؟ يَا عَضْرَفُوتُ مَا الْخَبَرُ ؟

« عضرفوت »

لَا أَدْرِ ... تِلْكَ ضَبْجَةٌ حَضْرَتُهَا فِيمَنْ حَضَرُ
فَسَلْ أَخَاكَ عَسْرًا

« هبید »

مَاذَا هُنَاكَ يَا عَسْرُ ؟

« عسر »

نَحْنُ مَسْوَقُونَ إِلَى مَا لَيْسَ نَدْرِى كَالْبَقَرِ

« الاثوى »

بَنَى الْجَنِّ فِي أَرْضِكُمْ عَابِرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَرْسُفُ فِي ضُرٍّ
فَعَالُوا بِهِ وَعَلِمُوا أَنَّهُ فَتَى نَبَّ الشُّعْرُ مِنْ قَدْرِهِ

« هيد »

وَأَيْنَ تُرَى هُوَ ؟

« آخر »

ماذا يكون

« الأُموى »

وماذا يهْمُكَ من أمره

ألم تعلموا أَن لي صاحبا من الإنس أحكمُ في شعره

« هيد »

أجل أنت تُورِحي له ما يقولُ وتقذفُ ما شئت في فكره

« الأُموى »

إذن فاعلموا أَنه عاشق تملأت اليَدُ من ذكره

« عاصف »

وأعلم أَن الهوى واحد حوى المستهامين في أسرهِ
وَأَن التي سحرت قلبه مدلَّةُ القلبِ من سحره

« الأُموى »

وانى لأَكْفُلُ ليلى له وأصْرِفُها عن هوى غيره
سهرتُ على طهر ليلى الزمان ولم أغمِضُ العينَ عن طهره
صرفتُ عن الحب حتى الزواج وما قدسَ اللهُ من سره
ولو أَن عيني تشقُّ القبورَ سهرتُ على الحب في قبره !

« عصفوت »

ومن يكون

« الأثوى »

قيس

« عصفوت »

من قيس

« عاصف »

وهل يخفى القمر
الشاعر الذي سحر والساحر الذي شقّر
حنجرة لنا وتر منها ولانس وتر

« هيد »

وما لنا يا عصفوت ولقطينان البشر ؟
وما لقينا منهمو ومن أيهم غير شرار

« عصفوت »

بنى الجن اسمعوا أبكم زكّام

« جني »

ولم ؟

« عصفوت »

ننت لمركمو الجوا

« آخر »

وما في الجو ؟

« عصفوت »

ريح آدمي

ففيه نَتَانَةٌ وله ذكاء
إذا البشري مرَّ على يوماً فقد مرَّت على الخُنُفساء

« جنى »

أجل بعداوة البشرِ ابتُلينا وطال بها التبرُّمُ والعناء
مضى بالكبرِ إبليسُ أبونا وكلُّ تراثِ آدمَ كبرياء
يعيب رجالهم فيقال عينا وتدفن عارها فينا النساء
وان عجزَ الطبيب قال داء من الجنى ليس له دواء
وان ققرت صغارهمو فزلت فمنا معشرَ الجنِّ البلاء
وخفنا من أذاهم فاحتجبنا فما عصم الحجاب ولا الخفاء
وكم متعوذ بالله مننا تعوذ الأرضُ منه والسماء !

« عصفوت »

وقد نشكو من الناس التجنى وننسى ما جناه الأنبياء

« جنى »

أرسل الله أيضاً من عِدانا ؟

« عصفوت »

أجل هم في عداوتنا سواء

بنى فحماً سليمان وضخماً ولولا الجن ما نهض البناء
بنينا تدمر الكبرى بأيدي فهل تدرن ما كان الجزاء ؟

« جى »

وما كان الجزاء ؟

« آخرون »

أين !

« عصفوت »

عذاب

وسيجن مالدته انقضاه !

فتحت الماء

« جفى »

تحت الماء ؟

« عصفوت »

عانى

عليه طلاس وعليه ماء !

وفى جوف القمام لو علمتم

« آخرون »

وما ذا فى القمام ؟

« عصفوت »

أبرياء !

« جنى »

ومن ذا زجهم فيها ؟

« عصفوت »

أمير

علينا لا يُردُّ له قضاء

نبيُّ فهو عدلٌ حيثُ يَقْضَى

وملُكٌ فهو يفعلُ ما يشاء !

« عاصف »

قيس يا قومُ منكمو ليس قيسٌ من الشر

« جنى »

قيس منا وإنا في بني عامرٍ ظهر

« آخر »

إننى قد رأيتُه يتفلى على الشجر

« ثالث »

وسمِعناه قد عوى عوَّةَ الجنِّ واستتر

« رابع »

أنا أيضًا رأيتُه ركبَ الظبيِّ فى السفر

« عاصف — متطلعا »

تعالوا فانظروا

« يتطلع الجميع الى حيث ينظر »

« جنى »

ماذا ؟

« آخر »

عجيب

« عصفوت »

نرى شبحاً يدحر جه الفضا

أقيس ذا ؟

« عاصف »

نعم هو فاستعدوا فقد وجب التحفز واللقاء

« هيب لجنى آخر »

تأمل قيساً المضى تجده من الذوبان أصبح كالخيال

« الآخر »

لقد ضل الطريق أما تراه يُصفق باليمين وبالشمال ؟

وقد قلب الثياب عليه نهجاً على عاداتهم عند الضلال

« يظهر قيس فيلتفون حوله وينشدون »

سلاماً ملك الحب وسلطان المحبين

وأهلاً وعلى الرحب لقد شرف واديننا

أتى الجنُّ من الوادى يُحييُّونك بالورد
حدا ركبهم الحبادى الى ناديك من بُعد

« ظلت نيس ذات اليمين وذات الشمال »

رب الى أين انتهت بى السرى وأى وادٍ أنزلتنى ياترى
عسائى فى الشام، لعلّى جزئته أو أنا بالطائف أو أين أنا؟
وهذه المسوخ حولي جنة أم عمل الوهم وتهويل الكرى
لا، أنا صاحـ

« يتحسس جسمه »

هذه رجلى وذى يدي وتلك مقلتي يقظى ترى
ولم لا أومن بالجن وأن تكون للجنة كالناس قرى؟
لا أدعى معرفة بعالم ظاهره أكثر منه ما اختفى
« يمسح جبينه ويميد النظر والتطلع »

تلك من الجن لعمرى شردمة وهذه خيلهمو المسومة
نعامة كالفرس المطهمة وأرنب مشرجة وملجمه
وقنفذ وظبية وشيهمه

يا عجباً كل العجب ! الجن منى عن كذب
سود دقاق فى العيون كالذخايف فى الخطب
يخرج من أفواهها ومن عيونها اللمع
من كل من جال بقر نيه وصال بالذنب

« الجان »

نَبِيَّ الْحَبِّ لَا تَنْخَسُ أَذَى أَوْ شِرَّةَ مَنْ
عَظُفَتِ الطَّيْرَ وَالْوَحْشَا فَلِمَ لَا تَعْطِفُ الْجِنَا ؟
وَسَلَّ حَسَّانَ وَالْأَعَشَى وَشَيْطَانِيهِمَا عَنَا
« الْأُمَوِي »

تَرَكْتُ وَرَأَى الشَّامَ لَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ وَلَا هُوَ مِنْ شَوْقِي الْقَدِيمِ شِفَانِي
وَعَدْتُ إِلَى نَجْدٍ أَقَاسَى صَبَابَتِي وَوَجَدِي كَأَنِّي مَا بَرَحْتُ مَكَانِي
تَرَكْتُكَ لَيْلِي فَانْفَجَرَتْ لِبَالِي مُؤَلِّفَةَ الْأَشْكَالِ جِدَّ حِسَانِ

فَلَمْ يَخْلُ سَيْرِي مِنْكَ يَوْمًا وَلَا السُّرَى
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَمْثَالِكِ الْقَمَرَانِ
عَلَى كُلِّ أَرْضٍ مِنْ هَوَاكِ سَوَارِحٍ
مَلَانٌ سَبِيلِي أَوْ مَلَكَنَ عَنَانِي

(وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَانِي)
(وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لِمَا عَرَفْتُهُ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي)
« يَدْنُو مِنْهُ قَيْسٌ وَبِتَأْمَلُهُ »

« قَيْسٌ : لِنَفْسِهِ »

يَا وَيْحَ عَيْنِي مَا تَرَى ؟ وَوَيْحَ أُذُنِي مَا تَعَى !
وَأَيْنَ عَقْلِي ؟ غَابَ عَنِّي الْيَوْمَ أَوْ عَقْلِي مَعِي ؟
الشَّعْرَ لِي مَذُّ قَلْتُهُ مِنْ شَفْتِي لَمْ يُسْمَعْ

من ذا الذي أُوْحِيَ به لذا الغلام المُدَّعى ؟

« يقترب من الشاب ويأخذ في انتقاده »

عقـالان يَمَانِيَانِ منْ وَشْيٍ وَعِيقَانِ
يُضِيثَانِ كَلْحَ الشَّمْسِ فِي جِلْدَةِ ثُبَانِ
وَأَيْنَ الشَّفَقُ الْأَحْمَرُ مِنْ مَطَرِكَ الْقَانِي ؟
وقد تَقَرَّبَ فِي الرُّوِّ عَمْرٍ مِنْ أَمْلَاقِ غَسَّانِ
وقد تَبَلَّغُ فِي الشَّعْرِ إِلَى رَقَّةِ حَسَّانِ
فَمَا شَأْنُكَ يَا هَذَا ؟

« الأموي »

وما يَعْنِيكَ مِنْ شَأْنِي ؟

« قيس »

أَرَى سَارِقَ أَشْعَارٍ جَرِيئًا مَا لَهُ ثَانِ
فَقَدْ يُسْطَى عَلَى بَيْتٍ وَقَدْ يُسْرِقُ بَيْتَانِ
وَلَا يَنْتَحِلُ الْإِنْسَانُ أَيِّمَاتًا لِإِنْسَانِ
وَمَا أَنْشَدْتَ مِنْ شَعْرِ فَمَنْ صَنَعِي وَإِحْسَانِي
وَلَمْ أَهْتَفْ بِهِ بَعْدُ وَلَمْ تَسْمَعْهُ أُذُنَانِ
فَمَنْ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ أَذُنُكَ أَلْهَانِي ؟

« الأموى »

أنا الملقى عليك الشرّ من آنٍ الى آن .
أنا الهاجس والشيطان

« قيس »

لا ، لا ، لست شيطانى

« ثم ينجى نفسه »

أجل سمعتُ باسم شيطانى ولكن لم أره
أبى وأمى حدثنا فى الليالى خبره .

« يعود الى خطاب الأموى مترددا »

ألست أنت الأموى ؟

« الأموى »

لا تخف أن تذكره

« قيس »

ما أنت إلا صورةٌ فى عصبي مُصوّره
وعبثٌ لو كان عقلى حاضرا لأنكره

« قيس - وهو ينكت الأرض بعود »

ويمحى أقيسٌ واحد أم نحن قيسان هنا ؟
وأيتنا الشاعر هذا الأموى أم أنا ؟
أم الذى بى وبه من عبث السحر بنا ؟
أم أنا مجنون على حب ليلى قد جنى

« الأموي »

قيس

« قيس »

لبيك قيس

« الأموي »

ما أنا قيس

« قيس »

من إذن ؟

« الأموي »

قلتُ إنني شيطانُهُ

« قيس »

قيس من آدم فما أنت منه

« الأموي »

أنا من قيس عامر وجدانه

« قيس »

أنت وجداني ؟ استعذتُ بربي منك

« الأموي »

لا تستعذ به جلّ شأنه !

هكذا شاء : كلُّ شاعرٍ قومٍ عبقرى اللسان نحن لسانه

« قيس مشيحاً بوجهه ومطرقاً »

يا عجباً أصبح بالجنّ لساني يعمر !

وصرتُ ينهى ماردٌ على في وأمرُ
 ما للسانى لا يطولُ؟ ما له لا يقصرُ؟
 يا ليت شعري كيف لا يخرجُ منه الشررُ؟
 « الأُموى - واضعاً يده على كتف قيس »

علامَ قيسٍ فيم أنستَ مطرِقٌ مفكرٌ؟
 فى خبرى؟

« قيس »

أجل وما صدقتَ فيما تُخبرُ
 ليس لسانى مارداً إن لسانى بشرُ
 « الأُموى »

قل وحدك الشعرَ إذن!

« قيس »

تظننى لا أقدرُ؟

« الأُموى »

جربِ إذن قلَّ أرنا يا قيسُ كيف تشعُرُ!
 « قيس »

وما تُحبُّ؟

« الأُموى »

قريةُ الجنِّ وهذا المنظرُ
 أليس فيما أنت راء قيسُ ما يؤثّرُ؟

« قيس »

إسمع إذن يا أموى !

« الأموى »

إننى أنتظر

« قيس »

وجوهٌ تصوّرُ ، وفضاءٌ يزهرُ ، ورمالٌ فى مطارح البصر تزخرُ ،
 وقريةٌ تموجُ بالجنِّ كأنها عبقرُ !

« الأموى ضاحكا »

قه قه ! تعالوا واضحكوا !

« تضعك جماعة من الجن »

« قيس فى غضب »

قه قه . . أمي تسخرُ ؟

« الأموى »

ما هكذا يا شاعرَ السبيدِ البيوتُ تُكسرُ

« جنى آخر »

إنك لا تنظّمُ يا قيس ولكن تنثرُ !

« الأموى »

مالك قيسُ مفتحا هذا لعمري الحصرُ !
 لا يفحمُ الشاعرُ لكن يفحمُ الشويعرُ

مالك كالعود الذي أدبر عنه الوتر ؟
ما للقوافي الآنساتِ منك قيس تنفر ؟
كيف ترى لسانك الـ آن

« قيس »

عليه حجر !
أنت على مشاعري وشعري المسيطر !
إن غبت غاب خاطري وإن حضرت يحضر

« الأموي »

الآن لا تُنكرني قيس وكنت تُنكريرا
عجبت كيف تختفي الجن وكيف تظهر
يا قيس هذا عالم طينته التجبر
تطفئ على رائدها صخراؤه وتغر
وغاية المعين في نظامه التحسير
مهما علمت عنه فالذي جهلت أكر !

« قيس »

يا أخا الجن كنت أخا لي وخليلا
أنا في أعماء أرض لا أرى فيها السبيل

« الأموى »

أين تبغى قيس ؟

« قيس »

ليلي كن الى ليلي الليلا

« الأموى »

ملِّ يميناً يا أبا المهدى ثم امش قليلا
تجد المنزلَ والماءَ الذى يشفى العليلا

« ينطلق قيس آخذاً يمينه مهرولاً »

المنظر الثانى

« فى حى بني ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قليل - ورد مضطجع »
« على الرمل وبجانبه يجلس رفيق من رفاقه - يقترب قيس من الخباء مناجياً نفسه »

« قيس »

إن قلبى لمجبرى أن هاتيك دارها
أنا بالطائف الذى قرّ فيه قرارها
فى ثقيف تنقى وثقيف ديارها
مالساقى جَرَرْتُها فتعابى انجرارها
ولقلبي يقول لى قد تدانى مزارها
كيف لا أهتدى ليلي وفى القلب نارها

ليت ليلاي نُبِّتْ أننى اليومَ جارها

« يتبين وردا وصاحبه »

عجبٌ! هُدِيت الدارَ بعد ضلالةٍ ما كان شيطانى على كذوبا
هذى منازلها وذلك بعلمها بعثت إلى ديار ليلى الطيبا
هذا غريمى وردُ أشقر كاسمه أترأه ألبس جلدَه مقلوبا !
ما باله افتَرش الأديم كأنه بغلٌ يُفَرِّ فى التراب جنوبا !

« رفيق ورد »

ورد أرى من المدى القريبِ شخصا يدبُ نحونا كالذئبِ
على خطاه خَشْيَةُ المُرِيبِ

« ورد »

لَمْ لا تقولُ حيرةُ الغريبِ
لعله ابنُ سبيلٍ يَمْشُرُ بالحى مرًّا
إنى أراه سَقِيما يَجْرُ ساقيه جـ... را
« ينهض من رقده قَلْباً »

« الرفيق »

عرفتَ مَنْ هو ؟

« ورد »

قيسٌ به الغرامُ أضمرًا

« الرقيق »

قيس ؟

« ورد »

أجل

« الرقيق »

كيف أفضى إليك ؟ كيف تجرّ

« ورد »

دعني وقبسا وشأني لعل في الأمر سرا

« ينصرف الرجل ويتلاقى ورد وقيس »

« قيس »

أهذا أنت ورد بنى ثقيف ؟

« ورد »

نعم والورد ينبت في رباها

« قيس »

ولم سميت وردا لم تلقب بقلام العشيرة أو غضاها!

« ورد - في سكون وحلم »

وما ضرّ الورود وما عليها ؟

إذا المزكوم لم يطعم شذاها

« قيس »

(بربك هل ضمت إليك ليلي
 قبيل الصبح أو قبلت فاها ؟)
 (وهل رقت عليك قرون ليلي ..
 رفيف الأحنانة في نداها ؟)
 « ورد - بعد فترة سكون »

نعم ولا يا قيس

« قيس »

بل لا بد من لا أو نعم

« ورد »

هبتها نعم يا قيس هل مع الحلال من ثم ؟
 المرء لا يسأل : هل قبل أهله ؟ وكم ؟
 أجل لقد قبلتها من رأسها الى القدم

« قيس فاضيا »

تلك لعمرى قبلة الحمى ———— وسقم !
 أو قبلة الذئب إذا الذئب على الشاة جثم
 « يتراجع قليلا وكأنما يحدث نفسه »

قلبي يقول لي : لا ! يا صدقه فيا زعم !

« ورد »

إذن تعال قيس واسمع في أناة وكرم

لا تجعلنَّ الغضبَ السَّجائرَ بيننا الحكم
 إسمع حديثي إنه ما خطَّ مثله القلم
 وسرُّه لا الأهلُ يدرون به ولا الخدم
 أنا الذي ظلمتُ قيسَ ما أنا الذي ظلمتُ
 أليَّةً وما علىَّ لك يا قيسَ قسم
 كم مرَّتِ الليلةُ بي والليلتان لم أنم
 منذُ حوت داري ليلى ما خلوتُ من ندم
 كانت إطاقتي بها كالوثني بالصم
 وربما جئتُ فرا شها فحانتني القدم
 كأنها لي مخرمٌ وليس بيننا رَحِم
 شعرك يا قيسُ جنى علىَّ هذا واجترَم
 هيبتها فامتنعتُ كأنها صيدُ الحرم
 وهبتها للحبِّ والشعرِ وقيسِ والألم

« قيس »

ولكن تعالَ سرِّي ثقيفٍ أبن لي ما لم تُبينَ تعالَ
 تقولُ لقيتَ بشعري الشقاء وجرَّ عليك بياني الوبالا
 لقد قلتَ قولاً فأوجزته فبالله إلا شرحت المقالا

« ورد »

إذن . أصغى قيس

« قيس »

قل الصدق ورد

« ورد »

وهل كان لى الصدق إخاللا
 ولم ألقى للعامريات بالالا
 أغنى القصار وأروى الطوالا
 وألح بين القوافى الخيالا
 والعشق بين المحبين حالا
 ولم أذخر دون مسامى مالا
 وأى أمرى هاب قبلى الحلالا
 لقيت به وبلى الضلالا
 فلما التقينا كساها جلالا
 نهتنى قد استهنا أن أنالا
 فلولاك ما اخترت إلا ثقيفا
 ذهبت بشعرك منذ الشبارب
 أرى بين الفاظه ظل لىلى
 فلما رددت وقيل القصائد
 خرجت الى حياها خاطبا
 بنيت بها فتهيبتها
 فشعرك يا قيس أصل البلاء
 كساها جمالا فعلقتها
 إذا جثتها لأنال الحقوق
 أمسك أبا المهدى !

« يستحيل كلامه الى همس ، لاذت به لىلى على باب الخباء »

أنظر هذه لىلى علينا ملعت من الخبا

« ثم ينادى بصوت متهدج »

لىلى تعالى أسرعى ، قيس أتى لىلى هذالك ، من تحبين هنا

« قيس »

أمازح يا ورد قل لي أنت أم تسخر مني أم تُرى تهزأ بنا؟
« ورد »

بل قلتُ جدًّا لم أقلُّ مُهازلاً

« قيس - هاما بالذهاب اليها »

إذن فدعها لا تُجسِّمها الخطأ

« ورد - وليلى تقرب »

إسمع أبا المهدى همسَ خطوها كأنه وطءُ الغزال في الحصى
دعوتُ فاهتممتُ ولو لم أدعها لو جدتُ ريمحك من أقصى مدى
قيسُ تثبتُ واستعدَّ، هي ذى أتتُ، فلا يذهبُ بلبك اللقاء
الآن أمضى لسبيلي

« قيس »

بل أقيمُ إلبث أعني، إنني خرتُ قوَى

« ورد »

قيسُ أرى الموقف لا يجمعنا أنت حبيبُ القلب، والزوجُ أنا
يا لكما مني ويالى منكما ! نحن الثلاثة ارتطمنا بالقضا

« ينصرف وتقبل ليلي على قيس »

« قيس »

ليلاى، ليلي القلب

« ليلي »

قيس مالى دارتُ بي الأرضُ وساء حالى؟

« قيس »

فداك ليلي مهجتي ومالي من السقام ومن الهزال
تعالى اشكى لى النوى تعالى ألقى ذراعيك على خيال

« تصافه بشوق »

« ليلي »

أحق حبيب القلب أنت بجانبى أحلم سرى أم نحن منتبهان ؟
أبعد تراب المهد من أرض عامر بأرض ثقيف نحن مغتربان ؟

« قيس »

حنانك ليلي ، ما خلل وخله من الأرض إلا حيث يجتمعان
فكل بلاد قربت منك منزلى وكل مكان أنت فيه مكاني

« ليلي »

فما أرى خديك بالدمع بطلا أمين فرح عيناك تبتدران

« قيس »

فداؤلك ليلي الروح من شر حادث رماك بهذا السقم والذوبان

« ليلي »

ترانى إذن مهزولة قيس ؟ حبدا هزالي ومن كان الهزال كسافى

« قيس »

هو الفكرُ ليلي، فيمن الفكر؟

« ليلي »

في الذي تجنّي

« قيس »

كفاني ما لقيتُ كفاني

« ليلي »

أأدركت أن السهمَ ياقيسُ واحدٌ وأنا كلينا للهوى هدفان؟

كلانا قيسٌ مذبوحٌ قتلُ الأبِ والأمِّ
 طعیناتٌ بسکّینِ من العادة والوهم
 لقد زوّجتُ ممن لم يكن ذوقی ولا طعمی
 ومن يكبرُ عن سني ومن يصغرُ عن علمي
 غريبٌ لا من الحي ولا من ولد العمِّ
 ولا ثروته تربي على مال أبي الجسمِ
 فنحن اليوم في بيت على ضدّين منضمِّ
 هو السجنُ وقد لا ينطوي السجنُ على ظم
 هو القبرُ حوى ميتين جارين على الرّغم
 شتيتين وإن لم يبعد العظم من العظم
 فان القرب بالروح وليس القرب بالجسم

« قيس »

تعالى نعيش يا ليل فى ظل قفزة
تعالى الى وادٍ خلى وجدول
تعالى الى ذكرى الصبا وجنونه
فكم قبلة يا ليل فى ميعه الصبا
أخذنا وأعطينا إذ البهم ترتع
ولم نك ندرى يوم ذلك ما الهوى
منى النفس ليلى قربنى فالك من فى
ندق قبلة لا يعرف البؤس بعدها
فكل نعيم فى الحياة وغبطة
ويخفق صدرانا خفوقا كأنما
من البید لم تُثقل بها قدمان
ورنة عصفور وأيسكة بان
وأحلام عیش من دد وأمان
وقبل الهوى ليست بذات معان
وإذ نحن خلف البهم مستتران
ولا ما يعود القلب من خفقان
كما لف منقاريهما غردان
ولا السقم روحانا ولا الجسدان
على شفتينا حين تلتقيان
مع القلب قلب فى الجوانح ثان
« تنفر ليلى »

« ليلى »

وكيف ؟

« قيس »

ولم لا ؟

« ليلى »

لست يا قيس فاعلا ولا لى بما تدعو إليه يدان
« قيس »

أتعصيننى يا ليل ؟

« ليلى »

لم أعص أمرى ولكن صوتا فى الضمير نهانى

ووردُ یا قیس؟ وردُّ ما حقَلتَ به

لقد ذَهَلتَ فلم تَجعلْ له شانا

« قیس : غاضبا »

تعینِ زوجکِ یالیلی

« لیلی : منکسه رأسها »

نعم

« قیس »

ومتی أحببتِ وردا؟ تُرِی أحببتِهِ الْآنا !

« لیلی »

فیم انفجارُک؟

« قیس »

من کیدِ فُجئتُ به

« لیلی »

إنی أراک أبا المهدی غیرانا

وردُّ هو الزوجُ ، فاعلمْ قیسُ أن له

حقًا علیَّ أوْدیه وسُلطانا

« قیس »

إذن تحایبتما؟

« لیلی »

بل أنت تظلمنی فما أحبَّ سواک القلبُ إنسانا

ولستُ بآرجةً من داره أبدا
 حتى يُسرَّحني فضلا وإحسانا
 نحن الحرائر إن مال الزمان هنا
 لم نَشْكُ إلا إلى الرحمن بلوانا

« قيس »

بل تذهبين معي !

« ليلى »

لا ، لا أخونُ له عهداً ، فما حاد عن عهدي ولا خاننا
 فتى كنبع الصفا لم يختلف خلقاً
 ولا تلون كالفتيان ألوانا

« قيس : متهماً »

أراك في حبٍّ وردٍ جدٍّ صادقةٍ
 وكان حبك لي زوراً ويهتانا

« ليلى »

فبس !

« قيس : صارخاً »

أتركيني بلادُ الله واسعةً ! غداً أُبدلُ أحبباً وأوطاناً

« يحاول أن يتركها فتسك به ليلى »

« ليلي »

العقل يا قيس !

« قيس »

لا خلّي الرداء دعي

« ثم يفلت منها ويندفع الى سبيله »
« تاركاً اياها باكية في هيئة استعطاف »
« ليلي »

وارحمته لقيس عاد ما كانا!

واهاً لقيس وآه ما صنعا؟ أ كثر قيس بلواي والوجعا.

« تدخل عفراء »

عفراء عندي

« عفراء »

لبّيك سيدتي الصبر واستدفعني به الجزعا .

« ليلي »

لقد سمعت الحديث كيف إذن

صبري على ما جرى وما وقعا؟

قلتُ لقيس مقالَ مشفقةٍ لم يُلقِ بالألّه ولا سمعاً
وقيسُ ذو جنةٍ وإن زعموا جنونه مدّعَى ومصطنعاً
تخير الناسُ في جنون فتى لا عقلَ الا بشعره ولعاً
والله لو جاء في محاسنةٍ يسألُ وردَ الطلاقَ مانعاً

فوردُ يا عفرَ لا كِفَاءَ له مروءةٌ في الرجال أو ورعا
آه من من السقم

« عفراء »

ألف عافية

« ليلي »

آه من الحادثات

« عفراء »

ألف لعا

« ليلي »

أنا عُذْرِيَّةُ الهوى أحملُ العبء وإن ناءَ بالصباية جهدى
الحبَّات ما بكين كدمعى فى الليالى ولا أرقن كسهدى
ويح قيسٍ ويح لي أى نارٍ للمقادير عند قيسٍ وهندى
أتعب الحى داء قيسٍ ودانى وتساوى الدواء كُفَّان نَجْدِ
لا الحواميمُ تصْرِفُ الجنَّ عنا حين تُتلى ولا رُقَى السحر تُجْدِ
أبقيسٍ وبى هوى عبقرى يَسْلُبُ العقلَ من ذويه ويردى
علَّةُ البئس من قديمٍ وداء ضاعَ فيه الرُّقى وحرَّ المُدَى
ما سلاحه حين يقتلُ إلا من عفايف ومن وفاء بهدى
لم تُعَذِّبْ بالحب عذراء قبلى كعذابي ولن تُعَذِّبَ بعدى

« عفراء »

هي عفراء؟ ربي اشهد!

« ليلي »

أجل عفراء حتى يضمني ركني لحدى

« عفراء »

والذي أنت تحته؟

« ليلي »

تحت بعلٍ غير ذي جفوة ولا مستبدٍّ
راعني اللوم من جميع النواحي فتواريت في مروة «ورد»
« يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول »
رب ماذا سمعت؟ ليلي شكور لك نفسي الفداء يا بنت «مهدى»
« ليلي »

ورد

« ورد »

ليلى

« ليلي »

رُحماك ورد وعفوا

كنت أخفي الجوى فأصبحت أبدو

« ورد »

ما بليلى؟ ماذا أثارك ليلي؟ هدي روعك المفزع هدي

« ليلي »

الداء يا وردُ فيَّ مجتهدٌ ملتهمٌ هيكلي وما شيعا
أصبحتُ لا أشتهي الطعامَ ولا

يحمدُ جنبي إلى مضطجعـــــــــــــــــا

قلبي من اليأس حين حلَّ به أحسُّ يا وردُ أنه انصدعا
لم يحملِ اليأسَ ساعةً ولقد كان بما حملَّوه مضطلعا
التمنى بالعيش منتفــــــــــــــــعٌ ولن ترى يائساً به انتفعا
القدرُ اليومَ والقضــــــــــــــــاء على

حربك قيس وحرابي اجتماعا

ستار

الفضل الخامس

«مقابر على سفح جبل التوباد في طريق عام على مقربة من حى بى عام يبدو»
« من بينها قبر جديد مازال أشخاص من الحى يهيلون عليه التراب ويضعون »
« الأحجار، ومن حوله كثير من رجال الحى وفتيانهم وصغارهم يرى بينهم المهدى »
« وورد وكلهم باك أو حزين - يبدأ الشيعون فى الانصراف وهم يعززون المهدى »
« ويصالحونه واحداً بعد واحد ويمرون على ورد مرورا »

« معز »

إنا لله أبا ليلي

« آخر »

صبرته أبا ليلي جميل

« فى أثناء انصرافهم يمر رجل فى الطريق »

« فيسأل صبياً من صبيان الحى فى ناحية »

« السار »

قبر من يا صبي ؟

« الصبي »

قبرها يا أبى

إمرأة؟

«المار»

«الصبي»

نعم

«المار»

ومن تكون؟

«الصبي مشيراً الى المهدي»

بنتُ ذا الرجل

لَيْلى ابنةُ المهدي أَلستَ من نجدٍ؟

«صبي آخر»

أجلُ قد دُفنتُ ليلي وما جفت لها عِلْدُ

وذا الشيخ أبو ليلي وذا صاحبها وردُ

هنا الوالدُ والزوجُ

«المار»

وقيسُ!

«الصبي»

لم يجيء بعدُ

« يقترب الرجل من المهدي فيعزيه »

«المار»

سَهْدِي أَجَلٌ جَزَعَا

«معز»

يَا أَبَا لَيْلَى جَمَالَكَ

«آخر»

عَزَاءُ أَبَا لَيْلَى

«آخر»

عَزَاءُ أَبَا لَيْلَى

«آخر»

صَبْرُهُ أَبَا لَيْلَى جَمِيلٌ

«صديق من أصدقاء ورد هامسا إليه»

لَقَدْ أَحْسَنْتَ يَا وَرْدُ وَمَا لِلنَّاسِ إِحْسَانُ
يُعْزَوْنَ أَبَا لَيْلَى وَمَا عَزَاكَ إِنْسَانُ
بَلْ انْظُرْ تَرَاهُمْ أَقْسَى عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَا كَانُوا
عَلَى الْأَوْجُهُ بِغَضَاءٍ وَفِي الْأَعْيُنِ عُدْوَانُ

«ورد»

مَهْلًا أَخِي وَانْظُرْ إِلَى النَّاسِ بَعِينَ مُنْصَفٍ
هَمْ يَأْخُذُونَ مَا بَدَا وَيَتْرَكُونَ مَا خَفِيَ

ظنُّ الجماعات فيَّ سوءَ ورأيهم فيَّ ما أصابا
يرَوْن أني عدُوُّ قيس أخذتُ ليلي منه اغتصابا
وزدتُ نفسيهما شقاء وزدتُ قلوبيهما عذابا
ليسأل الناس قبر ليلي فإن في قبرها الجوابا

« يلتفت الى المهدي بعد أن يعزیه آخر معز »

تجمل أبا ليلي

« المهدي - معالفاياه »

تجملت طاقتي ولستُ بخوارٍ قليل التجلدي
تجلتُ فضول الناس ياوردُ حِقْبَةً إذا قتتُ من بايغٍ عثرتُ بهتدي
يعيشون في عرضي فمن كل معولٍ ومن كل مقراضٍ ومن كل مبرد
وهذا يحيتيني ويقطعُ فرّوتي وهذا يفدني ويهلبمُ سوددي
وياوردُ لو لم تُرخ سترأعلى ابنتي لظلتُ بمرضٍ في البوادي مُبدد

حَفِظْتَ ابنتي حفظ الشقيق ومُرُضْتَ

بييتك تمرّض الصغير المهدد
وصيرت ليلي في حماك وخدرها كعذراءٍ دبرٍ أو كدُمّية معبد
لقد صنتها ياوردُ فاذهب فما أنا بنابر لك العروف أو جاحد اليد
وليلي فتاة حرة بنت حرة أحببت غلاماً سيّدا وابن سيّد

وأعلمُ أنى كنتُ حرباً هواها وكنتُ مع الواشى وعونَ المفند

« يلتفت الى القبر باكياً »

بظل الله ياليلى

« ورد »

وفى بجبوحه الخلد

وهذا نجدُ ياليلى فنامى فى ثرى نجد

« يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر »

« الغريص المغمى والشاعر ابن سعيد وأمية وسعد »

« الغريص »

دنا الحى يا ابن سعيدٍ وثمَّ

« ابن سعيد »

وما ثمَّ ؟

« الغريص »

أنظر يُجَبِّك النظرُ

« ابن سعيد »

قبورٌ ؟

« الغريص »

أجل عارضتنا القبور وعمّا قليل يُجيزُ الحفرُ

« ابن سعيد »

وهل نحن إلا على حفرةٍ هى الأرضُ أو هى قبر البشر

محجبةً بغرور الحياة يراها إذا غرغر المحتضر
غريضُ : بصُرت بقبرٍ جديد
« الغريض »

وماذا سوى الموت في ذا العفو ؟
« ابن سعيد »

أنحُ كان يملأ أميس الهواء ويحيا الحياة ويمجى العمر
نزىلٌ لعمري غريبُ القطاء
غريبُ الوطاء غريبُ الحُجر

لدى منزلٍ كيبوت الكراء مرارا خلا ومرارا عَمَرَ
يزارٌ كثيراً فدون الكثير فنبأ فينسى كأن لم يزر
وليس بِنافعه الواصلون وليس بضائره من هجر
فياميتَ أمسٍ عدتكَ الرياحُ
وحياك في الفتراتِ المطر
وأمسٍ كعادٍ وإن كان منك

مُطيف الخيال قريبَ الصُور
لقد نفى الليلُ منك اليسدين
وأدرك فيسك النهارُ الوطر
وأمسيتَ تحت لواء التراب
قهرت القضاء ودنت القدر

تلفت ورامك أين الغرورُ وأين السرورُ وأين الأشر
 وأين معالمُ عرسِ الحياة وأين سنا ليله المزدهر
 وأين شبابٌ كحلْمِ العروسِ
 ضحكُ العشيّاتِ طلقُ البكرِ
 وأين العداواتُ من سافرٍ مُبينٍ ومن كاشحٍ مُستتر
 وأين المودّاتُ من صُحبةٍ كنجلٍ يحُمّنَ وأنت الزهرُ
 قليلون عند امتناع القطافِ كثيرون عند رجاء الثمر
 وكم من سقيت بشهد الوداد فلم يجزِ الا بصابٍ الا بر
 فذوقِ سِنَّةٍ لا ككلِّ السّناتِ
 وتمّ ليلاً ما لها من سحر
 وقل للصديق طويلاً الحديثَ
 وقل للعدوّ دَفْناً الخبر
 وهيّ مكانيهما في الترابِ فإن ركبهما مُنتظر
 « سعد »
 أميةُ ماذا ترى في الغريض؟
 « أمية »
 وماذا أرى في أميرِ الطرب؟
 « سعد »
 لقد علم الناسُ أن الغريضَ
 مُعنى الحِجازِ وشادى العربِ
 ولكن...

« أمية »

وماذا وراء « ولكن ؟ » فمن شأنها أن تُثيرَ الرّيبَ

« سعد »

أُمىَّ اخْفِضِ الصَّوتَ لَا يَسْمَعَنَّ

فِيغْضِبَ فَهُوَ قَرِيبُ الْغَضَبِ

وَأُذُنُ الْمَغْنَى تُحَسُّ النِّسِيمَ

وَتَسْمَعُ فِي الْكَأْسِ رَقْصَ الْحَبِّبِ

أُمِيَّةُ إِنِّي أَخَافُ الْغَرِيضَ وَإِنِ التَّطَيُّرُ بِي قَدْ ذَهَبَ

« أمية »

وَأَيْنَ تَرَى الشُّؤْمَ حَوْلَ الْغَرِيضِ

وَكَيْفَ ؟

« سعد »

رُؤْيُكَ تَدْرِي السَّبَبَ

أَلَيْسَ الْغَرِيضُ يَهْبِجُ الْبَكَاءَ

فَلَوْ رَامَ دَمْعَ الْعُرْسِ انْكَبَ

تَرَعْرَعُ فِي بَيْتَةِ النَّائِحَاتِ وَعَلَّمَنَهُ النَّدْبَ حَتَّى نَدَبَ

يَنُوحُ يَشْتَرِبُ آلَ الرَّسُولِ

وَيُذَكِّرُ مَا تَمَّ أَهْلُ الْحَسَبِ

« أمة »

وأين يدُ الشؤم مما ذكرتَ
 وأىَّ بلاءٍ علينا جلبُ
 وما هو الا مُغنى الحياةِ بناحيثها الأسى والطرب

« سعد »

ولكننا قاصدو عامرٍ لنقضى حقاً لقيسٍ وجب
 ونسألَ عن عاشقٍ في الديارِ
 طويلِ البلاءِ ثقيلِ الوَصَبِ
 ومن زار بالنائماتِ المريضَ
 وأهلَ المريضِ أضاع الأذب

« يتهاى الغريض للغناء »

هو ذا هاج شجوه هو ذا يُرسلُ النغمَ
 هاتفٌ من نواحيه رنَّ في القاعِ والأكم
 هو في كلِّ خاطِرٍ وفؤادٍ صدَى الألم

« أنفودة الغريض »

وادی الموت سلامٌ وسقى القاعِ النعامُ
 السماءُ القدسُ محرابك والأرضُ الحرامُ

أَنْتَ فِي الصَّمْتِ مُبِينٌ وَمَنْ الصَّمْتِ كَلَامُ
لَمْ يَمِتْ أَهْلُكَ لَكِنْ غَشِيَ اللَّيْلُ فَنَامُوا
غُيَّبٌ لَمْ نَدْرِ مَاصِّارُوا وَلَا أَيْنَ أَقَامُوا

« يخرجون الى ناحية الحى من حيث يسمع آخر »
« الأ نشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على »
« أثر اختفائهم ، قيس وزباد »

« قيس »

وسقى الله صبانا ورعى	جبل التَّوْبَادِ حَيَّاكَ الْحَيَا
ورضعناه فكنت المُرْضِعَا	فِيكَ نَاغِيْنَا الْهَوَى فِي مَهْدِهِ
وبكرنا فسبقنا المَطْلَعَا	وَحَدَوْنَا الشَّمْسَ فِي مَغْرِبِهَا
ورعينا غَمَّ الْأَهْلِ مَعَا	وَعَلَى سَفْحِكَ عَشْنَا زَمَنَا
لشباينا وكانت مَرْتَعَا	هَذِهِ الرِّبْوَةُ كَانَتْ مَلْعَبَا
واثنينا فحونا الأَرْبَعَا	كَمْ بَنِينَا مِنْ حَصَاهَا أَرْبَعَا
تحفظ الرِّيحُ وَلَا الرَّمْلُ وَعَى	وَحُطَطْنَا فِي ثِقَا الرَّمْلِ فَلَمْ
لَمْ تَزِدْ عَنْ أَمْسٍ إِلَّا إصْبَعَا	لَمْ تَزَلْ لَيْلِي بَعِيْنِي طِفْلَةً
هاج بي الشوقُ أبتُ أَنْ تَسْمَعَا	مَا لِأَحْجَارِكَ صُمًّا كُلَّمَا
فأبتُ أَيَّامُهُ أَنْ تَرْجِعَا	كَلَّمَا جِئْتُكَ رَاجِعْتُ الصَّبَا
وتهونُ الْأَرْضُ إِلَّا مَوْضِعَا	قَدْ يَهُونُ الْعُمُرُ إِلَّا سَاعَةً

« يظهر بشر قادمًا الى المقبرة من ناحية الحى »

« بشر »

عـزاء قيس !

« قيس »

من ؟ بشر ؟

« بشر »

أجل

« قيس »

فيمن تُعزّينى ؟

أنا الميتُّ يا بشرُ وإنَّ آخرَ تكفينى

« يضطرب بشر وقد أدرك جهل قيس »

« وخرج الموقف ثم يميل هامسا الى زياد »

« بشر »

يجهلُ قيسٌ موتَهَا	ولم أخلْ أن يجهلَهُ
ويَحْ له وويَحْ لى !	ماذا عسى أقولُ له
إن الحبيبَ نعيه	الى الحبِّ مُعضله
إنى أخاف إن أنا	خبرته أن أقتله

« قيس »

بشر

« بشر »

لَبَّيْكَ قَيْسُ

« قيس »

من أين يا بشر؟

« بشر »

من الحمى

« قيس »

ما حوادثُ عامر؟

كيف أمي يا بشر؟

« بشر »

برَّحها الشوق

« قيس »

وأهلى ..

« بشر »

حينئذٍ متكاثر

« قيس »

ولداً من فتيةٍ وعذارى؟

« بشر »

كلُّهم شقيقٌ لعهدك ذا كر

« قیس »

کیف بیتٌ لنا بمدرجة الريح
ونادٍ على النجوم وسامرٍ ؟

والنخیلاتُ کیف خلّفتها بشرٌ ؟

« بشر »

كما هن باسقاتٌ نواضر

« قیس »

ومہاری التي تركتُ صِفاراً ؟

« بشر »

كبرتُ قیسُ فہی جُردٌ ضواہر

« قیس »

عزّت البیدُ، تُنبِتُ السابقُ الفدّ

وتأتی بفارس و بشاعر !

« بضرب بشر »

ویح بشرٍ ماذا به ؟

« بشر »

قیس !

« قیس »

بشر !

أنت في نفسك الخفية نائر
تُشبهُ الحزنَ والبكى نبراتٍ
لك كانت كضاحكات الزاهر

« بشر - الى نفسه ثم الى قيس »

ربّ ماذا أُجيب ؟ لاشيء يا قيس ..

« قيس »

بل الحزنُ في مُحياّك ظاهر
ولقد راعنى لك اليوم جدّ

من خليع العذار بالأمس سادر
« تغرورق عينا بشر بالدموع »

ما جرى؟ ما الذى أثارك يا بنَ العم؟

ما هذه الدموعُ البوادر ؟

« بشر »

قيس لاشيء -

« قيس »

بل كتمتَ جليلاً
هذه وَجْهَةُ النعيِّ المحاذر !

« بشر »

قيس ..

« قيس »

لا ، لا تَجِمْ ولا تُخَفِ شَيْئاً
أنا يا بشرُ بالفجِيعَةِ شاعر
خُلِجْتُ قبل نلتقى عينيَّ اليسرى
وريعَ الفؤادِ روعةَ طائر
« بشر »

أعِفني ! أعِفني ! بربك ما أنت
على ما أقوله لك قادر !
« قيس »

أما انت ؟

« بشر »

أجل قضتُ أمس ..

« قيس - وهو يغمى عليه »

واليلاه !

« بشر »

الله - ما أشدَّ المقادر !

« يغمى بشر في سبيله »

« زياد - مقتربا من قيس »

هو معنى عليه ربّ أيصحو؟ هل لهذا العذاب ياربُّ آخر؟

« يصحو قيس »

« زياد »

تباركت ياربّ قيس أفاق؟ صحت عينه وصحا المسمع !
رجعت لنا قيس

« قيس »

هيات هيات !

من كان في النّزع لا يرجع

لقد بقيت خفقة في السراج زيادُ غداً يلتقي الموجعون
سيلفطها ثم لا يسطم وموعدنا، ذلك البلقع !
« يشير الى المقابر »

عرفت القبور بعرف الرياح ودلّ على نفسه الموضع
كشكلى تلمس قبر ابنها الى القبر من نفسها تدفع
هداها خيال ابنها فاهتدت وليلى الخيال الذى أتبع
لنا الله يا قلب ! ليلاك لا تجيب وليسلاى لا تسمع !
فجّعنا بليلى ولم نك نحسب يا قلب أنا بها فجمع
« يقترب الى القبر باكباً فيكب بوجهه على حجر من أحجاره »

أعنى هذا مكان البكاء وهذا مسيلك يا آدمع !
هنا جسم ليلي هنا رسمها هنا رمقى فى الثرى المودع

هنا فمُ ليلي الزَّكِيُّ الضَّحُو كُ يُكَادُ وراء البلى يلمعُ
 هنا سِحْرُ جَفْنٍ عَفَاهُ التُّرَابُ وكان الرُّقَى فيه لا تنفعُ
 هنا من شبَّابٍ كُتَابٌ طَوَاهُ وليس بنَاشِرِهِ البَلَقُ
 هنا الحَادِثَاتُ ، هنا الأملُ الحَالُو يَلِيلَ ، والألمُ المُتَمَعُ
 طَرِيدَ المَقَادِيرِ هل مَن يُجِيرُ كُ منها سوى الموتِ أُوَيْمَعُ ؟
 تَذَلُّ الحَيَاةُ لِسُلْطَانِهَا وللموتِ سُلْطَانُهَا يُخْضَعُ
 طَرِيدَ الحَيَاةِ أَلَا تَسْتَقِرُّ أَلَا تَسْتَرِيحُ ، أَلَا تَهْجَعُ ؟
 بَلَى قَدْ بَلَغْتَ إِلَى مَفْزَعٍ وهذا التُّرَابُ هُوَ الْمَفْزَعُ

« يظهر الأموى شيطانه من بعيد ويناديه »
 « الأموى »

قيسُ

« قيس »

مَنْ المَسَاتِفُ مِنْ نَادَى الشَّرِيدَ المَطْرَحُ

« الأموى »

أَنَا الَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ حُبَّ لَيْلَى واقْتَرَحُ

« قيس »

إِذْهَبْ وَإِنْ لَمْ أَدْرِ رُوحُ أَنْتِ أَمْ أَنْتِ شَبَحُ
 إِذْهَبْ فَلَسْتَ صَالِحاً وَأَيُّ شَيْطَانٍ صَلَحُ
 كُنْتَ قَرِينَ السُّوءِ لِي وَكُنْتَ شَرًّا مِنْ نَصَحُ

لولاك ما بُعْتُ بما خدش ليلى وجرح
كأنه في عرضها زيت على الثوب سرح

« الأُموي »

أفق قيسُ

« قيس »

سِرْ خَلْنِي يا خيال ومنَ بالخيال لمن لم يتم

« الأُموي »

حنانيك قيسُ أقلَّ العتابَ	ولا تسكينَ دموعَ الندمِ
تقرّدتَ بالألمِ العبقريَّ	وأنبغُ ما في الحيسةِ الألمِ
مريبك يا قيسُ فوق الترابِ	وأنت مع النّجمِ فوق التّهمِ
أخذتَ سبيلك نحو الخلودِ	وليس الخلودُ سبيلَ الأُممِ
قم اهتِفِ بليلى وشبّب بها	وخلّ التقاليدَ وانسِ الحرمِ
وطِرْ في الهواءِ طليقَ الجناحِ	وسِرْ في الأديمِ طليقَ القدمِ
فلو أنصفَ الناسُ خلّو كما	كتركِ الوفودِ حَمَامَ الحرمِ
قم أبسطْ جناحك فوق القفارِ	وطِرْ في الوهادِ ، وقعْ في الأكَمِ
وأترعْ من الوترِ العبقريَّ	سماءَ القصورِ وأرضَ الحميمِ
والّفْ على الحبِ شتىّ القلوبِ	وأرسلِ سرَّ الجمالِ النغمِ
تغنّ بليلى وبُحْ بالفرامِ	وبُثْ العصابةَ واشكُ السقمِ
فلا خيرَ في الحبِ حتى يذيعَ	ولا خيرَ في الزهرِ حتى ينيمَ

« قيس »

أقوم ؟ هات قدما

أقول ؟ أعطني فما

أما تراني هيكلاً محطماً مهتماً !

« يختفي الشيطان ويستمر قيس »

يارب قيس هل نعت وهل جرت	كأسٌ تدور على النفوس مشاع
أولا فما بالي أنوء بهيكل	لموت فيه وللحياة صراع ؟
اليوم آذنا القضاء بحكمه	مالي ولا لك يا حياة دفاع
راجعت في الموت الحياة وعادني	في النزاع يا ليلي اليك نزاع
كيف الوداع من الحياة ولم يتح	لي منك يا ليلي الغداة وكداع
هيئات لم تعدم شذاك قرارة	حولي ولم يعدم سنالك يفاع
وعلى سماء البيد منك بشاشة	وعلى رمال البيد منك شعاع
وكان كل ضبابية دون الضحى	قسّات وجهك دونهن قناع

« يمر به ظي سارح فيتأمله قليلا ويناجيه »

يا ظي بك من افتدائك بما له

إذ أنت عان تشتري وتباع

وأباح طفلك ماءه وطعامه

إذ هن عطشي بالفلاة جياع

يا قاع كن نعشى وكن كفى وكن

قبري وقم في مأتمى يا قاع

واجمع لتشييعي الأطباء ، ومن رأي
 ميتاً بأسراب الأطباء يُشباع
 أترى أموت كما حيت مُشرّداً
 لا الأهل من حولي ولا الأتباع
 وأبيت وحدي لا الوحوش أو انس
 حولي هناك ولا الأطباء رتاع؟

« تنخاذل سيقان قيس فيتلغاه زياد ويظهر »
 « ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعاً باكياً »

« زياد »

قيس لا بأس عليك أنا ذا بين يديك

« قيس »

نفس اطمئني الآن لست وحدي
 قد حضر الذي يحطُّ لحدي
 ويرشيدُ الحى الى بعدى زياد أنت المشفقُ المفدى
 لم أنفرد إلا رُئيت عندي

« يتبين شبح ابن ذريح »

زياد ما ذاك من ذا يسكن وراء الضريح
 إني أغارُ على القبر من غريب الجروح

« زياد »

لا تخشَ يا قيسُ منه فإنه ابنُ ذريحٍ

« ابن ذريح »

يا ليلَ قبرك ربوة الخلدِ نفعَ النعيمُ بها ترى نجدِ
في كل ناحية أرى ملكا يتنفسون تنفسَ الورد
لبسوا الجمانَ الرطبَ أجنحةً

وتناثروا كتناثر العقيدِ
وتقابلوا فعلى تحيتهم
وكان نجواهم وسببحتهم
ميسكُ السلام وعنبرُ الرد

صوبُ الغمامة أو صدَى الرعد
نفحاتُ طيبٍ ههنا وههنا
يا قيسُ صبرا ههنا ملكٌ
ذبحُ الصبابة مُشهدُ الوجد
أصبحُ اتبته واطرحُ بعينك في
بهجِ السماء وحسنِ ما تبدى

« قيس »

أين السماء وأين محتضرة
طلعتُ عليه الأرضُ بالحد
السهدُ عذبي وذى سنة
أجدُ الشفاءَ بها من السهد
ولقد أقولُ لمن يُبشِّرني
بالخلد ما أنا داخلٌ وحدي
لو أن ليلي في النعيم معي
أوفي الجحيم تساويا عندي

ليلي النعيمُ وقد ظفرت بها فاليوم نرقدُ في ثرى نجد
إني أحبُّ وإن شقيتُ به وطني وأثره على الخلد

« يسمع صوتنا ضئيلاً كأنما هو خارج من القبر »

« الصوت »

قيس

« قيس »

مَنْ الصوتُ ويحيى أبا سحرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

زيادُ اسمعُ وأصغرُ يابشرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

سمعتُ اسمي يلفظه القبرُ

« الصوت »

قيس

« قيس »

تناديني من قبرها باسمي
لبئيك ياليلي بالروح والجسم

« يدخل في دور الاحتضار الأخير »

هل أسأ الموتُ جراحينَا وهل قرَّب الدارَ وهل لمَّ الشَّتاتُ ؟
« أصوات »

قيس ، ليلي

« قيس »

رَنَّةٌ في أُذُنِي رَدَّدَتْ قيسَ ويلي الفلواتُ
نَحْنُ في الدنيا وإن لم تَرْنَا لم تَمُتْ ليلي ولا المجنونُ ماتُ

ستار الختام

أميرة الأنفكلس

تمهيد

- زمن الرواية : عصر ملوك الطوائف .
- مكان الرواية : أشبيلية ، أغمات .
- أشخاص الرواية :
- المعتمد بن عباد ، ملك أشبيلية .
- الرميكية ، الملكة .
- العبادية ، أم المعتمد .
- بثينة ، بنته .
- القاضي ابن أدهم ، قاضي القضاة .
- الأمير حرير ، من أبطال الأندلس .
- الأمير بولس ، شقيق ملك الأسبان .
- أبو الحسن ، تاجر بأشبيلية .
- حسون ، ابنه .

-
- ابن حيون ، من الأدباء .
 أبو القاسم ، من الأدباء .
 مقلص ، مضحك الملك .
 لؤلؤ } من حجاب الملك .
 جواهر }
 ابن شاليب ، رسول ملك الأسبان .
 البازين الأشهب ، لص شهير .
 أمراء
 جنود .

مقدمة

جرت حوادثُ هذه القصة في زمنٍ كان قطعة من ليل الملمات . أخذت الأندلس في جنتها الحالك ثم تركته نظماً منحلًا وركنا مضطربًا ، وشمسا من دول الإسلام سقمت فألح عليها السقم فاحتضرت ، فكانت لها في الغرب هدة وكانت عليها في الشرق ضجة . وخلال تلك القطعة من ليل الملمات كان الأندلس تحت ملوك الطوائف ، وكان هؤلاء الملوك على شرف بيوتهم وتميز شخصياتهم ونبوغهم في كل علم وأدب أصحاب بذخ وترف وأخدان صبوة وخلاعة ، لاحظ لهم من همة الملك ولا نصيب من مرأشده السلطان . وإنك لتعجب من أنفاسهم في اللذات ونسيانهم لذكر العواقب ، وهم أتعب خلق الله وأكثر الملوك ركوباً للغرر ، واستهدافاً للخطر ، ومشياً على الحبال والحفر ، فأما في داخل دويلاتهم فكيد واثمار ، وفتنة نومها غرار ، وسيفها في الغمد قليل القرار ، حتى لا تكاد الشمس تطلع إلا على ملك

مخلوع ولا تغرب إلا على ملكٍ مقتول؛ وأما في الخارج فكنت ترى هؤلاء الملوك بين نارين لتواعدان، وبين سيلين يتهدران : فملك الأسبان الفونس يتجنى ويعتدى، ويضرب الجزية ويفرض الإتاوات، ويبعث لأخذ الأموال جباة أهل غلطة وقحة، وصاحب مراكش يوسف بن تاشفين هو وقواده ووزراؤه مشغوفون بالأندلس يمطرونه الرسل والرسائل إلى قضائه وفقهائه، مهئين بذلك لفتح بنوا عليه الرجاء وعلقوا به الآمال . وكان ملوك الطوائف يخافون جارهم هذا المسلح المتوثب سلطان المغرب ويرجون به فكان تملقهم له لا ينقطع ، وكانت الأموال تحمل إليه في صورة المعونة، وكانت الرشى تقدم لوزرائه ورؤساء دولته في صورة الهدايا والألطف ؛ وكل هذا المال إنما كان يجمع من المكوس والمغارم ! فتخيّل كيف كان يؤس الرعية ، وتأمل كيف تذهب معالم البلاد بين عبث الفرد وغفلة الجماعة ... ولقد كان على قرطبة وهي حاضرة الملك أن تحمل شطر هذا البلاء فلم تلبث أن انحطت عن ذلك المكان العالى الذى كانت فيه دار الخلافة ومطلع القصرين ^(١)الدمشق والرصافة فصارت كرسى إقليم وقاعدة دويلة وعرش ملك صغير يؤدى الجزية ولا يحس لها ذلة ولا هوانا .

(١) قصور الخلفاء الأول من بنى أمية في قرطبة .

الفصل الأول

المنظر الأول

« مقصورة من مقاصير البديع ”قصر المعتمد بن عباد“ في اشبيلية »
« وإلى يمينها مصلى وفي مؤخرها ستار كبير يحجب . وقد وقف على »
« بابها جوهر حاجب بن عباد ولؤلؤ ساقيه ومقلاص مضحكه »

جوهري [إلى لؤلؤ] : كيف وجدت وجه الملك اليوم يا لؤلؤ ؟

لؤلؤ : كسنته ، يفيض من البشاشة والبشر .

جوهري : بل أنت واهم يا لؤلؤ ! إن وجه الملك تغير في هذه الأيام

وبدا عليه التفضن وأثرت فيه الهموم أثرها الظاهر المبين .

مقلاص : كان الله عون الملك ، إنه ليحمل من هموم الملك وأكدار

السياسة ماتنوء به الجبال ، لعن الله السياسة وقبح الولاية ،

ولا جعل لي من أشغالها نصيبا .

جوهري [يضرب بيده على خدبة مقلاص] : وأي نصيب كنت تؤمل من

أمور الدولة يا مقلاص حتى سألت الله أن يحرمك منه ؟

مقلاص [ملفتنا] : دعني من هذيانك يا جوهر وانظر : هذه الأميرة

أقبلت كأنها البدرُ في الليلةِ الظلماءِ أو كأنها الظيُّ يتخطّر
على الحصباء .

[تدخل الأميرة بثينة]

بثينة : يا بشرى ما هذا الحظُّ العظيم ، أصدقائي الثلاثة ههنا ،
يجمعهم باب الملك : جوهر حاجب الملك ، ولؤلؤ ساق
الملك ، ومقلاص .

مقلاص [مقاطعا] : مقلاص المهرجُ الساقطُ والمضحكُ الوضع .
الأميرة [بثينة] : لا تقل هذا يا مقلاص ! ولكن قل نديمُ الملك ،
وصديقُ ابنته بثينة .

مقلاص : أنا مقلاص المهرجُ صديقك أنت يا أميرة اشبيلية ، بل
يا مليكة الأندلس ، بل يا شريكة الشمس في عرش
الوجود ؟ !
الأميرة : أعرفت الآن مكانك ؟

مقلاص : عرفت يا سيدتي وإني به لمزهوٌ نفور .

الأميرة : إذا فاعلم أيضا أن هذا الحاجب جوهر قد يأذن على
الملك لرجال يكره لقاءهم ويغمه رؤيتهم وسماعهم .
مقلاص : أقما أنا يا سيدتي فما وقعتُ على باب الملك مرة إلا هجبتُ
عنه الفكر والغم .

الأميرة : وهذا الساقى يا مقلاص .

مقلاص : هذا الساقى يا مولاتي يقبض كل يوم من دماغ الملك

شعاعا ، ولولا أن دماغه الشريف كالشمس التي لا تتفد
أشعتها لكان اليوم جمجمة لا عقل فيها كأكثر هذه
الرءوس التي نراها في الطرقات .

الأميرة : وأما أنت يا مقلاص فتسقي الملك كل ساعة من رحيق
مزعجك ودعائتك ما يملؤه غبطة وعافية وسرورا .

جوهر [مقاطعا — مت دخلا] : لقد استأثرت يا نديم الملك ويا صديق
الأميرة .

مقلاص [منضبا] : بالرغم من أنفك !

جوهر : لقد استأثرت يا مقلاص بحديث الأميرة فتتح ساعة
واترك لنا فضلة من الشهد .

جوهر [للأميرة] : مولاتي ، سيدتي ، بثينة أية وحشية خلفت
في القصر يا مولاتي .

الأميرة : أو أبداً تبالغ ؟

جوهر : كلا يا مولاتي ! هي كلمة طافت بالقصر منذ افتقدناك
هذا الدهر الطويل

الأميرة : أتعد الثلاثة الأيام دهراً يا جوهر ؟ ألم أقل لك إنك
تبالغ كثيرا ، لم تسألني يا جوهر أين كنت ؟

جوهر : أعلم أنك كنت في قرطبة يا مولاتي .

الأميرة [وتبتسم ابتسامة سخر] : أجل كنت في ملكتنا الحديد يا جوهر .

جور : وكيف وجدته ؟

الأميرة : العنوانُ قبة ، والكتاب حبة .

جور : أرجو ألا يكون غرامُ الأميرة بأشبيلية وطنها الغالي
ومهدى العزيز قد أنساها ذكر الفضل لقرطبة دارية الملك
الأولى ومهد الفتح والعمران ...

الأميرة : أجل ، وسماء الرعود والعواصف ووتر الفتن والقلاقل ...
آه من قرطبة وبجاءاتها يا جوهر ، وويل على أنى الظافر
من هذه الولاية الحمراء التي لم يُقلدها أميرٌ الا قتل أو عزل ...
عرشٌ يضطرب تحت كل جالس ، وتاجٌ لا يستقر على
رأس كل لابس .

مقلاص : مولاتي !

الأميرة : مقلاص . أشبيلية وأبي وأنت كانت ذكراكم ملء خاطري
في قرطبة ، هل من دُعاية جديدة يا مقلاص تُسبني ما لقيتُ
من النعم والكدر على تلك العاصمة الثانية للملك السعيد .

مقلاص : لا تقولى هذا يا مولاتي فيغضب القرطبيون ، إنهم
لا يُقدّمون على مدينتهم حاضرة من حواضر الدنيا ولو كانت
دمشق أو بغداد فكيف يرضون أن تكون الثانية لأشبيلية
وما مدينتنا في زعمهم الا بلدُ الخلاعة والمجون .

الأميرة [ضاحكة] : وأين قرطبة منا الآن ، وأين القرطبيون يا مقلاص

وبيننا وبينهم سَفَرٌ شاقٌّ طويلٌ؟ تُرى من علمك كلُّ هذا
الحرص ومن أين لك كل هذا الدهاء !

مقلاص : هي الأيام يا أميرتي . هي الأيام . وهذا السيفُ ماذا ...
كنتِ تصنعين به يا مولاتي ؟
الأميرة : كنتُ أتقِ بهِ عوادي الفُجاءات .

مقلاص : وهذا اللثام ؟

الأميرة : كنتُ أذود به عنى العيونَ والظنونَ في بلدٍ ضيقِ الصدرِ
مُبَلِّدِ العقلِ ؛ شتانَ بينه وبين أشيلية ذاتِ العقلِ الواسعِ
والصدرِ الرحيبِ .

الأميرة [لجوهر] : لقد نسيْتُ يا جوهر ذكرَ واجبٍ كانَ عليَّ أنْ
أُقَدِّمه قبلَ كلِّ شيءٍ .

جوهر : وما ذاك يا سيدتي ؟

الأميرة : السؤالُ عن الملكِ .

جوهر : هو يا مولاتي بخير . أبداً يسألُ عنكِ .

الأميرة : وأين هو الآن ؟

جوهر : هو في الصلاةِ يا سيدتي .

الأميرة [تطرق في نائِثٍ ثم تقول] : يا ويحَ أبي لقد نظرت إليه وهو في قصرِ
السوسانِ الضيقِ الصغيرِ بقرطبة فوجدته كئيباً متململاً كأنَّ
تلك السقوفَ المنخفضةَ لم تكن تليقُ برأسه العالِيَّ وكانَ

تلك الحجرات الضيقة لم تُصنع لعينه السامية الطمّاحة .
 وكأنما كان يرى الزهراء أولى بأن تُقلّه . وأجدر بأن
 تُظله . وهناك دنوتُ حتى صرْتُ خلفه بحيث أسمعده
 ولا يرانى . فسمعتَه يقول وكان وحده فى الحجرة مطّلا من
 نافذة يلقى نظره على قرطبة .

جوهر [باهتمام] : وماذا كان يقول يا مولاتى ؟
 الأميرة : كانت يقول : قرطبة ... مُلك جديد أُضيف إلى ملك
 أشبيلية ؛ ما أصغر المضاف والمضاف إليه . أنظر ابن عباد
 إلى العرش كيف صغر ، وإلى الصوبلحان كيف قُصّر ،
 وإلى الملك كيف اختُصّر ، وتأمل مكان الحكم فى قرطبة كيف
 سُدّ اليوم بالمتعمد ، ومجلس الناصر كيف شُغل بابن عباد .
 جوهر : نحن بانتظار القاضى ابن أدهم يا مولاتى .
 مقلّص [متداخلا] : لعله هذه الكرنبة التى تتدحرج من بعيد منحيدة إلينا .
 الأميرة [مستضحكة لجوهر] : استقبل أنت يا جوهر القاضى وأدخله
 على أبى فإن قضاة الأندلس لا يستأذن لهم على ملوكه .
 الأميرة [ثم لمقلّص] : وأنت يا مقلّص . أعرفت أنى وجدته .
 مقلّص : وما ذاك يا مولاتى ومن هو ؟
 الأميرة : أنسيت يا مقلّص حين تقول لأبى يسمع منى إن الزوج
 الكفء لبثينة لم يُخلق بعد لا فى الأندلس ولا فى غيره .
 مقلّص : لا لم أنس يا مولاتى . قلتُ هذا ولا أزال أعيدّه .

- الأميرة : إذا فاعلم أن الزوج الذي يصلح لي قد خُلِقَ .
- مقلاص : ومن ذاك ؟ ما اسمه وأين هو الآن ؟
- الأميرة : كل هذا تعلمه بعد حين يا مقلاص . تعال معي الآن ،
اتبعني ودع جوهر ولؤلؤ يستقبلان القاضي الجليل ...
- الأميرة [إلى جوهر] : في حفظ الله يا جوهر .
- الأميرة [إلى لؤلؤ] : في حفظه يا لؤلؤ .
- جوهر ولؤلؤ معا : في ذمة الله وكلاءتيه يا مولاتي .
- الأميرة : لا تنسيا أن تذكراني عند الملك وأني رهنُ إشارته .
- [تخرج الأميرة مع مقلاص] .
- جوهر : أشكر الله أن أخرجني القاضي .
- لؤلؤ : كذلك كنتُ أحدث نفسي وأخشى على مولاتي في زيارتها
- هذا من عين الشيخ ولسانه .
- [يظهر الملك]
- الملك : هل جاء القاضي ابنُ أدهم يا جوهر ؟
- جوهر : أجل يا مولاي رأيته في ساحة القصر .
- لؤلؤ : وقد عادت الأميرة من قرطبة يا مولاي .
- الملك : أوعادت الآن ؟
- لؤلؤ : أجل يا مولاي .
- الملك : أهي بخير ؟

لؤلؤ : بأتم عافية يا مولاي .

المسلك : إذا انتهى ابن أدهم من زيارته فات بها الى .

لؤلؤ : أمرك يا مولاي .

[يخرج لؤلؤ] .

المسلك : وعليك يا جوهر أن تستقبل ابن أدهم وتأتيني في أوفر

بشاشة وتعظيم .

[يخرج جوهر ثم يرجع يتقدم القاضي]

[ابن أدهم وينادي من باب الخجرة]

جوهر [مناديا من الباب] : القاضي ابن أدهم .

القاضي : السلام على الملك ورحمة الله وبركاته .

المسلك : وعليكم السلام أيها القاضي ومقدم الخير ، فقد علمتُ

أنك كنت نزيل المغرب في الأيام الأخيرة وكنت به ضيفا

على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

القاضي : هو ذاك يا مولاي .

المسلك : فكيف الحوادث والأحوال هناك ؟

القاضي : عندي من ذلك الشيء الكثير وسأذكره في مجلس تالي

يامر به الملك ولا أذكر الآن إلا رسالة حملتها الأمير

سيري بن أبي بكر .

المسلك : وما هي أيها القاضي ؟

القاضي : أو يعرف الملك الأمير سيري ؟

المسك : كيف لا أعرفه ! هو كافل الدولة المغربية وكبير وزراء
السلطان وقائد جيوشه الأكبر . وما يتغنى مني الأمير
أيها القاضي ؟

القاضي : إنه يخطب إليك الأميرة بثينة .

المسك : الشخصيه يخطبها أم لواحد من أولاده فهم فيما أعلم كثر
وأصغرهم فيما أذكر يوافق ميلاده ميلاد بثينة .

القاضي : بل يخطبها لنفسه أيها الملك .

المسك : إن هذا عجيب أيها القاضي ... وما كان جوابك ؟

القاضي : قلت له إن الملك ابن عباد يذهب ببيته بثينة كل مذهب
ولا أظن قلبه يطاوعه على تزويجها في الغربة وإخراجها
إلى بلاد بعيدة .

المسك : أحسنت أيها القاضي ، فما هذا زواج ... إن هذا إلاق
أخطئه بيدي لبثينة . على أنني تحضر إليك بثينة لتحدثها
وتسمع منها .

الملك [إلى جومر] : جومر . جئنا بالأميرة يا جومر .
[يخفى جومر لحظة ثم يعود بالأميرة]

الأميرة : أبي !

المسك : بنيتي !

الأميرة : أطلبيني يا أبي ؟

المسك : تعالى بثينة حي عمك القاضي ابن أدهم .

الأميرة : السلام عليك يا مولانا القاضي ورحمة الله وبركاته .

القاضي : وعليك السلام يا بنت أكرم الملوك . تعالى خذي مجلسك
بين أبيك وعمك .

المسك : مع من عدت من قرطبة ؟

الأميرة : مع لثامى وجوادى .

المسك : وكيف وجدت قرطبة ؟

الأميرة : وجدت طرقاتها تموج بالفقهاء يعرفهم الناظر بزِيَّهم فذكرتُ
عندئذُ شهرة هذا البلد بالفتنة والتشغيب وجراة أهله على
أمرائهم وحكامهم وأشفقتُ منه على أخى الظافر ، وإن
كنتُ واثقةً بحزمه وعزمه .

القاضي : ومن أنباك أيتها الأميرة أن الفتنة والشغب يحيثان من
ناحية الفقهاء ؟

الأميرة : لم يبق سراً يا سيدى القاضي أن الفقهاء يُعلقون سعادة
الأندلس وخلاصه بإلقائه فى أحضان جيرانه سلاطين
المغرب .

القاضي : وأنت يا بنت ملوك المسلمين ، أما تجدين ما يطلبه الفقهاءُ
فى قرطبة أجدى على الأندلس من بقاءه على الحال التى هو
فيها مُشْرِفاً على التلَف والضياع ؟

الأميرة : لا يا سيدى القاضي ليس فى الحق أن ينتصب جماعة من
المسلمين أوطان جماعة غيرهم من المسلمين فإن الوطن هو
كالبيت فى قداسته وكالضيعة فى حرمتها .

الملك [متدخلًا في الحديث] : لقد بعثتُ يابثينة في طلبك لغير هذا الشأن
وفي أمرٍ ذي بال وإني أترك للقاضي التحدث معك فيه .
الأميرة [ملفتة إلى القاضي] :

تكلم يا عمُّ فكلِّي إصغاءً ؟

القاضي : لقد خطبتك إلى أبيك رجل من عظماء الإسلام في هذا
الوقت هو الأمير سيري بن أبي بكر وزير الدولة المغربية .

الأميرة : أفارغ هو أم مشغول يا سيدي القاضي ؟
القاضي [في حيرة] : بل له من الأزواج ثلاثٌ وستونين الرابعة وستونين
المدللة الممهدة من بين أزواجه .

الأميرة [في غضب] : إنك يا سيدي القاضي تدعوني إلى خُطةٍ لا أنا
مضطرة فأحمل النفس الكارهة على قبولها ولا الأمير ابنُ
أبي بكر معطل البيت من الربة الصالحة فيتشبث بها ويصر
عليها ، بل تلك خُطة لم أجد أبوى عليها ولم آلف رؤية
مثلها في حياةٍ أسرتي : فهذا أبي جعلني الله فداءه لم يتخذ
على أمي ضرّة ولم يكسر قلبها بالشريكة في قلبه بغامت بنا
أولاد أعيان ، نجتمع في جناح الأبوة ولا نفترق في عاطفة
الأمومة ، ولو شاء أبي لكان له كنزرائه الملوك والأمراء
نساءٌ كثير ولكان له منهن بنو العلات تحسبهم إخوة وهم
أنصاف إخوة من كل دجاجة بيضة ومن كل شاةٍ حمل .

القاضي [متلفنا] : شهد الله لقد أحسنت يا ابنتي . ولكن مصلحةُ الملكِ
أنسيتهَا ونصرةُ الوالد أغفلتِ عنها . وسلامةُ الأندلسِ
أهملتِ شأنها ؟

الأميرة : لا يا سيدي القاضي كلُّ ذلك في المحل الأول من نفسى
واهتمامى ولكننا مختلفان في النظر فانت ترى أن الأندلس
لا ينهض من كبوتهِ إلا اذا مدَّ السلطان اليه يده وأنا
أتخيلها يد الذئب يمدّها الى الحمل ، وانت يا سيدي
القاضي قد أخذك اليأس في أمر الأندلس وأنا كلى رجاء
ولا أستبعد أن تنهيا لأبى ، وهو كهف الأندلس وملاذه ،
الفرصة لجمع الكلمة وضرب الأفرنج ضربة تُريح العرب
منهم السنين الطوال وانت تعلم أن تاريخ الأندلس مفعم
بالفجاءات السعيدة من هذا الطراز .

القاضي : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولقد رددتُ عنك
أيتها الأميرة وعن أبيك الملك وأحسب أنى أحسنتُ الرد .

الملك : كل الإحسان أيها القاضي .

القاضي : الآن لم يبق إلا أن أنصرف .

المسلك : مشيعا بحفظ الله ورحمته .

[ينصرف القاضي وبشيعه الملك]

الملك [للقاضي] : كيف تجدُ بثينة يا ابن أدهم ؟

القاضي : بورك لك فيها وبورك للأندلس في عقيلته ! إني أجدها
روحَ الوالدِ وأرى عليها طبعَ الزمَنِ وحضارةَ الجيلِ .

[يعود الملك ومعه مقلاص بعد أن يودع القاضي]

الملك : أعلمتَ يا مقلاص ؟ أسمعَتَ أن سيرى ابن أبي بكرٍ يخطُبُ
إلى بَـثِينَة ؟

مقلاص [ملتفتاً إلى بَـثِينَة بصوت خافت] : أهذا الذي وجدتهِ ياسيِّدتي ؟
إني لا أهنِيكَ بَـتَيْسَ المغربِ .

الأميرة : لا يا مقلاص إن الذي وجدتهُ هو غزال الأندلس لا تيسَ
المغربِ .

الملك : خبريني يا بَـثِينَة ماذا وجدتِ في قرطبة .

الأميرة : حال من القُدَارَةِ لتزهِ عن مثلهِ أشبيلية .

الملك : هذا من توالى الفتنة والاضطرابِ على الناسِ حتى شُغِلُوا
عن تنظيفِ مدينتهم التي كانتِ المِثَالِ المحتذى بين المدنِ
نظافةً ونظاماً ... ثم ماذا ؟

الأميرة : راعَتْنِي قصورها المهجورةُ الموحِشَةُ كأنها الأطلال .

الملك : هذا من انقراضِ الوارثين أو ضيقِ نعمتهم عن سكنى
الدورِ الواسعةِ وصِغَرِ أقدارهم عن نزولِ المنازلِ الرفيعةِ .
[يظهر على بَـثِينَة التأثر والافتام] .

الملك : ماذا غَمَّكَ يا بَـثِينَة ؟

الأميرة : تذكَّرتُ يا أبي قصورنا بفخزعت ، قلتُ : الزاهى ترى

ما نصيبه ، والتأج ما ذا غداً يصيبه ، والبديع ما يكون
مصيره ، والمؤنس هل توحش مقاصيره ؟

الملك : ينبغي خلى عنك هذه المواجهس ، ولا تهمل على الشباب
الأمير ، والهم فانه لم يخلق لها . اصرفى الشباب الى الضحك
والغبطة فانهما طبيعته ودينه . ألا نعود لحديث قرطبة .
خبرني كيف وجدت أسواقها ؟

الأمير : دون أسواق أشيلية حركة ونشاطا إلا سوق الكتب
فلا أحسب بغداد أقامت مثلها ، دخلتها يا أبى فلبثت فيها
ساعة أتأمل ما يقع فى جوانبها وأشهد النداء على نفائس
الكتب وذخائر المخطوطات ، وهى فى أيدى الناس يقبلونها
فى اعتناء وإشفاق كأنها كرائم الحجارة فى أسواق الجواهر .

الملك : وهل كنت تهتمين بكتاب هناك ؟

الأمير : أجل يا أبى . نودى على رسالة المنجم الضبى ، التى سماها :
هل القمر مسكون ، وكنت سمعت بها وكنت أريد
إحرازها فسرني الظفر بها ، وكان بالقرب منى فتى حسن
الهيئة ظريف الثياب هو لا شك من بنى البيوتات ، وكان
ينازعنى الرغبة فى الرسالة فلم يزل يزيد فيها وأنا أخرج
فأزيد حتى بلغت الى خميس مائة دينار فقبضت يدي فرجع
اليه المنادى فأخذ المال وناوله الرسالة .

المسك : لا أظن حرص الشاب على الرسالة إلا للباهاءة، ولكي يقال عنده خزانة كتب حوت كل ثمين ونادر حتى رسالة المنجم الضبي فإن الشهرة في قرطبة من قديم الزمان أن يتنافس الناس في اتخاذ الخزائن للكتب حتى الذين لا علم لهم بما فيها .

الأميرة : ظلمت يا أبي غريمي الشاب فقد كنتُ ألحظ عليه الحرص على الرسالة والسعى لإحرازها حتى ما بقي في نفسي شك أن الفتى من أهل المعرفة والاطلاع .

المسك : وكيف هو يا بئينة : ما شكله ؟ ما صفته ؟

الأميرة : شاب يناهز الثلاثين ، جميل وقور يشبهك يا أبي أو كأنه أنحى الظافر وما كان أعظم أدبه ومروءته فانه حين غلبني على الرسالة بادر فقال : أيها الفتى المثلث ! إن كان اعتناؤك بهذه الرسالة شديدا كما رأيتُ فعرفني بموضع إقامتك وأنا أستصنع منها نسخة وأبعثُ بها إليك . فشكرتُ واعتذرتُ بكثرة أسفاري في الأندلس فانطلق شديد الفرح بما نال وكان جواده بانتظاره فاعتلاه فوالله يا أبي ما رأيتُ قط بعدك وبعد أنحى الظافر أرشق وثوبا على جواده ولا أحسن قياما في صهوة من غريمي الشاب .

الملك [مبتسما ودو يضع يده على كتفها] : أخشى يا بئينة أن يكون غريمك الشاب أعرف بتصديد القلوب منه باعتلاء الجياد .

مفلاص : الآن عرفته هو فتي السوق ، هو فتي الرسالة .

[يدخل لؤلؤ ويقول] :

الجماعة يتواردون على مجلس الشرايب أيها الملك فانظر

ماذا تأمر ؟

بثينة : وأنا أيضا ذاهبة لبعض شأني إن أذنت .

الملك : في كلاءة الله يا بثينة .

[تخرج بثينة] .

المنظر الثاني

« ترفع الستار الخلفية عن مجلس شراب الى جانبه ستر مسدل »

« وفي وسطه مائدة حولها الملك وجماعة من حاشيته وتطل »

« هذه المنظرة على الوادى الكبير حيث للـك زورق » .

الملك : ما عندك من الشراب لأصحابنا يا لؤلؤ ؟

لؤلؤ : نـمورٌ مالقة وزبيبي أشبيلية .

الملك : وماذا هياتَ لـهم من نقلٍ وطعام ؟

لؤلؤ : الجوزُ واللوزُ من وادى الطلح .

الملك [يرفع عقيرته ويغنى] : الجوزُ اللوزُ ياربُّ الفوز .

أحد الحاضرين [الى جاره] : هذا لحنُ الملك الذى يحبه ويمتدح به حتى

فى الحمام .

مقلاص : ولحنى أيها الملك أتسمعه ؟

الملك : قل . هاتِ يا مقلاص .

مقلاص [ينغى] : الجوزُ اللوزُ بـوادي الحوز^(١) .

الملك : مرحى ! مرحى ! .

(١) متنزه مشهور بالأندلس .

الحاضرون جميعا : مرحى ! مرحى ! .

الملك [لمقلاص] : تعالَ قِفْ خلفى يا مقلاص وقم عند رأسى .

مقلاص : ها أنا قائم عند رأسك الشريف هل أفلته ؟

الملك : تأذّب يا وقّاح . القُمَّلُ لا يوجدُ فى رءوس الملوك .

مقلاص : ما أدرى يا مولاي ولكنى أعلم أن القُمَّلَ يوجد فى لبدة

الأسد وأنت أسد الأندلس الذى يعنوله الملوك .

الملك : لله ما أمرّ لسانك وما أحلاه . فهو كشرط الجراح الماهر

جمع مرارة القطع وحلاوة الشفاء .

الملك [الى لؤلؤ] : ثم ماذا يا لؤلؤ ؟

لؤلؤ : كلُّ مالدّ وطاب من السمك . بعضه مجلوب من بحر

الزقاق . وبعض من صيد الوادى الكبير .

الملك [بتغنى] : الجوزُ اللوزُ ياربّ الفوز .

الملك [الى وزيره ابن سعيد] : ماذا يقولون فى المدينة يا بن سعيد ؟

الوزير : لا حديث اليوم لأهل أشبيلية الا تلك النكبة التى حلّت

بأبى الحسين التاجر .

الملك : واهّا لأبى الحسن . وويح الأندلس ما أعظم مصيبتها

فى تاجرٍه العامِلِ الموفِّقِ الأمين .

الملك [الى ابن سعيد] : وكيف وقعت الكارثة يا بن سعيد ؟

الوزير : كانت لأبى الحسين التاجر فى بلّح البحار ثلاث بوارج

وهي ، الزُّهرة ، والثريا ، والجوزاء ، خرجت الزهرة الى الاسكندرية تحمل اليها مقداراً عظيماً من الزيت الأشبيل فأخذها عاصف ففرقت في الطريق . وأقلمت الثريا بعد ذلك بأيام مشحونةً بالمتاجر المتنوعة الى ثغور الأندلس فصادفها أسطولٌ للفرنجية كان يتجول على الشواطئ فأخذها مغنماً بارداً . وكانت الجوزاء قد سبقت أختها الى عرض البحر تقصد سواحل المغرب محملةً الشيء الكثير من مصنوعات الأندلس ومتاجره فشبت فيها النار فأعيا إطفائها فسقطت شعلة في الماء .

الملك : ويح لأبي الحسن ويح !!

الوزير : إن أبا الحسن أيها الملك شيخ كبير قد فرغ من الدنيا وفرغت الدنيا منه ، فمصيبته أقصر عمراً وأهون وقعاً من مصيبة ابنه الواحد وولده النايه الشاب حسون .

الملك : قد ذكر لي اسمه وسمعتُ الثناء عليه من كثير من الناس .
الوزير : وإنه لكما نعتوه لك أيها الملك وفوق مانعتوه : شابٌ جميلٌ وقورٌ جريءٌ ، وافرُ القسط من العلم والأدب ، تعلم لغة الإسبان حتى أجادها حديثاً وكتابةً يجرى بها لسانه كما يجري بها قلمه .

الملك : إن شاباً هذا شأنه وهذه همته في الحياة لا يترك نبوغه

سَدَى وَلَا يَوَكِّلُ إِلَى الْيَأْسِ الْقَاتِلَ ، بَلْ يَجُلُّ بِنَا أَنْ نَأْخِذَ
بِيَدِهِ فَتُهَوَّنَ عَلَيْهِ عَثْرَةُ أَبِيهِ الْبَرِّ .

الجماعة [يتهمسون] : ما هذا السِّتر ؟

آخر [همسا] : تُرى ماذا يُخْفِي هذا السِّتر ؟

ثالث [همسا] : ماذا خبأ لنا الملك وراءه ؟

الملك : فيم تتهمسون ؟ لعلمكم تذكرون الستر . إشرَبُوا الآن ما بدا
لكم واطربوا ، وأما الستر فستعلمون نبأه بعد حين . لقد
وزعتُ عليكم من أيام وفدِ النصارى من نُبْلَاءِ الْأَسْبَانِ
فماذا صنعتُم بهم وكيف كانت أنصبتكم ؟

الملك [ملتفتا إلى وزيره داني] .

الوزير داني : كانت حصتي يا مولاي أطيَّبَ الحِصَصِ ، فضيَّفتُ شابًّا
نَدِيلَ طَرُوبٍ لَطِيفِ الْأُذُنِ ، مولعٌ بالقِثَارَةِ لَا يَضَعُهَا مِنْ
يَدِهِ وَلَهُ عَلَيْهَا ضَرْبٌ يَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ .

الملك [متبسما] : يسأل آخر من المجلساء . وأنت يا ابن الصائغ كيف
ضيَّفَكَ ؟

ابن الصائغ : أنا أقل الإخوانِ حظًا أيها الملك ، فضيَّفتُ رجلًا كَهْلًا
قَسِيْسٌ يَقْطَعُ اللَّيْلَ بِالصَّلَاةِ وَتِلَاوَةِ الْإِنْجِيلِ .

الملك : بل لعلمك أعظمُ الجماعةِ حظًا ولا تدري .

ثالث من المجلساء [مخاطبا الملك] : أما أنا أيها الملك فقد ابتليتُ برجلٍ
شَيْخٍ شَرِيبٍ نَحِيرٍ لَا يَرْوِيهِ فِي الْيَوْمِ دَنْ وَلَا دَنَانٌ . فإذا

كان قبل كل طعام قُدمتُ له زبيني أشبيلية فأقبل يعبه
عبا كما يقع الظمان على الماء الزلال؛ وقد شرب من نحر
مائلة في ثلاث ليال أقامها عندي ما يكفيني أنا شهرا
وأنا الذي يعرف الملك وليي بالخير المألقي .

المسك : وأنت يا لؤلؤ كيف ضيقك وما حاله ؟

لؤلؤ : إنه شاب يا مولاي خفيف الظل والروح . مولع بالرقص
وأنا أتلقى عليه كل ليلة دروسا في الرقص الأسباني حتى
كدت أحسنه .

المسك : وأنت يا مقلاص . كيف ضيقك وماذا يصنع معك ؟

مقلاص : ضيفي يا مولاي رجل كهل بادن ضخم الجثة كالخنزير
المتدلى البطن من تراكيب الشحيم واللحم اذا جاء في البيت
وراح ارتجت الجدران واهتز ما على الرفوف من آنية .
واذا نام نرج الغطيط والنخير من حلقه ومن أنفه ومن كل
موضع فيه ولو نام في جبانة لأيقظ غطيطة الأموات .

المسك : وكيف طعامه يا مقلاص؟ وما أحب الألوان إليه؟ .

مقلاص : هو يا مولاي مجنون المعسدة بالإوز . له كل صباح على
الريق إوزة وغداؤه إوزة وعشاؤه ...

الحضور جميعا : إوزة .

الملك [ملفتنا لوزيره داني] : وما عندك أنت يا داني مما يقولون في المدينة؟

داني : يتهامسون في المدينة بأن الفتنة قد تحركت شياطينها في قرطبة

وأن القادرَ صاحبَ طَلِيْطَلَةٍ يسعى لأخذها من ولدك
 الأميرِ الظافر، وأنه يستعين في دسه وكيدهِ وتدييره بالبطل
 حُرِيز وصاحبه ابن طولون .
 الملك : الولاياتُ يا داني نكلأيا النحل فيها العسل وفيها الأسل
 وأنا واثقٌ بحزم الظافر وعزمه والله يفعل بعد ذلك ما يشاء
 إن ضيوفكم النبلاء أيها الأصحاب سيكونون هنا بعد ساعة .
 الملك [إلى جومر] : وأنت يا جومر أنظر . أين الجنديان ؟
 جومر : بالباب يا مولاي .
 الملك : أدخلهما .

[يدخل الجنديان]

الملك [إلى الجنديين] : أين الكلب ؟ ! أجنَّما به ؟
 الجنديان : هو بالباب يا مولاي يرُسُفُ في قيوده .
 الملك : أدخلاه .

[يدخل ابن شاليب اليهودي يجر قيوده]

ابن شاليب : التحية والإجلال للملك .
 الملك : تحية لا نتقبلها من رجلٍ شتمنا بالأُمسِ بمسمع من رجالنا
 وأعواننا .
 ابن شاليب : معاذ الله أيها الملك : ما شتمتُ ولا تهجمتُ ولا نسييتُ
 أني نزيل هذه المملكة ، يجبُ على لصاحبها التوقيرُ
 والإكبار .

المالك : بل أنت تكذبُ يا بنَ شاليب .

ابن شاليب : على رسلك أيها الملك ، أنسيتَ أن ورأى ملكا عظيما يسألُ عن أمرى وأنا سفيرُهُ عندك ورسولُهُ اليك ، وقد يغضبُ لى إن أنتَ نلتني بسوء .

المالك : فان كان السفير وقاحا قليل الأدب ؟

ابن شاليب : هذا كثير أيها الملك فاجعل للإهانة حدا ولا تنسَ لى مكانى .

المالك : ستعلم مكانك بعد قليل .

[الى ابن وهب]

أعد يا بن وهب على هذا الكلب ما لهت به حين عرضت عليه مال الجزية .

ابن وهب : لقد همَّ يا مولاي برد المال معتلا بسوء العيار ونقصان الإتاوة عن السنة الماضية وقال : بلغ سيدك أنه لا يحول الحول حتى آتى فأخذ عينيه .

ابن شاليب : هذا كذب واختلاق .

المالك : بل أنت الكذاب . فما أنا بالملك الذى يكذب عليه وزرائه وأعوانه . وما شرف الأندلس وجلاله إلا عدل قضاياه وقلة شاهد الزور فيه .

ابن شاليب [يمرغ خديه على البساط ويقول] : ألا تعفو أيها الملك الكريم . فهم يقولون إن العفو شيمتكم معشر العرب .

المسك : إلا ما مَسَّ الشرف والكرامة .

ابن شاليب : أتقتلني أيها الملك من أجل كلمة سبق بها لساني وأعماني
الغضب فلم أزنها ولم أقدر عواقبها .

المسك : عجبا يا وزير ألفونس ... أنت تزن القناطير المقنطرة من
الذهب والفضة فلا يفلت من حسابك برادة مثقال . ثم
لا تحسن أن تزن كلمة تخرج من فمك ! ...

ابن شاليب : أعف عني واستبقني أيها الملك وأنا أشتري منك حياتي
بوزن جسمي ذهباً .

المسك : لا والله ولا بثقله لآلئ وياقوت وأنا أعلم أن وراءك مليكا
عظيما هو عبد المسال . أما أنا يا ابن شاليب فعبد الله .
الملك [للجنديين] : أيها الجنديان خذا هذا المجرم فأمضيا أمرى فيه .

| الجنديان ينقضان على ابن شاليب
فياخذانه الى ما وراء الستر المسدل |

الحاجب [يدخل] : نبلاء الأسبان بالباب يا مولاي .

المسك : يدخلون .

كبير النبلاء : التحياتُ للملك .

المسك : مرحباً بضيوفنا النبلاء . تفضلوا وخذوا مجلسكم
وأطرحوا الكلفة .

كبير النبلاء : شكرا يا مولاي ؛ هذه الحفاوة بالضيف لا تستغرب من
ملك العرب الكريم .

المسك : تعال اجلس بجانبى أيها النبيل .

| يجلس كبير الأسبان حيث أشار الملك
بطوف لؤلؤ على القادمين بالشراب وبالتنقل |

لؤلؤ : ماذا تشتهي من الشراب ؟

كبير الأسبان : ما دمتنا فى أشبيلية يا فتى الملك فإننى لا أقدم على زبيبها
الصافى المعطر شيئا .

أحد الحاشية [فى أذن جاره] : انظر السكير يا أخى كيف تجاهل نحر ماله
وكيف نسي أنه أنفد ذخيرتى منها فى ثلاث ليالٍ أقامها
عندى .

[ضجة وشراب وأحاديث همس]

الملك [الى لؤلؤ] : دلنا يا لؤلؤ على ضيفك الرقاص .

لؤلؤ [يشير الى أحدم] : هو هذا النبيل يا مولاي .

الملك [الى الأسبان] : إن فتاى لؤلؤ أيها النبيل مغتبط بما تعلم عليك
من أصول الرقص .

الأسبان : وأنا يا مولاي ما رأيتُ أسرع خاطراً ولا أرشق حركاتٍ
ولا أحسن حفظاً لما يلقى عليه فى فنون الرقص من
صاحبي لؤلؤ .

المسك : إن مطربى هذا ابن حزم يحسن الضرب على القيثارة .
وقد تعلم فى صغره الكثير من ألحانكم ونغمات رقصكم .

الملك [الى لؤلؤ] : فليرقص لؤلؤ على إيقاعه .

الملك [الى الاسبانى] : وأنت ترسم له أيها النبيل النعمة التى تصلح
للقصة .

[لؤلؤ وصاحبه الاسبانى يرقصان ويعزف لهما ابن حزم... ويصفق
لهما الملك والجماعة ثم يجلس الثلاثة بين الاستحسان والاعجاب]
الملك [فى جد الى جلسه الاسبانى] : أيها الضيف النبيل . أمر يشغل
بالى ويهتم به أصحابى وينتظرون حكى فيه . وقد رأيتُ
أن أنتهز فرصة الأتس بحضوركم لأسير على ضوء رأيك
فى تصريحه .

النبيل الأسبانى : ليس أحبّ الىّ أيها الملك ولا أزيد فى شرفى من
مشورة خالصة نافعة ألقيا الى جلالتك .
الملك : إذن فاعلم أيها الضيف النبيل أن أحد جيراننا الملوك أوفد
الىّ رسولا فى مهمة معلومة فنسى الرسول مكانى حتى
سبّنى بمسمع من رجالى وأوعد وتهدد . فما الذى يقضى
به عرفكم على رجل هذا فعله .

النبيل الاسبانى : مثل هذا جزاؤه القتل يا مولاي .
الملك [الى النبلاء] : أسمعتم يا معشر النبلاء .
النبلاء : سمعنا أيها الملك وقد أفتى كبيرنا وهو العدل والصواب .
الملك : إذن فانظروا .

الملك [ثم لأحد الجند] : أيها الجندى ارفع هذا الستر .
[يرفع الستر عن جثة ابن شاليب جثة هامدة معلقة على حود]

الجماعة صائحين : ابن شاليب ؟

المسلك : هذا صاحبكم ابن شاليب قد رمانى أنا ووزيرى هذا ابن وهب بقروير العيار والغش فى الميزان وقال لرجالى وأعوانى :
بلغوا سيدكم أننى آتٍ فى العام القابل فأخذ عينيه من رأسه .
أحد الجماعة مستكرا : وما ذنبنا نحن أيها الملك حتى عاقبتنا بهذا المنظر ؟
المسلك : لقد ترددت بين أن أقتله بأعينكم وبين أن أعرضه عليكم وهو كما ترون جثة بلا روح ولكنى وجدت فى رأى الثانى تخفيفا على ضيوفى فعملت به .

[ثم ينهض الملك علامة الاذن فى الانصراف ويختلط بهم وهو يشيعهم]

المسلك : انقلوا أيها النبلاء إلى الملك ألفونس ما سمعتم ، وصنفوا له ما رأيتم ، وتحدثوا به فى طول بلادكم وعرضها ليعلم الناس هناك أن الأسد العربى لا يُشتم فى عيرينه وأنه لو غلب على غايته حتى لم يبق له منها إلا قاب شبر من الأرض لما استطاعت قوى الإنس والجن أن تنفذ إلى كرامته من قاب هذا الشبر .

[ينسل النبلاء الاسبان من المنظر وهم يحجرون سيقانهم جرا من الرعب]

الملك [بالحاشيته] : الآن يا نبلاء العرب نطوى هذا البساط ويبقى

هذان الجنديان حتى إذا خلت منا المنظرة رفعا السِتر عن
جثة ابن شاليب ليعلم أهل أشبيلية كيف يحمل العقابُ
من يجترئ على شرف أميرهم الذي هو شرفهم الرفيع .

المنظر الثالث

« الملك نشوان ، معه مضحكة مقلّاص يدنو من زورق »

« على الوادى الكبير فينب فيه و يقول »

الملاك : أنظر يا مقلّاص إلى هذا الزورق ما أطفه ، صدق القول :

كلُّ صغير لطيف .

مقلّاص : إلا وظيفتي في قصيرك فإنها لا لطيفة ولا شريفة ، وإن

هذا الزورق قد ينقلبُ فيأخذ شكل النعش ولن يكون

النعشُ لطيفا أبدا .

الملاك : هبه انقلب يا مقلّاص فصار نعشا ، أليس النعشُ مركب

كل حي وإن طالت سلامته ؟

مقلّاص : أما أنا فيعفيني الملك .

الملاك : لا يا مقلّاص — لا أعفيك ولا أحسبك تدعني أسير

في بلجة النهر وحدي وأنا كما تراني نشوان .

مقلّاص : وإن كان ولا بد أيها الملك فإني أقترح .

الملاك : وما تقترح ؟

مقلاص : أن أكون أنا المجدف وحدي .

الملك : ولماذا ؟

مقلاص : الأمرين ! التيار مجنون ، والسكر مجنون ، وأنت سلطان وكل سلطان مجنون ، وهذا الزورق خشبة لاعقل لها فهو أيضا مجنون ، وإنى أرُ بأجياتى أيها الملك أن أجمع عليها مجانين أربعة .
الملك [مستضحكا] : لا يكون إلا ما اقترحت يا مقلاص تعال أركب وجذف وحدك واترك لى أنا الدفة .

مقلاص : أما هذا فنعم . وإنى أرجو أن تكون دفة هذا المركب الصغير أحسن مصيرا فى يدك من دفة الملكة .

الملك [مستضحكا] : تعال ثب ؛ هات يدك .

[مقلاص ينزل الى الزورق وياخذ المجدافين] .

الملك : أنظريا مقلاص ورائك إنى أرى قاربا يندفع نحونا مسرعا كأنه حوتٌ مطارِدٌ مذعور .

مقلاص : هو ذا قد دنا منا يا مولاي فأحسن مسك الدفة واجتنب الصدمة وأنا أذوده عنا بمجدافى هذا وأضربه ضربة تقذف به الى الشاطئ الآخر من النهر .

الملك : إياك أن تفعل ، بل أسره فلا بد لنا أن نؤدب هذا الشاب المغرور فإنى أرى الملاح فنى كريم الهيئة فهو لا شك من أبناء أعيان أشبيلية .

[يصطدم الزورقان ويظهر مقلاص ارتباكا وجبنا فيقبض

الملك على الزورق المهاجم بيد قوية ويقول لمقلاص] :

المسلك : إقذف الآن به إن استطعتَ الى الشاطئ الآخر من النهر
[ثم يلتفت الى الشاب الملاح ويقول] : مكانك أيها الغلام الوقاح ،
ما هذه الجرأة على التيار وعلى شبابك هذا الغض النضير .
وما غرك بالملك حتى قربتَ عودك من عودة تريد أن
تأخذ عليه الطريق .

الملاح : مولاي . إن الرعيّة يهفون . وإن الملوك يعفون ، وزورق
إنما اندفع بقوة التيار القاهر فوافق مرورَ مركبك المحروس
فكان ما كان مما أعتذر الى الملك منه .

الملك [بصوت منخفض] : ويح أذنى ما ذا تسمع؟ هذا الصوتُ أعرفُه!
[ثم يلتفت الى الملاح قائلاً] : قد عرّفناك أيها الفتى من نحن
فعرّفنا بنفسك .

[يرفع الملاح قناعه]

الملك [صائحاً] . بثينة ؟

الأميرة [الملاح] : أجل أيها الملك ابنتك وأمتك بثينة .

الملك : عجباً أنتِ هنا بين العَبَبِ والتيار وعلى هذا العود الذى
يشفق أبوك من ركوبه وأبوك من تعلمين أشجعُ العرب
قلباً .

الأميرة : ولم لا تكونُ ابنة الملك شجاعة القلب مثله إن الأسد لا يلد
إلا اللبّاة .

الملك [يبدأ غضبه] : ومن أين مجيئك الساعة يا بثينة ؟

الأميرة : من الموضع الذى أحبه كما أحب الحجرة التى ولدتُ فيها ،
ومن ناحية السُرْحَةِ التى أحنُّ لها كحنِّى للقاصير التى ضمتنى
طفلة ممهدة ، ومن بقعة مباركة وقفت السعادة بك فى ظلها
على أمى الرميكية فرأيتها فأحببتها أول وهلة . ولم تكن
إلا غسالة مغمورة فتزوجتها فرفعتها أعلى ذرى الشرف
ومن هذا الزواج الموفق السعيد ولدتُ أنا لأب قصر
الآباء عن يره وملك جل عن النظراء والأمثال . أليس ذلك
المكان الذى هو مهد حبكما الأول من حقه أن يُحنَّ إليه
أحيانا بل من حقه أن يُحج آنا .

الملك [متأثرا] : بنفسى وروحى أنت يا بثينة . لقد عظمت المهمة
وقضيت الحق والآن ألا ترجعين الى القصر بسلام فلا
أحسب القصر إلا قائما لغيبتك على ساق حتى لكأنى بأمك
تسأل عن أمرك ويحدثك أشغل وأشد قلقا .

الأميرة : لقد كنتُ يا مولاي فى طريقى الى القصر لولا هذا الاتفاق
السعيد الذى صدم عودى بعودك والآن إذ أمرت فإنى
أنطلق فى سبيلى وأستودعك الله يا مولاي .

الملك : إذهبي يا بنتى فى كلاءة الله وإياك والمجازفة فيما تفعلين فإن
الحياة أعز وأنفس من أن تُعرض للهلكة وأنهلك عن

الخروج بعد اليوم إلا مصحوبةً بلؤلؤ أو جواهر فإنهما
لا يالوانك خدمة وحراسة .

الأميرة : لا يكون يا مولاي إلا كما أشرت .

[تندفع بثينة بالزورق وتغادر الملك — وقد أطرق

مليا إلى أن بدا لمقلاص أن ينه من هذه السنة]

مقلاص : مولاي إن الشط قريب وإن الأرض أصلح مجلسا لمثل
ما أنت فيه من الهم والتفكير .

المسلك : كيف رأيت بثينة وكيف وجدت جراتها يا مقلاص ؟

مقلاص : تلك اللبابة من هذا الأسد يا مولاي .

المسلك : ما كل جرىء فطن ؛ وهذه الفتاة جمعت الجفا والشجاعة .

إنها تعلم أنني رجل رقيق القلب مجيب العاطفة وتعلم كذلك

أن شيئا من النفور قد دخلني نحو أمها منذ حين فانظر

كيف تحيلت حتى ذكرتني العهد القديم . فوالله ما أنا

الساعة بأقل حبا للرميكية ولا عطفًا عليها مني منذ عشرين

سنة . جدد يا مقلاص جدد . سبحانه اللهم جعلت

الولد سفير المودة والرحمة بين والديني .

[يندفع الزورق]

المسلك [يتغنى] : الجوز، اللوز، بارب النوز .

مقلاص [يجيب] : الجوز اللوز بوادي الخوز .

سسستار

الفضل الثاني

« خان التيمى فى أشبيلية حيث صفت الموائد والأرائك وجلس إليها »
« قوم يتحدّثون ويحتسون الشراب ، ابن حيون منفرد وحده الى مائدة »
« وأبو القاسم قادم عليه من باب الخان ، حريز يجلس الى مائدة أخرى »
« وأمام ابن حيون ، ورجال هنا وهناك يلمبون الزرد والشطرنج »
« أو يطالعون بعض الرسائل »

أبو القاسم : ابن حيون ؟ ما أطيّب هذا اللقاء .

ابن حيون : سيدي أبو القاسم يا مرحبا يا مرحبا ها هنا صُفَّةُ لينة
ومجلس كريم فلو جلسنا ساعة نتحدّث ، أذا ترى أنت أبا القاسم
أم جئت الخان في شأنٍ يعنيك .

أبو القاسم : بل إياك قصدتُ يا ابن حيون ، وإن الشوق اليك لشديد .
ابن حيون : شوقٌ بعضُه من بعضٍ يا أبا القاسم ولكن من أنباك أنى
مقيم بخان التيمى .

أبو القاسم : لقد عرفناك كالروادِ الرجل ، لا ترى إلا في خانٍ أو عند
دوارِيس الأعمار .

ابن حيون : الخانُّ والسوقُ يا أبا القاسم مدرستان من مدارس الحياة
ينتفع بهما الرجلُ الأريب ... ألسْتُ في هذا الخانِ كلَّ يومٍ
أبدلُ أهلاً بأهلي وجيرانا بجيران وأستعرضُ صوراً متحركةً
مِن الخلائقِ كلما احتجبتُ صورةً خلقتها صورة ... وكيف
حال أشبيلية يا أبا القاسم وهل من حوادث هناك ؟

أبو القاسم : الحالُ إن لم يصلحها الله فمالها من صلاح . والحوادثُ
يا بن حيون تتوالى ولا تتوَلَّى واليومُ مغبر والغدُ مكفهر .
ابن حيون : وابنُ عباد في غوايته مستمر !

أبو القاسم : خل ابنَ عباد يا أنى لا تجر ذكركه بسوء فانه السيفُ الذى
يرجوه العرب . والحصنُ الذى يحتمون غداً فيه .
ابن حيون : لم تُنصفْ يا أبا القاسم . طبعت للعربِ من الخشب
سيفاً وبنيت لهم من الشفير الهاثر حصناً .

أبو القاسم : إتقى الله يا بن حيون ... بعض هذا البغى ... للتعتمد من
المحاسن ما ينطى على مساويه . أجهلت إحسانه على أهل .
العلم وعطفه على أهل الأدب ؟ أجهلت كيف يربى أولاده
تربية لم نعرفها من الأمراء والملوك ؟ أجهلت كيف يعامل
الرميكية زوجته الفاضلة معاملةً تحسد عليها عقائل الأندلس ؟

ابن حيون : آه يا أبا القاسم من ههنا دأى وههنا ثارى عند صاحيك
آبن عباد .

أبو القاسم : يا عجباً كل العجب . ما هذا الثأر ما حديثه ؟

ابن حيون : اسمع أبا القاسم وأنصتني .

أبو القاسم : تكلم يا بن حيون فكلني مسامح .

ابن حيون : كنت في صدر شبابي صيادا شابا مليحاً رأس مالي شبكة

وقسوام معيشتي سمكة ، وكانت تختلف إلى المواضع التي

أختلف إليها من النهر للصيد وابتغاء الرزق صبية غسالة

حلوّة الدلال بارعة الجمال كأن حديثها السحر الحلال .

فانعقدت بيننا ألفة وكانت لنا مجالس على الماء كأنها

أعراس النهر ولقاءات على الوادي الكبير كأنها أعياد الدهر ،

أحببت الصبية وأحببتني وتكلمنا في الزواج وشرعنا نأخذ

له أهبة .

أبو القاسم [مقاطعا] : وبينما أنتما على ذلك طلع عليكم من النهر فلّك عليه

شارة الملك ، يحمل ملكا شابا جميلا فنظر الصبية فراعته حسنها

وكلمها فأعجبه أدها . وارتجلت الشعر بين أذنيه فبلغ إعجابه

بها الغاية فترّوجها من يومه فلأت قصوره غبطة وبهجة

ولدت له الشمس والأقمار . هذا حديث الرميكية يا بن

حيون وهذا خبر زواجها يعلمه كل من في الأندلس

ويتناقلونه بالإعجاب ويتحدثون أن بنت الشعب نزلت

قصور الملك من أول يوم نُزول الأقمار في هالاتها ، وأنها

من عشرين عاما الى اليوم قدوةُ عقائِلِ الأندلسِ والمثالِ
الأعلى بين أميراته وملِكَاته ؟ .
ابن حيون : وما كان ذنبِي يا أبا القاسم حين احتقرتُ حُبِّي واستهانْتُ
بِخطيئِي ؟ ! وكيف تريد مني بعد ذلك أن أكون لصاحبِكِ
المعتمد من المخلصين .

أبو القاسم : هب الأمر كان معكوسا يا بنَ حيون ، وهب الفلك الذي
وقف يومئذٍ بكما كان يحمل ملكةً شابةً فاتنةَ الجمالِ بيمينها
الجاء وفي شمالكها المال فنظرْتُك فأحبْتُك ودعْتُك لتبنيَ بها
وتساطرها عِزةَ الملكِ وِثراءَ المالِ — أثراك كنت تُعرض
عن الملكةِ وفاءَ بعهدِ الغسالةِ . لا والله يا بنَ حيون ما كنتُ
فاعلا ذلك . وهذا ما فعلتُ الرميكية . رأيتُ ملكا كبيرا
وشبابا نضيرا وفضلا وأدبا غزيرا فحلتُ نفسها من ذلك
الودادِ وفضلتُ أصيدَ على صياد . عرفتَ يا بنَ حيون أن
ذنبَ الرميكية ليس بالعظيم كما توهمت . بقي المعتمد وأنا
لا أجده اقترَفَ اليك ذنباً أو أراد لك ضراً بل أنا أقسم
لو علمَ ابنُ عباد يومئذٍ بما كان بينكما من الحب وما صرُّتما
إليه من الخطبةِ وشكِّ الزواجِ لأخذكما في كنفه وتكفلتُ
لكما نعمته بالزواجِ ونفقتِهِ ، وبالبيتِ وجهازهِ وبالضيعةِ
التي تُغلَّ عليكما وتبقى بعدكما على الأولاد .

[ابن حيون مطرفاً] :

أبو القاسم : ابن حيون . مالك مطرقا لا تنيس . ما بأل عينيك تمتلئان
استرح يا أنى للبكاء واسكب دموع الندم .

ابن حيون : الآن استرحت يا أبا القاسم وانطرح عن صدرى أتون
من الحقد حملته عشرين عاما حتى حنى الظهر وأكل
الصدر وأدنى من القبر .

أبو القاسم : مسكين أنت ابن حيون إن حقد عشرين عاما لو جمع
وقد يف به فى جهنم لكان لها منه وقود لا ينقد .

ابن حيون : لقد شفيتنى أبا القاسم من ضلالى القديم فأرشدنى كيف
أعذر الى الرميكية عن سوء ظننت وبغض أسررت
وأعلنت وكيف أكفر عما سلف منى فى ذات المعتمد من
جهر السوء وهمسه .

أبو القاسم : يغفر الله لك يا ابن حيون إن الحقد ما نخرج من قلب
إلا دخلته الرحمة وإنى لأرجو أن ستحب صاحبك
وترحمهما وتحسن اليهما كلما وجدت الى الإحسان سبيلا .

| يطوف قيم الخان على الجالسين حتى يقف به الطواف |

| على المائدة التى جلس اليها حريز وابن لا طوف |

قيم الخان : لعل السيدين قد وجدا الراحة فى هذا الخان الصغير ببنايه
الكبير بأقدار رواده ونزلاته ؟

حريز : ومن السيد ؟

ابن لاطون : هذا الأديبُ التيميُّ صاحبُ الخانِ وقيمه .

قيم الخان : لعلّ أيها السيدان بحضرة الأمير حريز أسد الأندلس
وصديقه ابن لاطون نمر الجزيرة .

ابن لاطون : هو ذاك يا أخا تيم . هذا الأمير حريز بطل الأندلس
وواحداه وأنا ابن لاطون خادمه وكاتب ديوانه .

قيم الخان : يا طيب هذه الزيارة وما أعظم شرفي بها ، لقد مررتُ بها
الأمير منذ ساعة ركبنا حدثونا العجب عن ذلك السباق
الذي أقامه ملك الفرنجة ألفونس في معسكره إكراماً لك
وحفاوةً بك وخبرونا كيف احتلت على الطاغية فرقت من
ذلك الجيش الجرار ناجياً بجوادك الصاعقة وظافراً بالأمير
بطرس شقيق الطاغية .

حريز : وكلاهما الساعة تحت سقف خالك هذا . ففي بعض
غرفه بطرس أمير الأسبان يأخذ قسطه من الراحة .
وفي الإسطبل الصاعقة أمير الجياد يُعلف ويستجم .

قيم الخان : يافرحا يا شرفا . أخو الطاغية أسير في خاني نبأ والله عظيم
لا تطلع شمس الغد حتى ينتشر في الأندلس قتلتغل الدنيا
بالتيمي ويهتّم بخانه الناس .

حريز : والصاعقة أمير الجياد أنسيته يارجل ؟ إن اسطبلك ليتيه به
على مغاني الفرنجة وقصورهم فاذهب فمر رجالك أن يعتنوا

به وليأتوا بما كان عليه من الأمتعة والأسباب فيضعوا

ذلك كله في هذه الزاوية من الخان .

قيم الخان : سيكون ما أمرت ياسيدي .

[يخرج الأمير بطرس من غرفة الخان]

[فينهض حريز وابن لاطون حفاوة به]

الأمير حريز : الأمير بطرس ؟ لعلك أخذت قسطك من الراحة .

الأمير بطرس : أجل قد استرحت يا حريز والآن خبرني ما أنت صانع بي

لقد أصابت الحُبالة فما أنت صانع بالصيد .

حريز : إنها أيها الأمير حُبالة كريم . .

بطرس : ولكنني على كل حال أسيرك يا حريز .

حريز : أجل ولكنك الحاكم في الأسر .

بطرس : لم تنصف أني الملك يا حريز . اطمأنت إليك نفدعته

ووثق بك وختته وأطلق لك جوادك الصاعقة وأسرت

أخاه .

حريز : نحن في حرب معكم أيها الأمير والحرب لا تُسأل عما تفعل

وأنا صاحب حصن للعرب يحاصره أخوك وفي الحصن

أبطال لا يعرفون الخوف ولكنهم بشر يعرفون الجوع .

ومنهم المرأة والصغير والشيخ الفاني الكبير؛ وحصني يوشك

أن يسقط بعد طول الحصار وضيقه .

بطرس : إذن يهيك أن يخرج النساء والأطفال والشيوخ

من الحصن .

حرير : أراك فهمت أيها الأمير .

بطرس : إذن فاعلم يا حرير أنك إن خليت الآن سبيلي فرجعتُ الليلة إلى معسكري وقومى فإنه لا يُصبح الصبح حتى يطلق سراح كل من فى حصن رباح وينالهم من برأئى وعطفه ما ينسيهم جراحهم ولا يتزع من رجالك سلاحهم بل تُترك للأسد أظفارها .

حرير : هذا ما أبغى أيها الأمير .

بطرس : وأى الأقسام تريد أن أعطيك عليه ؟

حرير : إن الرجل الشريف كلمته قسم وإشارته يمين ؛ فأنا أكتفى بما سمعتُ من وعدك فانطلق الآن محرونا بعناية الله وعد لأخيك الملك فبلغه تحيتى وإجلالى وخبره بأن رجى من ذلك السباق كان عظيما فقد غنمتُ صحبة أخيه الأمير النبيل الكريم وغنمتُ أيضا خلاص رجالى فى الحصن . وخرجتُ فوق ذلك من الميدان بكنوز طليطلة وجواهر ملوكها بنى ذى النون .

الأمير بطرس : كنوز طليطلة؟ خرجت بها بين عين الجيش وأذنه ؛ يالك من داهية عتيد . أكانت هذه الكنوز معك حين أتيت للمعسكر ؟

حرير [مضحكا] : كلا أيها الأمير بل كانت فى طليطلة وفى خزائن ملوكها

بنى ذى النون وإنما احتلتُ حتى حملتُ إلى مع الصاعقة
إذ أمر أخوك الملك أن يذهب إلى المدينة المحصورة من
رجاله ورجالى من يأتى بالصاعقة .

بطرس : عجبا . لقد رأيتُ الصاعقة حين جىء به من طليطلة فلم
أر عليه شيئا من الأجمال والأثقال فهل كان يحمل فى بطنه
الكنوز ؟

حرير [ضاحكا] : ولم لا تقول إنها كانت على ظهره أيها الأمير ...
(مناديا) يا تيمى .

التيمى : مولاي .

حرير : إدفع إلى الأمير جواده قيصر وشيعة بفارسين من أشد
رجالك يرافقانه حتى يبلغ خطوط الفرنجة .

بطرس : فى حفظ الله يا حرير .

حرير : بدمية الله أيها الأمير .

[يخرج حرير مشيعا الأمير بطرس إلى باب الخان

ويعود فيجلس على مائدة مع ابن لاطون]

ابن لاطون [يسأل حرير مسميا] : لقد ذكرتُ أيها المولى كنوز طليطلة
للأمير الأسباني فإين هى منا الآن ؟

حرير : هى معنا يا ابن لاطون بين أعيننا وفى خفارة سيفينا ولكلك
لا تراها ولا يقع فى وهم وأهم بأى موضع هى من الخان .

[يسمع من خارج الخان مناد ينادى متلنيا]

المنادى : أنا ذا طاه أتاكم من شريش بقطائف

من يذق حلوى يبرز لحريز غير خائف
حريز : لله ما ألدّ الصوت وما أحسن الشعر .

ابن لاطون : وإنا نرجو ألا تكون القطائف دونهما لذة وجودة .

[حريز متجها الى باب الخان]

حريز : تعال يا صاحب القطائف . أتعرف أيها الرجل حريزا
الذي أشدت بذكره فيما أنشدت ؟

البائع : أوتجهله أنت كائنا من كنت وهو عنترة اليد وحيدرة
الحمي ونادرة الزمان ؛ أعرفه بأميته ويومه كما يعرفه سائر
الناس .

حريز : وكيف صفته ؟

البائع : رجل عملاق أشم طويل الساعدين عبل شمردل .
حريز : كفى يا شريشي كفى إكشف عن بضاعتك لنرى أين
المنادى عليه من النداء .

[البائع يعرض الصينية مكشوفة]

صوت من الحاضرين : تعالى الله ما أشهى .

صوت آخر : تعالى الله ما أطيب .

حريز : بكم تبغني هذه الصينية يا رجل .

البائع : كل ما أعطيت مقبول أيها السيد الكريم .

حريز [ويلق اليه صرة دنانير] : خذ هذه الصرة مباركا لك فيها .

البائع : ولكم في القطائف أيها الطاعم الكريم .

حرير [للمحاضرين] : تعالوا أيها الإخوان نتقاسم هذه اللقمة الطيبة .
 تفضلوا . أقبلوا . ذوقوا معنا من هذا اللون الذي ذاعت
 شهرته في البلاد حتى قيل إن من دخل الأندلس ولم يذق
 من مجبنات شريش فما عرف من متاع الأندلس شيئا .
 أحد المحاضرين : إن لهذه القطائف لطيبا يسير من بعيد .
 [الجميع يأكلون]

أحدم : ما ألد .
 ثاب : ما أطيب .
 حرير [وهو يأكل ملتفتا الى ابن حيون] : بما بال الأديب لا يجيب الدعوة .
 ابن حيون : إني صائم أيها الأمير .
 حرير : تقبل الله منك وإن أنت لم تقبل منا .
 أحد المحاضرين [على المائدة وهو يأكل] : هذه المائدة جمعت العلف
 والشرف . فوالله ما كان أحدكم يحلم أن يؤكل أسد
 الأندلس .

آخسر : حق إن هذا هو الشرف العظيم .
 [يفرغون من الأكل]
 حرير : يا الله ما هذا الدوار ؟ ! ابن لاطون
 ابن لاطون : وأنا أيضا كآني داخل في غيبو به .
 رجل [لصاحبه] : كيف تجد الدنيا في عينك يا ضبي ؟
 الضبي : مظلمة صاعدة نازلة .

الرجل : وأنا أيضا أجد الدز يا .

أبو القاسم : لقد رُجِمَت بصيامك يا بن حيون فاني أظنّ القطائف
طبيخت بالبنج وأخذت تصرع ... نى .

ابن حيون [مذعورا] : يا ويح للجماعة غودروا صرعى وويح لك أبا القاسم
سقطت سلب العليل والحراك .

[يظهر صاحب القطائف ويصفر فيدخل جماعة من اللصوص] .

ابن حيون [وقد امتلأ المكان باللصوص] : يا الله ! امتلأ المكان باللصوص .
الآن تبينت أن القطائف كانت مصيدة لم يعصني منها
إلا الصيام .

ثم لنفسه [همسا] : تناوم يا بن حيون "ويتناوم على مقعده" .

صاحب القطائف : يا أصحاب الباز . غدا يتحدث الأندلس أن صاحبكم
صرع الأسد وأخذ الصاعقة من فارسه الجبار وقد
خصصت نفسى بأمر الخيل الصاعقة فهو حصتي من غنائم
اليوم وما سواه فهو لكم تقسمونه بينكم فدونكم الجيوب
ففتشوها وعليكم بالحقائب فانبشوها وخذوا أثاث الخان
وعروضه كل ما خفت زنته وعظمت قيمته .

أحد اللصوص : ولكن الصاعقة عريان لا سرج عليه أيها الزعيم .

البازى : يجياد الأندلس جميعا هو كاسيا كان أو عريانا .

امر آثر : لقد لمحت أيها الزعيم في زوايا الاسطبل سرجا محلى بالذهب
والفضة .

الباز : أو أتم تاركون لى السرج المذهب المفضض أيها الأصحاب ؟
 اللصوص : نحن وما نملك للزعيم .
 الباز اللص : إذن فاسبقنى يا شهاب فضع السرج المذهب على الصاعقة
 وانتظرنى هناك .

[يأخذ اللصوص فى السلب والنهب وينسلون واحدا إثر واحد
 بما حوت أيديهم ويبق رجل منهم فينحني على سرج عاقل
 يتأمله و يظن ابن حيون المكان قد خلا فيستوى فى مجلسه
 ويقع نظرا للصوص عليه فيرمى السرج العاقل عليه قائلا ...]
 أحد اللصوص [لابن حيون ويرى عليه السرج العاقل] : خذ يا شبيب السوء
 هذه الخشبة لعل فيها العوض عما أفاتك الصيام من
 القطائف .

[ويخرج اللص] :
 ابن حيون [لنفسه] : شئت يد اللص ؛ لقد قذف السرج بقوة حتى
 كسره ولو أصابنى به لتركنى جثة بلا روح ، يا لله . ترى
 أى شئ فى فروج هذا السرج .
 [يدنونه ويمسك به ثم يتأمله ويدس فيه يده]
 رب ما هذا الحصى ؟ أى مجنون يملأ سرجه بهذه
 الأحجار ... !

[ثم يستخرج عددا من الأحجار الباردة
 و يقلبها بين يديه مذهولا قائلا] :
 لآلى ! يواقيت ! أبا القاسم قم فانظر إن الذى حشا

رَأْسَكَ بِالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ قَدْ حَشَا رُذْنِي بِاللَّائِي وَالْيَوَاقِيتِ ،
 [ثم لنفسه] يَا ابْنَ حَيَوْنَ أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ ؟ هَذَا كَثْرُ مَلِكٍ عَظِيمٍ مِنْ
 أَقْيَالِ الرُّومِ جَدَّ بِهِ الْحَرَصُ وَخَافَ امْتِدَادَ الْفِتْنَةِ إِلَى كَنْزِهِ ،
 فَاخْتَارَ لَهُ هَذَا السَّرِجَ الْبَالِيَّ وَفِي نَفْسِهِ أَنْ يَصُونَهُ أَوْ يَمُوتَ
 دُونَهُ فَأَخْلَفَ الدَّهْرُ ظَنُونَهُ .

[يجمع اللآئى بين الدهشة والاضطراب ويقول] :

ابن حيون [وينظر الى اللآئى] : لآئى ! يواقيت ! ماس ! زمرد !
 رباه هذا عجل الذهب ، هذا هو معبودُ الناسِ بعدَكَ
 هذا هو المال .

ستار

الفصل الثالث

« بستان أمام دار أبي الحسن . الى يمينه باب الدار ومن ورائه شاطئ »
« الوادى الكبير — أبو الحسن جالس فى هذه الساحة وبين يديه »
« تابع له هو (سعيد) وجماعة بالقرب منه من السامرة يتها مسون »
أبو الحسن : ما هذا ؟ ما أرى ؟ إني لا أعرف هذه الوجوه ؛ فمن
الرجال يا سعيد وما يتبنون ؟
سعيد : هذه الوجوه تحوم على الدار منذ حين يا مولاي وتسال
عن أجزائها وتستفهم عن مشتملاتها ؛ وتتحدث عن
المكتبة خاصة وما عسى تضم من نفائس الأسفار .
أبو الحسن [رافعا وجهه الى السماء] : لطفك اللهم ! لقد هيج الناس بالنكبة
واشتغلوا بالمنكوب ، وما أولع الناس بالناس .
[ثم الى الرجال] : أيها الرجال تعالوا فان كنتم ضيوفا فيا مرحبا بكم ، وإن
كانت لكم حاجات تريدون قضاءها فهاتوا آذكروا .
أحمد : إيذن لي يا سيدى التاجر أنت أصرحك القول فليس

مرَّكَكُ بِسْرٍ؛ والدارُ مَعْرُوضَةٌ لا محالة، فلنبعها اليوم،
فقد تغبن جدًّا في الغد .

أبو الحسن : أُنْشِفِقْ على الدارِ أن يكسِدَ سوقها في غدٍ ؟ أم تُشْفِقْ
على نَفْسِكَ أن يكون السمسارُ غَيْرَكَ ؟ ... بِكُمْ قَوْمُ الدارِ
أيها الوسيط المجتهد ؟ وأيِّ ثَمَنِ تعطون ؟

أحسدم : عندي المشتري لنا بخمسين ألف دينار يا سيدي التاجر .
تعمل اليك في الصباح إن قبلت .

أبو الحسن [إلى الثاني] : وأنتَ فماذا عندك ؟

الثاني من السماسرة : عندي الراغبُ الذي يزيد خمسة آلاف دينار .

أبو الحسن [مشيرا إلى الثالث] : وهذا الثالثُ الآخر . ماذا عنده ؟

الثالث : عندي أيها السيد أن صديقا لك لا أسميه يريد أن يشتري
مكتبتك بالثمن الربيع فهل أنت بائع ؟

أبو الحسن [في غضب] : والمكتبةُ أيضا أخذوا يتحدثون في شرائها !

ووسادتي وفرشُ نومي أما لهما عندك من طالب أيها
الرجل ؟ أُعْزِبْ عني ! أُعْزِبْ وخذ صاحبك معك
وانطلقوا . إن النكبة لم تبلغ بعدُ تمامها ولم تبلغ معها
إلى اليأس .

[يقترِب شيخ عربي الثياب ملفتا إلى الرجال الثلاثة قائلاً]

[المغربي الشيخ] : تلك والله وقاحة !

أحد السامرة : هجّلت فيها يا وجه النخس !

[ينصرف السامرة] .

أبو الحسن [ينادى نفسه] : ظهرَ فيك السمسارُ يا دار ! اللهم أنتَ
أعطيتَ وأنتَ أخذتَ وأنتَ تعلمُ أنى لستُ التاجرَ اللصَّ
ولا المحتالَ ، فالطف بى فيما قضيتَ وأعين ولدى حسوناً
على ما يواجه من فرار النعمة وانتقال الأيام [ثم يشعر براحة
ويقبل :] الشيخ المغربى قائلاً : وأنت يا شيخ البربر ما وراءك ؟
المغربى : أنا زائر ياسيدى التاجر . وربما كلمتك فى شأن يكون
فيه ارتياحك ورضاك .

أبو الحسن : مرحباً بالزائر . تعال يا سيدى نتحدث على هذا الفضاء
الطلق . وفى ظل هذا الروض الكريم [يسيران قليلاً ثم يجلسان] .
المغربى : أنا يا سيدى التاجر رجلٌ من أغنياء المغرب . حبَّب الله
إلىَّ السياحة فى أرضه . أجوبُ مذ كنتُ البر وأرفعُ
شراعَ البحر . الى أن دفعتنى الأسفار منذ أيام الى
مدينتكم هذه أشيلية الغناء وكنتُ سمعتُ عنها وقرأتُ
الشيء الكثير . فلما نزلتها ودخلتُ فى مواضعها وخرجتُ
ملأتُ نفسى وشغلتُ خاطرى . فاعتزمتُ أن أجعلها
قرارى ومُلقى عصاى فى رحلة الأيام .

أبو الحسن : ما أسعد أشيلية يا سيدى بابنها الحديد البار .

المغربى : مهلاً يا سيدى التاجر وخذ الحديث الى آخره ، لم يبق

في نفسي من هوى الأسفار إلا جولة أجولها فيما وراء هذا
الأندلس من ممالك للفرنجية وديار . فاذا كتب الله لي
السلامة ؛ أتيت هذه المدينة فاتخذتها وطناً ودياراً .

التاجر أبو الحسن : مشيعاً بالسلامة والكرامة .

المغربي : ولكنني مزيجٌ سَفَرًا شاقاً بعيداً . وما يدرى المسافر ما وراء
الغربة من الفُجاءات ، وما تدرى نفسٌ بأى أرض تموت ،
ومعى يا سيدى من كريم الجوهر ونادره ما أخشى عليه
السَّيرقة أو الضَّياع وأنا منقطع الوارث لا أهل ينتظروننى
ولا ولد ، ولقد مررتُ بدارك هذه مراراً فكنتُ كلما
زدتها تأملاً زادتنى بهجةً وروعةً . حتى حدثتني النفسُ
بسرائرها .

أبو الحسن [في غضب] : أنت أيضاً ياسيدى أتيتَ تساومنى في الدار !
المغربي : دعنى أستقيم يا أبا الحسن فإنى جاد ! ما أنا بالمساوم ولا بالرجل
الذى يلتمس الفوائد لنفسه من مصائب الناس ؛ ولكنى
جئتُ أخطبُ اليك الدارَ وأجعلُ مهرها ما أقدرُ أنا
لا ما تهدرُ أنت ولا الناس .

أبو الحسن : ماذا تريدُ ياسيدى ؟ بين ! صرّخ ! انى لا أفهم ما تقول !
الشيخ المغربي [ويخرج عند لؤلؤ من كه] : هذا عقدٌ من كبير اللؤلؤ وخالصه
قيمتُهُ زهاء المائة ألف دينار نفذه ياسيدى ثمناً لدارك

وَأَبَقَ فِيهَا وَأَحْرَسَهَا لِي حِرَاسَةِ الْقِيَمِ الرَّفِيقِ . فَإِنْ لَقِيتُكَ سَالِمًا
بَعْدَ ثَلَاثَةِ شَهْرٍ تَمْضِي مِنْ يَوْمِنَا هَذَا نَزَلْتُ فِي دَارِي ؛ وَإِنْ
مَضَتْ هَذِهِ الْمُدَّةُ وَلَمْ أَعِدْ ، بَقِيتُ عَلَيْكَ الدَّارَ مَبَارَكًا لَكَ
فِيهَا وَلَوْلَدِكَ .

أَبُو الْحَسَنِ : وَلَكِنْ يَا سَيِّدِي هَذَا الثَّمَنُ كَثِيرٌ جَدًّا لِدَارٍ يَشْتَغِلُ بِهَا الْآنَ
السَّمْسَارُ وَالذَّلَالُ .

الْمَغْرِبِيُّ : بَرَبِّكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ لَا تُعْرِضْ عَنْ خَيْرٍ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَقِفْ لِأَهْلِ الْمُرُوءَاتِ فِي سَبِيلِهِمْ وَلَا تَسْتَنْكِرْ عَلَى رَجُلٍ
قَدْ زَادَ مَالُهُ حَتَّى مَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ بِهِ أَنْ يُعِينَ بِفَضْلَةٍ
مِنْهُ كَرِيمًا مِثْلَكَ طَالَمَا آسَى بِالْجُرُوحِ وَأَقَالَ عَثَرَاتِ الْكَرَامِ
فَإِجْزِ الصَّفْقَةَ يَا سَيِّدِي أَجْزُهَا .

أَبُو الْحَسَنِ [يَنْظُرُ إِلَى الْعَقْدِ قَائِلًا] : أَمَّا تُهْ أَلْفٌ دِينَارٌ ؟

الْمَغْرِبِيُّ : أَجَلْ يَا سَيِّدِي فِي أَقْلٍ تَقْدِيرٍ .

[أَبُو الْحَسَنِ يَأْخُذُ الْعَقْدَ وَيَتَأَمَّلُهُ وَيَقْلِبُهُ وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَرَسُو

شِرَاعَ فَنَزَلَ مِنْهُ بَنِيَّةٌ مَتْنَكَةٌ فِي ثِيَابِ شَابٍ وَمَعَهَا جَوْهَرٌ وَلَوْلُو]

أَبُو الْحَسَنِ : مَاذَا أَرَى ؟ مَا هَذَا الشِّرَاعُ ؟ مَنْ الْفَتِيَّةُ يَأْتِي ؟ إِيذَنْ لِي
أَيُّهَا الزَّائِرُ الْكَرِيمُ وَأَنْتَظِرُنِي فَإِنِّي عَائِدٌ إِلَيْكَ مِنْ فَوْرِي .

[يَلْبِغُهُ أَبُو الْحَسَنِ بِحُجْرَةِ الْقَادِمِينَ مِنَ الشِّرَاعِ . الْمَغْرِبِيُّ

يَزِيلُ تَنْكِرَهُ فَإِذَا هُوَ ابْنُ حَيَّوْنَ . حَسْبُونُ يَلْبِغُ ابْنَ

حَيَّوْنَ مِنْ دَاخِلِ الْكَشْكِ فَيُنَادِيهِ مِنْ وَرَاءِ مَجْلِسِهِ] .

حسون : تعال يا بن حيون ألاعبك الشطرنج .

ابن حيون : لييك ياسيدي حسون .

[ويدخل ابن حيون الى حسون عند اقتراب أبي الحسن

من القادمين يسارع اليه ابن غصين ولؤلؤ وجوهر] .

ابن غصين (بثينة) : السلام عليكم يا عم .

أبو الحسن : وعليكم السلام يا بني .

ابن غصين : لمن يا عم هذا القصر المنيّف وهذه الربوة الغناء ؟

أبو الحسن : هذا الكوخ يا بني لخادمكم أبي الحسن التاجر .

ابن غصين : تسمّى غرفة الفردوس كوخا ! هذا منتهى التواضع

ياسيدي التاجر .

أبو الحسن : ومن السيّد ؟

ابن غصين : ولدك ابن غصين من أبناء أعيان قرطبة، وهذان جوهر

ولؤلؤ صاحباى ورفيقا سفرى .

أبو الحسن : مرحبا مرحبا بشباب قرطبة النابه . إني أرى الدار

قد أعجبتكم يا بني وإنه ليسرني ويشرف قدرى أن تدخلوا

فتقضوا ساعة مع ولدي حسون فإني أرى عليكم الفضل

والأدب والمجادة ، وحسون لا يصاحب ولا يجالس

إلا أهل الفضل والنبل ، فتفضلوا أيها الأدباء وشرفوا

أخاكم بزورة وأتم واجدون عند حسون كل ما يشتهى

النَّشْءُ الْمُتَّقِفُ ، فَنِي خَزَائِنِهِ مَا قَدُمَ وَمَا حَدَثَ مِنْ آلَاتِ
الطَّرِيبِ حَتَّى عَوْدِ زُرِّيَابٍ .

جوهر [يصيح] : عودُ زُرِّيَابِ ؟

أبو الحسن : أجل يا بني ذلك العودُ الذي على أوتارِهِ كان عَوَادُ الأُنْدَلُسِ
يُسَمِّعُ الخُلَفَاءَ مَا تَوَحَّى إِلَيْهِ الْجَنُّ مِنْ رَوَائِعِ الأَلْحَانِ
وَيُجَدِّدُونَ كَذَلِكَ عِنْدَ حُسُونِ مَكْتَبَةٍ لَمْ يُجَمِّعْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ .
قَدْ نَحَوْتُ الذِّخَائِرَ فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفَنٍّ .

ابن غصين : وكيف وَلَعُ فَنَّاكَ يَا سَيِّدِي بِعِلْمِ الْفَلَكَ ؟

أبو الحسن : أَشَدُّ الْوَلَعِ يَا بَنِيَّ وَقَدْ جَمَعَ الْكَثِيرَ مِنْ نَقَائِصِ الْمَخْطُوطَاتِ
فِيهِ وَفِي أَوَّلِهَا رِسَالُ الْمُنَجِّمِ الضُّبِّيِّ .

ابن غصين : الْمُنَجِّمِ الضُّبِّيِّ ؟

أبو الحسن : أَجَلُ يَا بَنِيَّ وَأَذْكُرُ أَنَّهُ مِنْ شَهْرَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلٍّ ،
قَدْ أَتَيْتُ إِلَى حُسُونِ رِسَالَةٍ مِمَّا وَضَعَ الضُّبِّيُّ فَدْخَلَهُ
مِنْ ذَلِكَ فَرَحٌ يُشَبِّهُ الْجَنُونَ .

ابن غصين [لنفسه] : رِسَالَةٌ لِلضُّبِّيِّ مِنْ شَهْرَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلٍّ ؟ ! بَشْرَاكَ
يَا قَلْبُ إِنَّهُ هُوَ ؛ وَبَشْرَاكَ يَا عَيْنُ بَسْتَكَتَحِلِينَ بِهِ السَّاعَةَ
[ثُمَّ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ] لَقَدْ شَفَقْنَا إِلَى وَلَدِكَ الْفَاضِلِ أَيُّهَا السَّيِّدُ
فَإِنْ مِنْ يَسْتَأْذِنُ لَنَا عَلَيْهِ ؟ .

أبو الحسن : يَا مَرْحَبَا ! يَا مَرْحَبَا ! مَا أَعْظَمَ حِفْظَ حُسُونِ . إِتَّبِعُونِ
يَا سَادَةَ اتَّبِعُونِ ، فَإِنِّي دَلِيلُكُمْ إِلَى نَادِيهِ ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ

سُيُعْجِبُكُمْ ، إن حسون شابٌ قد ألقى اللهُ عليه محبة للناس .

[أبو الحسن مع ابن غصين ورفاقه يقفون أمام

كشك حسون . ابن غصين يلحظ لعبة الشطرنج] .

أبو الحسن [لابن غصين] : هو ذا حسون ياسيدي يلعب الشطرنج

مع صديق لنا قديم كريم لا تخلو منه الدار ساعة .

[أبو الحسن ينادى ابنه] .

أبو الحسن : حسون يا ولدي .

حسون : لبيك .

أبو الحسن : هذا ابن غصين من نبلاء قُربطية ومعه صاحباة ورفيقا

سفره يريدون أن يجتمعوا بك ساعة .

حسون : يا مرحبا ! يا مرحبا ! أهلا وسهلا بالسادة .

أبو الحسن : لقد جمعتك بضيفانك الكرام يا حسون والآن أترككم

في حراسة الله لأعود الى زائري المغربي فإنه بانتظاري

وأخاف أن يأخذه القلق .

[أبو الحسن يرجع يفتش عن المغربي فلا يجده] .

أبو الحسن : يا الله . أين الشيخ ؟ أين ذهب [مناديا] سعيد .

الخادم : لبيك يا مولاي .

أبو الحسن : ما صنع الله بالشيخ المغربي الذي كان ههنا منذ لحظة ؟

سعيد : لا أدري أين ذهب يا مولاي .

أبو الحسن [ينظر في يده وكان قد نسى فيها عقد اللؤلؤ] .

أبو الحسن [لنفسه] : ويحي ما ذا أرى ! هذا عقد اللؤلؤ في يدي نسيته

فيها يا نجلا ! ماذا يقول الرجلُ عني ؟

ابن حيون [من داخل الكشك] : سيدي أبا الحسن لقد لمحتُ زائرَكَ
المغربي خارجا من الدارِ يهرولُ فعبثًا تبحثُ عنه .

[حسن مع ابن غصين ورفاقه وابن حيون] .

ابن غصين [لنفسه] : إلهي . صدقتني القلب ما حدث وقلمًا تكذب
القلوب ، هذا هو شاب قرطبة الذي لم يخل منه القلب دقة
[ثم إلى حسن] الآن صدقتني الذاكرة فتحن ياسيدي
قد تعارفنا قبل اليوم .

حسن : وأين كان ذلك ؟ وكيف نلت هذا الشرف ؟

ابن غصين : في سوق الكتب بقرطبة من نحو شهرين أو أقل أو أكثر .
حسن : لله ما أعظم حظي . أنت والله ياسيدي ذلك الفتى الملقم
الذي نازعته رسالة الضبي ونازعنيها حتى غلبته عليها . نعم
أنت هو ، وهذا صوته ، وهذه شمائله ، فكيف اهتديت
إلى كوني أيها السيد العزيز ؟ يا مرحبا ! يا مرحبا !
جعلها الله بيننا صداقة الدهر .

ابن غصين : ولكن أنت ياسيدي تلاعبُ صاحبك الشطرنج وأخشى
أن أقطع عليكما لذة اللعب .

حسن : لا ياسيدي هذه لذة نَجدها في كل وقت وأما لقاءكم
والأنس بكم فلذة الدهر وخلسة الأيام . تفضلوا ياسادة .

ابن غصين [بلوهر همسا] : إجتهد يا جوهر أن تلاعب هذا الشيخ
وتسغله حتى يخلو لي وجه حسون .

ابن غصين [اللولؤ] : وأنت ياللولؤ إذا أخذنا في اللعب فقم عند رأسيهما
ولا تدعهما حتى أهم بالانصراف .

جوهر [الداين حيون] : أأذن ياسيدي أن أحل محل السيد حسون
في ملاعبتك .

ابن حيون : تفضل ياسيدي خذ مكان حسون وأرخني من قدرته
العجيبة على الظفر بالملاعبين ، ومن حظّه الذي هو أعجب
من قدرته .

ابن حيون [اللولؤ] : وأنت ياسيدي أتحب أن تكون من النظّارة ؟
لولؤ : يا حبذا لو أذنت ياسيدي .

[يتأبط ابن غصين ذراع حسون ويتعدان ناحية] .

ابن غصين : أحق أننا التقينا يا حسون ؟

حسون : أجل ! وكنا نظن ألا نلتقي .

ابن غصين : عناية ولطف وتوفيق أقدار لأقدار .

حسون : وقديما جمع الله الشئتين ، وطوى الأرض للبعيدتين
[يجلسان] .

ابن غصين : أتذكر يا حسون قرطبة وسوق الكتب ؟

حسون : أجل وأذكر رسالة الضبي وكيف كنا نتنافس فيها ، وكيف
غلبتك عليها .

ابن غصين [مبتسما] : وأين هي الآن يا أنحى ؟

حسون : هي هاهنا يا ابن غصين بالقرب منك وفي متناول يدك ،
إن شئت انتقلنا الى المكتبة فأخذتها .

ابن غصين : لا يا أنحى بل دعها في موضعها من خزانتك فإنها عندك
في الحفظ والصون وكأنها عندي ، ويكفيني نظرة ألقيا
على الرسالة من حين لحين كلما جئتُ دارك زائرة .

حسون [في دهش] : زائرة ؟

ابن غصين [لنفسه] : ويح لسانى قد عثر وكشف السرَّ القدر ! .

حسون [مبتسما] : كيف تأنثت أنحى ؟ ما أنت الفتى الذكر ؟ أما كفالك
هذا الصوت الساحر الرثة اللذيذُ النَّبرة حتى جمعت إليه
أنوثة اللفظ ولين الكلام ؟

ابن غصين [في تلجلج وغضب] : عثرة لسانٍ يا شاب فتر طليها مرَّ الكرام .
حسون : وما أثارك يا أنحى وليس فيما قلتُ ما يُغضب ؟

ابن غصين : لنطوِّ هذا الحديث ولنرجع لما تخافيه ... أما يسرك
يا حسون أن أخلق لزيارتك العِلل والأسباب وأن أجعل
رسالة الضبي سلماً الى دارك كلما اشتقتُ اليك ؟

حسون : كلُّ السرور يا ابن غصين ، أنا واحدٌ أبى لم أعرف عاطفة
الأخوة ولم أجد لها حناناً ولا رقةً ويخيلُ الى منذ
عرفتك أن قلبي يفيض منها وأن وجداني بها مترع ؛ فهل
ترضاني أخاك شقيقاً برّاً بك شقيقاً ؟

ابن غصين [ويتنهد] : يا مرحبا وإن كنت حلت من قلبي محل أخى
الظافر من أول يوم .

حسن : ويح أذننى ما أسمع ؟ وما أنت من الظافر يا ابن غصين ؟
وما الظافر منك ؟

ابن غصين [ويتلجلج فى الجواب] : عثرة أخرى ، ويح لسانى اختل عصبه
واختلط عضله ، إغفر لى هذه أيضا وأنسها يا حسن .

[وكان ابن غصين ينظر الى رباط بذراع

حسن فوثب فى الحديث وقال :]

ابن غصين : وقى الله ذراعك بيمينه يا أخى ، ما هذا المنديل ؟ ما وراءه ؟
حسن ؟ جرح اندمل أكثره وبقي أثره .

ابن غصين : بعد عنك الشر يا أخى ؟ من جرحك ؟

حسن : هذا واحد من جراح لم يكن يرجى أن أقوم منها لو لم تلق
عليها العناية يدها الآسية الشافية .

ابن غصين : بالله إلا حدثتني حديثك . أطلع عليك اللصوص يا أخى
فى مكان خال من الناس فأبليت فيهم وأبلوا فيك ؟
أفاجأتك عصابة الباز بن الأشهب فخرحت رجالها
وجرحوك ؟

حسن : لا يا سيدى إن القتال الذى شهدت أعظم شأنا وأنبل
أقرانا مما ذهبث اليه ظنونك .

ابن غصين : وما خبره وأين كان وكيف ؟

حسن : كان ذلك فى قرطبة .

ابن غصين : قبل تلاقينا في سوق الكتب أو بعده ؟

حسن : بل بعد ذلك بأسابيع وكنتُ نزيلا على بعض خانات
المدينة فكان من عجائب القدر أني اكتشفت مؤامرة
تدبر في الخان لاغتيال الأمير الظافر وإزالة إمارته عن
قرطبة وكان شيطان الفتنة ورأس أفعالها هو الأمير حريز بطل
الأندلس المشهور فما أطلعتُ على سر المؤامرة وخطط
أصحابها حتى ثار ثائري وغضبتُ لوطني ولقومي فانسالتُ
من الخان ليلا وركبتُ جوادا كان معدا ليركبَه بوقُ
الثورة والفتنة فعدوتُ حتى أتيتُ قصر السوسان فنبهتُ
الأمير وحاشيته وحرسه ولم أكن الى تلك الساعة رأيتُ
الظافر وجها لوجه ولا حضرتُ له مجلسا وتأهب الجميع
للقتال وما لبث الثوار أن طلعوا علينا آتين من نواحي
المدينة يقودهم بطل الأندلس حريز فتلقيناهم بصدور قد
رحبتُ بالمسوت ونفوس قد هشت اليه وذكرنا إذ ذاك
الوطن وحقه وأشبيلية وميتها في الأعناق فحملنا حملة
تجيد عنها الجبال . وكان الظافر طيب الله ثراه .

ابن غصين [مزججا] : حدثني يا سيدي عن الظافر؛ قل لي كيف قاتل ؟
وكيف قتله الغادرون ؟

حسن : تسألني عن الظافر كيف قاتل ؟ سل حريزا عنه فهو ينبئك
أنه الأسد .

ابن غصين : وأين كنت من الأمير في ساعة البأس يا سيدي ؟
 حسون : كنتُ حوله أحمى ظهره ويشد سيفي سيفه الى أن ناءتُ
 به جراحاته فسقط عن جواده وكنتُ أنا أيضا قد أُثخنتُ
 بالجروح فسقطتُ الى جنبه حتى اذا أفقتُ من غشيتي
 نظرتُ حولى فرأيتُ عند رأس الظافر هذا الصديق الذي
 تراه يلاعب صاحبك الشطرنج الآن .

ابن غصين : وما اسمه يا سيدي ؟
 حسون : ابن حيون وهو من رجال العلم والأدب .
 ابن غصين : وماذا كان من اهتمامه بالقتيل ؟
 حسون : طبع على جبينه قُبلة وبكاه ورحم ثم ألقى عليه رداءه .
 [ابن غصين يدخل في الاغماء]
 حسون : ما هذا ؟ ماذا أرى ؟ ما أصابك يا أنى ؟ ما لعينيك
 تغمضان ؟ وما بال رأسك يميل ؟ ويحى ماذا جنيتُ على
 الشاب ؟
 قد كان عن حديث الظافر لى غنى . ربّ أصاحٍ أنا أم حالم ؟

[وعند ما يميل ابن غصين في الاغماء تقع القلنوسة]
 حسون : هذه ضفائر فتاة قد هوت عنها القلنوسة فانسدت كجنج
 الليل على جبين كغرة الصباح . أيها الملك الكريم لقد عبثت
 بى إذ كنت 'تتنكر وتترجل فاعبث اليوم بقلبي ما بدا لك

فقد دبّ لك الهوى فيه، إن شئت فتنكر، وإن شئت
فاظهر فلا كتمنّ حديثك ولأقْدَسَنَّ سرّ هواك أن يذاع،
ويلاه إن الإغماءة قد طالت . ابن حيون ... ابن حيون .
ابن حيون : لييك يا سيدى .

حسنون : أنا فى حاجةٍ إليك تعال وحدك أسرع .

[يحضر ابن حيون]

حسنون : ابن حيون أنظر ما ذا ترى لقد أغمى على ابن غصين
فاذا الظبي مهأة واذا البدر يابن حيون شمس .

ابن حيون [بعد تأمل عميق] : يا لغرائب القدر هذا الوجه عرفتُه وعشيقته
قبل عشرين عاماً من هذه الأيام وقد لقيتُ بعشيقه الدواهى .
حسنون [مدهشاً] : قبل عشرين عاماً من هذه الأيام ! أهازل أنت يا عم ؟
ابن حيون : بل جاد كل الجاد يابن أنى . اسمع حسنون هذه بنت
الرميكية . هذه أختُ الظافر . هذه بنت ابن عباد .

ستار

الفصل الرابع

« باحدى مقاصير قصر الزاهى »

« العبادية والدة الملك ابن عباد مع بئنة »

العبادية : لقد علمتُ يا بئنة ما كان من زيارتك لدار التاجر
أبى الحسن وجلوسك ساعة مع ولده حسون، وأنت كنت
فى زى الغلام وكان معك لؤلؤ وجوهر .

بئنة : ومن خبرك الخبر يا جدّة ؟

العبادية : عين من الحب وكلتها بك ترعى خطاك وتحرس حركاتك
وسكاتك وإن كنت عزيمة الثقة بنفسك الأبيّة العالية
وخلقك الفاضل الشريف .

بئنة : أنت إذن يا جدّة كالمصور بن أبى عامر لك فى كل نادٍ
عين، وفى كل سامر أذن .

العبادية : لا بل أنا عجوز يا بئنة والعجائز يتلمسن الأخبار ، وأنا
أرمل ملك وأم ملك يتجسس لى من لم أندبه للتجسس .
ويحيىنى بالأخبار من لم أزود . ومهما يكن من الأمر

يا بشينة فلا تنسى أننا ما أرخينا لك الحبل إلا ونحن نعلم
أنك الفرس النجيبة التي إذا أرخى لها الرسن لم يتحش لها
جراح ولا شرود .

بشينة : جعلني الله عند ظنكم يا جدّة . وببغائك "نادر" يا جدّة
أنسيته ؟

العبادية : كيف أنساه يا بشينة وقد كان لدى كريمة وكان سيد الطير
وكان أخفها ظلا وأبينها حكاية ونقلا .

بشينة : أتذكرين يا جدّة كيف أشفقت عليه فلم ترضى أن يُترع
من ريش جناحيه كما يصنع الناس بالطير الكريم فيأمنون
طيرانه وفراره ، وإنما اكتفيت بوضع حلقة صغيرة من
الذهب في رجله اليمنى تمنعه من النهوض وتقيده وإن كان
في الظاهر حرا يتنقل في نواحي القصر .

العبادية [مندهشة] : وماذا أخطر ببغائي نادر على بالك يا بشينة وماذا
تريدين بذكر الحلقة .

بشينة : أريد أن أقول لك يا جدّة إن حالي كحال المرحوم نادر .
قيدهموني ببجوهر ولؤلؤ ومقلاص وبالعيون والأرصاء
ثم زعمتم أني حرة طليقة أفعل ما أشاء .

العبادية [مبتسة] : ولكن لا أظن حلقة الذهب تُثقل رجلك يا بشينة
فأني أرى خدام أبيك الملك لا يقصرون في صحتك عن

خُذْمَةٌ وَلَا طَاعَةَ . عَلَى أَنْ كُلَّ هَذَا لَا يَهْمُنِي إِنَّمَا يَهْمُنِي
أَنْ أَعْلَمَ رَأْيِكَ فِي الشَّابِّ وَكَيْفَ وَجَدْتَهُ . وَهَلْ هُوَ عَلَى
جَانِبٍ مِنَ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ اللَّذَاتِ وَيَسْمُو بِهِ
عَلَى الْأَتْرَابِ ؟

بشينة : أما هذا يا جدّة فنعم ، حسون فتي جمّ العلم غزيرُ الأدبِ
عظيمُ الحظ من الفنون جميعاً الى ما وهب له الله من
الشجاعة التي لا يضارعه فيها اليوم إلا أبي الملك وإلا شابُّ
كان زينَ الشباب ، طاح بالأُمس شهيد الكرامة والواجب .

العبادية : أو أبداً تذكرين الظافر يا بشينة ، دعيه يا ابنتي في أعراس
نعيمه بين شباب الجنة ، خبّريني هل في شبانٍ أمراء الديار
اليوم من هو الكفء لأميرة الأندلس وعروسه ؟

بشينة [في حياء] : هي الكفء موجوداً حاضراً يا جدّة . أهذا وقتُ
الفكر في زواجٍ والاهتمام به وأنتِ ترين الحوادث يجتد
جدّها والأمور تسوء مصايرها . مسكينُ أبي الملك أصبح
لا يدرى من أين يتلقى البلاء : المغاربة وسلطانهم
ابن تاشفين يطلعون من البحر ، والأسبان وعاهلهم ألفونس
يزحفون من البر ، والملك بينهما كالصبيد المطارد من جانبيه ،
إن تلفّت عن يمينه قُتل ، وإن تلفّت عن شماله أُكل ،
والأندلس في هذه الأثناء كالأسد الواقع في الحفرة إن سكن

لم ينفعه، وإن تحرك لم يرفعه، وحدة ممزقة، وكلمة متفرقة،
وآمال بالعدو معلقة .

العبادية : إن بنات الملوك إذا بلغن إلى مثل سنك يابثينة كان الزواج
أزكى بسترهن وأليق بجلالهن، وأما ما ذكرت من إظلام
الحوادث وجهامة الحوادث، فتلك حال اختلفت علينا بها
السنون حتى ألغناها وقد تصير إلى الأردأ الأسوأ . وقد
يبعث الله برياح اللطيف فتعصم السفينة من الصخرة وتقيها
كارثة الاصطدام . بثينة ! بنتي أنا الجدة ولدتك مرتين
إستريحى إلى برك وبوحي إلى بمكنونه فلن تجدى
أرحب برك ولا أرحم لك من هذا الصدر . خبرينى
يا بثينة أتعرفين بين أبناء سروات أشيلية اليوم قى يتوسم
فيه الخير ويرجى فى أمره الصلاح، ويقول الناس عنه :
فلان كفء لبنات الملوك ؟ بثينة . لقد مررت باسم
حسنون مرا ولم تصفيه لى . فما شكله ... وما أوصافه ؟
بثينة : هو يا جدّة شاب فى أواخر العقد الثالث من عمره،
رشيق القامة فى طول، أسمر اللون فاحم الشعر جمده،
ساحر النظرة، اذا تبسم جذب، واذا تكلم خلب .

العبادية [مبسطة] : هو إذن قى جميل يا بثينة ؟

بثينة : جدا وخفيف الظل فوق ذلك .

العبادية [بعد اطراق] : ولكن ...

[فاجئت الفتاة ولاحظت الجدة ذلك] .

العبادية : لا تغضبي يا بشينة فليس وراء « ولكن » شيء أقوله يحط من شأن حسون وينزل به عن مرتبة الفتيان الأعجم . بل كل ما هناك أن الناس يتحدثون اليوم في همسهم عن نكبة نزلت بالتاجر أبي الحسن فذهبت بمعظم ماله .

بشينة : وما يعيبه من هذا يا جدّة ؟ أليس أبو الحسن تاجرا ، والتجارة جزر ومدة ، وحرمان وجدّة ، ونحس وسعد ، فكم من تاجر بمنزلة أبي الحسن قد نكب فذهب عنه كل شيء إلا الخلق ، ثم لم تمض مدة من الشهور أو الأعوام حتى سمع الناس وتحدثوا أن التاجر فلانا المنكوب تغلب بالخلق على نكبته فعاد دولاب تجارته كأس عظيم الحركة عميم البركة ، ومثل أبي الحسن في خلقه وأمانته وشرف اسمه في الأسواق لا يبعد أن يقوم من هذه السقطة ورجلاه في عافية .

بشينة [صاغية ثم قائلة] : ... أسمعيت يا جدّة .

العبادية : أجل ! سمعت تنفّساً .

بشينة : ترى من الطارق ؟

[يدخل عليهما الملك]

الملك : صفحا يا أم وعذرا يا بشينة اذا كدرت عليكما الحلوة وقطعت

عليكما الحديث فوالله ما دفعني اليكما الساعة إلا هم سار
وشاغل جليل .

العبادية : لا بأس عليك يا بني ، وعافاك الله أيها الملك ، تفضل ،
اجلس .

بثينة : خذ مكانك بيئنا يا أبت واسترخ إلينا من همومك ، فها هنا
الرحمة قد بسطت جناحيها : ها هنا الأم والبنت .

[الملك يضع جبينه على كنف بثينة باكيا] .

بثينة [باكية] : ... هون عليك يا أبت وتجمل أيها الملك فقبلك لم تبك
الآساد ، ولا اشتكت الأطواد ، ولا ضاق البحر عن
الأعاصير الشداد . تحدث إلينا يا أبت ولا تيأس من
روح الله . وعليك بهذه الحلقة الشنيقة والأم البرة فائتمنها
على شرك .

الملك : الملك ألفونس منذ سقطت طليعته وقضاها الله له أصبح
لا يعرف لى منزلة ولا يألونى تحقيرا وإهانة و يطلب المال
باستكلاي وشره والبلاذ باستطالة ولؤيم ؛ ومن عجيب
أمره أنه يغضب من جهة فيصخب ويتهدد ، ويلين من
أخرى فيلومنى على الاستغاثة بيوسف بن تاشفين
واستنجاد جنوده ، ويدعى الطاغية أنه أوفى لى منه عهدا
وذمة وأصفى صداقة ومودة ، وأننى إن حالفت سلطان

المغرب كانت مخالفة الذئب للحمل ، وأن بربر المغرب اذا
دخلوا الأندلس طغوا في البلاد وهدموا بنيان الحضارة
فيها ، ومن نكد الدنيا أن تصدق فينا نبوءة هذا الناصح
الغاش فقد طمع ضيقنا ابن تاشفين في ملكنا وسلطاننا
وتطلعت نفسه الى خيراتنا وأرزاقنا ، واستنصرناه على
ألفونس فاذا نحن الآن نخشى منه بطش النصير ، واذا
أشبيلية قد تضرمت منى ومنه العجب ، النمر في قصر
هناك وراء الضفة يجتمع به أعدائي وأعداء الأندلس
من أبنائه الأندلسيين وصغار العقول من الفقهاء ومن يلتف
عليهم ، وهؤلاء يحسنون له البقاء في الأندلس واغتنام
الفرصة لضمه الى سلطنته ، و يقيمون عنده الحجج على
فساد ملوك الطوائف ويجعلونني الهدف الأول ، وهنا
في هذا القصر أسد مقلّم الأظفار مغلوب على العرين وحيد
من الأنصار والأعوان .

الحاجب : شيخ يدعى ابن حيون بالباب يا مولاي .

بثينة : أدخله يا أبي وبالغ في إكرامه فقد سلف للرجل إحسان
إلينا لا ينبغي لنا أن ننساه أبد الدهر .

الملك : أدخله أيها الحاجب ... [يخرج الحاجب من الباب] خبريني
يا بثينة ما إحسان ابن حيون إلينا ؟

بثينة : لقد حدثني من لا أشك في صدق روايته أن هذا الرجل
صلى على أخي الظافر وبكاه وألقى عليه رداءه .

[يدخل ابن حيون فتسدل العبادية . وبثينة كلتاها على وجهها القناع] .

ابن حيون : السلام على الملك ورحمة الله .

الملك : وعليكم السلام أيها الولي الشفيق الحميم .

ابن حيون : لو أذن لي الملك في خلوة [وقد رأى السيدتين] .

الملك : لا تخش شيئا يا ابن حيون ، فهذه العبادية ، أمي وهذه بثينة
بنتي ، فحديثك لن يساق إلا إليّ ، وسرك لن يجاوز أذنيّ .

ابن حيون : أيها الملك . نحن اليوم أخوف ما كنا على هذه الأوطان ،
وفي مثل ما نحن فيه تجبُّ على الأمة النصيحة للملك ،
وقد انتهى إلى أذنيّ من بعض الفقهاء والمختلفين إلى
ضيّفك هذا يوسف بن تاشفين أنه أصبح يرى نفسه أحقّ
بهذا الملك منك وقد رأيت رأياً فان أذن الملك رفعته إليه .

الملك : وماذا رأيت يا أديب الأندلس ؟

ابن حيون : أعلم أيها الملك أن هذا الضيف الذي نصرته ونصرك
وحالفته وحالفك وقاتلت معه قتالا يبق حديث الدهر
هو أهل لأن يغدرك وفي غدرك ضياع الأندلس جميعا
ووقوعه في قبضته البربرية الفاشمة ، وقديما كان هذا
سلوكه مع غير واحد من أمراء المغرب فتزع منهم ملكهم

وسلطانهم وشردهم في الصحارى والقفار، فلا تفوتك
يا مولاي خطة الحزم والعزم في أمر هذا النمرذى العمامة
والمسبحة .

المسك : وماذا تنصح لي أن أصنع ؟

ابن حيون : ألا توطئ الأرقم سريرك ، وأن تقطع السيف قبل أن
يقطعك ، وأن تقبض من فورك على ضيفك هذا فتسجنه
ولا تطلقه حتى يأمر جنوده بمغادرة الأندلس بره وبحره ،
ثم يحرس أسطولك البحر من كل سفينة مغربية تجرى
فيه ، فاذا تم لك ذلك أخذت على ابن تاشفين الأقسام
ألا يعود إلى الأندلس بعدها أبدا . وخذ منه الرهائن
فإن نفس الرجل أعز عليه من ملك الأندلس والمغرب
مجتمعين ؛ وله أعداء بيلاده يخشى تحركهم وانتقاضهم
ويخاف أن ينتهزوا الفرصة للاستيلاء على ملكه ...

العبادية : أيها المتكلم المحسن والناصح الصادق لم يخف على مكان
مشورتك ولكنها خطة أولها لؤم وآخرها شؤم ؛ فإن
الملك أكرم وأعظم من أن يغدر ضيفه أو يخون جاره
أو أن يحفر الحفرة لمن أقال عثرته .

الملك [لابن حيون وقد رآه يضطرب] : لا تُرع أيها الرجل الصادق فقد سخا
حين نبئنا بوصولك نخوض في هذا الحديث وكان رأي

كرأيك وأما ابنتي بثينة فلم تكن أبدت رأيها بعد .
 بثينة : مولاي . كلا الصوتين نبرة حق . ونصيحة صدق ،
 إلا أنني أميل إلى الأخذ برأى الأديب ابن حيون .
 الملك : بورك فيك يا عقيلة الأندلس . مثل هذا السمو في الرأي
 وهذا الحرص على حقيقة الملك لا يستغربان من بنات
 الملوك المنشآت بين أعباء الدولة ومهام السلطان .
 العبادية [مترضة] : ونحن بنات الشعب ألا يقام لرأينا وزن يامولاي ؟
 الملك [مبتسما] : أنتن تلدن الأجسام الصحيحة والقلوب الحريئة
 وتحسن تدير البيوت ولكن لا تصلحن لسياسة الممالك .
 الملك [لابن حيون] : لو تيقنت يا بن حيون أن جمهور شبان الأندلس
 يشاطرونك أنت وبثينة الرأي لما تأخرت ساعة عن العمل
 بما تُشيران به على .
 [يدخل مفلاص] .

الملك : كيف قضيت ليلتك عند ضيفنا أمير المسلمين يوسف
 ابن تاشفين ؟

مفلاص : كانت ليلي يا مولاي ونحن ، كما تعلم ، في آذار وفي إبان
 القمصر طويلة مظلمة باردة لم أضحك فيها السلطان مرة
 ولكن بكيت مراراً ولم أجلب له السرور ولكن جلبت
 لنفسى النعم .

الملك [متعجباً] : ما هذا الخبرُ يا مقلّاص ؟

مقلّاص : وَجِدْتُ يا مولاي بِمَحْضَرَةِ أميرٍ لِلْمُسْلِمِينَ لَا يَفْهَمُ كَلَامَ الْعَرَبِ وَعِنْدَ رَأْسِهِ تَرْجُمَانٌ مِنْ كِتَابِهِ يَفْسِرُ لَهُ كُلَّ مَا نَقُولُهُ مَعَشَرَ الْعَرَبِ فِي مَجْلِسِهِ وَيُشْرِحُ لِكُلِّ مَنْ مَا يُشْرَفُ بِهِ السُّلْطَانُ مِنَ الْخُطَابِ .

الملك : ثم ما ذا ؟

مقلّاص : رَأَيْتُ هُنَاكَ يا مولاي مَلُوكَ الْأَنْدَلُسِ وَقُوفًا بِيَابِ السُّلْطَانِ مُتَنَافِسِينَ فِي إِذْنِهِ .

الملك [ملتفتاً إلى زائره قائلاً] : أَسَمِعْتَ يَا بَنَ حَيُونَ ... ؟ أَعَرَفْتَ ...
ثم ما ذا يا مقلّاص ؟

مقلّاص : وَرَأَيْتُ ثُمَّ فَقَهَاءَ الْأَنْدَلُسِ بِعِائِمِهِمُ الْمَكْبَرَةَ وَجَبَّهَمُ الْمَوْسِعَةَ يَتَمَسَّحُونَ بِالْأَعْتَابِ .

الملك : أَسَمِعْتَ يَا بَنَ حَيُونَ ! أَعَرَفْتَ ؟

الملك : ثم ما ذا يا مقلّاص ؟ قل لنا كيف وجدتَ السلطان .

مقلّاص : بُوَّ عَلَيْهِ طِيلَسَانٌ وَبُومَةٌ فِي يَدَيْهَا صَوْبُ الْحَانِ .

الملك : وما ذا قال لك حين وقعت عينه عليك ؟

مقلّاص : أَدَخَلْتُ إِلَيْهِ يا مولاي فَحَقَّقَنِي مِنْ رَأْسِي لِقَدَمِي ثُمَّ قَالَ لِي :
أَأَنْتَ الرَّجُلُ الَّذِي عَمَلُهُ إِضْحَاكُ الْمَلِكِ بْنِ عِبَادٍ وَتَلْهِيقُ
أَسْرِيهِ ؟

الملك : فما كان جوابك ؟

مقلاص : قلتُ له أجل أيها السلطان أنا نديمُ الملكِ وسميره .

الملك : فماذا قال لك ؟

مقلاص : قال لي إذا فأضحكنا نحن أيضا . عجل أضحكنا .

الملك : فماذا صنعت ؟

مقلاص : دخلني نجلٌ شديد ووقفتُ ساعةً أنظرُ في ثيابه ولم يفتح
الله عليّ بشيءٍ يضحك منه ضيفك الكريم . فهمتُ
بأن أقبض على السلطان بكلتا يديّ وأقذف به من النافذة .

الملك : وماذا منعك يا مقلاص ؟

مقلاص : سيفه المعروض على حجره والزبانية القائمون عند رأسه
وبجانيه كأنهم العفاريت ، إلا أن السلطان لحظ حرجَ موقفي
فاشارَ بأخراجه فحضرَ من رجاله من صرفني في وقاحةٍ
وإذلالٍ فخرجتُ وأنا لا أدري فسيم طلبني الرجل .
وأحمد الله على أن لم يجعلني في خدمةٍ سلطانٍ مثله له وجهٌ
كوجه الأسد لا يعرف التسم ولا البشاشة .
[مقلاص يريد أن ينقذ الملك من تأثره] .

مقلاص : لقد وجدتُ ضالتي يا مولاي .

الملك : وما ضالتك التي وجدت ؟ وهل عدت تهذي يا مقلاص ؟

مقلاص : لا يا مولاي ... ألا تذكر أنني كنتُ من الإعجاب بجمال

الأميرة بثينة وكما لها وسمو منزلها بين عقائل الشرق والغرب
بحيث لا اعتقد أن بين فتیان الدنيا من هو أهل لأن
يخطبها إليك .

الملك [مبتسماً] : والآن هل وجدته يا مقلّاص ... ومن ترى يكون؟
مقلّاص : فتي جرى جميل رأيتَه يوم الزّلاّقة يحىّ ظهرك هو وحريرُ
وابنُ لاطون فظلّ سحابةً نهاريه معلّناً بالسيف دونك
حامياً لحوزتك حتى لقي البطّلات حريز وابن لاطون
حتفّيهما وحمل هو إلى داره مُثخناً بالجراح .

الملك : ومن الفتى يا مقلّاص ؟
مقلّاص : هو يا مولاي أجملُ فتیان الأندلس وأشجعُهم وهو الآن
طريحُ الفراش ما يزال يشكو من جراحه .

الملك : ومن يكون ... ؟ وما اسمه ؟
مقلّاص : هو حسون ابن التاجر أبي الحسن .
ابن حيون : لقد صدّق فتاك يا مولاي فإني كنتُ عند حسون الليلة
البارحة أعوده وقد أفاق من جراحه وقصّ علىّ حديثَ
بلائه يوم الزّلاّقة حين اشتدّ القتالُ بينك وبين الإفرنج
فأخبرني أنه رأى يومئذٍ جوادك وقد ضعُف وخار من
شدّة الجراح فقدم لك الصّاعقة : أمير الجياد، فركبته
وكان تحت البازن الأشهب لصّ الأندلس نحر عنه قتيلاً .

الملك [مندهشا] : أوكان البار بن الأشهب يجاني يقاتلُ معى أعداء
البلاد ؟

ابن حيون : نعم يا مولاي ، ويقول حسون إنه أبلى يومئذٍ بلاءً عظيماً .
الملك : يا لله ، أياكون اللصوص أوفى للأندلس من أمرائه
وفقهائه ، وأبذلّ منهم للأرواح دون لوائه ... وأين حسون
الآن ؟

ابن حيون : هو كما ذكرتُ لمولاي ما يزال طريق الفرياش ولكن لا خطرَ
على حياته .

الملك : الآن تذهبُ أنت ومقلاص فتنوبان عني في عيادته والسؤال
عن أمره وإبلاغه تحيى وشكرى وما أُعِدُّ له من جليل
المكافأة .

بثينة : وأنا أيضاً أبلغ حسونا تحيى وشكرى يا سيدى ابن حيون
وأرجو أن يعلم أن أخت الظافر لم تنسه ساعةً وأنها قد
جمعتُ له هذه الأزهار بيدها فاحملها إليه وقل له لو كنتُ
الملك لبعثتُ له بالغار في الأزهار وبالصوب لحان مع الريحان .

[رفى هذه الأثناء يدخل جومر]

جومر : مولاي . لقد وقع ما كنا نحاذرُ وحلُّ بأشيلة البلاء .

المعتمد : البلاء ! تريد أن الصديق قد انقلب وأن الحليف قد عادَ
حرباً . هذا ما خفتُ أن يكون وقد كان .
[يدخل لؤلؤ]

لؤلؤ : أغث أيها الملك المدينة أدركها فقد خلقتُها وجنودُ
السلطان يتدفعون فيها كالسيل بعد ما اشتدَّ ضغطهم على
باب الفرّج وأقاموا ساعةً يدفعونه حتى ناءت به الكثرةُ
فانفتح فنفذوا منه الى كل مكان فأخرج يا مولاي فقاتل
حتى تستنقذَ الوطنَ أو تموتَ دونه وإلا فالنجاى النجاى !!

الملك [منضبا] : تدعوني يا شاب للفرار . هيهات هيهات . الأسدُ
لا يهربُ ولا يخافُ الموتَ . [ملفتنا الى جوهر] خبرنى
يا جوهر أين كان فتیانُ أشبيلية وأين هم الآن .

جوهـر : قَبَعَ الفِتيانُ فى البيوتِ يا مولاي إلا مائة أو مادونَ المائة
شهدوا معك يوم الزلاقة وتعلموا منك الكرّ والإقدام واليومَ
قد لبسوا السلاحَ وخرجوا يلاقونَ الموتَ وهم بانتظارِكَ
ليجعلوك اللواء الذى تسيل نفوسُهم عليه .

المسلـك : يا بشرى مائةُ شابٍ وطَنوا النفسَ على الموتِ ؛ أما والله
لو صدقتَ يا جوهر لكان لى من مائة قلبٍ مجتمعـة
مؤتلفة متواصية بالحق وبالموتِ قوّةٌ أرمى بها فى العُبابِ
فيمحى وأقذفُ بها على الجبال فتزول . البدارَ البدارَ
يا جوهر امضِ لوقتِكَ فضع بيدِكَ السرجَ على الصاعقةِ
والقنّى به على الباب .

جوهري [بصوت عالٍ] : أبشري أشبيلية هذا الليث قد تحرك لنصرة
العرين .

الملك : في ذمة الله وفي حفظه يابنات المعتمد .

بنينة : في درع من وقاية الله يا أبي فلاني أراك أخذت سيفك
ونسيت درعك .

[المعتمد وهو منطلق والسيف مسلول في يده ولا درع عليه]

الملك : إن يسلب القوم العدا ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم تراه لم ألا تحصني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شيء دفع
ما سرت قط إلى القفا لـ وكان من أمل الرجوع
شيم الألى أنا منهم والأصل تثبته الفروع

ستار

الفصل الخامس

المنظر الأول

« في دار أبي الحسن ، في غرفة حسون ، حسون »

« راقدة على سرير مريض وأبوه أبو الحسن داخل عليه »

أبو الحسن : قم يا حسون ، إنهض . إن العناية بلغتك مُنالك . وشفتُ
بعودك للحياة أباك .

[ينتفض حسون من رقدة جالسا]

أُوشِكُ يا بني أن أهتدي لموضع بثينة فهل تساعدني وهل
تتخف معي لعلنا نجد الكثر الضائع . ونظفراً بالأمنية
المنشودة .

حسون : ماذا حدث يا أبي ؟ ماذا رأيت أو سمعت حتى امتلأت
تفاؤلاً واستبشاراً ؟

أبو الحسن : أتذكر يا بني خاتم الزمرد الذي كانت تطوف علينا به
في سوق الجواهر سيدة كهلة من وصائف القصر وهي

تبحث عن توأيم للفص وتلمسه فلا تجده ؟

حسن : نعم يا أبى ! وأذكر أنها كانت تنسب الخاتم للأميرة بثينة
وتصف رغبة الأميرة في الحصول على فص يكون في حجمه
وصفاء لونه وسلامته من العيب ليكون لها من الجواهرتين
قرط عزيز المثل .

أبو الحسن : فاعلم إذن يا بنى أننى كنت منذ حين في سوق الجواهر
فما راغنى إلا رجل قوى من قواد المغاربة قد جعل
يطوف على التجار يعرض عليهم حلية فأخذتها عيني فاذا
هى خاتم الأميرة بنفسه . فترثت إلى أن كفف المساومون
وكان آخر ثمن بُذل في الخاتم ثلاث مائة دينار وكان
التجار يقولون للرجل : لوجئنا يصنوهذا الجهر لنقدناك
فيهما الألف أوزدنا . وهناك أومات إلى الرجل أن
يتبعني فتبعني . فاتبذت به ناحية وقلت له : أنا آخذ
الخاتم بالثلاث مئة وأزيدك عليها مئة إن أنت صدقتني
الخبر عن مصدره وكيف وصل إليك ومن أى المعادن
التقطته ؟ فانبسط الرجل وتهلل وقال : هذه الحلية
ياسيدى بخارية من قصر ابن عباد وقعت لي سبية يوم
هجومنا على أشبيلية ، فنقلتها إلى دارى فلم أجدها عليها غير
هذه الحلية وكانت في يدها فأخذتها ، وأما البخارية فلم
أجدها مغنا بل مغرما . فإنها سقيمة مستسامة للأحزان

طعامها قليل ، ونومها غرار ، ودمعها لا يرقأ حزنا على
 سادتها . ونحن لانحب من النساء إلا القويات
 الصغيرات الأبدان . ولا أكتمك ياسيدى أنى بأمر
 الجارية تعب ويؤدى لو تخلصت منها . فقلت له : خذ
 الآن الأربع مئة دينار مباركا لك فيها . وأعلم أننى
 طبيب مولع بالمشاهدة والتجريب ، كثير الاعتناء بالمريض
 البائس فلو مضيت بى الى بيتك لعلنى أنظر الجارية ،
 فأعرف علتها وأصف لها دواءها أو أخفف آلامها .
 فقمنا فمضينا حتى انتهينا الى داره . وهناك أدخلنى على
 الجارية المريضة فدنوت منها . وقلت لها : عوفيت
 يا جارية ولا خوف عليك إن شاء الله تعالى .

حسنون : والنونة يا أبت ؟

أبو الحسن : رأيته يا حسنون فوجدتها فوق ما كنت تصف لى لطفاً
 وجمالا . والتفت الى القائد البربرى فقلت له : أو تعطينى
 هذه الصبية أيضا وأنا أتمها لك خمس مائة . فتهلل
 الرجل وارتاح وقال : خذها يا سيدى وأرخنى منها ودأوها
 أنت فعساها تصبح على يدك فنقدته المائة الخامسة وحملت
 الصبية فوق ذراعى وخرجت بها فركبت جوادى وأركبتها
 خلفى وانطلقت حتى بلغت الدار .

حسون [صانها] : وأين هي يا أبت ؟ أتراها هي بنوتها . ربي أجعلها
هي ... وأين تركتها يا أبي ؟ وفي أي موضع من الدار ؟

[يفتح باب غرفة مجاورة فاذا بثينة من وراء]

الباب . فيندفع اليها حسون صانها ...] .

حسون : بثينة ! حبيبتي ! أميرتي .

بثينة : حسون ! أني ! صديقي !

أبو الحسن [قاطعا عليهما لذة اللقاء والحديث] : الآن وقد جمعتك يا أميرة
بصديقك وخادمك حسون ، أستاذن في الخروج الى
بعض شأني ساعة .

بثينة : لا يا عم ، بل ابق البث ، إن وجودك معنا يزيد الموقف
بهجة وطيبا .

أبو الحسن : إن أذنت يا أميرة فإن احتجابي عنكما لن يطول .

حسون : بل ابق معنا يا أبي .

أبو الحسن : سأعود يا بني ، سأرجع [ويخرج أبو الحسن] .

حسون [الى بثينة] : ماذا أقول يا أميرتي ؟ وكيف القول في هذه
الساعة التي هي العمر ؟

بثينة : أنظر حسون كيف جعل الله هذا اللقاء الذي لم يكن
في الحسبان عوضا لما فاتنا من نعيم الحياة ومتاعها ، حتى
كدت أنسى ذلك الملك المتزوع والسلطان الذاهب ، وأسلو
القصور وضيئتها ، والدولة وأعراسها .

حسون : وأنا أيضا يا بثينة غفرتُ هفواتِ الدهر لهذه الساعةِ
المحسنةِ الطيبة وإن لم أخلُ ولن أخلو ما عشتُ من تفجّع
للوطنِ العزيز وتوجّع لرزئه الجليل .

بثينة [منتهده، مكتئبة بعد انبساط] : آه من الدهر ماذا صنع . لطف الله
بك يا أشبيلية فيما حلّ عليك من قضاائه، وجعل وطأة
المغاربة خفيفة عليك وعلى جارائك من حواضر الأندلس .
حسون [مطرقة منهدا] : دهرٌ بينيه يا بثينة قلب، ودنيا ترتجّل المعائب،
وملك في السماء يفعلُ بعباده على الأرض ما يشاء، ولكن ...
بثينة حبيبتى أميرتى : أحقُّ أننا التقينا في لحظة أم نحن
خيالات في رؤيا من الأحلام ؟ أتذكرين يا بثينة يوم
السوق ؟ أتذكرين قرطبة ؟ أتذكرين رسالة الضبي
لله ما كان أحلاك يومئذ وراء اللثام .

بثينة : وأنت يا حسون لله ما كان أجلك وأكملك وكأنك يومئذ
ملك . كنتَ تنتقل في السوق فتخرج من مكتبة وتدخل
غيرها وتدعُ كتابا وتأخذُ كتاباً والكتبُ حلية الشباب النابه
وجمال الفتوة النابغة .

حسون : أتذكرين كل ذلك يا بثينة ؟

بثينة : أجل كل ما كان من حركاتك وسكناتك يومئذ ومن عباراتك
وإشاراتك ما يزالُ مرئياً في ذهني لم تمحه الشهور ولا
أحسب الموت يحوه .

حسون [يمد يده الى ذقنها ويقول] : بحياتي نونة كالدرة المكنونة .
 بثينة [في شيء من الغضب] : نَحْ يدك يا بن أبي الحسن لا تمتدّها الى ما لم
 تملك بعد .

حسون [في انكسار واستحياء] : اغفريها للحب وللشوق يا أميرة . شُلْتُ
 يدي إن كنت أضمرتُ سوءاً أو هممتُ بريئة .

[يدخل أبو الحسن] .

حسون : أبي ! أبي لم تُبْطِئْ يا أبي .

أبو الحسن : كنتُ مشغولاً يا بني بتهيئة طعام الأميرة .

بثينة : جزاك الله خيراً يا عم ومد لنا عمرك .

أبو الحسن [ياخذ مجلسه ويقول] : الحمد لله يا ولدي على هذا التلاقى الذي

هو من توفيق الأقدار ، فالיום جمعكما هذا البيت على أثر
 الكارثة وفي أعقاب النكبة كما يجمع الشاطئ الغريقين
 سالمين بالرمق من انكسار الفلك ومن ثورة الريح وطغيان
 الماء ، لقد تعارفتما بالأمس فنشأت بينكما الألفة وأنست
 الروح بالروح ، وانعطف القلب على القلب وقديتاً يا أميرة
 صاهرت الملوك الرعية وأبوك ، لطف الله به وبنا جميعاً
 فيما حل علينا من قضائه وقدره ، أسمع من سن هذه السنة ،
 فرفع على عرش أشبيلية امرأة من رعاياه ، هي الرميكة
 خيرة الملكات ، وأم العقائل من البنين والبنات .

بثينة : أراك ياعمُ قد بالغت في مؤاساتي حتى أنكرت يد الدهر
وما نالت منا، وإلا فأين أبي مني اليوم؟ وأين من أبي
ملكه؟ وهل نحن اليوم إلا سوقة نتنصف .

أبو الحسن : هوني عليك يا أميرة إن أباك لم يخلعه قومه، ولكن
خلعه المغيرون، فهو في نفوسنا معشر الأشيبين حاضر
الجلالة مائل المهابة مرتسم الكرامة، يومه كأمسه وغده
كيومه وإن اختلف به اليوم والغد وتصرفت به الأيام،
وأنت أيتها الأميرة فما زلت بنت الملك المعتمد بن عباد،
فهل تنزلين إلى القبول بابني هذا حسون زوجا .

حسّون : وخادما أمينا .

بثينة : هذا كثير في المجاملة والمواساة ياعم ، إن حسونا كفء
ويشهد الله أني أحبه وأجله ، وكأنني بأبي في غيابة سجنه
ينظر إليه كما أنظره . ويشعر نحوه بمثل ما أشعر ، ولكني ،
كما علمت ، مفجوعة : باب منكوب ، ملك مغزول ،
أخذ فغل ، ثم سربل الذل ، وبأيم ثكلى وإخوة قتلى ،
وأخوات أميرات يتعذبن من الخلع ويتكسبن من غزل
أيديهن .

حسّون : قد قلت حقا يا أميرة وأنا لا أتخيل الجميع هناك إلا
مشغولين بك فوق منفاهم . يفتشون عن مكانك بعين

حَبْرَهَا الدَّمْعُ ، وَيدَ قَصْرَهَا العَجْزُ ، وَقَدِيمُ أَعْجَزَهَا القَيْدُ .
 بَيْتِنَا : إِذَا فَانَتْ تَرَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا مِنَ الْبِرِّ ، أَنِ أُوجَدَ
 وَلَا يَعْلَمُونَ أَنِّي وُجِدْتُ ، وَأَنْ أَتَزَوَّجَ وَلَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ
 وَبِمَنْ تَزَوَّجْتُ . وَمَاذَا يَقُولُونَ إِذَا هُمْ عَلِمُوا أَنِّي اتَّخَذْتُ
 مِنْ مَاتَمِهِمْ عُرْسًا ؟ !

ابن حيون [يدخل ويقول بعد أن رأى بَيْتِنَا ، مندهشاً] : سَيِّدَتِي بَيْتِنَا هُنَا ؟
 الْأَمِيرَةُ بِخَيْرٍ ؟ مَا أَعْظَمَ مَتْنِكَ يَا رَبِّ .
 [ويحاول تقبيل يد الأميرة فتسحبها منه] .

بَيْتِنَا : لَا تَفْعَلْ يَا عَمِّ . أَهْلًا بِكَ يَا بَنَ حَيُونَ . وَمَا أَعْظَمَ
 سُرُورِي بِإِلْقَائِكَ .

أَبُو الْحَسَنِ : أَنْظِرْ ابْنَ حَيُونَ نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْكَثْرَةِ الْغَالِي الثَّمِينِ .
 حَسُونَ : أَنْظِرْ ابْنَ حَيُونَ كَيْفَ رَدَّ اللَّهُ عَلَى رَاحَتِي وَرُوحِي ، وَأَعَادَ لِي
 الْحَيَاةَ وَالْأَمَالَ .

ابن حيون : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَكَ فِي حَفِظِهِ وَفِي ذِمَّتِهِ ، وَالَّذِي رَدَّكَ
 إِلَيْنَا سَالِمَةً يَا سَيِّدَتِي ، وَالَّذِي هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَكَ بِأَهْلِكَ
 كَأَمْسٍ عَلَى بَإِجَاءِ الْأُمُورِ وَفِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ .

بَيْتِنَا : لَقَدْ رَأَيْنَا يَا عَمِّ كَيْفَ تَلْتَقِلُ الْأُمُورَ ، وَعَرَفْنَا كَيْفَ تُبَدِّلُ
 أَهْلَهَا الْقُصُورَ ، وَأَصْبَحْتَ لَا أَطْمَعُ مِنْ دَهْرِي إِلَّا بِالْعَيْشِ
 فِي ظِلِّ الْأَمْنِ وَالْخَمُولِ ، وَبَيْنَ قَلْبٍ يَحْنُو ، وَنَفْسٍ تَعْطَفُ .

ابن حيون: طيبي إذن ياسيدي نفسي، إن الذي تشتهين قد اجتمع لك، فالأمن والسكون لا تعدمينهما في جناح من هذه الدار، أو في جنة بعيدة عن الناس من جنات هذا الإقليم وإني أشهد أن هذا الفتى يُحبك وأنت ملء قلبه وملء نفسه، فاقرنى ياسيدي حياتك بحياته تجدى حقيقة السعادة في ظل الحب المشترك الصحيح.

حسون: كان هذا حديثنا يا عم قبل حضورك ولكن لم تكن فرغنا منه بعد. وقد رأيت الأميرة براً بوالديها وقضاء لحقهما أن يكون زواجنا بعين أبيها وسمعه، وبقبول أمها ورضاها. وكل زواج رضى به الأبوان وارتاحا إليه سبقت فيه البركة وطافت به الرحمة.

ابن حيون: لقد رأيتم صواباً. واتفقتم على واجب كان لا بد من قضائه. ولا أظن هذا المقترح لقي منك اعتراضاً يا أبا الحسن.

أبو الحسن: معاذ الله يا بن حيون، ولكن ألا ترى معي أن حسونا والأميرة محتاجان إلى الراحة واسترداد العافية.

ابن حيون: أما هذا فنعم، ولم لا يقضى حسون والأميرة هذا الأسبوع في هذه الدار حتى تثوب إليهما القوة والعافية.

حسون [مقاطعا]: أتاذن لي يا أبي إن رأيت غير رأيك ورأي ابن حيون؟

أبو الحسن : تكلم يا بني فانت حر .

ابن حيون : الكلام حرقى الأندلس يا حسون فتكلم .

حسون : أرى يا أبى أن تُسافر من ليلتنا بل من ساعتنا الى أغمات
منفى الملك .

أبو الحسن : تُسافر ؟ نسافر الساعة ؟ وانت والأميرة على هذه الحال
من الضعيف والسقام ؟

حسون : أبى إني ذكرت الوالدين المنكوبين نخيل إلى أنهما على
جمر لا يهدأ من اللوعة لاحتجاب الأميرة والشك المعذب
في مصيرها ، وليس ما ذكرتما أنت وابن حيون من ضعفى
وضعف الأميرة وأثر السقيم والهم فينا إلا حالاً لا يلبث
الشباب أن يتغلب عليه ، فالمرءة تأمرنا جميعاً ألا تؤخر
الرحيل ساعة إذ لا معنى للإسعاف إذا هو لم يعجل ولم
يأت في أوانه .

ابن حيون : هو ذاك .

أبو الحسن : نعم الرأى .

الأميرة : ليكن كما أشار حسون .

حسون : إذا فهلم أبى ، هلم ابن حيون ، هلمى يا أميرة . الساعة
نسافر فنقضى الواجب .

الأميرة : ويقضى الله ما يشاء .

[يدخل الغلمان الخدم صائحين]

الغلمان : سيدى أبا الحسن ، سيدى حسون ، سيدى ابن حيون
خُذُوا حَذْرَكُمْ أَدْرِكُوا الدَّارَ .

حسون : ما يُعْجَبُكُمْ أَيُّهَا الْغُلَّامَانِ . وماذا حَوْلَ الدَّارِ . لِمَ نِى أَسْمَعُ
ضَجَّةً . أما تَسْمَعُ يَا بَنَ حَيُونَ أما تَسْمَعُ ضَجَّةً يَا أَبِى ؟
بِثْنِيَّة : حَوْلَ الدَّارِ ضَجَّةٌ .

خادم من الغلمان : أولئك جنودُ المغاربة يا سيدى .

الثلاثة [بصوت واحد] : جنودُ المغاربة حول الدار ! ؟

الخادم : أَجَلْ أَتَوْا يُسَالُونَنَا عَنْ بِنْتِ الْمَلِكِ هَلْ رَأَيْنَاهَا وَهَلْ
أَوَيْنَاهَا وَهَمَّ يَقُولُونَ إِنَّهَا دَخَلَتِ الدَّارَ مِنْذُ سَاعَةٍ وَإِنَّهَا
طَرِيدَةُ الْأَمِيرِ سِيرَى بَنِ أَبِي بَكْرٍ قَائِدِ جَيْشِ الْفَتْحِ .

حسون مغضبا : بَلْ قُلْ جَيْشِ الْفُضْحِ يَا غَلَامَ ، فَقَدْ بَاءَ الْغَادِرُونَ
بِقَضِيحَةِ الْأَبَدِ .

بِثْنِيَّة : الْآنَ فَهَمْتُ يَا حَسُونُ ، الْآنَ أَدْرَكْتُ يَا عَمَّ أَنْ سِيرَى
ابْنِ أَبِي بَكْرٍ كَانَ قَدْ خَطَبَنِي إِلَى أَبِي ، وَكَانَ رَسُولُهُ يَوْمَئِذٍ
الْقَاضِي ابْنَ أَدْهَمَ ، فَلَا أَبِي أَجَابَ ، وَلَا أَنَا قَبِلْتُ ، وَلَعَلَّهُ
تَذَكَّرَنِي الْيَوْمَ فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذَنِي عَنُوةً .

حسون : لَا وَاللَّهِ يَا بِنْتَ الْمَلِكِ لَا تَسْقُطُ مِنْ رَأْسِكَ شَعْرَةٌ وَأَنَا
حَتَّى سَاعِدَى مَعَى وَسَيْفَى بِيَدَى مَسْلُولٍ .

[وَبَعْدَ إِطْرَاقِ يَسْتَأْنِفُ وَيَقُولُ]

لا بأس عليك يا أميرة، ولا علينا يا أبي من طلعة البربر
ولا من اجتماعهم بنا في هذه الحجرة أو غيرها من الدار
ولا خوف علينا من قتلهم ونيلهم .

الناب : وكيف يا حسون ؟ وماذا اعتزمت أن تصنع لتدفع عنا
هذا البلاء ؟

حسون [بعد فكرة قصيرة] : اسمع يا أبي ! في هذه الغرفة صندوق مملوء
من ثياب المغاربة وأسلحتهم فاتبعوني . أدخلوا من
فوريكم فاخلعوا ثيابكم هذه وخذوا من الصندوق ما شئتم
من ثياب المغاربة وتزيوا بزى القوم ثم نخرج فنختلط
بهم أو ندعهم وسيلهم ونأخذ سبيلا غيره .
ابن حيون : هو لا شك سبيل الفرار .

حسون [مبتسما] : هو ذاك يابن حيون : السرقة، السرقة [ثم ملتفتا الى
الأميرة] أدخلى يا أميرة، أسرعى، أسرعى لا يضيعن الوقت
فإن الجنود فى طلبنا .

[يدخل الأربعة الحجرة ثم يخرجون فى الزى

المغربى ويكون الجنود قد دخلوا وهم يقولون]

الجنود [داخل المنزل لبعضهم] : قتلوا، أنبشوا .

الأربعة [خارجين قائلين] : قتلوا، أنبشوا [ويكررون ذلك ثم ينسلون من المكان]

المنظر الثاني

« تحت أسوار السجن في أغمات حيث ترى بثينة وحسون »

« وأبو الحسن وابن حيون على مقربة من حارس السجن »

ابن حيون : ها نحن أولاء شارفنا أغمات، وهذه أيها الرفاق هي القلعة
التي شاءت الأقدار أن يسجن فيها الملك العظيم .

حسون : يا لعجائب القدر ! قرية ظلت القرون الطوال مجهولة
مغمورة أصبحت اليوم تسافر إليها الظنون من كل مكان
وتشتغل ممالك العرب بها وبزيلها العظيم وتشرف الأسماع
لمطالع قوافيه وينظر الرواة ما يقول فيه الشعراء من كلمات
التوجع ونفثات الحنين .

بثينة [بعد إطراق واستعبار] : يا لقسوة القدر ! أهذا قفص الأسد
يابن حيون ؟ أهنا منى الملائك من عقائل بني عبّاد ؟
تباً لك يابن تاشفين . ما كان أبخل جاهك على الكرام ،
وما كان أكثرك في القيود على الأحرار .

ابن حيون : صه أيتها الأميرة فهذا السجن ينظر إلينا وقد يدخل الريبة

في نفسه أن يسمع منك مثل هذا الكلام .
 حسون : كفيّ الدمع يابئنة وأقلّ الجزع ولا تنسي أن وراء
 هذه الجدران جروحا من الدهر لم يبق لها بلسم سواك .
 فكوني المفاجأة الشافية وأطلعي عليها بابتسامك الحلو
 طلوع العافية .

السجان : من الرجال ؟ ما تبتغون ؟ متى كان حرم السجن موضع
 وقوف وهمس ؟

حسون : نحن أيها السجان طائفة من آل الملك السجين وحاشيته ،
 قد هزنا الشوق إلى زيارته والسؤال عن أمره ، فادخل
 فاستأذن لنا عليه .

السجان : أنسيت أيها الفتى أن هذه القلعة هي من السجون التي
 يعيرها السلطان اهتمامه فلا يدخلها داخل إلا بإذنه ولا يخرج
 منها خارج إلا بإذنه ، فهل بأيديكم جواز يبيع لكم زيارة
 السجين ؟

ابن حيون : أنت تعلم يا أنى أن مولانا السلطان يعطف على أسيره
 الكريم .

السجان [متكئا] : كل العطف ياسيدي .

ابن حيون : وأنت تعلم أن الملك المعتمد قد رخص له من أول يوم
 في استصحاب من يشاء من خواصه وذوى قرباه .

السجان : أعلم هذا أيها السيد .

ابن حيون : فكر إذن في الأمر قليلا . فليس يضرُّك أن تُدخِلنا إلى الملك وتتركنا عنده ساعةً لعلنا نشفى برؤيته وحديثه الشوق والصباية [ويلقى للحارس صرة ويقول] ومع ذلك فأليك هذه الصرة خذها وبلغنا الأرب .

السجان [وهو يضع الصرة في كفه] : ما هذا أيها السيد ؟

ابن حيون : هذا . قد لمستَه بيدك ، هذا قد سمِعتَ رنينَه بأذُنك ، هذا يا أخى هو الذهب مفتاحُ الأبوابِ كلِّها إلا بابَ الجنة . الحارس : هذا كثير يا سيدى .

ابن حيون : بل هو قليلٌ يا أخى . ولك مثله عند خروجنا من حضرة الملك .

السجان : لقد سألتُمونى أمراً صعباً أيها السيد ... ومع ذلك ... فما فى دخولكم من بأس ، تفضّلوا يا سادة أَدْخلوا .

المنظر الثالث

« في سجن أغمات حيث يرى ابن عباد بين أمه وزوجه وسائر أولاده »
 « وحاشيته » وقد شاعت آية البؤس والتعاسة في وجوه الجميع ، اليوم »
 « يوم عيد وقد جلس ابن عباد يتلق تحية العيد وكلهم صامت خاشع ... »

ابن عباد [مناجيا نفسه] :

فيا مضي كنت بالأعياد مسرورا
 فساء لك العيد في "أغمات" ما سورا
 ترى بناتك في الأطهار جائعة
 يفرزن للناس ، ما يملكن قطميرا
 برزت نحوك للتسليم خاشعة
 أبصارهن حسيرات مكاسيرا
 يطلن في الطين والأقدام حافية
 كأنها لم تطأ مسكا وكافسورا
 من عاش بعدك في ملك يُسر به
 فإنما عاش بالأحلام مفسورا

الرميكة [الملك] : الأميراتُ بين يديكِ أيها الملكُ أُتِينَ يَهْنَأُكِ بالعيد .
 الملك : يا مَرَحَبًا بهن ، ولا مَرَحَبًا بالعيد ولا أهلا به ...
 عيد ! بأية حالٍ عدتَ يا عيد ؟ إذهبْ فأنتَ على
 السجين حرام .

الملك [لنفسه] : لكن لا يابنَ عباد! بعضُ هذا الجزع ، وتجلدُ رحمةً بهذه
 الحمامِ الموثقةِ ورقفاً بهذه الملائكة المسجونة .
 الملك [الى بناته] : العيد يا أخواتِ بشينة يوم يجمعُنا بأختِكن .
 إحدى الأميرات : والعيدُ أيضاً أيها الملك يوم يُرد الله عليك مُلكك
 فتدخلُ أشبيليةَ عليك التاجُ مُؤثلقاً .
 أميرة أخرى : بل العيدُ يا أبي يوم تدخلُ الأندلسَ فتنتقلُ في ربوعه
 وممالكه تنقلُ الشمس من دارٍ إلى دار .
 الملك : تقبلُ الله منكُنَّ يا عباديات ورحمَنِي .

إحدى الأميرات : هَوْنٌ عليك يا أبي فلم يدم في النعيم والبؤس قوم .
 الملك : لقد هَوْن الصبرُ الحوادثَ عندى يا بنتاه إلا حادثه أصبحَ
 القلبُ جريحاً لا يقوى على حملها .
 الأميرة : وما تلك يا أبتى .

الملك : أختُكِ بشينة واختجأها الذى طال . وانقطاعُ الأخبارِ
 عن مصيرِها .

الرميكة : لا تياش من رحمة الله أيها الملكُ وانتظر فرجاً يأتى به من

فضله وكرمه فهذا قلبي يحدثني، وقلبي كذبت قلوبُ
الأمهات، أنْ بُشينة قد وُجدت وأنها بخير وأمان .

الملك [بايكا متضرعا] : اللهم اسمع من أمتك الرميكية وتقبل منها
وَأَدْخُلْ عَلَيْنَا السرور ولو ساعةً فإن عهدنا به عهدٌ طويل .
[الأميرات يصغرن]

الرميكية : ضجة ؟

أميرة : حركة !

أخرى : نقل أقدام !

الملك : أنظري يارميكية من الداخلون ؟ فإن عيني أصبحت
لا تحققُ الأشباح .

الرميكية : سلم الله عينيك يا مولاي وأقرهها بِلِقَاء بُشينة .

[وفي هذه الأثناء، يثب مقلص من الباب ويرجع مع]

[القادمين بنجل نوب الأميرة تعادله قائلاً ...]

مقلص : سيدتي بُشينة ! أميرتي ، يا عاريا ، يا فرحا .

الملك : ربّ ما أرحمك ماذا أرى : ، إذا أسمع ؟ ما هذا الطيبُ
الذكي ؟ إني أجِدُ ريح بُشينة .

الرميكية : بشراك يا قلبُ هذه فأذنتك نُزِدَتْ إليك [وملصقة أنفها] :
سيدي ملكي أنظر كيف استجاب الله لنا به هذه بُشينة مبهلة .

الملك : أجل ! أيتها الملكة أقبلت الدنيا وعاد الزمان .

إحدى الأميرات : بثينة ! أختي ! ما أعظم إحسانك بآرب .
 الملك : بنيتي . بنيتي . تعالى أملئي ذراعى كما كنت تختبئين فيهما
 طفلة صغيرة .

[تطرح بثينة على صدور والدها وتقول] .

بثينة : أبى ، سيدى ، ملكى ، لا بأس عليك يا ملك العرب .
 الملك : ولا عليك يا ابنتى ، ثقي بالله وأملئ وجهه الكريم .
 بثينة : الصبرُ منك تعلمناه يا ملك الصابرين .
 الملك : والجلدة يا بثينة أنسيتهما ؟ أما بك إليها شوق ؟ أما لها منك
 قبلة ؟

بثينة [وتقوم بلذنها] : جدتى ، سيدتى ، ملكتى : شهد الله ما خلا القلبُ
 منك ساعة وما جدتُ في مضيقٍ فذكرتك إلا انقلبَ فضاً .
 ولا أظن الله سبحانه وتعالى أنقذنى من البلاء وردنى الى
 أسرتى ورد أسرتى الىّ إلا ببركة رضاك أطل الله عمره
 يا جدّة .

[ثم ترمى بثينة فى أحضان العبادية جدتها وهى محاطة بأخواتها
 الأميرات تقبلهن ويقبلنها حتى استمرت اللوعة وأحدها أبواها
 بينهما وانتظمت من الأسرة الملكية حلقة . وهناك أقبل الملك
 على ابنته بالحديث فقال] .

الملك : خبرينى كيف اختطفيت يا بثينة وما حديث اختفائك ؟
 جدّة : ليه ليطمش قلبى فقد كان احتجابك فى غليان الفتنة ؛

وعند احتدام الفتن يُذال المصون ويهون العزيز وتقع
الفتنات .

بثينة : ولكن الله سلم يا أكرم الآباء .

الملك : حدثينا إذن حديثك يا بثينة .

بثينة : حديثي يا أبت عجيب ، محزون ، سار ، مبهج ، مضحك ،
حافل بعجائب القدر ومدحشات القضاء .

الأميرات : حدثينا إياه يا أخت أسرى .

الربكبة : قصي علينا يا بنتاه قصتك .

الملك : خبريني الخبر يا بثينة .

بثينة : نظرت إليك يا أبي يوم هجوم المغاربة على أشيلية فرأيتك
تقاتل وحيداً قليل العون والمساعد وكان أشيلية تحتك
العرين وكانك الأسد يحمي عرينه شداً شبراً ، فقلت
في نفسي : علام تعلمت الضرب بالسيف وعلام كنت
أركض جياذاً الخيل في سهول الأندلس وحزونه إذا أنا
لم أقض حق وطني ولم أحيم ظهراً أبي في هذا اليوم
العصيب ، ثم جعلت على وجهي لثاماً وتقلدت سيفاً
وامتطيت جواداً ونرجت من القصر فليحت بك ، فلم
أزل أقاتل بجانبك وأحامي عنك حتى امتدت الي يد من
حديد فاقتلعتني من سرجي فأغنى على ثم انتهت فإذا أنا
في دار رجل من قواد المغرب .

الملك [مغضباً] : وماذا لقيت من المغربي الحشِن ؟

بثينة : لم ألق إلا خيراً يا أبي فقد كان الرجل ديناً وتقياً ، أخذ ما على من الحُلَى .

الملك : ياله من دينٍ تقى .

بثينة : ... وتركني فلبثتُ في داره أياماً طريحة الفراش، لا أذوق طعاماً ولا أطمع رُقّاداً ، إلا ما كان من سَكَرات الحمى ، الى أن سَخَّرت لى العناية هذا الشيخ الجليل [وتشير الى أبي الحسن] فلم أدرك كيف نُقِلْتُ الى داره وهى لا تَقِلُّ رِفْعَةً عن قديم دُورنا ولا تقصر بَشاشة نعمة عن زائل قصورنا .

الملك [فى قلق وفضب ، مشيراً الى حسون] : وهذا الشابُّ من يكونُ يا بثينة ؟

بثينة : هذا حسون ابنُ هذا الشيخ الجليل التاجر أبي الحسن ، وله عُنْدنا أيادٍ يذكُرُها مثلك فى الكرام فقد قاتل الثوار فى قُرطبة مع أنى الظافر رحمة الله عليه ، وأبلى فى وقعة الزلافة بلاء كان له خطره وأثره فى ذلك الفتح المبين .

ابن حيون [متدخل فى الحديث] : وقد جرحَ حسون يومئذٍ جرحاً بليغاً فحمل الى داره فمات بَلغها حتى بعث اليك أيتها الملك بالصاعقة ذلك الجواد الأشقر فركبته والوطيس حامٍ والحربُ مجنونة فكان ميمون الناصية ، من صوته نصرت ، وفى ركابه غلبت وظهرت .

الملك [مفكرًا مهتمًا] : الصاعقة؟ فرس الباز بن الأشهب لصّ الأندلس؟

ابن حيون : أجل أيها الملك ، وقد كان تحتك في وقعة الدهر بين الفريجة
والمسلمين وكان رابع فريس قُدم لك يومئذٍ وأنت كلما هلك
تحتك فرس ركبتَ غيره .

العبادية : أعرفتَ محدثك هذا يا مولاي ؟

الملك : كيف أجهله أو أنساه ، هذا ابنُ حيون الذي زارنا
في أشبيلية ونصح لنا فلم نسمع منه ، فالحمد لله الذي جمعنا به
حتى نستأنف شكر إحسانه .

ابن حيون : أطال الله بقاءك يا مولاي وأعانك على هذه الشدة وردك
إلى ديارك وردّ ديارك إليك .

الملك : وأنت يا حسون فقد ذكر لي بلاؤك ووصفتَ عندي كثيرا
بمحاسن الصفات ومكارم الأخلاق .

حسون : مدّ الله حياتك يا مولاي وظلّلك برعايته وأمانه .

بثينة : إيدن لي يا أبي أن أعترف في مجلسك بأنني كنتُ في بعض
أيام تنكّري أجمعُ بهذا الشاب النحيل فلا أجدُ إلا أدبًا
حسنًا ، وعلمًا جمًّا ، وخلقًا فاضلًا ، وشمائلًا قد لا توجد
في أبناء الملوك .

الملك : أتذكرين يا بثينة كيف كنتُ معك ضدّ القاضي ابنِ أدهم
حين جاءني يخطبك للأُمير ، سيرى بن أبي بكر .

بثينة : أذكر ذلك يا أبي ولا أنسى لك فضلك ما حييت .

المسلك : أعلمى إذن يا بنية أن الأوان قد آن وأن الإسلام لا دبر فيه ولا رهبانية، وأن السجن قد يحتمله الطفل وقد يطيقه الكهل ولكنه يرهق الشباب ويزهقه فلن نرضى لك أن تشاطينا هذا المنزل الحشيش وهذه العيشة الجافية وإن قلبي ليحدثني بأن ألفة روحية قد انعقدت بينك وبين هذا الشاب النبيل .

حسن [مت دخلا] : أياذن لى الملك إن عرضت أن قوله الكريم إنما يعرب عما أكن لسيدتى الأميرة من الحب والإجلال وإني أجد أقصى التشريف وغاية السعادة أن ياذن لى الملك فى أن أخطب سيدتى بثينة إليه .

الملك [ملفتا الى بثينة] : وأنت ماذا تقولين يا بثينة ؟

« الأميرة تنفض حياء وتسكت »

المسلك : من الصمت كلام .

الملك [الى أبو الحسن] : وأنت يا أبا الحسن ماذا ترى ؟

أبو الحسن : ما يرى الملك أفضل . فباشئت فمرنا يا مولاي ؟

الملك [الى الربكة] : والمملكة ما رأيها ؟

المملكة : قد أمرت يا مولاي بما فيه الخير جعله الله زواجا مقرونا بالسعادة واليمن .

ابن حيون : أياذنُ الملك لى أنا الآخر بالكلام ؟

الملك : تكلم يا ابن حيون فقد عرفتُ مودَّتكَ وإخلاصك ،
وتبينتُ نصحك واهتمامك ، ولولم يكن من احسانك إلى
والى أسرقى إلا تجشمُ هذه الرحلة من أشبيلية الى أغمات
لكفى فى باب المروءة والوفاء .

بن حيون : لا شكر على واجب يا مولاي . وقد طوّقتنى الساعة منّة
لا يترعها من عنق الموت بما رسمت من بناء هذا الفقى
الماجد الباسل بهذه الأميرة التى لم يلدِ الملوك أجمل
ولا أكمل منها : والآن بقى لى متمسُّ أرجو أن يُجيبنى
الملك اليه .

الملك : اقترح يا بن حيون تجد مَلِيًّا مجيبا فيما تبلغه قدرة ملكٍ مخلوع .

[يخرج ابن حيون جرابا كان قد شده على وسطه ثم يفتحه وينثره
عند قدمى الملك فتنتثر اللآلى ، واليواقيت] .

الملكة : جواهر !

الأميرات : لآلى ! يواقيت !

مقلام : يالك من كنزٍ ثمينٍ ظال .

الملك [وهو يضحى على الكنز] : ومن أين لك يا بن حيون كل هذا
المال ؟ فمثل هذا الكنز لا يكون إلا ذخيرة ملكٍ وابن
مُلوك .

آن حيون : هو كما تقول يا مولاي ، فهذا الكنز كان لملكٍ ووارث

ملوك، فساقته العناية إلى، واليوم قد هلك أصحابه وبادوا
فأصبح لي وحدي أتصرف به كيف أشاء، وبالأُمس
قومتُ هذه الجواهر بما يقربُ من ألف دينار وأنا
مقسمٌ هذا المال ثلاثة أقسام: ثلثٌ تأخذه أنت يا مولاي
فتستعين به على ما أنت فيه من الشدة، وثلثٌ يأخذه حسون
وزوجته فيعيشان به رغدا، والثلثُ الثالثُ يكون لي
ولأبي الحسن التاجر هذا [شيرا إلى أبي الحسن] تؤسس به
تجارةً ونعقدُ بيننا شركةً نتحدّى بها تجاراتِ الفرنجة
في الأندلس .

أبو الحسن: ... الله أكبر أنت والله هو المغربي الذي دخل على داري
وما كنت يومئذٍ إلا متكرراً مُحسناً للتكرار فأسوت جرحي
وحفظت على داري واستنقذتني من عوادي البؤس
والفاقة، والآن تردُّ على تجارتي وتشاطرني كرائم مالك،
فبأي لسان أؤدى شكر إحسانك .

ابن حيون: بل أشكر الله يا أخي فإني لم أعنك بمالي ولكن أعنتك بماله
ولا أجدني صنعتُ يومئذٍ إلا واجبا ولا قضيتُ إلا ديناً
على الصداقة القديمة وللود الصحيح .

الملك: لكن ما عساي أصنعُ يا ابن حيون بهذه الثروة وأنا كما تراني
صيد في قيد، وأسد في صفد، وحى في قبر، ودنيا في شبر
إنها لهبة مشكورة وإن كانت والحرمات سواء .

ابن حيون: لقد أراح الله بالك من هذه الناحية يا مولاي وأذهب
عنك الحزن... أما يسرك يا مولاي أن تثقل من هذه
القلعة المظلمة الرطبة الى منزل بظاهر المدينة جديد البناء
حسين الأثاث مُحِيط به الأشجار من كل جانب، فتزله
وقد طرحت هذه القيود فتستقبل الراحة والحرية وتتمتع
بالعزلة التي هَامَ بها العقلاء في كل زمان.

الملك: ومن لي بهذا الذي تصف يا بن حيون؟

ابن حيون: بل هو أمرٌ قد تمَّ يا مولاي فقد فرغ من شرائه وتأنيته
وتهيته لتزورك به في أهلك وعيالك، وأما النقلة فعداً
أو بعده إن شاء الله.

الملك: وابن تاشفين...؟

ابن حيون: هو الذي أمر أن يكون كل ذلك وقد تذكرت المشهورة
التي سارت مثلاً في قيم الأندلس: إذ سئلت أي المفرضين
أحب اليك: ملك الأسبان أم سلطان المغرب فأجبت
(رغى الجمال ولا رعى الخنازير) فأمر أن يحمل اليك في المنزل
الحديد بغيران من نجائب إبله لترطاهما له في تحميلة الدار
الجديدة.

الملك [في إطراق]: الآن تذكرت. لقد سئلت مرة في مجلس الحكم
إن كان لابد لي أن أخضع لسلطان أو أدين للملك بالطامة

فأى الملكين أفضل وأى السلطانين أختار : سلطان المغرب
أم ملك الأسبان؟ فأجبتُ : (أرعى الجمال عند أمير المسلمين
ولا أرعى الخنازير لملك الأسبان) وأظن أن عبارتي هذه
نُقلت يومذاك إلى ابن تاشفين فأعجبته ووجدَها شريفة.

بثينة : ولكن المكافأة كانت غير شريفة يا أبى .

الملك : تريدان يا بثينة أن تقولى إن مروءة السلطان لم تزد على
أن جعلنى راعياً لجماله بعد ما سلبَ نعمتى واغتصبَ ملكى
ونفانى أنا وأسرتى فى أغمات .

الريكية : هذا جهدُ الرجلِ فى المروءة يا مولاي وهذه غايةُ كرمه
فلا تكلفه فوقَ قدرةِ باعه ولا تسأله ما ليس فى طباعه .
الملك [لابن حيون] : ولكن قل لى يابن حيون من أخذ لنا هذا التافه
القليل من ذلك السلطان الشحيح ؟ ومن ذا الذى اجتهد
لنا وصنع كل هذا حتى غير رأى السلطان وصرفه
عن العُنف إلى اللُطف ؟

بثينة : هو لاشك أبنُ حيون يا مولاي .

ابن حيون : ما اجتهدتُ ولا صنعتُ شيئاً ولكن المال صنع .
[ويشير إلى الجواهر] .

الملك : سنذكر لك هذه المهمة الكبرى يابن حيون .

بثينة : وتلك المهمة الصغرى أتذكرها للسلطان يا مولاي ، فقد
تسمّح فنقلك من هذه القلعة إلى دار غيرها فى أغنيات .

المسك : [ريثم ابتسامة تهكم] : أعيش فيها حراً طليقا بين أربعة
 جدران وأرعى له فيها الجمال .
 بثينة : أنت الذي رعيت لله في أشبيليه قوما شيدوا حضارة الإسلام
 وشعبا عزيزا كريما طالما ناضل دون عرينه وصبر على
 عداوة الفرنجة وتألمهم عليه القرون الطوال .

ستار الختام

قلم سبز

تمهيد

زمن الرواية : القرن السادس قبل الميلاد
 مكان الرواية : مصر] منفيس : عاصمة مصر .
 صا الحجر : مقر البلاط .
 فارس/سوس : عاصمة الفرس .

أشخاص الرواية :

أمازيس : فرعون مصر .
 بسامتيك : ابن أمازيس وولي العهد .
 نفريت : ابنة أمازيس .
 نيتاس : ابنة فرعون أبرياس المقتول .
 قبيز : ملك الله س .
 تاسو : حارس فرعون .
 تتي : وصيفة الملكة نيتاس .
 فانيس : كان قائداً في الجيش المصري ثم التحق
 بالجيش الفارسي .

رجال الوفد الفارسي .

رجال البلاط الفرعوني .

قواد - جند : من الفرس .

ساحر - راقصات - أقزام ،
نوب - حجاب - خدم

مصريون .

الفضل الأول

المنظر الأول

« بالقرب من غرفة فرعون أمازيث الخاصة —
« تاسو حارس فرعون — الأميرة نفريت ابنة الملك »

تاسو : نفريت ؟

نفريت : تاسو ها هنا ؟

تاسو : وهل أرى إلا هنا ؟

أحومٌ حول صني وحول هذي القَدَم

نفريت [وتنظر إلى رجلها] :

حول رجلى أنا ؟

تاسو : أجل حول هذا الشُّهْد والزُّبْد والنميرِ الصافي

ما بك يا نفريتُ ما هذا الأسى ؟

ما بال عينيك تريدان البكا ؟

نفريت : تسألني ما بي ألم تعلم بما

جرى ويجرى من فجائع القضا

تاسو : ماذا جرى ؟ ماذا لقيت ملكتي
 من القضاء ؟ مُهَجَّتِي لَكَ الْفِدا
 نفريت : كيف لقد كان حسابي أنا بخطبة الفُرس تحطمتنا معا
 تاسو : إذن فهذا الغم من جزائها
 وأنتِ تخشينَ الرحيل والنوى
 نفريت : وأنتِ يا تاسو ألم تحزن ؟
 تاسو : أنا ! أحزنُ يا سلطنة الفُرس أنا ؟
 لقد وِدِدْتُ لو مَلَكْتُ كُلَّ ما
 دبَّ على الأرض وطار في السما
 نفريت : وفُرَّقَتِ تاسو ألم تحزن لها ؟
 تاسو : ولِمَ وفي الفرس يكون الملتقى
 نفريت : في فارس ! في قصر زوجي نلتقي !
 يا عجباً ماذا تقول يا فتى ؟
 تاسو : لِمَ لا أليس في القصورِ سعة ؟ نحن هنالك مثلُ ما نحن هنا
 نفريت : هذا الغباءُ منك تاسو عجبٌ ليس المكانان على حدٍ سوا
 هنا أبى إذا بَكَيْتُ رَقاً لى وإن شغمتُ لكَ عنده عفا
 تاسو : وثُمَّ ؟
 نفريت : وحشٌ في إهابٍ بَشِيرٍ يَقْتُلُ من يَلْقَى
 تاسو : أمون لُجْنَا !
 وماذا اعترمت ؟
 نفريت : اعترمت البقاء بمصرَ وفي ظلِّ هذى الحُجَرِ

و بِالْقُرْبِ مِنْكَ وَمِنْ وَالِدِيَّ وَمِنْ إِخْوَتِي وَذَوِي الْأُخْرَى
 وَبَيْنَ وَصِيفَاتِي الْمُسْتَفِقَاتِ وَمِنْ لَذِيذِي مِنْ بَنَاتِ الْأَسْرِ
 تَاسُو : وَلَكِنْ تُرَى كَيْفَ تَجْرِي الْأُمُورُ إِذَا عَلِمْتُ فَارِسُ بِالْخَبَرِ
 وَقِيلَ لِقَمْبِيزَ فَرَعُونَ خَالِسَفَ وَابْنَةُ فَرَعُونَ لَمْ تَأْتِ
 نَفَرِيَتْ : لِيَجْرِبِمَا شَاءَ تَاسُو الْقَضَاءُ لِيَجْرِبِمَا شَاءَ تَاسُو الْقَدَرُ
 لَتُخَسَفَ بِقَوْمِ عَلَيْهَا الْبِلَادُ لِيَسْتَأْخِرَ النِّيلُ أَوْ يَنْفَجِرُ !
 فَأَمَّا أَنَا فَسَأَبِقُ هُنَا وَإِنْ غَضِبْتُ فَارِسُ وَالنَّمْرُ
 فَمَا الْفَرَسُ لِي بِالصَّحَابِ الْكَرَامِ
 وَلَا لِي فِي مُلْكِهِمْ مِنْ وَطَرٍ

[تدخل الأميرة نيتاس]

نَفَرِيَتْ : مَنْ الْمَفَاجِي (نِتِيَا) ؟
 نِتِيَا : نَفَرِيَتْ ، تَاسُو سَلَامُ
 نَفَرِيَتْ أَصْنَى لِقَوْلِي فَلِي إِلَيْكَ كَلَامُ
 نَفَرِيَتْ : تَكَلَّمِي وَاقْتَصِدِي
 نِتِيَا : وَلَمْ أَزَلْ مُقْتَصِدُهُ
 نَفَرِيَتْ : أَتَيْتَنِي شَامَةً
 نِتِيَا : لَا بَلْ أَتَيْتُ مُسَعَدَهُ
 آمُونَ قَدْ مَدَّ إِلَيْكَ وَالِي الْوَادِي يَدَهُ
 وَقَدْ كَفَى مَصْرَ الْبِلَا وَالْخَطُوبَ الْمُرْعَدَهُ
 وَكَفَّ عَنْ رُبُوعِنَا نَارَ الْمَجُوسِ الْمَوْقَدَهُ

نفریت : وكيف يتيناس ماذا ما الخبر؟

كيف جرى غير مجاريه القدر؟

ناسو : مالا أمر يا سيدتي !

نتيناس : وأي شأن فيه لك

إن الذي عدني لا يقال إلا لملك

نفریت : عجلي إذن . قابل أبي . أسرع الخطى . اذهبي اذهبي

واسأليه ما . شئت واطلي

نتيناس : ما ذاك ما ذا تقولين فكري يا نفرت

ما جئت أطلب مالا ولا لهذا حضرت

ولا بشأنك يا بنت آمزيس افكرت

نفریت : ففيم إذن جئت يا نتيناس وفي أي شأن نقلت القدم؟

نتيناس : أتيت لمصلحة الآخرين وبحثت لشأن جليل العظم

أتيت لأفدى بنفسى البلاد وأدفع عن مصر شر العجم

فلانك إن ترفضى يزحفوا كزحف الذئاب ونحن الغنم

فاين أبوك ؟

نفریت : تلاقيناه هنالك في حجرات الصنم

نتيناس : سأمضى إليه

نفریت [بتكم] اذهبي أفدى البلاد

نتيناس :

نعم أنا أفدى بلادى نعم

[تخرج]

نقرت : يا ويحها قد ذهبت دعني تأسو واذهب
[يخرج تأسو] :

« يدخل فرعون الى غرفته الخاصة وهي حجرة صغيرة أرضيتها من الخشب »
« الملون وفيها بضعة كراسي خفيفة الوزن لطيفة الصنع وفي زواياها الأربع »
« تماثيل للآلهة المصرية ، فرعون أمازيس وابنه نقرت مقفلة عليه »

نقرت : سلام يا ضحى الشمس ويا غيرة آبيس
ويا حامى سايبس ويا حارس منفيس
فرعون : سلام شبه هاتور سلام شبه إيزيس
نقرت : أبى بل نادنى يا بنت فرعون أمازيس
فرعون : تعالى أقبلى يا بنت فرعون أمازيس
وفي أى جليل أو صغير يا ترى جئت
تعالى يا بنتى قولى سلى فرعون ماشئت
نقرت : أبى كن لى فقد أظلمت الدنيا بعينى
فرعون : ساجلوا ظلمة الدنيا وأمحوها بكفياً
[تهررق عيناها بالدموع]

بنتاه

رباه أبى

نقرت :

ما للأميرة باكية ؟

فرعون :

هلا أدخرت لمصرى هذى الدموع الغالية

نقرت : لا بل تعيش أبى وتبقى فى ظلال العافيه

أبى تهيأ كل شئ للنوى المتأمله

فقدًا تضمنى القصور رُبل القبور الجافيه

في ألف جاريةٍ لقمـبيـزٍ هناك وجاريـه
 من كل مُرسلةٍ هنا لك كالبهيمة ساليـه
 فباي قلب يا مليك ترفني للطاغية
 أدرك فتاتك قد ضعفت عن احتمال الداهية
 [تدخل نبتاس على فرعون أمازيس فتخرج نفريت]

فرعون : من أرى؟ إنه لحظ عظيم
 نبتاس : التحايا لعرش مصر المفتى
 فرعون : وسلام الذي على عرش مصر
 نبتاس :
 وكيف أؤدى؟
 ليس بين ابنة وساقى أيها
 إن حقدى عليك دين وير
 غصبة الموت من سلام ورد
 رب لا يذهب العقوق بحقدى
 فرعون : احمل الحقدلى أو اطرحيه
 وتمنى على جاهى ويرفدى
 اسالى تسالى أباك
 نبتاس : معاذ الله
 فرعون : فيم قد جئتني إذن؟
 نبتاس : في حقوق
 كل عام صبية من بنات الشعب
 تختار للفداء فتفدى
 تنزل النيل غير عائفية ما
 فيه للموت من حياض وورد

سمحت بالحياة في غير سام

وسخت بالشباب في غير زهد

تبتغي الخصب والرخاء وتحنا ل لعيش بنعمة النيل رغد

سقت الناس بعدها لم تقل قو ل الأناي : يهلك الناس بعدى

فرعون : قد عرفنا فهل تريد من أن تكوني التي نرف ونهدى

نتياس : تلك مدفوعة يقدمها الكهان

لكني تقدمت وحدي

[مستر] : جئت أفدى وطني من سيف قبيز وناره

جئت أفدى وطني من دس الفتج وعاره

فرعون : ما ذا تقولين فيم جئت ؟ قبيز ؟ الفتج ؟ مصر ؟ فارس ؟

نتياس : نفريت تأبى المسير هب لي مكانها منك يا أمازس

فرعون : أنت التي تذهبين ؟

نتياس : لم لا ؟

فرعون : هذا هو النبيل يا نتاتس

نج نج ، بنت أخى

نتياس [في استنكار] : أنت يا قاتل عمي ؟ ؟

لا ... أبي يابى وأمي

فرعون : لا تدفعى نيت بي ولا تهيجى غضبي

نتياس [كالمستهزئة] : تقتلني مثل أبي !

[تظهر نفريت بالباب]

فرعون : مردا أنى ؟ نفريت ، هيا ادخلى
نفريت : تحية الشمس لسارع أبى
لا تقف الأقدارُ بالبَابِ
تحية المعبودِ آمون

فرعون : أتيت لوفيق الأمر نفريت أقبلى
نعالى أنشك الجليل تعالى

نفريت : أبى لا جليل اليوم إلا مُصِيبِى
فرعون : واحككها قد آذنت بزوال

نفريت : وكيف وأنى ؟

فرعون : أنظرى من يجلسى
إله لعمرى فى قيص أميرة
وأى رسول للسماء جبالى
سعى لك يحبو عونته وسعى لى

نفريت : نتيئاس أخنى ؟

نتيئاس [لنفسها] : أخنّها ما أصلها متى كان بيتى مجرمين وآلى

نفريت [لأها بعد أن سمعت جوابها] :

أبى ألهذا تجمع اليوم سبتنا وما لابنة الملك القديم ومالى

فرعون : لقد بعثتها الشمس من عرش مجدها
شماغ هدى من حيرة وضلال

تُرّف إلى قبسيز فى موضع ابنتى
وفى موكب من وفية ورجالى

- نقریت : نتیتاس
فرعون : قولى بنت فرعون
نتیتاس : أعفها
نقریت : ولیم
نتیتاس : ذاك عهد يا أميرة خالى
فلا يستوى الملك القشيب جلاله
وآخر مخلوع الجلالة بالى
نقریت : أحق نتيتا ما روى الملك
نتیتاس : ما روى أبوك صدى صوت ورجع مقال
نقریت : رويدا نتيتا راجعى الرشدا إنما
تضحين يا أختي بأنفيس غالى
تضحين بالدنيا الجميلة والصبا وهذا الفضاء السافر المتألى
أحق عقدت العزم ؟
نتیتاس : بعد روية وأقنتت نفسى بعد طول نضال
ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت بلادى . حياتى للبلاد ومالى

المنظر الثاني

«حجرة عظيمة في قصر فرعون — وفد من الفرس ينتظر رسول»

«الملك أمازيس ، هنا وهناك في الحجرة نفر من حاشية فرعون»

رئيس الوفد : لقد جئتم في بلدة العجل بجولة

وما برحت بالزائرين تُجَابُ

فكيف وجدتم قوم فرعون ؟

أمة

قباز :

إذا هي قيست بالشعوب تُجَابُ

لهم مثل ما للأسيـد بالحنس عِزَّةٌ

ضواري الفلا عند الأسود كلابُ

هم الشهب والناس الجنادل والخصى

وتبر السرى والعالمون تُرَابُ

وكل الذي صاغوا من الفن آيةٌ

وكل الذي قالوا هدى وصوابُ

الرئيس : خطبنا اليهم أميس بنت ملكهم
 فما كان إلا الاحتقار جوابُ
 وأشفق أهلها وقالوا حمامةُ
 دعاها الى الوكر السحيق عُقابُ
 [ثم يمرض بيصره رجال القصر من المصريين]
 تأمل (قبادُ) القوم وانظروا وجوههم
 وجوهٌ عليها للهموم سحابُ
 ألت تراهم كلما نقلوا الخطى
 لهم جيئةٌ من ريةٍ وذهابُ
 قباد : ولكنهم ما قصرُوا عن ضيافة
 طعامٌ ونزلٌ طيبٌ وشرابُ
 ونحرٌ فنيقٌ بأيدي سقاتها لها نفحةٌ مسكيةٌ وحبابُ
 وماذا علينا أن تضيق وجوههم
 إذا لم تضيق ساحٌ لهم ورحابُ

«وعلى أثر ذلك يخاطب رجل آخر من الوفد صديقه له»
 «في ناحية أخرى من الحجرة وكان قائدا هو أيضا من المدينة»

الرجل : زفيروس ؛ من أين ؟
 زفيروس : من جولة بمنفيس
 الأزل : كيف وجدت البلد ؟

وكيف احتقارهم للغريب إذا قام في شأنه أو قعد
وكيف عيونهم حوله إذا حملته احتمال الزمرد
زفيروس : وجدت وجوها عليها النعيم ودنيا على جانبها الرغد
وسوقا تفض وسوقا تُقام وخلقا يروح وخلقا بقد
وشعبا على خُطة في الحياة ونظم به في الشعوب انفراد
ولم أر مثل صناعاتهم سُموا وبعدا على المتقدم
ولا مثل أخلاقهم مبلغا من الفضل أو من خلال الرشد
إذا مرّ يافعهم في الطريق بشيخ تنحى له أو سجد
الأول : تباركت النار، كلت المديح لمصر جرافا ولم تقتصد
زفيروس : أنى ما الذى أنت ناع على وما قلت إلا الذى أعتقد

الأول [مبنا] :

لقد سمحت مصر الفارسي ويا طالما نفتت في العقد

ولكن زفيروس كيف الجنود
وصكيف الحديد وكيف الزرد
وهل كنت تلقاهم في الطريق
وتتظروا ظفارهم واللبد

زفيروس : أنى ما رأيت بمصر الجنود ولم ياخذ العين منهم أحد
سوى فتية من جنود القصور وضباطها في الثياب الجدد

يروحون في الخوذ الالامات

وينفدون في الذهب المتقيد

الأول : إذن هو ملك بلا حائط رقيق الأواسي ضعيف العمدة

خلا الوكر من صرخات العقاب

ونامت عن الغاب عين الأسد

أولئك لا في حمة الديار ولا في العديد ولا في العدد

طواويس في عرصات القصور

تروق نهاويلها من شهيد

ولا يعجبك سلم يرف وخير يفيض ومال لبذ

وآثار فن تروع العفول وأجساد موتى تعيش الأبد

فما أنت راء سوى جنة هي الخلد أو طيفه في الخلد

يب عليها غدا عاصف من الفرس أنى تمشى حصد

ثالث متخلا : صدقت أخوا الفرس قلت الصواب

غدا يعصف الفرس أو بعد غد

أحدهم لآخر : أعلمت ماذا يردد في القصير وماذا يقال همسا ووحيا

الثاني : ما يقولون هات قل

آخر : كيف صدت السر في القصر كيف صدت النجيا

هات قل ما بارض مصر عجيب

مصر دنيا وسائر الأرض دنيا

الأول : هم يقولون إن بنت أماري
س عروس المليك تأتي المضيًا

الثاني : هازل أنت ؟

الأول : بل سمعت حديثًا إن يكن مُفترى فإذا طليًا ؟
آخر : إنه يهذي دعوه كاذب لا تسمعوه
ما الذي زخرف

الثالث : ألقى كذبة الأجيال فوه

يزعم الملكة نفريست ابنة الملك أمارش
ترفض السير مع الوفيد إلى أقطار فارس
آخر : ما خطبه ما يدعى إرض بنا لا تسمع
يقول فرعون مصرًا لم يرض قبيز صهرا

الثاني : من أماريس ما الأميرة ما مصد

مرأى الأرض من بقمبيز يهزا

آخر : أهذا خبر يروى غي أنت والله
أثمت التوبة الزرقا من يسخر بالشاه

الأول : اعزبوا ما لكم ولى قللوا الشتم والسخر
ما الذى قد أتيت به ؟ ناقل الكفر ما كفرا !
خبر قبل قد يصح وقد يكذب الخبر

أحدهم : يا صاحبُ كيف تُرى تقضون ليَّكم
وكيف نومكم في هذه الدار

آخر : أما أنا فإذا استلقيتُ طوفَ بي
شئُ الخيالاتِ من سحرٍ وسحرٍ
وأنت ؟

الأول : يغشى الكرى عيني فيصرفه
عنها خيالٌ تمسحِ وأثوار
من التواييتِ حولي كلُّ متقلٍ
بغير رجلٍ ولا ساقينِ دوار
يُجِلُّ من خلفها الأمواتُ أعينهم
كأنها في الدُّجى أحداقُ أنمار
ولا تزالُ بي الأرواحُ طائفةً مناجياتٍ بالغازِ وأسرارِ
آخر : أما أنا فإذا ما جئتُ مضطجعي
عوذتُ نفسي قبلَ النومِ بالنارِ
فلا يطوفُ من الأرواحِ بي شبحٌ
من خيرينَ وإن جَلَّوا وأشرارِ

آخر : هيا اسمعوا ماذا رأيتُ أمسِ

ما ذاك ؟

آخر :

صه تكلموا بهمسٍ

الأول :

رأيتُ عصفوراً برأسِ إنسٍ أقبلَ حتى صارَ عند رأسي
فما ملكْتُ عندَ ذاكُ حسي

آخر : ثم ؟

الأول : صحوْتُ فوجدتُ نفسي منطرحاً أغط فوق كرمي
آخر : وأنا

ثاني : أنتَ ما رأيتَ ؟

الأول : أعجبا مما رأى صاحبكم وأغرباً
رأيتُ آيسَ أتى مضاجعي فهزها بقسره وقلبا
ثم رأيتُ

الثاني : ما رأيتَ ؟

الأول : حذقاً تقلبتُ في الليل تحكي اللها
آخر : ثم ؟

الأول : وقال العجل أنتم فارس ؟ قلتُ نعم فقال لي لا مرحباً

أترقد منه : يا عجيباً. العجل قد كلمه يا عجبا

[يدخل تاسو حارس فرعون] :

تاسو : أيها الوفدُ سلامٌ لكم بنتُ فرعونَ ستأتي بعد حين
نتلقاكم بما يزكو بكم من تحايا وتحيب الخاطبين

رئيس الوفد : أيها السيد تاسو أنن منا مرحبا بك
غبت عنا زمناً حسي اغتممتنا لغيابك

لَمْ تَسْأَلْ عَنَّا وَلَمْ تَبْعَثْ رَسُولًا مِنْ صِجَابِكَ
تأسو : يا كبير الوفد هذا السعطف قد أثر فينا
أنت لا تجهل من أنظمة الديوان شيئاً
شرف الخدمة لا يجعل وقتي بيداً

فارسي [لآثر بصوت منخفض] :

تأسو؟ ! ومن تأسو؟

الآخر : فتى في القصر مرموق جميل
نذمان فرعون وصا حبه وحارسه النبيل
ويميل فرعون إليه وبته أيضاً تميل

[حارسان يدخلان فيصبح أحدهما] :

الأول : الملك فرعون سارع

الملك فرعون سارع

الثاني يردد :

« يدخل الملك والأميرة نتياس وبقار الكهنة »

« المصرين فيجلس الملك والأميرة ويقف تأسو »

« وراء الملك ، فينهض رئيس الوفد ويقول »

رئيس الوفد [إلى فرعون] :

بركات السماء فرعون مصرًا

وسلام من طاهل الأرض كبرى

رسل قبيز نحن لم نأل إحسا

نك يوماً ولا اهتمامك شكراً

قد خطبنا إليك زبقة الوا
 دى وأعلى عقائل النيل قدراً
 نحمّل الشام إن أردت صداقاً
 ونسوق العراق إن شئت مهراً
 ونزجى الكنوز من قيم اليا
 قوت والدّر والزُّمرد تترى
 إنها فارسٌ وأنا لدرجو
 أن سترضى بها حليفاً وصهراً
 فرعون أمازيس [إلى تاسو] :

قُمْ أَجِبْ عَنِ الدّهاقين تأسو
 سيدى من أكون! مولاي ، عذرا
 تاسو :

تيتاس : أبقي أعفيه

ثم إلى تاسو : مكانك تأسو أنا بالفعل في مصرى أخرى
 تيتاس [إلى الوفد الفارسى] :

مرحباً وفد فارس	رسل قبيزمرحباً
قد تأخرت عنكم	وأطلت التحججاً
ونحناني مطبّي	فسمعت المطبّباً
خبأوني لوعكّة	ومن البرد يُحبّباً
لم ير الناس صاحباً	كالغوافي محبّباً

رئيس الوفد: اشكرى الله يا ابنتى
واذكرى فضل ماجبا
كم سالنا بجاهنا
بالذى طمان النبا

أما زيس [إلى تاسو بصوت منخفض] :

مالها تاسُ أطنبت
ولذا الشيخ أطنب
تركا خطبة الزوا
ج وقاما ليخطبا

نتيناس [بصوت منخفض وقد سمعت ما دار بينهما] :

ما الذى ساء والدى
من كلامى وأغضبا
ما لفرعون ساخطا
ولتاسو مقطبا

فرعون [بصوت منخفض] :

اجعلي القصد يا ابنتى
لك فى القول مذهب
نتيناس للوفد: قد دعوتم أبى لما
يرفع البنت والابا
إن فرعون كوكب
صاهر اليوم كوكبا
اذكروا لى مقامكم
أترى كان طيبا
أيها الوفد قلنا
صاهر مصر أجنبا
مرحبا وفد فارس

الملك [بصوت منخفض] :

شيع الوفد مرحبا
أنا إن عشت شدت للنار بيتا مطنبا
نتيناس :
فى عيون الوهاد من
فارس أو على الربا

كلما لاح ضوءه
هزيت الأرض منكبا

رئيس الوفد: هللى باركى يا نار
على بنت الفراعين

ويا فارس هاتوا الفارَّ وجيئوا بالرياحين

وحيئوا زوجة الجبار على كل السلاطين

[ويثر الفرس الرياحين على الأميرة نكتناس وهم يتفننون]

الكهنة المصريون يتفننون :

آمون قم شارك فرعون في العرس

تعال طف بارك في ملكة الفرس

نَحِّ الشياطين وانيف العفاريت

واحرس بعينيك موكب نفريت

آمون هي اشتبك في عرس بنت الملك

وقم اليها كلل براحتيك رأسها

واشهد بمصر واجتل بفارس أعراسها

ستار

المنظر الثالث

« بهو عظيم من القصر زين بالمصاييح البديعة الألوان المصنوعة من ورق »
 « البردى وأغصان الزيتون، وصفقت الأزهار... والرياحين هنا »
 « وهناك . وفي ناحية من البهو جوقة العزف من حاملات القيثاره، »
 « والعود، والناي، والدف . يمجج المكان بأعضاء الوفد الفارسي »
 « في ملابسهم الفارسية الفاخرة وبرجال الحاشية وخدم القصر من »
 « الحرس والكهنة كبارهم وصغارهم وفتيان النوبيين، وقد وقف قهرمان »
 « القصر يصرف الوصفاء والنسدل ويسخرهم في شؤون الوليمة . وقد »
 « عدت الموائد الفخمة وجعلت عليها ألوان الطعام المختلفة من خراف »
 « مشوية وباردة وبط صيد، ومن سمك النيل، ومن الحلوى بأنواعها، »
 « وسلال الفاكهة . ووضعت هنا وهناك أباريق الذهب والفضة »
 « المملوءة من عتيق الخمر . يجلس على المائدة فرعون أمازيس وبجانيه »
 « وأمامه كبار رجال الوفد الفارسي وعظماء رجال الكهنوت والدولة . »
 « ويتنشر الآخرون على جنبات المائدة يتحدثون جماعات جماعات »

فارسي [لصاحبه] :

فِيروز . أَنظَر تَرَى الحِرَاقَا	حُمَرًا لَطَافًا عَلَى الخَوَانِ
ذَا سَمَكُ النِيلِ فِي الْأَوَانِي	كَأَنَّهُ مِعْصَمُ النَوَانِي
وَأَعْيُنُ تِلْكَ فِي جُفُونِ	أَمْ ذَلِكَ الْبَطُّ فِي الْجَفَانِ

فيروز : ذكوت كلاً ولم تُرحب
ونحير فينيقيا المصنّى

فيروز : ونحير مصر في قصر فرعون
ثالث : تلك مجهولة المكان

الأول : فيروز ، دعني خلّي
من نحير آتينا وسا
الأكل يا فيروز شغلي وبه تقني
تشرّب والبطن خلي ! يالك من مغفل !
كل هيّة فيروز كل

هذا الخوان قد تكل من كل جانب حمل
هذا شوى هذا قلّي

والبط في الأطباق بطط في الرقاق
من رأسه للأرجل

ثالث : وهذه الإوز رجراجة تهت
قد طيّبت بالتأيل

فيروز [الأول] :

أخي كلانا قد صدق فالنا لا نتفق

آكل ما ناكل من طعام ونحشى معاً من المدام

الثالث : هذا لعمرى محكم الكلام

فرعون [الى رئيس الوفد] :

سیدی لو تقول لی کیف قبیز والقذح
الرئيس : إن قبیز سیدی ملک کله مَرَح
لیس تخلو قصوره من سرور و من فرح
فارساتر : لکن له شغل عن السخیر بطول غزوته
فرعون : این تری یشر بها

الفارسی : یشر بها فی خوذته

کعبده این امتیه

« ويطلع الفارسی خوذته ويصب فيها خمرًا ويشرب »

« بعض سفار رجال الوفد الفارسی یجادثون فیما بينهم »

أحدهم :

لیت شعری فلسأ أدری الى ی . بلاء قبیز یدفع فارش

قد فتحنا الفضاء شرقًا وغربًا وملكاه من عباب ویاہش
اتسنا من الفتوح

آخر : یقینا غیر أنا لم نفتکر بالحارش
خل « مانی » عنك السياسة دَعَهَا

خلّ عنك الفضول خلّ الوساوس
إن شرق البلاد ضیعة قبیـــــز وغرب البلاد حقْلُ أمازس
سأُسُ العالمین أسعدُ منه رجلٌ للحمار والبغل سائس

ثالث : انظر الحقل « بهار » استخفّته الكؤوس

رابع : وفدُ قبيزَ وهذا ملكُ مصرِ آمزيسُ
 ذهبُ الأرضِ عليهم غرقت فيه الطقوسُ
 مائةُ الدنيا وكلُّ غيرهم فيها مسوسُ
 الثاني : خلّنا بالله من سا س ودعنا من يسوس
 لم تطل الدهرَ مَرءو سين والغير الرئيس
 ليم « ماني » لا أنا ردُّ ل ولا أنت خسيس
 الأول : كلُّ ما أعجبَ كسرى فهو في الفرس نفيس

كل حين حاكمٌ يمشي علينا ويدوس
 هكذا يختلف الحظُّ سعودٌ ونحوس
 إن بعض الناس أذنا ب لبعض هم رؤوس
 منزل الأسد الصحارى وعلى المرعى التيوس

الأول : لِمَ يا « ماني » يسودو ن ونبقى لا نسود
 ونقاد الدهرَ والآخريا « ماني » يقود

آخر : يا أخى نحنُ كلانا عاجزُ الرأي بليد
 هذه الدنيا لمن يقدمُ فيها أو يريد
 سنة الكون وما عن سنة الكون يحيد

آخر : أنا يا « ماني » طموحٌ أنا لا أكمُّ عنكا
 أنا في الدنيا وفي زيتها أرغبُ منكَا
 أنا أهوى سعة العيش ولا أرضاهُ ضنكا

الأول : إرض بما كاث وما يكون أو فانفلق
وهي نشرب قدحيين أو فهي انطلق
أحدهم : ألدحا . ألدحا الخمر تنفي الترحا

(١)
قصراً أرى أم فلکاً وشجراً أم قزحاً
وغادة تسقى أم النظيئة أم شمس الضحى
وخوذا هل رؤو س فارس أم الرحي
ألدحا . ألدحا هاتوا الشعاع المفرحاً
هات السنا هات القبس هات الشذا هات النفس
هات سراج المهرجا ن هات شمعة العرس
هات ابنة الشعاع والظلل ابنة العذب السلس

أحدهم [الرئيس الوفد] :

مولاي ألق السمسم وابعث النظر
ماذا ترى ؟

الرئيس : أرى « بهاراً » قد سكر
الأول : فتاك غنى وفتاى قد شعر

الرئيس : وما الذي ضر ؟

الأول : صدقت لا ضرر

الرئيس : ونحنُ ما نصنعُ؟

الأول : شُرِبُ وسمَرُ

الرئيس : ونحنُ أيضًا بَشَرٌ وهُمُ بَشَرٌ

فليشربوا من هاهنا إلى السَّحَرِ

أحد الشبان : رئيس الوفي لا زلتَ لما يرفعُ تُختارُ

ولا ساواكَ دهقانُ ولا داناك أسوارُ

وغالى بك قبيزُ وحلت جسمك النارُ

« يدخل وصيف من مصفاة القصر و يده مومياء من الذهب »

« يعرضها على الضيفان ، ووراءه رجل يقول و يكرر ... »

المُومِيَا طُوفُوا بِهَا وَاتَعِظُوا بِخَطْبِهَا

لا تسألوا ما هي مَنْ؟ نَكَّرَهَا طَوْلُ الزَّمَنِ

هَيَّا كُلُوا هَيَّا اشربوا هَيَّا اسْمَعُوا هَيَّا اطربوا

تَمَتُّعُوا بِالْفَانِيَةِ قَبْلَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ

خُدُوا الْمُدَامَ الصَّافِيَةَ قَبْلَ انْكِسَارِ الْآثِيَةِ

فارسي لآخر: خورشيدُ هذا هو البلاءُ كلُّ أحاديثهم فناء

خورشيد : رواية الموت حيث راحوا وقصة الموت حيث جاءوا

[يقترب تاسو من نيتاس في ناحية أخرى من الهيرو ويقول]

تاسو : نيتاسُ ألا كاسُ

أينسى في سُوِيَمَاتِ

نيتاس : دع الحبَّ فلم يُخلقْ

ألا شكوى ألا عتبُ

ويطوى ذلك الحبُّ

له من لاله قلبُ

تاسو : وما ذنبى ؟

نتيناس : لقد أحسنْتَ لكن لى أنا الذنبُ

أنا أحببتُ عابثاً سادرَ القلبِ جافياً
يعشَقُ الجاهَ والغنى لا يحبُّ الفوائيا
[مسترزة] :

أنت كالنعمية من قصرٍ لقصرٍ
أنت كالنحلة من زهرٍ لزهرٍ
[مسترزة] :

باعدت الأخلاق ما بيننا أين أخو العهد من الناكِ
لعبت بى فيما مضى عابثاً

فالعَبُ بغيرى اليوم كالعابثِ
أقسمت لى فاذهب فأقسم لها

فانت أهل القسم الحانث
أحببت بنت الحى حتى قضى واليوم أحببت ابنة الوارث
كم مجلس كان لنا ثالث فيه وقد تعمى عن الثالث

تاسو : ما هو مَنْ ؟

نتيناس : الحبُّ يا مدعى والحبُّ حربُ الظالم العائث

[يعرض عنها تاسو ويتعد]

نتيناس [لنفسها] :

مضى الغادر لم يشمر بما حملنى الفسدر
ولا رَق له ناب على جرحى ولا ظفر
تكلمت فلم يسمع وأنى يسمع الصخر

لقد غاصرتُ في تاسو وتاسو في الهوى غمرُ
 كم استشفيت بالسَّحر فما عافاني السَّحرُ
 وكم ناديتُ آبائي فما لبَّاني النَّصرُ
 وكم جئتُ إلى الصَّبرِ فما آواني الصَّبرُ
 جزاءُ المُغْرِضِ التَّيًّا هـ منك الصَّدُّ والكِبَرُ
 هيبه نبات النَّدارُ به أو نزح القبرُ

هي معرفة الغادِ ر لم يأت بها الدهرُ
 أقلُّ شغل الفكرِ فقد أتعبك الفكرُ
 هيبه منرت السنُّ عليه ومشي العمرُ
 فلم يبق له نهى على الغيد ولا أمرُ
 ولم يبق له البا ل تمثال ولا ذكرُ

« مدعو من المصريين يشير إلى نفريت وهي متكرة في زى »

« يوناني ويقول لرجل بجانبه »

المدعو : من المرأة ؟

الآخر : من ؟

الأول : تلك تراها مثل طاووس

تراها مع كاليبس

ومن ؟

الثاني :

وارث فانيس

الأول :

وأسموان وساييس

أمير الجيش في منف

الثاني : أَجَلُ تِلْكَ الَّتِي تَنْظُرُ فِي أَغْرِبِ مَلْبُوسِ

فهذا الوجهُ مصريٌّ وهذا الرّزى سامُوسى

[رجل فارسي لآثر يدعى قباذ] :

الرجل : انظر قباذ ما ترى ؟

قباذ : أحسنَ شيءٍ منظرًا

حمامةٌ تطارحُ الشجوةَ حماماً ذكراً

يا ليتَ أذنى سمعتُ من الحديث ما جرى

الأول : دعنى من ذكر الهوى إني مذكنتُ لم أعشق ولم أعشق

قباذ [فى تهكم] :

وأنت كالنّاس امرؤ عائشٌ تلكَ لعمري عيشةُ الأحق

الأول : قباذ قد عرفته ذلك تاسو الحارسُ

قباذ : الحمد لله على أن لم تحزه فارسُ

إذن لهامت كاعبٌ بحبّه وعانسُ

[تاسو يقترب من نفريت] :

نفريت : تاسو هنا ؟ هاتِ اسقنا

تاسو : ليّيك يا ذاتَ البهاءِ ليّيك يا بنتَ السماءِ

يا ليتني كنتُ الرّحيق وليتني كنتُ الإناءُ

[وبينا ولها قدحا] :

نقرت : تأس ، من أين ومن
 ناسو : كنت أجامل الضيو
 فعارضتني نيتا
 نقرت : وما الذي قلت لها
 ناسو : عادت لذكر حبنا القديم
 وطال العتاب
 نقرت :
 وطال السباب
 ناسو : بحق الحب نقرت
 أقل الشغل بالأخرى
 س لا بالآ ولا فكرا
 غدا تخلو لنا مصر
 غدا يصفو لنا القصر
 غدا ترحل لا أرجعها البر ولا البحر
 نقرت : مالك تأسو ولها
 خل الفتاة خلها
 لله ما أعظمها
 عندي وما أجملها
 قد أظهرت أميس أماسي فضلها ونبلها
 ناسو : ما فعلت ؟

نقرت : ما أنت من ؟
 يقدر تأس فعلها
 ألم تصبر عن الوطن المفدى
 وتسمع بالديار والشباب
 وترض بأن ترف فدا مكاني
 إلى النمر الأمير على الذئاب
 ناسو : صه نقرت صه لا يسمعونا
 فتلق مصر أنواع العذاب

« في خيمة الوليمة يقف صاحبان هما : منا ، وأحامس ، ويتحدثان »
« صدقهما خوفو يقبل عليهما ثم القائد كالإس »

منا : أنظر أحامس

أحامس : ماذا؟

منا : فرعون بين صحابه

أحامس : وما تروى من عجيب؟ ماذا بفرعون ما به

منا : أنظر تجده إلهاً في عبقرى ثيابه

أحامس : لا تلقى بالآ إليه ولا إلى أذنايه

غداً يصب عليهم قبيز سوط عذابه

منا : أحامس ، استغفرلما قتلته قال الشياطين ولا فالك

أحامس : قد كنت مثلي يا منا ساخطاً تلعن فرعون فما بالك

[ثم مستمراً] :

تأمل القصر منا وانظره أرضاً وسماء

أنظر ترى الإغريق فيه هم لفيظ العظما

أنظر تجدهم كلهم يلقون المعجما

منا : ماذا على فرعون إن راعهم وقدما

أليس للضيف على ضائفة أن يكرما

أحامس : وصاحب الدار إذن يموت جوماً وظما

وصاحب الدار إذن لا يتعدى السلبا

خوفو : ماذا آثار الصاحبين لم وفيم اختصما

أحامس : كُنْ مُنْصَفًا إِنْ رُمْتَ يَا خُوفُو تَكُونُ الْحَكَمًا
تَأْتِلُ الْقَصْرَ خُوفُو أَفِيهِ مِنْ مَصْرَ شَيْءٍ
أَلَيْسَ فِرْعَوْنُ فِيهِ كَأَنَّهُ أَجْنَبِيٌّ
فَإِنَّ حَفَارُ مَصْرِ وَفَنَّهُ الْعَبْقَرِيُّ
وَالْجَيْشُ خُوفُو

خُوفُو : خُذْ الْحِذُّ رَ يَا مَنَا يَا أَحَامِسُ
كَالْيَاسُ آتِ إِلَيْنَا
مَنَا : وَمَنْ ؟

خُوفُو : خَلِيفَةُ فَايِسُ
أَحَامِسُ : الْيَوْمَ كَالْيَاسُ وَأَمِيسُ فَايِسُ
اِحْتَكِرَ الْقِيَادَةَ الْأَبَالِيسُ
[وَ يَقْبَلُ عَلَيْهِمْ كَالْيَاسُ]

مِرْعَوْنُ أَمَارِيسَ [لِنَاسٍ] :

أَيْنَ أَقْزَامِي ؟ إِمِضْ جِيءْ بِأَقْزَامِي تَاسُ

[يَدْخُلُ الْأَقْزَامُ فِي أَزْيَاءِ الْمَهْرَجِينَ ، فَيَقُولُونَ] :

تَحِيَّاتٌ لِفِرْعَوْنَ سَلَامُ الشَّمْسِ لِلْمَلِكِ
سَلَامُ قَائِدِ الْخَيْلِ سَلَامُ حَامِي الْفُلْكِ

فَهْرْمَانُ الْقَصْرِ [لِلْأَقْزَامِ] :

هَلُمُّوا رَقِصَةَ الْخَوَرِ إِذَا طُفُنَ بِهَاتُورِ
سَمَاءُ الْعِزِّ وَالنُّورِ

أحد الأقسام : نحنُ القُزْمُ أنصافُ ناسٍ

ناسٌ وبالشُّبْرِ نَقَّاسُ

ثان : نحنُ الدمي واللعبُ بنا يتمُّ الطَّربُ

ثالث : هُمُّوا رقصَةَ الموتى من الكهفِ إلى الكهفِ

ودُورُوا كالتماثيل من الرِّفِّ إلى الرِّفِّ

آخر : ثِيي جُثْث على الجَدَثِ ثِيي ثِيي

حَبَّو الصَّغَارُ على اليدِ والركبِ

هَيَّا قَفِي هَيَّا ازْحَفِي هَيَّا العَبِي

هنا الطعامُ هَيَّا كُلِّي هنا الشَّرابُ هَيَّا اشْرَبِي

آخر : تعالِ يا دهقانُ أرقُصْ مَعِي

وأنتِ يا «أسوار» قُمْ اطلِجِ

واقْتَبِسا الأنوار من سارع

الجميع : عِشْ يا ملك مع الزَّمنِ

مُطَوِّقًا مِصرَ المِثْنِ

وذائِدًا عن الوطنِ

[ثم يكررون عِشْ يا ملك وينصرفون]

فرعون أمازيس [إلى وجهاء الفرس] :

يا وجهاءَ الفرس قالوا لكم

فَرُبَّمَا سَرَّكُمْ أَنِّي

مِصرُ بلادُ السَّحَرِ والسَّاحِرِ

أَجِيئُكُمْ بالسَّاحِرِ القادرِ

وينادى : حوتيب
 حوتيب : لَيْتَكَ سَارِعُ
 فرعون : تَعَالَ لَه الضُّيُوفَا
 حوتيب : سَادَتِي إِنِّي فِي الْكَفِّ وَفِي الْجَبْهَةِ أَقْرَا
 أنا أَقْرَا لَكَ حَفْطَا أنا أَقْرَا لَكَ عُمْرَا
 أنا الَّذِي بِسِحْرِي الْمَبِينِ أَسْتَطْلِعُ الْمَكْتُوبَ فِي الْجَبِينِ
 فرعون [إلى تاسو] : تَأَسُّو أَقْتَرِبْ
 تاسو : لَيْتَكَ يَا سَارِيعُ
 فرعون : لِمَ أَجْلَبُوا مَا خَطَبُهُمْ مَا الدَّاعِي
 [خيمة وهمس]
 فرعون [مستعزاً] : وَفِيمَ هَذَا الْهَمْسِ وَالْتِرَاعِي
 تاسو : مَوْلَايَ إِنْ الْوَفْدَ فِي ارْتِيَاعِ
 تاسو [في أذن الملك] : انْقَلَبْتُ عَصِيَّتُهُمْ أَفَاعِي
 فرعون : يَا لِحَسْبَيْكَ مِنْ قَتَى صِنَاعِ
 رئيس الوفد : هَذَا مِنَ الْعَبَاقِيرِ
 حوتيب : أَنَاةٌ وَفَدَ فَارَسَ لَا تُرَاعُوا
 خُذُوا قَضْبَانَكُمْ وَتَأْمَلُوهَا
 فرعون : حَوْتِيبُ قَدْ سَرَّ ضِيُو
 هَذَا مِنْ الْعَبَاقِيرِ
 وَلَا تُحْصُوا دُعَابَاتِي عَلِيًّا
 لَقَدْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ عِصْيَا
 فِي أَنْ يَرَوْا وَيَسْمَعُوا

فَزَدَهُمْ فَعْنَدَكَ السَّحْرُ الْغَرِيبُ الْمَتَّعُ
 حوتيب : فرعون هذا شرفٌ يطيرُ بي ويرفعُ
 أصنعُ ما كان ددًا السَّاحِرُ قَبْلِي يَصْنَعُ
 فرعون : وما الذى تصنعُ؟

حوتيب : جيئوني برأسٍ يقطعُ
 فإني أردُّه لجسِمِهِ وأرجعُ
 فمن من الوفدِ برأٍ سه إلى يدفعُ

رئيس الوفد [لرجاله] :

هل منكم يا معشرَ الفرسِ بطلُ
 عن رأسِهِ لساحِرِ النيلِ نزلُ
 حوتيب : هاتوا الرؤوس لا يخافن أحدُ
 فكلُّ رأسٍ سيُردُّ للجسدِ
 أحدهم : رأسى غيرُ هينٍ

ثاني : رأسى عمودٌ بدنى
 ثالث : رأسى لى غالى رأسى كلُّ مالى
 فرعون : حوتيب ما من أحدٍ هان عليه رأسُهُ
 أنظر إليهم . كلهم عزّت عليه نفسُهُ .
 خلّ حُتَيْبُ النَّاسِ وَاخْشَرُ غَيْرَهُمَ لِلتَّجْرِبَةِ

حوتيب : مُرَّهُمْ إِذْنُ أَنْ يُحْضَرُوا لِأَوْزَةٍ أَوْ أَرْنَبَةٍ

فرعون [لتاسو] :

امض تاسو جىء حَتَّيبًا بِأَوْزٍ وَأَرَانِبِ

«يخرج تاسو ثم يعود يضع من الأوز والأرانب . فيقطع حوتيب رأس إوزة»
«ويقول : شال هبد شال هبد لا يعجز السحر أحد يا رأس عد الى الجسد»

الفرس : تعالتُ قَدْرَةُ النَّارِ
المصريون : تعالَ الربُّ آمونُ

فرعون : هى حَتَّيبُ إِمَشٍ مِائِينَ الصُّفُوفِ
وطالِعَ الْجَبَّاهَاتِ وَاقْرَأَ الْكُفُوفِ
حوتيب : برأسٍ مَنَ أَبَدًا مُرْنِي يَا سَارِعَ

فرعون [مبتسما وملفتنا لتاسو] :

برأسٍ تأسو إقرا فى جبينه
وبين المحجوب من شؤنيه

حوتيب [وهو يتأمل جبين تاسو] :

هذا قى باطنه جمادُ
ليس وراءَ رأسه فؤادُ
رأسٌ عليه وَقَفَ الْجَلَادُ

تاسو : إخْسَا كَذِبَتَ وَضَلَّ مَحْرُكُ

فرعون : ورأسى يا حَتَّيبُ أَلَا تَرَاهُ؟

حوتيب : جَبِينُكَ أَعْفَى مَوْلَاىَ مِنْهُ

فرعون: تعال حُتِيبُ

حوتيب: لا، هذا شديدٌ جبينُ الشمس تنبؤ العين عنه

يا عجباً ماذا أرى؟

فرعون: ماذا ترى

حوتيب: دمٌ جَرَى

فرعون: دمي أنا؟

حوتيب: لا سيدي عوفيت بل دمُ الوري

ناسو: إذن ليجر كالمطر ما همنا دمُ البشر

إذا سلّيت يا ملكٍ فليهلكن من هلك

كاهن لآثر [بصوت منخفض] :

إن هذا الغلام فيه قساوة

الآخر: قلت حقاً وفيه أيضاً غباوة

فرعون: وبعدُ ماذا؟

حوتيب: حربٌ عوانٌ يشيبُ من هولها الزمانُ

فرعون: وهل أكونُ يا حُتِيبُ فيها

حوتيب: سواك يا مولاي يضطليها

فرعون: وأني بساماً يا حُتِيبُ ما ترى؟

هل يشهدُ الحربَ وهل يراها

حوتيب : سيدى ليت الأمير حاضر أنا لا أقرأ إلا فى الحبين

[قهرمانه القصر تطيف بالعاذقات والحسان وتقول] :

القهرمانه : قُنْ إِلَى اللَّهِ يَا عَذَارَى وَخُذْنَ صَنْجًا وَخُذْنَ دُفًا
واهتِفْنَ بِالشَّعْرِ وَالْأَغَانِي واقطعن ليلَ الشبابِ قصفاً

* * *

وَأَنشَدْنَ مَعَ الْقَوْمِ نَشِيدَ الْمَلِكِ الْعَالِي

[ينشد الجميع نشيد فرعون مع الرقص وآلات الطرب]

النشيد : فَرَعَوْنُ أَنْتَ الرَّفِيعُ أَنْتَ الْعَظِيمُ الشَّانِ
وَأَنْتَ سَدٌّ مَنِيعٌ مِنْ جَارِفِ الْفَيْضَانِ

* * *

وَأَنْتَ كَالصَّخْرِ تَحِي مِنْ نَكَبَاتِ الْعَوَاصِفِ
مِنْ قَاطِعِ الطَّرْقِ يَاوِي إِلَى حِمَاكَ الْخَائِفِ

* * *

وَأَنْتَ مِنْ صَخْرِ طَيْبِهِ حِصْنٌ مَشِيدُ الْجِدَارِ
يُؤْوِي إِلَيْكَ وَيُلْجَا إِلَى طُلُوعِ النَّهَارِ

* * *

أَنْتَ اخْضُرَّارُ الرَّيفِ وَأَنْتَ حُسْنُ الرَّفِيفِ
تَرُدُّ بِطَشِ الْقَوَى وَفُتْكُهُ بِالضَّعِيفِ

« فرعون يفادر مكان الوليمة فينطلق »

« المدعوون على إثره ولا يبق إلا نتيتاس »

نتيتاس [لنفسها] :

أَفِيقِي بِنْتَ فَرَعَوْنِ فَايْزُكُوكِ السَّكْرُ

غداً تَذُرُّو رِيَّاحُ الْفَرِّ	سِ مِنْ مَوْتَاكَ مَا تَذُرُّو
غداً يُصْبِغُ مِنْ شَطِّ	لَشَطِّ بِالْأَدَمِ النَّهْرُ
غداً يُهْتَكُ عَنْ أَرْبَا	بِكَ الْمَحْرَابُ وَالسُّتُرُ
فَمَا تَأْسُو وَفَتَيَانُ	تَكْأَسُو فِي الْحِمَى كَثُرُ
هَمُّ النَّحْلِ وَإِنْ هَابُوا	لِقَائِي وَأَنَا الزَّهْرُ
يَمُوجُونَ بِسَاحَاتِي	وَيَزْهُو بِهِمُ الْقَصْرُ
وَلَكِنْ بَيْنَ جَنْبِيَّ	هَوَى أَوْلَى بِهِ مِصْرُ

سنتار

الفضل الثاني

في مدينة سوس الفارسية

« في حجرة فارسية نفحة مفروشة بثمان الطنافس ومملوءة بالوسائد »
« من الحرير المختلف الألوان ، وقد زينت زواياها بالرياحين »
« الكريمة ، الملكة ووصفتها تتي في الحجرة المذكورة ... »
الوصيفة تتي [وهي تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها] :

تبارك الذي خلق أقولها ولا ملق
ذوائب أم الدجى ومفريق أم الفلق ؟
غداً في الكتيفين أمدلت وفي العنق
كأنها من الحرير الأسود الخيط شقق
لم يخل جو فارس مضمها من العبق
الملكة : ما تصنعين ياتي
تتي : أصلح مولاتي
الملكة : لمن ؟
تتي : للزوج يا سيدتي

الملكة : لئير الفريس الحشن

تسى : هيبه ذنباً ملكتي أو نمرأ أو كركدن

أليس للأزواج تلبس النساء ما حسن

الملكة [ملفتة إلى وصفها تى] :

قلت حقا تى فإن على المرأة للزوج أن تكون أمينة

وعليها ألا تقصر بشراً حيث تلقاه أو تقصر زينته

تق الوصيفة : بل تحلى مليكتي والبسي حلة البهاء

وافتنى من بفارس من رجال ومن نساء

إن كسرى وقومه كلهم فى الهوى سواء

أنت كالشمس فى الضحى فأنشرى الحسن والضياء

لا على القصر وحده بل على الأرض والسماء

الملكة : يالك من وصيفة مملقة

عارفة بالجميل المنعقة

الوصيفة : لقد وضعت ذهباً فى البوتقه

ولم أصف بالطيب إلا زنبقه

وقلت عن شمس النهار

الملكة : مشرقه

« ويظهر على الملكة التفكير واشتغال البال بفاة »

« ثم تغنى فى نفسها وهى مقبلة على المرأة تنظر فيها »

الملكة [في نفسها] :

يا ظالماً أحبُّه جهد الهوى وإن غدرُ
ومن هجرتُ وطني لأجله حين هجرُ
قلبك لحمٌ ودمٌ مثلُ القلوب أم حجرُ
لم يتنصّل مرةً مما جنى ولا اعتذرُ
جسمٌ كسلسال الصفا على فؤادٍ كالصخرُ
وزهرٌ أنتَ وتلك النفسُ أفعى في الزهرِ
لم تجمن يا تأسو عسى إنما جنى القدرُ
ذنبك لا يُغفر إلا أن قلبى قد غفرُ
إن غبتَ عن عيني فأنسى في سوانح الفكرِ
أراك كلما رأيتُ طائرَيْنِ في الشجرِ
وكلما بدتُ لى الشمسُ ولاح لى القمرُ
وكلما جئتُ الريا ضُ ووقفتُ بالفدرُ
وكلما ترنم الشّادى وحرك الوترُ
وكلما دبّتُ ورا لى الليل نسمة السحرُ
يالىت شعرى كيف أنستَ ما تهيءُ ما تسذرُ
وكيف جُبك الحديدُ هل خبا وهل كبرُ
وهل وقيت أم غدرُ ت بالعشيقات الأخرُ

الوصيفة : دَعِيَ النَّاسِي مَوْلَاتِي وَخَلِّكَ مِنَ السَّالِي
وَلَا يَخْطُرُ لَكَ النَّاكُثُ لِلْعَهْدِ عَلَى بَالٍ

نتيناس : هَبِيهِ يَاتِتَا خَانَ فَمَا لِي لَا أَفِي مَا لِي
لَهُ خُلُقٌ وَلِي خُلُقٌ وَلَكِنْ خُلُقِي الْعَالِ

نتي : هُوَ يَا مُلْكِي مِثَا لٌ وَلَكِنْ مِنْ الْوَحْلِ
كَانَ يَكْفِي لِبُغْضِهِ بَعْضُ ذَاكَ الَّذِي فَعَلُ

نتيناس : أَنَا أَفْدِيهِ يَاتِتَا بِحَيَاتِي وَإِنْ قَلَّ

نتي : لَوْ كَانَ مَعشُوقِي أَنَا
نتيناس : مَا الَّذِي
نتي : آه لَا أَدْرِي

بِالصَّفْحِ أَجْزِيهِ وَبِالرُّكْلِ أَوْ
كَنتُ أُرِيهِ النَّجْمَ فِي الظُّهْرِ

نتيناس : الْحُبُّ فِي نَاحِيَةٍ وَأَنْتِ ذِي فِي نَاحِيَةٍ
مَا هَكَذَا الْحُبُّ نِتَا مَا الْحُبُّ إِلَّا التَّضْحِيهِ

[تسمع ضجة وصياح وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة] :

يقول المستغيث :

الصفح يا سلطان العفو يا كسرى
ومجدها ما خان أخسوك والنار

الملكة : إسمي ياتنا ألم يأتك الصو ت ؟

نتي [وتل من نافذة] : أجل ثم ضجة وعويل

تم خيل وشرطة وسلاح

الملكة : ليت شعري من البريء القتل

نتي : أقتل يا بنت فرعون ؟

الملكة : ليس في أرض فارس مستحيل

ياتنا نحن في بلد

كل قلب به جمد

الحى فيه رخيص

والميت أرخص منه

هنا الميت تنفض منه الأكف

وتنهي الشرائع عن دفنه

ويطرح ناحية في الفضاء

على سهله أو على حزبه

تروح الحذاء على رأسه

وتغدو الذئاب على بطنه

نتي : ويجههم ويجههم

أما من الناس هم ؟

ذلت وهانت أمة

ميهم لا يكرم

الملكة [وعى مطلة] :

يتا هذا هو الحارس

وهذا من تخميننا

كذوقك ياتنا لم يعل ذوق

أتمثال حبيبك أم إله

نتي : ولو فوق الإله يحب شيء

ويكرم لم يكن أحدا سواه

تأملِي كَتِفَيْهِ تَأْمَلِي مَنْكِيَهُ
الملكة : انتظري لأبدٍ لي أن أسأله
كأن صقيرين حطَّافَظلاً شاربيه

تق : لا تفعلِي مَالِكِ مولاتي وَلَهُ
الملكة : يَأَيُّهَا الْحَارِسُ

الحارس : لَبَّيْكَ
الملكة : مَنْ يَقْتُلُونَ الْيَوْمَ فِي السَّاحَةِ؟

الحارس : أُخْتُ الْمَلِكِ : أَتَوْسِيَا
الملكة : أُخْتُ الْمَلِكِ ؟

الحارس : أَجَلِ هِيَ
أَتَهَمْتُ بِرُديَا

تق : مَنْ بِرُديَا؟
الملكة : أَخُو الْمَلِكِ ! يَقْطَعُ فِي السَّاحَةِ رَأْسَ بِرُديَا
يَا أَسَفَا عَاودَهُ جَنُونُهُ

تن الوصيعة [وقد أطرفت الملكة لحظة مفكرة مغتمة] :

ما بِيكِ مولاتي مَا . غَمَّكِ مَا هَذَا الْأُسَى؟
الملكة : لَا شَيْءَ بِي لَقَدْ وَهَمَّيْتُ يَا بَتَا لَا شَيْءَ لَا
الوصيعة : بَلْ أَنْتِ تَكْتُمِينَ غَمَّ طَافَ أَوْهَمَا سَرَى
هَلَا ذَكَرْتِ أَنَّنَا غَرِيبَتَانِ هَاهُنَا

أَنْتِ لِي الْأَهْلُ وَلَكِنِّي أَنَا لَكِ الْحَمَى
وَمَا عَلَى الْغَرِيبِ إِنْ جَاءَ الْغَرِيبَ فَاشْتَكَى

الملكة : صدقت ياتتا أنا وأنت في الكرب سوا
 قد اجتمعنا بعد قُر ب الدار في دار النوى
 نتي : أين إذن تبسم كالصبح من فيك يرى
 الملكة : لقد رأيت الهول والرز ول وما هذ القوى
 نتي : أضغاث أحلام وزو ر من تهاويل الكرى
 الملكة : رأيت رؤيا ياتتا هل لك علم بالرؤى؟

الوصيفة [بعد تفكير] :

أجل تذكرت أجل عندى من ذاك شذا
 قد كنت في الصبا على أبى أقص ما أرى
 الملكة : رأيتنى كأننى فى قصر آبائى بصا
 الوصيفة : فى القصر من صا الحجر قصر الجلال والبها
 الملكة : رمت عيني من القصر إلى أقصى مدى
 رأيت واديا كطو ل البيد أو عرض الفلا
 أصفر من شعابه بنفسجى المنحنى
 أحمر مثل قزح هناك واخضر هنا
 رأيت ليشا أحمر الجلدة خشنا كالصفا
 فاغرفيه عن نيو ب مثل مشروع القنا
 انقض كالصخر على السوادرى فأقعى فسرنا
 ونظر النيل وقد عب وماج وطنى

ونخرجت منه التما سيحُ فرادى وثني
وأعولت حتى لقد سدَّ عويلها الفضا
فُعقِرَ الليثُ فلا رجلاً رمى ولا يدا
وقسّر في مكانه كأنه بعضُ الدمي

الوصيفة : ثم ؟

الملكة : رأيتُ حنْشاً ليس له مصرُ ترى
لم ترَ منْهُ مثله ولا الصعيْدُ قد رأى
كأنه صاعقةٌ تحدثُ من السما
مشى إليه كلُّ ذي قوسٍ وكلُّ ذي عصا

ونخرج الكهانُ يتلون الصلاة والرُّقَى

الوصيفة : وما الذي حلَّ به ؟

الملكة : لم يُصبُ الوحشُ أذى

الوصيفة : حقَّقْتِه سِيدَتِي ؟

الملكة : حقَّقْتِه على الضُّحَى

الوصيفة : فكيف كان ؟

الملكة : صورة تُشيبُ أرؤُسَ النِّشَا

كأنه فانيْسُ عَيْنَيْنِ ووجْهًا وقفَا

حتى تعوَّذتُ بإبيزيسَ وآبائي العُلى

الوصيفة : فانيس من ؟

الملكة : نسيته ؟ كيف نسيته يا تيا

الخائن الذي إلى فارس من حين أتى

يشى بمصر وأخا ف أن يكون بي وشى

الوصيفة : ما صنع الثعبان مو لاتي

الملكة : من النهر دنا

وفع ثم دس في النهر لسانا كاللظى

فاحتجب النيل وعا ديتسا ما كان ما

واحترق مدائن بالصفتين وقري

الوصيفة : والليث يا سيدتي ؟

الملكة : بعد التهيّب اجترأ

مشى على الوادى فهل رأيت عاصفا جرى ؟

يقتلع اليابس والرطب ويفري ويطل

وكرحتى غادر الوادى قاما صفصفا

هو ذا الحلم فما تفسيره نبئيني ياتيا

الوصيفة [لنفسها مضطربة] : ماذا أقول ؟

الوصيفة [للملكة] :

ملكتي لا تفزعى

الملكة : كيف تيا كيف لا أفزع والحلم مهول

- يَنْفِدُ النِّيلُ وَيَذْوِي شَطُّهُ
وَتَقُولُ الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ غُولُ
- الوصيفة : رُؤْيَاكَ يَا سَيِّدَتِي مِنْ نَفْسِهَا مَسْئُولُهُ
نَائِكَ مِنْ عَشَاءِ أَمْسِ ثِقَلُهُ وَوَبَلُهُ
- الملكة : مَاذَا أَكَلْتُ مَعَ قَبِيرٍ وَمَا قُتِمَ لَهُ؟
- الوصيفة : كَانَ الْعِشَاءُ مَلَكْتِي مَائِدَةً مَحْمَلُهُ
أَكَلْتُ يَا سَيِّدَتِي مِنْ أَرْنَبٍ مَتْبَلُهُ
- الملكة : ثُمَّ أَكَلْتُ مِنْ حَمَلٍ وَحَمَلُ الْفُرْسِ جَمَلُ
ثُمَّ؟
- الوصيفة : جَاءُوا بِالطَّيْرِ فِي الْأَطْبَاقِ
- الملكة : طَيْرٌ مَنْ؟
- الوصيفة : طَيْرٌ فَارِسٍ وَالْعِمْرَاقِ
- الملكة : ثُمَّ مَاذَا؟
- الوصيفة : ثُمَّ جَاءُوا بِالسَّمَكِ
- الملكة : فَرَأَيْتُ الْمَلِكَ فِي الْأَكْلِ انْهَمَكَ
- الملكة : ثُمَّ مَاذَا؟
- الوصيفة : لَا أُعِدُّ مَا حَضَرَ مِنْ لَحْوِمٍ وَبَقُولٍ وَخُضَرَ
- ثُمَّ بِالْحَلَوَى أَتَوْا وَالْفَاكِهَ
- الملكة : كَيْفَ كَانَتْ؟
- الوصيفة : تَشْتَهِيهَا الْأَلْهَةُ

الملكة : خلطت تخليط العجوز ياتياً
 الوصفة : الأكل قبل النوم ثقل وأذى
 الملكة [لنفسها] :

عرفت الآن رؤياي وما خلط أحلامي
 وقد يفريك بالأكل طهارة الفرس والشام

[ثم الى تيا] : تيا أين كنت ؟

الوصفة : وراء الخدم

الملكة : وكيف عدت على اللقم

الوصفة : لبدت هناك فما من يد
 ولم يخف عني كيد يطوف
 أخاف القصور وأخشى السموم
 تفوت على ولا من قدم
 ولا وحى لحظ ولا همس فم
 وما منزل السم إلا الدسم

الملكة : يا لك من رفيقه محسنة شقيقه

مرحى تيا كذا تيا فلتكن الصديقه

الوصفة : سيدتي أنجلتني ليس بما جئت عجب

ما قت يا سيدتي إلا ببعض ما وجب

الملكة : ولكن يا تيا ما أخسر السم على بالك

ولى فى فارس عام فما فكرت فى ذلك

الوصفة : أرى قبيز والفرس بمولاتي قد جنوا

ولولا ذاك لم يَحُلْ من السِّمِّ لها ذهنُ
الملكة : وَلِمَ لَا نَحْنُرُ السِّمَّ أما في فارسٍ نحنُ
هنا الجِلَادُ والسِّيفُ هنا السَّجَانُ والسَّجُنُ

الوصيفة : وماذا ضَرَّ ما قَلَّتِ إذا لم يَمِحِ الحَيْنُ
الملكة [بعد برهة تفكير] :

أرى قَمِيزَ ذَلِّ ورَقَّ طَبْعَا ربَّك هل رأيت عليه حُبًّا
الوصيفة : أَجَلٌ هُوَ يَقْصُرُ الْخَطَوَاتِ مَهَلًا وَكَانَ يَمُدُّهَا خَطْفًا وَوَثْبًا

[ثم في تلثم وتردد] :

سَأَسْأَلُ فَأَحْلِي عَنِّي فَإِنِ أَمُوتُ وَلَا أَرَاكَ عَلَى غَضْبِي
سؤالُ ملكتي هل من جوابٍ
الملكة :

أُدُونِكَ يَا نِسَاءَ شَيْءٍ يُحِبُّ فهل تَجْزِينَهُ بِالْحُبِّ حُبًّا
الوصيفة : زَعَمْنَا أَنْ قَمِيزًا مُحِبُّ وإن خَلَّتْ ظَنِّكَ لَمْ يَكْذِبِ
الملكة : أَحَبُّ أَنَا؟ ضَلُّ مَا قَدْ ظَنَنْتِ

الوصيفة : وَلَمْ لَا؟ وَقَمِيزٌ لَا بِالْقَبِيحِ وَلَا بِالْدمِ وَلَا بِالْغَيْبِ
وَلَا هُوَ بِالْمَلِكِ الْبَرِّ بَرِيٌّ وَلَا الْوَحْشِ ذِي النَّابِ وَالْمَخْلَبِ
وَلَكِنْ فَتَى خَيْرٍ كَالسَّحَابِ وَضِيءُ الْبَشَاشَةِ كَالْكُوكِبِ
يَزِينُ السَّرِيرَ إِذَا احْتَلَّهُ وَإِنْ سَارَ كَانَ حُلَى الْمَوْكِبِ

الملكة : صدقتُ تَتَا هوزينُ الشبابِ إلهُ القنَا قمرُ الغيبِ
إِذَا غُلِبَتْ في القتَالِ الملوكُ وفي السَّلمِ عزٌّ فلم يُغلبِ
يُسيطرُ كالشمسِ سلطانُه على مشرق الأرض والمغربِ
ولكن متى ياتَتَا دُهِتْ بناتُ الفراعين بالأجنِبِ

وما نلتقي في جلالِ الجودِ ولا في العقيدة والمنهَبِ
نَجْجُ تَتَا ألفَ مرحى تَتَا

الوصيفة : حَنَانِيكَ عَفْوًا وَلَا تَغْضَبِي
لقد قلتُ حقًا وماذا على إِذَا قَوْلُهُ الحَقُّ لم تُعْجِبِ

« تنسحب الملكة إلى غرفة مجاورة ويدخل قبيز »

قبيز [يدخل وعليه أمارات الغضب] :

ما أرى من تَتَا؟ تَتَا أين مولا تَكُ فِيمَ احتجابها أين سارتُ
تَتَا [لنفسها]: ربَّ ماذا به وما حاج قبيز وما بال نفسه اليوم ثارت
تَتَا [لقبيز]: هي في حجرة الملابس

قبيز : لا بل هي قد جاءها النبا فتوارة

خبريني من أبوها أيرياس أم أمازس
وبنفريت تُسمى أم تُسمى بنتاس
إحذري أن تكذبيني إحذري سلطان فارس

تَتَا : سيدى ما هذه الأخبار كسرى من رواها
سيدى كيف اتهمتم ملكة الفرس النبيلة

قبيز : ساريها كيف تتقا دُ وثاقى لى ضئيله
 فى غيد تدخلُ مصرأ بنتُ فرعون ذليله
 وترى السيفَ مخُوفأ وترى النارَ مهوله
 وترى النيلَ دمأ وَا أرضَ جرداءَ محُوله
 لا أناسُ لا مواشٍ لا بناءُ لا نجيله
 الوصيفة : سيدى صبرا تجذُ عا قبة الصبرِ جميله
 سيدى لا تُصغِ إلا لسجايك النبيله

قبيز : أنا لم أخلق لبسطِ السكفِ أستجدى بنجيله
 أنا للسيفِ وللرمحِ وإخضاعِ القبيله
 لا يتأ . لا . إن بالملكةِ كبرا ونجيله
 [ثم بسخرية] :

أنا من تُربِ خسيس وهى من أرضِ جليله
 أنا للطَّينِ سليل وهى للشمسِ سليله
 الملكة | وهى راجعة | :

ما الصوتُ منْ تُكلمينَ يا يتأ ؟

الوصيفة : سيدتى . سيدى الملكُ أتى
 الملكة [ملفتة] : الملكُ جاء حجرتى ؟ كيف متى ؟ ؟

[ثم ناهضة ومقبلة على الملك] :

الملكُ فى مقصورتى يا مرحبا يا مرحبا

الملك [ويقبل على الملكة] :

سلامٌ ملَكَةُ الفُرسِ
الملكة : سلامٌ سَيِّدَ الأَرْضِ
ومن دانت له الدنيا
[ثم مسترة] : لم أَعُوذُ أَنْ أَرَى
قبیز : خالفتُ نَظْمَ عادتي
الملكة : مَالَكِ كِسْرَى عَائِسًا
وبنت العليَّة الصَّيِّدِ
سلامٌ حيدر اليِّدِ
وألقت بالمقاليدِ
مولايَ عندي في الضَّحَى
وجئتُ في شأنٍ دعا
مالي أراك مُغضبا

الملك [ويصفق] :

أجلٌ جدُّ غضبانَ

الملكة : مِمَّ الغَضَبُ ؟

الملك :

رَوَيْدَكَ نَفَرَيْتُ تَدْرِي السَّبَبَ

الملكة [لنفسها] :

دعائيَ باسميَ لم يَدْعُنِي
تُرى لم يَزَلْ جاهلاً أني
كألوفٍ عادته باللقبِ
أتيتُ لفارسَ باسمٍ كَذِبِ

قبیز [ملفتاً وراءه خارج الباب وينادي] :

فانيسُ . أَقِيلُ أَدُنْ جِيءُ

الملكة [لنفسها] :

فانيسُ ؟ لا . لا يَدْخُلُ
ليس لمصرَ بالولي
دي كيف يُصْفِي الودَّ لي
فانيسُ لا أَجْهَلُهُ
عدوُّ قومي وبلا

[ثم إلى قيز]: مولاي إني ما فرغتُ بعدُ من تجلي
فكيف أستقبل في هذا اللباس المهمل
[لنفسها]: يا ويلتاه ما أرا دَ باصطحاب الرجل
إيزيس ما بالي أحسستُ بشرَّ مقبل
الملك: مالك يا ملوكة لم تُرحّبي وتُخفلي؟
مالك أجفلت؟

الملكة [مضطربة]: أنا؟ لا سيدي لم أجفل

الملك: إذنٌ هي الإذن لفا نيس دعيه يدخل
الملكة: لا بأس في أن أراه عندي إن كنت يا سيدي مصرًا
لكن أنسيت أن فانيس خان بالأمس عهد مصرًا
وفر منها ولست أدري ماذا دعاه لأن يفرا
وكان في الجيش ذا مكان وقاد برًا وقاد بحرًا
قيز: لكنه اليوم في بلادى أجل مما ذكرت قدرًا
الملكة: وسوف يحزيكم جحودا كما جزي أهل مصر كفرا
قيز: لقد أتاني بكل سر عن ملك مصر لم يخف سرًا
حتى الذي تكتمين عني

[ثم ينادى]:

فانيس
ملكى ليك عشرًا

فانيس:

[ثم هو يدخل]:

سلام النار من فارس
أو الملكة نيتايس

سلام الشمس من مصر
على الملكة نفريت

الملكة [لنفسها] :
 رمانى النذل بالسهم
 [ثم لفانيس] :
 سلام لك يا فانيس
 ومصر القائد الفارس
 وساييس هو الحارس
 وإن تأبى فيا بنت الأعدى
 أجهم ويونان بلادى
 لكسب معيشة وطلاب زاد
 وجاوزه إلى المجد اصطيادى
 وفرعون وقومك فى رقاد
 فسودنى ذكائى واجتهادى
 فوَلّنى نشاطى واقتصادى
 وكنتُ الليث من وادٍ لوادى
 أجراكَ المليك على عنادى؟
 فوائب رائحا ومطا بغادى
 وما أنا يا ابنة المقتول بادية
 ولوعٌ بالسفار وبالرياد
 الملكة :
 ويا من هو فى الفرس
 وفى القصرين من سوس
 فانيس : وماذا ضراً يا بنت الموالى
 أجل مولاتى الإغريق قومي
 هجرتهما إلى مصر صبيّاً
 فصذتُ الرزق حتى صار عندى
 سهرتُ على اللواء بمصر جهدي
 الملكة : كذبت فلم تكن إلا مسوداً
 فانيس :
 الملكة : أجيّاً كنت عند أبى وقومي
 فانيس :
 جعلتُ الأرض كالصحراء تحتى
 الملكة : أراك على يا فانيس تجرو
 ككلب خلف سيده تجرّاً
 فانيس : بدأت أميرة الوادى بشتمى
 لقد عبرتني أنى غريب

الملكة : لقد هجمَ الوقاحُ على مكاني
[ثم للك] : مولاي قف فانيسَ عند حده
علمت حقه على قومي فلا
الملك : علام أقصيه

الملكة : لأنه أتى
الملك : فانيسُ جاء ناقلاً مُبلغاً
[ثم مستمراً] :

أراك نفريت غير منصفه رويدَ لاشيء يوجب الغضباً
كوني مكاني!؟ ما كنت فاعلة؟ إذن قلبت الزمان فاقلباً
الملكة : لا سيدي إن للزمان يداً قد ضربت كف كل من ضرباً
الملك : نفريت ثريت على فنيسس وما حفظت ولاه
وتسيت خدمته بمصر وما ذكرت بلاءه
الملكة : لا سيدي لا . نَحْه أنا لا أطيق لقاءه

[ثم مستمراً] :

ما بك مولاي ما أثارك ما أذكاك إني أراك ملتهباً
فانيسُ قد جاء يفضحُ الكذبا
[ثم مستمراً] :

هلمّي الآن نفريت هلمّي يا نيتاس
بأي اسميك أدعوك
الملكة :

بذا أو ذاك لا بأس

فيا قبيزُ لو دانت لك الأيام والناسُ
فلن تستطيع أن تقهر نفسك حلها اليأسُ
قبيز : أنت مملوءة من اليأس مني
الملكة : أجل اليأس منك ملء ثيابي

فليكن

الملك : إنني سألت سؤالاً لم إذن هبتني وهبت جوابي
كيف أدعوك يا عروس؟
الملكة : بما شئت بشر الأسماء والألقاب
بالذي أنت أهله من بداء والذي أنت أهله من سباب

الملك : أنت لم تذني بل الذنب ذنبي
أنا قد شئت أن تكوني ركابي
الملكة : ليس ماشئت أو أتيت غريباً
قد تكون المأ ركاب الذئاب

الملك : احذري أيها الفتاة انفجاري
الملكة : انفجر ما بي انفجارك ما بي
الملك : جئت ذنباً تعاقبين عليه
الوصيفة [بصوت منخفض] : كل ذنب رهينة بالعقاب

اكظمي الفيظ يا أميرة

الملكة [وتشير إلى قبيز] :

بل يخرج من مجرتي ومن محرابي

الملك [لفانيس والوصيفة] :

انظُرَا واسمعا مُحاول أن أبـسرح قصيري وأن أفارق بابي

الوصيفة [للكة بصوت منخفض] :

راجعي الحلم ملكتي سايري به لا طفيه ليني له في الخطاب
لا تهيجي به الجنون فيطني إنه آدم بظفر وناب

فانيس [همسا] :

أَحْسِنِي الرَّدَ ملكتي واحفظينا

إننا ما هنا ثلاث رقاب

الملكة : خِفَتَ فانيس من عذابِ نهار

كيف عرَّضتَ أُنْسًا للعذاب

عجبٌ من خرابِ عمرك تخشى

أنت من ساقِ أمةٍ للخراب

الملك : بَنَتْ مَنْ أَنْتِ يَا نَتِيئَاسُ

الملكة : بَنَتْ الشَّمْسُ بَنَتُ العَوَاهِلِ الأَرَابِ

وَالْيَدِ فِي السَّمَاءِ فَهُوَ إِلَهُ

فلماذا مَرَّغْتِهِ فِي التَّرَابِ

الملك :

كِ وَجَبْتَ البلادَ بِأَسْمِ كَذَابِ

قَدْ نَبَذْتَ اسْمَكَ الَّذِي كَانَ سَمًا

فَمَا أَبْقَيْتَ لِي صَبْرًا

[ثم مستمرا] : نَتِيئَاسُ تَمَرَّدْتَ

فَمَا أَبْدَيْتَ لِي عُذْرًا

وَكَلَّمْتُكَ فِي الذَّنْبِ

عَلَى شَتَّى مَا أَجْرًا

وَمَا أَجْرًا مَا كُنْتُ

فما غرَّكَ بالبأس وبالسلطانِ ما غرَّاً

الوصيفة [بصوت منخفض] :

خُذِي فِي اللَّيْلِ مَوْلَاتِي

فانيس [مها] :

خُذِي سَيِّدَتِي الْحَذْرَا

فقد تأخذُه النَّوْبَةُ حَتَّى يَحْرُقَ الْقَصْرَا

قَبِيز : دَعِيَ الْعِزَّةَ بِالْجَنْسِ نَتَيْتَاسُ دَعِيَ الْكِبْرَا

وَلَا تُلْقِي عَلَى إِحْسَا نِي النِّسْيَانُ وَالْكَفْرَا

أَمَّا أَحِبَّتُكَ الْحُبُّ السَّذْيُ أَنْتِ بِهِ أُذْرِي

وَقَضَّيْتُكَ فِي الْقَصْرِ عَلَى الْبَيْضَاءِ وَالسَّمْرَا

وَقَدَّمْتُكَ فِي الْأَزْوَاجِ قَبْلَ الْأَخْتِ مِنْ كَسْرِي

الملكة : لَقَدْ كُنْتُ وَرَاءَ الْحُبِّ تُخْفِي النَّابَ وَالظَّفْرَا

وَمَا أَفْرَحَنِي أَنِي تَقَدَّمْتُ عَلَى الْأَسْرِي

وَلَا أَنْكَ تَرْعَانِي وَتَنْسَى النِّعْجَةَ الْأُخْرِي

الملك : مَلِكَةُ الْفَرَسِ أَمْسِ

الملكة : وَالْيَوْمَ

الملك : كَلَّا لَسْتُ أَهْلًا لَصَحْبَةِ الْمَالِكِيْنَا

الملكة : أَنَا بِنْتُ الْمُلُوكِ أَصْلَحُ لِلْمُلْكِ جَدُودِي تَمَلُّكُوا الْعَالَمِيْنَا

الملك : قَدْ خُدَعْتُ الشُّهُورَ يَا ابْنَةَ فِرْعَوْنَ

نَ وَلَوْلَا فَتْنُ خُدَعْتُ السَّنِيْنَا

فانيس [لنفسه] :

أَحَدُ اللَّهِ قَدْ نَجَّوْتُ بِرَأْسِي وَأَمْنْتُ الْمُهَوَّسَ الْمَجْنُونَا

الملكة: ليس فانيس للأمانة أهلاً
الملك: سترين العقاب

الملكة: إني تأقبت هيات العذاب هات العترة

الملك: لا. فما هنا العقاب ولكن

الملكة: أين؟

الملك: في حيث شئت لم تسألنا
مصر أولى بأن أحاسب فيها وأحل العقاب بالخادعين
في غد تدخلين مصر مع الجيوش

الملكة: أنا؟ لا أرافق الفلصينا

الملك: بل تسيرين تحت راية فانيس
وما تصعبين إلا أمينا

الملكة: سيدي

الوصيفة: ملكتي دعي العنف

الملك: ماذا؟

الملكة: كيف لقيت بالأمين الخوونا

فانيس [مسا]:

صانعي أيها الأميرة

الملكة: دغني

فانيس: اهدئي حاسني عسى أن يلينا

نوصيفة : ملكتي قال سيدى الملك الحق

الملكة : صه أنت يا تتأ تكذينا

فانيس : سترين النعم تحت لوائى

الملكة : بل أرى البؤس تحته والهونا

الملك : وكان الوجهين باناً من الوا دى

وزالا سهولة وحزونا

أرسل السيل تارة وأجبل السيف أنا وأشعل النار حيناً

الملكة : عُدْ إلى الرشد ما جنت مصر يا قد

بيز ما ذنب أهلها الآمين

[ثم مسترة] :

أمير الفرس قلنا كل شيء

ولم تقل الحقيقة والصواباً

الملك : أعندك منهما شيء ؟

الملكة : ولم لا

الملك : إذن قوليهما وزنى الخطاباً

ذكرت الحرب هل تخشين منها

الملكة : ولم لا وهى أجدر أن تُهاباً

الملك : ولكنا ملوك الفرس نغشى

مخاوفها ونجعلها لعباً

أراك هدأت نائيتاس روعاً

فانيس : وكان الرشد فارقها فشاباً

الملكة : ذكرت ملك فارس حرب مصر وأنسيت العوائق والصعاباً

سيطوي الجيش نحو حياض مصر

بحار الملح والهج العذاباً

وأغبي الناس منشمر لحرب توقع أن يصيب ولا يصاباً

ودون النيل

الملك : ماذا دون مصر؟

يحب الجيش صحراء ياباً

الملكة :

قوائمها وتنسحب انسحاباً

تري تيهاً تجر الخيل فيه

ويظمئه ويورده السراباً

يضل الجيش هديته عليه

وتحسبها من اللهث الكلاباً

تري جلد الجمال عليه يفتى

كل شيء على الحدود تهب

الملك : لا تراعى فما على الجيش بأس

ء ولم نعدم الرجال السقياً

قد وجدنا الحرار في مصر والما

رس والحامي الأمين القويأ

فانيس : واشترينا الخفير بالمال والحا

الملكة [لفانيس] :

كل هذا فعلته أنت يأنذ

أجل ما أتيت أمراً فرياً

فانيس :

ن أما زيس لم يكن بي حفيأ

إن قبيزي حفي وفرعو

الملكة : وابنُه ماجنى عليك ومصر؟

جنيا الطرد والمجود عليأ

فانيس :

أنا كالسيف لم يصنَّ كَيْفُ قد رمانى فاعتضتُ عنه كَيْفَا
الملكة : ومجّدت الذى طعمت من العسمة

فانيس : لا . ما طعمتُ من ذاك شَيْءَا
كنت كالسيف كلما كاذبوني جعلوا السُّمَّ لى طعاماً ورياً
الملكة [إلى قبيز] :

وهبك بلغت يا مولاي مصرًا
الملك : وماذا عند مصر
الملكة :

تجىء غاباً ترى أسد القتال عليه شتى
تقلدت الصوارم والجرايا وثم ترى الفيلق من رماة
تكاد قسيهم ترد السحابا إذا نظروا على زاد غراباً
أصابوا بين عينيهِ الغراباً
الملك [يستهزئاً] :
رماة ؟

[ثم انى فليس والوصيفة] :

حدّثوها كيف أرمى
وكيف أصيبُ فى السحب العقاباً
الملكة : أنتَ يجمعهم نُقْصَاسُ كسرى
وأنتَ الموتُ حيثُ رمى أصاباً
الملك : إذن ماذا ؟

الملكة : أخافُ عليك جيشاً
كركوم الحصى يُنْطَلَى الحساباً

وأخشى أن يقول الناس زوجي
غداة ذهابه نسي الإيابا

الملك [لقانيس] :

فانيس صفق وناد يامعشر القواد

[يدخل الخراس والقواد]

قبيز [لقائد ميجا صاحب الأخبار] :

ميجا تعال

ميجا : لِيَّكَ رَبِّي لك التحيات والسجود

الملك [للكة] :

ياملكة الفرس ذاك ميجا يعلم ما يحشد الوجود
خريطة الأرض في يديه السفن والخيول والجنود

الملك [لميجا] : ميجا تكلم ما حال مصر ما الجيش في مصر ما الحدود

اللكة : هات ميجا قل تكلم

ميجا [في اضطراب] : ملكتي

اللكة : ما الذي تدري عن الجيش المجيد

ميجا : جيش مولاتي كالمهيد به كامل العدة موفور العيد

الملك [في غضب] :

هات ما عندك من أخباره

واخش أن تنقص واحذر أن تريد

ميجا [مضطربا] :

يا إله الفرس لا تبرح فمي
وأعني . كيف أبدي وأعيد

[ثم للكة] :

إن ورد السلم من كثرته
نسيت أظفارها فيه الأسود
واختلاف الجند فيما بينهم
أخذ البأس وإن أبقى الحديد
أصبح الجيش

[ويستك قليلا]

الملك [لميجا] : تكلم

الملكة : قل أين

ميجا :

كالقطيع اختلفت فيه الجلود
وتراعى الزنج واندس العبيد
سبب الرزق أتى الجيش يصيد
حشر اليونان في رايته
وغدا كل طريد لم يجد

الملكة [لنفسها] : والخيل يا ميجا هناك ؟

ميجا : قليلة

الملكة : أسفا على الفتیان أين حماسهم

الملك [ملفتا الى ميجا] :

قد اكتفت ببيانك
س وأمض ميجا لشانك
إني أراك مصرا
ويحفظ الله مصرا
مليكة الفرس ميجا
نخذ مسرازة الفر
تناس : قبز ما شئت فاصنع
تغير أنت وتغزو

قبيز : وفارسُ يا ابنة النمل ما لفارس ذكرُ

نتياس : لا أيها الملك مالي في غير مهدي فكرُ

قبيز : نتياس اسمي أنتِ تُسيئين إلى مصرًا

غدا يهلك أهلوها وتُسمى تحتهم قبرا

نتياس : وقاهامنك آمون ولا اسطعت لها ضرا

قبيز : هذا التجني كثيرُ هذا لعمرى الغرورُ

لقد تحمل صدرى ما لا تطيق الصدورُ

[ثم مستمرا] : كفا عبتا بسلطاني وبأسي كفى ما كان ناتياس منك

غدا يتحدث الرُكبانُ عني ويروى الناس ما يروون عنك

كذبت على يا ابنة أبرياس حذار حذار من بطشي وفتكى

أنا قبيز بن كسرى أنا جبار الوجود

وأنا النارُ أصولي وبنو النار جدودي

ويل فرعون ومصر من جنودي وبنودي

قبيز [لنفسه] : رباهُ ويمحي ويمح لي رباهُ مالي لا أعي

رباهُ نراهُ ما الذي أجدُ

كأنما النارُ في تتقدُ

يا نارُ كوني لي أو رمادُ كُن عوني

[ثم إلى نتياس] : انتظري البطش يا بنت فرعون

أنا قبيز بن كسرى أنا وحش أنا غول
 لستُ بالعجل أبالي وعلى النار أبول
 قبير [لنفسه] : قد رجع الصغير لي يا ليت له لم يرجع
 ما بال عيني أظلمت ما بال ساقى جمدت
 أين الطيب أزدشُر؟
 [وينشاء الصرع]
 الملكة [بعد أن يأتي الطيب] :

هذا الطيب قد حضر

[يدخل الطيب ويطلب نعله]

الملكة [تدنومه في حنوطه و تعطف وتقول] :

يا ويح زوجي ويحه هاج وعاده الصرع
 يا نار كوني حوله أدركه يا آمون رع

[يخرجون به]

فانيس : ألان نتيناس تعال إلى الهدى

تعال إلى الرأي الصواب تعال

نتيناس أنت اليوم ملكة فارس

بلغت الذرا من سُؤدد وجلال

الملكة : ولكن أبي فانيس لاتنس ما أبي

وجدي وأني بنت أصيد عالي

فانيس : ولكن ألم يخلع أباك أمازس
 ويفتك به في ثورة وقتال
 ويجلس على كرسى مصر مكانه
 ويخلفه في جاه أفاد ومال
 الملكة : أجل قد خلعتنا ملكنا وتصرفت
 بنا سوقة من جندنا وموالي
 فانيس : إذن فدعى قبيز يشار لوجهه
 ويضرب يميني أو يصب بشمال

دعيه يعاقب سارق التاج مثلما
 يعاقب في منفيس لص لآلي

الملكة : تأمل وحق من تخاطب ياقتي
 فانيس : أخاطب عقلاً من وراء جمال
 لقد قلت قولاً ليس ياباه عاقل
 فلا تنظريني واسمعي لمقالي
 الملكة : ولكن أمامي صورة من خيانة
 فانيس : ومالك يا بنت الملوك ومالي

الملكة : وأنت يتا ماذا تريين ؟
 الوصيفة : خيانة وأطاع قواد ولؤم رجال

الملكة : فديتُك من مصرية

الوصيفة : بل أنا الفدى لسيدتى من قدوة ومثال

الملكة [لما نيس] :

أتسمعُ كلبَ الصيد؟

فانيس : حمقاء غيرةً وما لي ألقى للحماقة بالي

الملكة : عمى لك يا فانيس وامش بلا عصا

ودون دليل في رؤوس جبال

فانيس : لك الشكر مولاتى

الملكة : لك الويل من فتى فإنك من معنى المروءة خالى

أوطئ خيل الفرس مهدى وملعبى

وتربة آبائى ومترل آلى

وأشعل نار الفرس فى أيكّة الصبا

وما بوائتى من ربى وظلال

وأغمد سيف الفرس فى صدر أمة

تمشنى وتمنى أسرتى وعيالى

إذن لا أوى جدى السماء ولا أبى

ولا جلّ عمى أو تبارك خالى

وأفضل منى كل ذات مُلاءة

وراء حقول أو وراء تلال

تَهْشُ عَلَى شَاةٍ وَتَحْمِلُ جَرَّةً
وَتَمْشِي عَلَى الْوَادِي بِغَيْرِ نَعَالٍ

[يدخل قبيز ثم الحاجب ويقول] :

إِلَهَ الْفُرْسِ

الملك : ماذا ؟

الحاجب : ثُمَّ رُسُلٌ أَتَوْا مِنْ مِصْرَ النَّبَأِ الْعَظِيمِ

الملك : وما يقولون ؟

الحاجب : يَقُولُونَ أَمَارِيشُ هَذَاكَ

الملك : ثُمَّ ؟

الحاجب : يَقُولُونَ أَبْنَاهُ بِسَامْتِكَ قَدْ مَلَكَ

الملكة [لنفسها] :

مِصْرُ ... رُسُلٌ لَيْتَ شَعْرِي مَا الْخَبَرُ

وطني يا رَبِّ لَا مَسَّ لِشَرِّ

قبيز الملك [ملتفتا للملكة والوصيفة] :

يَا مَلِكَةَ الْفُرْسِ أَصْغِي وَيَا تَيْتَا هَلْ سَمِعْتِ

قَدْ مَاتَ فِرْعَوْنُ مِصْرَ

الملكة والوصيفة [بصوت واحد] :

تَعِيشُ مِصْرُ وَتَبْقَى

ستار

الفصل الثالث

المنظر الأول

«الأميرة تقربت على ضفاف النيل تشكو إليه وتنتحر بأن تلقى بنفسها فيه»

ويحي لقد أودت بي الأناثي
عشتُ فما أحببتُ إلا ذاتي
ولا افكرتُ بسوى لذاتي
حتى قذفتُ وطني في الهاوي
النيل . النيلُ يجني هاهيه
أمواجه تهتفُ بي مناديه
* * *
يا نيلُ يا قوام كلِّ شيءٍ
وما نَح الحياة كلَّ حيٍّ
هيّ اغسلِ الذنبَ العظيم هيّ
ثم تلقى نفسها

المنظر الثاني

في منفيس

« جماعة من المصريين والمصريات يجادلون ويتذاكرون »

« بنى قبيل وجنوده وبعض ما أحاب الناس من المصائب »

« من وراء الفتح الفارسي — في ساحة من ساحات منفيس »

أحد الرجال [لزميل له] :

تعال يا (باطا)	قل لي بالله
كيف ترى الحكماء	كيف ترى الظلما
باطا : أصيخ أصيخ يا داد	اسمع وكن عوني
قبيل في الظلم	بألف فرعون
[ثم لهجار] : وأنت يا هجار	ماذا تقولينا
هجار : آمون ذو المن	يُبق الفراعينا
الفرس في مصر	طغيانهم قد زاد
هم صلبوا التماسخ	على ضفاف الواد
وكلّفوا العصفور	يمشي مع الصياد

[تقبل امرأة مصرية عجوز]

فيقول أحدهم: وهذه دوباره

آخر : الشيخة الثائرة

الأول : هلمى يا دوبارا هاتى اذكرى الأخبارا

دوباره : لا تسألونى ما الخبر مصر ترى اليوم العبر

لكن صبه حذار لا يدرين دارى

عارضنى الساعة فى طريق

فقى مليح الحسنى والبريق

يسألها سائل : من الجنود ؟

العجوز : لا ! من القواد

على المكان ظاهر الميلاد

آخر : وما أتى ما فعلا ؟

العجوز : عاتقنى وقبلا

الأول : وأين ؟ فوق فيك الدرى

آخر : أو من على جبينك البدرى

آخر : أو فوق خد مثلى روئى البغلى

الأول : أو فوق ذقن مثلى كعب النعل

العجوز : أهذه نجدتكم يا فتية

أهكذا نُجِّمى بمصر النسوة

يا أسفا على القرون الحالية

يا أسفا على النفوس العاليه

[وتصرف منفضة مهرولة]

أحدهم [ويرى شخصا مقبلا]:

هذا أها، من أين جئت؟

كيف أنت يا أها؟

ثاني:

أها: من ضيعتي

وكيف هي؟

الأول:

أها:

قد لقيت ماساءها

وبطى كله طارا

وزوجى جُلَّتْ عارا

إوزى كله طاح

وأختى خُطفت منى

نظرْد قبيزَ والجنودا

فما الذى يُمسك الأسودا

الجماعة: إذن لقد آن أن تُشور

الغابُ فى شقوةٍ وبؤس

مع الوزراء وفى الحاشية

يُسَلُّ على الأَرؤُس العاليه

أحد الجماعة: خذوا حذرکم أقبل الطاغية

وذا السيفُ فى يد جَلَّاده

صَبَّتْ على هذا البلد

لَا يَسْمَعُنَا أَحَدُ

آخر: تلك مصائبٌ وَقَدْ

امضوا بنا امضوا بنا

« ينصرف المصريون ويدخل قبيز فى وزرائه وقواده »

« ثم يقبل جنود يسوقون أسرى من النوب ... »

قبيز: ماذا يَسُوقُ الجنودُ من الوجوه السودُ؟

هذي عفاريتُ

وزير : لا . بل مولاي هذي قروُدُ
 قبيز : لـصـكـتـهم حيثُ دارث رَحَى القتالِ أُسودُ
 بلَوُّهُمْ في القتالِ لما حَوَّتْنَا الحدودُ
 قائد : النوبُ جُنْدُ سَامَا

قائد آخر : بل هم أشدُّ جنوده
 وأثبتُ الجيشُ يومَ القتالِ تحتَ بنوده

قبيز : يا جُنْدُ حُلُوا عن الأسرى وثاقهمُ
 خلُّوا عن السُّودِ قد أعتقتُ أقراني
 ويا بني النوبِ مُلكي لن يضيقَ بكم
 من شاءَ فليبقَ في مُلكي وسلطاني
 والجيشُ داركمُ إن كان يُعْجِبُكمُ
 أن تَلْحَقُوا بِمُشَاتِي أو بفرساني

الأسرى النوب :

يا بني النوب هَلُمَّ رقصَةَ الحربِ لكسرى
 سيِّدُ الأرضِ عَفَا عَنَّا فَمُحَرَّبُ

« ثم يفك وثاقهم فيرقصون رقصة الحرب ويفندون »

النوبُ جيلُ ، حُرٌّ أصيلُ ، يقضي الديونُ
 نحنُ الأسودُ ، حُرُّ الجلودُ ، حُرُّ العيونُ

لَنَا لِبَدٌ ، مِنْ الزَّرْدِ ، هِيَ الْحَصُونُ
نَغْشَى الْقِتَالُ ، وَلَا نُبَالُ ، طَعَمَ الْمَنُونُ

نَحْنُ شُعُوبٌ وَشَيْعٌ وَرَاءَ أَسْوَانٍ تَقَعُ
عَرُوشُنَا مِنَ الْجَرِيدِ تَيْجَانُنَا مِنَ الْوَدَعِ

نَحْنُ قَبِيلَ الشُّلُكِ فِي الْعَنْجَرِيبِ تَتَكِي
وَالصَيْدَ تَهْوَى وَالْقَنْصَ وَنَطْلِي بِالْوَدَكِ

لِلْحَرْبِ نَمِشِي الْهَرُولَةَ نَبْعُثُ فِيهَا الْجَلْجَلَةَ
مَمْزُوجَةً بِالْوَلُولَةَ

[وبعد القروغ من الرقص يقبل عليهم قبيز ويقول] :

قَبِيزُ : زِهْ يَا جُنُودُ زِهْ يَا أُسُودُ

[كبير النوب لحازن الملك] :

زِهْ زِهْ هَاتِ النُّقُودُ

[يدفع الخازن اليهم مالا فيأخذونه وينصرفون]

[يتراءى فرسان ثلاثة] :

قَبِيزُ : مَنْ الْغُبَارُ ؟

وَزِيرُ : رُسُلُ

قَبِيزُ : مَاذَا إِلَيْنَا حَمَلُوا

قَائِدُ : وَهَاهُنَا تَرَجَّلُوا

[يقف الفرسان بحضرة الملك]

- قبيز : ماذا وراء الرُّسُل
أحدهم : الدعوات للملك
- قبيز : ماذا لديكم ما الخبر ؟
أحدهم : حوادث ذات خطر
- قبيز : حوادث ؟ قل أخا الهيجا تكلم
الرسول : بسامتيك يا مولاي خانا
- الوزير الأكبر :
بسامتيك خان ؟
- الرسول : أجل أميري
قبيز : وكيف ؟ وما أتى ؟
- الرسول : بقض الأمانا
- قبيز : وما برهانكم
الرسول : كُتِبَ ورُسِلَ
- قبيز : وهل وجدت دعايته سميعا
الرسول : أجابت دعوة المخلوع مدن
- قبيز : وأين فرعون ابسما
الرسول : في منف يندو ويروح
- حُرُّ كما شئت له
من معبد لمعبد
ومن ضريح لضريح
وحوله كهان من نفيس يحوون المسوح
وكلهم مشيره
- الوزير الأكبر :
بشس المشير والنصوح

- آخر : من لم يكن كاهنًا في مصر أو ملكًا
ولا تراه لهذا أو لذا تبعًا
فلا تقيسَنَّ في هذى البلاد به
إلا المواشى والأحجار والسلعًا
قبيز : وزرائى ودهاقينى انظروا انظروا ذلك فرعون «ابسمًا»
الوزير الأكبر :
يدفعُ القواد والجندُ به وهو فى القيد يجرُّ الأدهما
قائد : كاد فرعونُ من استجاره أنفه يدفعُ فى أنف السما
[فرعون يقف بين يدي قبيز فى عظمة وإباء واستجار]
قبيز : بسامتيك
فرعون : قبيز
قبيز : أتدعو باسمه الملكا
فرعون : غداً تفقدك الفرسُ ويخلو عرشها منك
وملكٌ قد مضى غنى سيمضى فى غدٍ عنك
[قبيز يدخل فى الغضب شيئاً فشيئاً] :
قبيز : وهذا الفتح يا فرعو ن ؟
فرعون : عدوان وإجرام
أما عندك يا قبيز للنكبة إكرام
قبيز : عفوتُ عنك أمسى يا ابسمًا فلم ترعَ الوفا
فرعون : يا عجبا يا عجبا عبدٌ عن الرب عفا
قبيز [هائجاً] : خذوه بالخناجر سلُّوا لسان الفاجر

فرعون [في عظمة وصبر وثبات] :

هاتوا سيوف الفُرس هاتُوا القَنَا

هاتوا المَدَى هاتوا حبال الحديد

لا تحسبوني بشرًا بالذَّاء فرعونُ حيٌّ خالدٌ لا يبيدُ

قبز : إذن خذوه بعيدًا صبوا عليه الحديدًا

« يأخذه الجند ويخرجون به »

[يدنو وزير شيخ من قبز ويقول له] :

القائد : مولاي تلك غضبةُ المقهورِ ونزوةُ الضرغامِ المأسورِ

مولاي بالنارِ بقدس النورِ اغفر لهذا الصارمِ المكسورِ

فإنه ضحيةُ الأمورِ

قبز [صائحًا بالجند وهم ذاهبون بفرعون بسًا] :

إذن رُدُّوا الأسيرَ إلى رُدُّوا فإنَّا ما اتَّهينا منه بعدُ

« يرجع الجند بفرعون ويقفونه أمام قبز »

قبز : تعال فرعون ابْسَمَا تعال مني ناحيه

لقد عفوتُ مرةً وقد تكونُ الثانيه

فرعون : لا مرحبًا أميس ولا اليومَ بعفوَ الطاغيه

قبز : تأمل هل لبستَ اليومَ ذلًّا وكنتَ تجزأ من الذيلِ تيهًا

فرعون : كذا الدنيا تُغيَّرُ يا ابنَ كسرى نخفُّها إنها لا خيرَ فيها

وهبك قهرتني أفهرت مصرًا

أجل ووضعت سيفي في بنيتها

قبز :

وبعد غدٍ أطوقها بنارٍ تطوفُ على البلادِ وما يليها
وتجعل من هياكلها رماداً وتُنزلُ في الأزقةِ مُترَفِها
وتدعكُ في ترابِ الذل أنفاً

يطولُ على النجومِ ويزدريها

فرعون : رويدك يا بنِ كسرى قف تمهل
فعادةُ مصرَ تقهرُ قاهرِها

قبيز : رويدك أنت يا فرعونُ إني
إذا حطمتُ مصرَ فمن يقيها

أليست فارسُ والأرضُ تحتي
وأمرى في الجنوبِ وفي الشمالِ
وقد غطتُ فضاءَ الأرضِ خيلِ
وهبتُ في السهولِ وفي الجبالِ

فرعون : شمختُ بخيلك يا فارسيُّ فماذا صنعتَ بخيلِ القدرِ
تأمل مكاني وما حلّ بي ألم تتعظّ بي ألم تزدجرُ

قبيز : ما أنت يا مخدوع

فرعون : فرعونُ انبما

قبيز : بل أنت مأسورٌ عليك قيودُ

وَعَدَا يَنْوِبُ عَنِ الْقُصُورِ وَرَحِيهَا
 سَجَنٌ يَضِيقُ وَمَنْزِلٌ مَسْدُودُ
 وَتَدَسُّ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرَ مُحِيطِ
 يَلْهُو بِهَيْكَلِكَ الْبِلَى وَالِدُودُ
 فرعون : قَبِيرُ

قَبِيرُ : فرعون ابْتِمَا صَلَّ ابْتَهَل
 وَاهْتَفَ لَعَلَّ الْعَجَلَ عَمَكَ يَذُودُ
 أَنْظِرْ إِلَى أَيْنَ انْحَطَطَتْ
 كَذَبْتَ لَمْ
 فرعون :

يَنْحَطُّ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ عَمُودُ
 إِنْ الْجَوَاهِرَ فِي التَّرَابِ جَوَاهِرُ
 وَالْأَسَدُ فِي قَفْصِ الْحَدِيدِ أَسْوَدُ
 قَبِيرُ : سَنَرِي هَلُمُوا يَا جُنُودُ أَسِيرَكُمْ
 عَوْدُوا بِهِ مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ عَوْدُوا

قَبِيرُ [مستمرًا] :
 وَأَيْنَ نَفَرِيْتُ ابْنَةُ الْكَذَابِ قَدْ آتَى أَنْ يَنَالَهَا عِقَابِي
 الوزير الأكبر :

نَفَرِيْتُ مِنْ مَخَافَةِ الْحِسَابِ أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلَى الْعُبَابِ
 وَذَهَبَتْ

قَبِيرُ [ويضعك ضحكة جوئية] :

لَكِنْ بَلَا إِيَابِ

[تحضر نيتاس وتقول] :

نيتاس : قبيزُ؟

قبيز : نيتيتاسُ؟

نيتاس : أَجَلْ

قبيز : وماذا أتى بك؟

نيتاس : أتيتُ أُنقِذُ قومي وموطني من عذابك

قبيز : والزوجُ يا نيتاسُ؟

نيتاس : وأُنقِذُ الزوجَ أيضا

قبيز[ساخرا] : ومِمَّ؟

نيتاس : من شدةِ البلاءِ وغضبِ الأرضِ والسماءِ

قبيز[في غضب] :

إذهبي يا بنتَ فرعونِ اذهبي

اعزُبي يا حبةَ النيلِ اعزُبي

فانيس : تأخري سيدتي لا تعرضي لغضبه

قبيز : فانيسُ أنتِ ها هنا

فانيس : مولاي لي لم ينتبه

نيتاس[متهكة] : مولاك كم تخدعه

مولاك كم تسخرُ به

قُبِيزَ [إلى قواده] : أَحَقُّ هَوَىٰ بِهَذَا
 [ثم إلى فانيس] : أَحَقُّ أَنْتَ بِي تَسْخَرُ
 وفي الأحلام تبدو لي وهذا الوجه لي يظهر
 وقد يصفر كالليمون نِ أو يحمّر كالبنجر
 [ويهم عليه بالخنجر]

فانيس : أَمِيرِي سَيِّدِي مُلْكِي
 قُبِيزَ [ويطعنه بالخنجر] : أَغْثُهُ أَيُّهَا الْخُنْجَرُ
 [ضجة في صفوف المصريين]

أحدهم : قَدْ هَلَكَ الْوَاشِي
 آخر : قَدْ هَلَكَ الْخَائِنُ
 كافاه قُبِيزَ شَرُّ الْمَكَافَاةِ
 فانيس [بعد أن يضربه قُبِيزَ بالخنجر] :

آهِ مِنْ الْخُنْجَرِ مَا أَحْرَهُ آهِ مِنْ الْحِمَامِ مَا أَمْرَهُ
 [لقبِيز] : قُبِيزُ شَلَّتْ يَمِينُكَ وَلَا أَفَاقَ جُنُونُكَ
 [لنفسه] : وَيَحْيَى أَرَى عَيْنِي تَغِيْمُ وَسَاعَتِي
 تدنو وأشعرُ بانقطاع فؤادي
 الذنبُ لي أنا قد نرجتُ لفارس
 ومنحتُ مجنوناً هناك ودادي

فانيسُ أنت نسأتُ جندياً فُتُّ
 كالجندي والقي مصارعَ القوادِ
 سيانٍ حينَ تُحطُّ في جوفِ الثرى
 موتُ الفراشِ وموتُهُ الجلاذِ
 يا نفسُ لم أحملُ عليكِ دنيَّةً
 لاقِي المنيَّةَ بالضميرِ الهادي
 يونانُ تغفرُ لي وآلهتي بها
 سهرتُ عيونهم على أولادي
 قد خُنتُ مصرَ وخُنتُ ساداتي بها
 لكنني ما خُنتُ قط بلادِي

أصوات [من جانب المصريين] :

فانيسُ لا علمَ لَهُ بما جرى
 قد قتلوا أولاده وما دري
 [تظهر الجندي يدفعون قتي فيقول قبيز]

قبيز : وهذا الفتى من ولم سقتموه إلى
 جندي : قتي في النواحي يرود
 قبيز : وما كان يأتي ؟

الجندي : يُشيرُ البلاد
 ويُغري القرى باغتيال الجنود
 قبيز : تتحوا به فاقطعوا رأسه عساه لأمثالها لا يعسود

نتيناس [تسمع وهي مترجمة ضخمة فتتلفظ فيستوقفها المظرف فتقول] :

ماذا رأيت وماذا سمعت ؟ من يدفعونا
من ذا إلى النار ساقوا من أوردوه الأتونا
تأسو؟ أجل هو تأسو أتوا به المجنونا
قسا الجنود عليه والجنود لا يرحمونا

ما بالله عرف الوفاء وكيف ثاب إلى الرشاد
ربي . أشفع فيه؟ لا لا كيف أمنعه الجهاد
لا . لن تحول شفاعتي بين الضحية والبلاد

هذه ميتة عز إبيض تأسو بسلام
قد صفحنالك عن ذا لك التجنى والأثام
لا تمت بالكاس والطا س ولكن بالحسام
سرني أنك تقضى للحمى حق الذمام

وشفاني أنك الدا ند عن مصر المحامي
زل لتبقى كودادي مت لتحيأ كغرامي

[ثم تراجع وتقول] :

والان إلى طيبة والصعيد لحشر الدعاة وحشدا الجنود
وقهر العدو وإرغامه وقذف المغير وراء الحدود

[وتخرج]

[يستجمع تأسو ويقول ، وكأنما سمع ما قالت نتيناس] :

عفت نتناس فيا مرحبا بك اليوم يا موت من زائر

قبير [إلى وزرائه] :

ما الرأى يا وزرائى
 ماذا بأبناء مصر
 قائد : نحن بنو الشيطان
 ثاب : والناس من طين السكك
 قبير : أبى لعمري فرعون مصر
 سادعك في الترب آناهم
 قائد : سيدى لا تُبد رفا
 ثاب : واهدم الأبراج هدمًا
 ثالث : ودع الوادى قاعًا
 قائد رابع [على السن] :

سيدى بل تترفق
 قبير [يضحك ضحكة جنونية] :
 خذوا يا قادة الفرس
 قائد : أميرى خرف الشيخ
 قبير [يغمد خنجره في القائد الشيخ ويقول] :
 خذ طعنة فيها الشفا
 القائد [وهو يلقى الطعنة] :

يا ويحه قد عادہ الجنون
 قبير : وآيلس معبودهم أين هو؟
 قائد :
 ثاب :
 بل أنا حين هجته المجنون
 هو العجل
 وهو الذى ألهوا

وزير : تَوَى العَجَلُ فِي حُجَرَاتِ الْحِلَالِ
 قائد : وَقَدْ نَعَمُّوهُ وَقَدْ رَفَّهُوا
 الثاني : وَلَيْسَ إِلَهًا وَلَكِنَّا عَلَى الشَّعْبِ كَهَانُهُ مَوْهُوا
 أحد القائدين [لزميل له] :

هُمْ يَعْبُدُونَ الْعَجَلَ يَا أزدِشِرْ

أزدشر : يالك من أحمق ثرثار
 ونحن ؟

الأول : النَّارُ إِلَهُ لَنَا
 أزدشر : ما الفرقُ بينَ العَجَلِ وَالنَّارِ
 الأول : أَفَلَسَوْفَ أَنْتَ ؟
 أزدشر : بل ملحد
 الأول : أَنْتَ؟ إِذْنِ عِشْ وَامِضْ بِالْعَارِ

ما كانت النارُ بِمُتَاجَةٍ إِلَى قَلِيلِ الدِّينِ كَفَّارِ
 فبيز : وَأَيْنَ هُوَ الْعَجَلُ ؟
 قائد : فِي قُبَّةٍ تَلِيقُ لِكَسْرِي وَآبَائِهِ
 فبيز [منضبا مشيرا] :

أَمْسِكُوا الْكَلْبَ خَذُوهُ ، أَدَّبُوهُ
 ما أبي العجلُ ، بل العجلُ أبوه

القائد : السويل لى جُنْ

صديق له فى أذنه : ما جُنْ إِلَّا كَا

فَأَنْتَ سَاوَيْتَ بِالْعَجَلِ مَوْلَا كَا
آخِرُهُ : أَهْكَذَا يَا أَحْمَقُ السُّلُوكُ أَهْكَذَا يُخَاطَبُ الْمَلُوكُ

[يؤتى بالعجل ، فيثور لرؤيته جنون قبيز]
قبيز : وَالْآنَ مَاذَا رَأَيْتُمْ وَمَا الَّذِى تُفْتُسُونَا

وَمَا الَّذِى نَحْنُ بِالْعَجَلِ يَا تُرَى صَانِعُونَا
قائد : يَصُبُّ كَسْرَى عَلَيْهِ مِنْ الْبَلَاءِ فُنُونَا

آخِر : عَاقِبَةُ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاتْرَكَهُ لِلْغُرَبَانِ وَالْحِدَاءِ

آخِر : إِذْفِنْتَهُ فِي الْأَرْضِ حَيًّا وَهَلْ عَلَيْهِ التُّرَابَا

الْأَوَّل : إِذْبَحْهُ ذَبْحَ الْخُرُوفِ

الْثَانِ : أَخْنَقَهُ خَنْقَ الدَّجَاجَةِ

آخِر [بِتَهْكُمْ] : إَصْلَبَهُ فَوْقَ عُمُودٍ مِنْ هَيْكَلِ الْمَعْبُودِ

وَزِير : إِحْرِقْهُ يَا مَوْلَايَ بِالنَّارِ

إِخْسَاً فَهَذَا أَعْظَمُ الْعَارِ قَبِيز :

مَاذَا يَقُولُ النَّاسُ عِنَّا غَدًا أَلْقُوا إِلَى النَّيْرَانِ بِالنَّارِ

قَدْ دَنَسُوهَا وَهِيَ مَعْبُودُهُمْ مِنْ جُثَّةِ الْعَجَلِ بِأَقْدَارِ

[ويظهر الغضب على قبيز فيقول له قائل منهم] :

قائد : مَوْلَايَ مَا ذَاكَ فَاَرُ بَلْ أَلْفُ فَاَرٍ وَفَاَرٍ

آخر : يا سيد الأرض أشر
غداً يقولون بمنفيس
رأى الوزير أصاباً
تعدت النار بأيس
قبيز [مقتنعا ومقهقها] :

أجل غداً يُقال في الأخبار
[ثم يقبل على أيس ويخاطبه] :

إله النيل لم تفضب
تأمل شبح الموت
وهذا خنجرى الماضى
لم تكسر جفينا
ألم بيد لعينا
نخذه بين قرينا

[وطلعت ثم يراجع خطوة ويقول] :

إلهى ما ترى عيني
وقتل قد غدوا حولي
وجرحى جذبوا ثوبي
خيالات وأشباح
وقتل غيرهم راحوا
وجرحى غيرهم صاحوا

هذى عواقب بني
لا بد من عدل يوم
قائد : ويح لقمبيز
هذا القصاص المتاح
يرتد فيه السلاح

آخر :

الأول : من يقتل اليوم
قبيز [مستنزا] :

هذا أخى يصيح بي
وتلك أختى تتحب

وآخرُ يسألني أين دمي؟ أين؟ أجب
فائد آخر: هذا ضميره صَحَا
حتى رأى آثامه ولم يكن لها أبه
أترلفه: ثار به ضميره
[ثم لزميل له همسا]:

وما الضميرُ حيدر؟
حيدر [للميل]:

سريرةٌ تندمُ أحياناً وحيناً تزجرُ
ويرجعُ الناسُ لها إلا أمرؤ لا يشعرُ
الأول [رسم لحيدر]:

وأين منزلُ الضمير؟
حيدر: موضعٌ من الجسدِ
أنظر، هنا يا رستم القلبُ وها هنا الكبدُ
[ويشير إلى أعلى الصدر وأسفله وإلى ما بينهما (المعدة)]
[ثم مستترا]:

وها هنا الضميرُ بين القلب والكبدِ قعدُ
رستم: هنا الدجاجُ والحمائمُ ها هنا بلا عَدَدُ
حيدر: والبَطُّ أيضاً والإوزُ والحمارُ والوثَدُ
وكلُّ ما تسرقُ أو تخطفُ من هذا البلدِ
رستم: حيدر هل يُجترعُ الضميرُ أو هل يُزدرَدُ
وهل له حوصلةٌ وهل له رجلٌ ويدُ

حيدر : يا أخى إنَّ الضميرَ النَّفسُ أو بيتُ الشُّعُورِ
 وهو فيلٌ في صدورٍ وهو فأرٌ في صدورِ
 وجبالٌ من حديدٍ أو جبالٌ من حريزِ
 وسعيدُ الناسِ من لم يشكَّ من وخزِ الضميرِ

قبيز [يقوم هائجا وكأنما يفتر من شبح شقيقه الذى قتله] :

ماذا بيَا ؟ ماذا بيَا هذا شقيقى بُرديا
 هذا شقيقى بُرديا وخنجرى فى صدره
 جئتُ أنى تجزى أخا لك عن قبيح غدره
 [ثم يزداد هياجا ويفتر من شبح أخته التى قتلها] :

أتوسهُ أختى ألا تصفحين أتوسهُ زوجى ألا تغفرين
 [ثم ينظر يمينا ويسارا وهو كالمجنون ويقول] :

آه لِيَهْ آه لِيَهْ ما هذه الزبانيه
 كَتَبَتْهُ بموضعٍ وعسكرٌ فى ناحيه
 وأرؤسٌ بوهدهٍ وأرجلٌ برايه
 كلُّ يصيحُ رُدَّ رُو حى رُدَّ لى دمائيه

قبيز [مع الأشباح] :

ويلى من الماضى ومن أشباحه

هذى خيالاتُ الزمانِ الخالى

عجبُ العجائبِ ويحلى ماذا أرى

شبحٌ، أجلُّ شبحٌ وطيفُ خيال

شَبَّحُ كَأَمَلِكَ الْوَا قِي لِعَيْنِي يَلُوحُ
شَبَّحُ كَالزَّبَقِ النَّا عِمْ يَفْدُو وَيُروِحُ
ظَهَرَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ وَسَرَى الطَّيْبُ يَفُوحُ

تَمَثَّلْ نَيْتِيَّاسَ حَوْلَ مِذَاهِبِي أَحِبِّ بَيْنَتِيَّاسَ وَالتَّمَثَّلِ
مَا بِاللَّهِ أَلْقِ عَلَى سَكِينَةٍ وَأَرَاكِ وَجَدَانِي وَأَنْعَمَ بَالِي
زَوْجَاهُ نَيْتِيَّاسُ مُلْكَةُ فَارِسِ
مَا لِي حُرْمَتُ حَنَانِ قَلْبِكَ مَا لِي
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَسْمَعْ الْوَأَشِي وَلَمْ
أَخْرُجْ حَبَالِكَ مِنْ قَسِيمِ ضَلَالِي
قَدْ سَاءَ حَالِي فِي غِيَابِكَ فَارْجِعِي
هِيَاتَ بَعْدَكَ مِنْ يَرْقُ لِحَالِي

أَأْرَاكِ عِنْدِي وَالْأُمُورُ رُخِيَّةٌ
وَأَأْرَاكِ عِنْدَ شِدَائِدِ الْأَهْوَالِ
بِاللَّهِ يَا طَيْفَ الْحَبِيبَةِ قُلْ لَهَا خَلَقْتُ قُبَيْرًا بِأَسْوَأِ حَالِ
صِفْنِي لَهَا تَعِسًا كَمَا شَاهَدْتَنِي
قَدْ عَادَنِي صَرَعِي وَجَدَّ خَبَالِي
يَا بِنْتَ مِصْرَ وَيَا يَتِيمَةَ تَاجِهَا
عُودِي فِدَاؤِكَ دَوْلَتِي وَرِجَالِي

[ثم مستمرا] : طابَ وردُ الحمامِ يا نفسُ هيا
خنجرى خنجرى إلىَّ إليَّ

[و يلعن نفسه بالخنجر و يقطع]

جماعة من الفرس :

يا فرسُ يا قومَ كسرى النازلين السحبا
كسرى مضى للنار شقوا عليه الثيابا
وحطُّوا في نِمرائه سيوفكم والحرا

[كبراء الفرس يتشاقون الثياب]

أحدهم لآخر :

هاتِ ثيابَكَ خُذِ ثيابي
تعالْ خُذِ قِصِي وأعطني قِصَكَ

[يمزق كلاهما قيص الآخر]

مصرى من الحاضرين [لآخرهما] :

أنظر أخى الفرس وما نابهم شقوا على المجنون أثوابهم

الكهان [بجماعة المصريين] :

يا أيها المرضى اسجدوا على دماء «آبس»
ويا أمحاء انهلوا من دمه المقدس
يا شقاء جسد فى دمه لم يغمس

المصريون يتشاقون الثياب :

فارسي إلى آخر :

أَنْظُرْ إِلَى أَبْنَاءِ مِصْرَ فَإِنَّ أَمْرَهُمْ عَجَابُ
أَنْظُرِ أَلَسْتَ تَرَاهُمْ شَقُوا عَلَى الْعَجْلِ الثِيَابُ

وزير فارسي [يخطب المصريين] :

أَيُّهَا الْكُتَّانُ مِنْ شَيْءِ الرَّتَبِ
عَظُمَ الْخُطْبُ فَمَا تُغْنِي الْخُطْبُ
إِنْ كَسَرَى تَغْفِرُ النَّارُ لَهُ
كَانَ فِي مَصْرِعِ آيِسِ السَّبَبُ

أَيُّهَا الشَّعْبُ

أَمِيلُوا لِاسْمَعُوا

مصري لرفاقه :

كَيْفَ يُنْشِئُ الْمُسْتَبَدُّونَ الْخُطْبُ

الوزير [مستمر] :

قَدْ أَتَى قَبِيرُ كَسَرَى مَا أَتَى
وَهُوَ مَدْفُوعٌ بِسُلْطَانِ الْغَضَبِ

مصري [لأخيه بصوت منخفض] :

لَيْتَهُ بَالَ عَلَى نِيرَانِكُمْ بَوْلَةً تُطْفِئُ لُظَاهَا وَاللَّهَبُ

الخطيب الوزير :

نَحْنُ لَا نُسْأَلُ عَنْ فَعْلَتِهِ
قَدْ جَنَى الرَّأْسُ فَمَا ذَنْبُ الذَّنَبِ

أَيُّهَا الْكُتَّانُ قَدْ حَلَّ عَلَى رَبِّكُمْ آيِسٌ مَقْدُورٌ غَلَبَ

[ثم ملتفتا للشعب قائلا] :

مالى أرى من جانب الشَّعْبِ
بِوَادِرِ الْفِتْنَةِ وَالشَّغْبِ
فائد فارسي: ما أَغْضَبَ الشَّاةَ مِنَ الْجَزَارِ
حذارِ حِلْمِ فَارِسِ حَذَارِ
لَا تَقْفُوا لِسِيفِهَا وَالنَّارِ

[تتفرق الجماعة هنا وهناك ويقف جماعة من المصريين فيقول أحدهم]

أحدهم [لزميل له] :

ماذا جرى ؟

زميله : أما ترى ؟ على الثَّرى هذا الدِّمَا
آخر : آيِسُ عَقِرَ آيِسُ يُحِرُّ سَاءَ الْخَبَرُ مَا أَشَأَمَا
الثاني : حَامِيَ الْحِمَى مَا آسْتَسَلَمَا لَكِنْ سَمَا إِلَى السَّمَا
آخر : لقد وهمت يا أخى أَفِئُقُ وَرَاجِعُ التَّرْشِدُ
أَيِسُ فَارِقُ الْوَتْدُ وَسَارَ رَحِلَةُ الْأَبْدُ
الأول : أَلْعَمَى يَا أَخِي الْعَمَى اتْرِكِ الْأَرْضَ وَالْدِّمَا
وتأمل معي السَّمَا اتَّخَذَ الْجَوَّ سُلَّمَا
هو هذا تَبَسَّسَمَا وَعَلَى الْجَمْعِ سَلَمَا
وإلى الخُلْدِ قَدْ سَمَا

الثاني : عَجِيبٌ شَأْنُ آيِسِ لَا آيِسَ جَنَاحَيْنِ
وهذا الرَّيْشُ مِنْ دُرٍّ وَيَأْقُوتٍ وَمَرْجَانِ

وهذا هو يرعاك بعينيه ويرعاني

آخر [لزميلين له] :

أنظر «أني» إسمع «فتا»
جَنَنَ قَمِيْزَ وَلَمْ
أَبِيْسُ بِالْفُرسِ سَخَرُ
يَزَلْ بِهِ حَتَّى اتَّحَرُّ

شيوخ الكهان :

بُورِكْتِ يَا آبِيْسُ
يَا مَوْضِعَ التَّقْدِيْسِ
يَا صَاحِبَ الْمَجْدِ
وَمَنْزِلَ الْحَمْدِ
سِرُّكَ فِي مَنَفِيْسِ
وَأَنْتَ فِي الْخُلْدِ

شبان الكهان :

أَبِيْسُ سِرُّ السَّمَاءِ
وَحَلَّ تِلْكَ الدَّمَاءِ
أَنْتَ سَمَاءُ الْجَلَالِ
الْقَرْنُ كَالشَّمْسِ طَالُ
يَا صَوْرَةً مِنْ فُتَاحِ
هَذَا شَعَاعُ الصَّبَاحِ
وَانْزِلْ مَعَ الْخَالِدِيْنَ
تُحَاسِبُ الْمُعْتَدِيْنَ
حِمَى الدِّيَارِ الْأَمِيْنِ
وَعَزَّ فِي الْعَالَمِيْنَ
وَمِنْ سَنَاهِ الْمُبِيْنِ
أُمُّ غُرَّةٍ فِي الْجَبِيْنِ

مصرع کلیویاترا

تمهيد

زمن الرواية : الأيام الأخيرة في حياة كليوباترا حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد بين وقعة « أكتيوم » البحرية وانتحار كليوباترا .

مكانها : فى الإسكندرية وأرباضها .

أشخاصها :

(أ) الأشخاص التاريخية :

كليوباترا .

مارك أنطونيوس .

أكتافىوس قيصر .

قيصرون : ابن كليوباترا من يوليوس قيصر .

(ب) الأشخاص الموضوعية :

أنوبيس : الكاهن الأكبر .

زينون : أمين مكتبة قصر كليوباترا .

حالى ..
 ديون ..
 لىسياس
 مساعدو زينون .

هسلانة : وصيفة كليوباترا وبينها وبين حاجي غرام

شرميون : وصيفة أخرى .

أوروس : روماني في معية أنطونيوس وهو عبده

وتابعه وصفيه .

أولمبوس : طبيب روماني في بلاط كليوباترا .

أنشو : مضحك الملكة .

غانمير : ساقها .

حبرا : عرافها .

أياس : شاديها .

أخيل : قائد الأسطول المصري وربان أنطونياد

سفينة كليوباترا .

بولا : شاعر .

أغا القصر

(ح) النكرات المسرحية : جنود وقواد مصريون

ورومانيون . راقصات . عزاف .

الفصل الأول

المنظر الأول

« في مكتبة قصر كليوباترا - حابي وديون وليسياس جلوس إلى »
« عملهم . يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد »

يَوْمَنَا فِي أَكْتُيُومَا ذَكَرُهُ فِي الْأَرْضِ سَارُ
إِسْأَلُوا أَسْطُولَ رُومَا هَلْ أَذْقْنَاهُ الدَّمَارَ

أَحْرَزَ الْأَسْطُولُ نَصْرًا هَزَّ أَعْطَافَ الدِّيَارِ
شَرَفًا أَسْطُولَ مِصْرَا حَزَّتْ غَايَاتُ الْفَخَارِ

صَارَتْ الْإِسْكَندَرِيَّةُ هِيَ فِي الْبَحْرِ الْمَنَارِ
وَلَهَا تَاجُ الْبَرِيَّةِ وَلَهَا عَرْشُ الْبَحَارِ

حابي : إِسْمَعِ الشَّعْبَ (دِيُونُ) كَيْفَ يُوحُونَ إِلَيْهِ
مَلَأَ الْجَوَّ هَتَافًا بِحَيَاتِي قَاتِلِيهِ

أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
يا له من بغياء عقله في أذنيه

ديون :

سأني ، سمعت كما سمعت وراعني أن الرميّة تحتفي بالرامي
هتفوا بمن شرب الطّلاف تاجهم وأصار عرشهم فراش غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

حاجي :

أتذكر يا ديون إذ انطلقنا إلى الميناء نلتمس الهواء
وكان البحر كالميت المسجى وكان الليل للبيت الرداء

ديون :

نعم وهناك آتسنا سحاباً وراء الليل جللت السماء
فقلت انظر ديون ترّ الجوارى يطآن الماء همساً والفضاء
وأقبلت البوارج بعد حين سوائب لا دليل ولا حذاء
رجعن رجوع قرصان أصابوا من الغزو الهزيمة والبلاء
فلم نسمع لملاح هتافاً يبشر بالقدوم ولا نداء
ولم ترّ فوق سارية سراجاً ولا من ثقب نافذة ضياء

حاجي : فإذا قلت ؟

ديوت :

قلت ديوت إني أرى الأسطول بالويلات جاء
 دخول الظافرين يكون صباحاً ولا تُزجى مواكبهم مساءً
 فلما أصبح الصبح انتبهنا نرى الأسطول أزين ما تراه
 تبرجت البوارج بعد عطل وهزت في ذوائبها اللواء
 وردد في المدينة أن روما عفا أسطولها ومضى هباء
 فضج الناس بالبشرى وكدوا حناجرهم هتافاً أو دعاء
 هداك الله من شعب برى يصرفه المضلل كيف شاء

ليسياس [هامساً لحابي] : [تدخل هيلانة]

حابي ، صبي قد ظهرت هيلانة وأقبلت بالطلعة الفتانة
 تنفح كالزنبقة الغيسانة

حابي :

ليسياس ، أنهاك عن المجانة هيلانة في القصر قهرمانه
 لها وقارٌ ولها مكانه
 هيلانه : سلام لك يا حابي

حابي :

سلام لك هيلانه
 هيلانه : أمرت أن أقول للأمين ستحضر الملكة بعد حين
 فبلغ الأمر إلى زينون

حابي : سيدتي سأفعلُ أمرُكما ممثِّلُ
 هيلانه : تفرنتي برَبَّتِي ! ذلك ما لا أقبل
 حابي : هيلان، أنت ملكتي وأنت وحدك الملك
 هيلانه : بل كيلترا وحدها لم يحو شمسُ الفلك
 إن أنت لم تؤمن بها فلست لي ولست لك

[تخرج هيلانه ويدخل زينون من باب آخر في هيئة تفكير واضطراب]

حابي : ذاتُ الجلالة سيدي قد آذنتنا بالزياره
 زينون : هذه حجرُها لا عدمت طيبَ رياها ولا ضوئ حلاها
 كل يوم تتجلى ساعة هاهنا كالشمس في عز ضحاها
 تدخلُ الدار فتنسى ملكها بقاء الكُتب أو تنسى هواها
 [محدثاً نفسه في ركن قصي من أركان المكتبة] :

أما الشبابُ فقد بعدُ ذهب الشباب فلم يعد
 ويحي أمن بعد السني ن وقد مررن بلا عدد
 أو بعد طول تجاربي ومكان على في البلد
 تجنني الحسان على ما لم تجن قبل على أحد ؟

ديون [هامساً إلى زميله] :

حاب ، ليسياس ، أقسم أن زينون مغرم

فضح الشيخُ حُبَّهُ والهوى ليس يُكتم
 ليسياس: بمن الشيخُ موكَّعٌ ليت شعري متىِّمٌ ؟
 ديون : وبمن جُنَّ يا تُرى ؟
 حابي [ضاحكا] : كلُّ خاف سيُعلم

زينون [مستمراً في حديث نفسه] :

مالى جننتُ فصرْتُ أَنَّهُم الشبابُ وأضطهدُ
 لم ألقَ رأساً فاحماً إلا حَمَلْتُ له الحسد
 ووجدتُ لاعجَ غيرة بين الجوانح يتقصد
 فكانَ ظلمةَ شعره فى مُقلتيَّ هى الرمد
 وكأَنما سرقت ذوا بُبهُ شبابى المفتقد
 ولو ان لى ولداً فما ت لما بكيت على الولد
 حذراً وخوفاً أن يكو نَ بها تعلق أو وجد
 شكُّ يعذبُ مهجتي إن المشكَّك فى كَبَد

[يلتفت إلى حابي ويهليل إليه النظر ثم يناديه] :

حابي، بنىَّ

[يأتى إليه حابي]

قل ولا تُخفِ علىَّ ، هل تُحبُّ ؟

حاجي : أحب ا من قال ؟

زينون : سمعتُ

حاجي : من روى لك الكذب ؟

زينون : بُنَيَّ ، ليسَ بالفتى إذا أحبَّ من عجب
مَنْ لم يُحِبَّ لم يُؤدِّ للشباب ما وجب

حاجي [منهكما] :

لكن أَدْعَى الهوى وليس لي منه سبب ؟
زينون : حاجي ، بُنَيَّ لا تَرُغْ من السؤال بل أجب
لولا الهوى لم تَكُ في ظل الشباب تكتب
ما بال بشرك المحسى ولونك الغضَّ شحب ؟
والدموع من مآ قيك تكاد تنسكب ؟

حاجي [ساخراً] :

أفقر زينون وأصح من الغواني أبعد الشيب تخدعك النساء ؟

زينون [غاضباً] :

أتعلم يا غلام على عشقاً ؟

حاجي : دع الإنكار قد برح الخفاء

زينون : ومن أنباك ؟

حابي : أنت !

زينون وكيف ؟

حابي : تَهْدِي فتفضحك الوسوس والهُدَاء

كحُموم يروح وليس يدري تكشف عن سرائره الفطاء

أبعد العطف والإشفاق يشقى بصحبتك الشباب الأبرياء ؟

فكل فتى رأيت زعمت صباً يُخامرُه من الرقطاء داء ؟

وما كعمى الشيوخ إذا أحيوا وليس وراء غيرتهم بلاء

زينون [لنفسه] :

إلهي قد فضحت وضللَّ شبي وضاعت حكمتي وخبا الذكاء

[لحابي] :

صدقتُ بُنيّ بي داءٌ دخيلٌ وليس إلى الدواء لي اهتداء

على تلوت الأفعى ، فهل لي من الأفعى ونكزتها نجاء ؟

أرى ولهاً وأحسبه جنوناً كسانيه على الكبر القضاء

حابي : وتُعطي حين تلقاها ابتساماً وأنطيسوس يُعطي ما يشاء

صباحهما مُغازلةٌ وصيدٌ وللأقداح والقُبَل المساء

أترضى أن يكون سريرُ مصر قوائمُ الدعارة والبغاء ؟

أتهدمُ أمةً لتشيّد فرداً على أنقاضها ؟ بئس البناء !

أبي ، شيخى ، اجترأت عليك فاصفح
 فلم أك أجترى لولا الوفاء
 لقد آن التكاشف والتواصى بما تورى الكرامة والإباء
 تعال إلى جماعتنا ، فإننا جنود الحق يجمعنا لواء
 شباب نحن يعوزنا شيوخهم فى المدلهمات يستضاء
 زينون: كفى ، إني تفضت يدي منها ومزق عن بصيرتى الغشاء
 حابى : أبى زينون قد بحث من السر بمكنونى
 وما غيرك زينون على السر بمأمون
 [يشير إلى ديون ولبسياس] :

أخى ، هذا أثبنتى وخرلى ذاك مقدونى
 كلا الخليلين للحق كما أدعوه يدعونى
 كلا الخليلين ذو جد بأرض النيل مدفون
 فليسا فى هوى مصر وفى طاعتها دونى
 فديننا الوطن الغالى بالجنس وبالدين
 ولم نصير على حكم لروميّة ملعون
 ولسنا حزب أكتاف ولسنا حزب أنطون
 ولا نخضع للبأس ولا نخضع باللين

ولم يبقَ على الودِّ لروما غيرُ زينون
 زينون: معاذ الله ، عُدُّوني من العصابة عُدُّوني
 كساك الله يا روما لباسَ الذلِّ والهون
 حابي : أبى ، أنت الطيبُ وكلُّ داءٍ له في صيدليتك الدواء
 فهيَّ لها ابنَ ساعته وعجِّلْ يُعجِّلْ في السماء لك الجزاء
 لعل سمومك الزُّعْفَ المواضى من الأفعى وقتتها شفاء
 [يدخل جندي من حرس الملكة معلنا قدومها]
 الحارس : الملكة !

زينون [كأنما يفيق من حلم] :

الملكة ! لا برحتُ مُلكك !
 ودام مجدُ الملكة !

[تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنها قيصر وبن وصيفتها
 شرميون وهيلانة ومن ورائهن أنتو مضحك الملكة وأغا القيصر]
 الملكة: تحيَّتي لأمناء المكتبة وشيوخهم أعلى الشيوخ مرتبه
 زينون : سلام السَّموات في مجدها على رَبَّةِ التاج ذات الجلال
 تمنيتُ رأسين لا واحداً إذا مَسَّتْ الأرضُ هامُ الرجالِ
 أطا طيُّ رأساً لمجد النبوغ وأخفضُ رأساً لمجد الجمال

حابي . ديون . ليسياس [يتلفت بعضهم إلى بعض أسفا] :

أنشو [للوصيفتين وقيصرون] :

أما يُغنيه عن رأسٍ من رأسٍ فيه وجهان ؟

فحينًا هو مصريٌّ وحينًا هو يونانيٌّ
وفي مجلس يوليوس وأنطونيوس رومانيٌّ
وإن لاقى أغا القصر فسويٌّ وسودانيٌّ

[يدخل الكاهن أنويس من باب مقابل]

الملكة: كاهنَ المُلْكِ سلامٌ لا عَدِمنا بِرِكاتِكَ
صلُّ من أَجلى ولا تدسُّ صغاري في صلاتك
أنويس: رَبَّةَ النيلِ التَّحيا تُ الزَّكَّياتُ لَذايِكَ
حَرَسْتُ تاجَكَ إيزيدسُ ومدَّت في حياتك
الملكة: هُوَ ذا ابني قيصرونُ يَتَلقَى نَفحاتِكَ
الكاهن [لنفسه]:

إيزيسُ كيف أُصلى على ابن يوليوس قيصر؟
أبوه عال ولكن فرعونُ أعلى وأكبر

[يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف في أكتيوم]
الملكة [عابسة]:

كاهنَ المُلْكِ ، سادتي ، هل سمعتمُ رَنَّةَ الصَّوتِ في جوانبِ قصري؟
أنويس: هم. رعايا مليكتي
الملكة: ليت شعري

أخيراً تَجَمَّعوا أم لَشَرٍّ؟

شرميون:

الجماهيرُ يا مليكُ بالشُّطِّ يموجون في حُبورٍ وبُشرٍ
 سرَّهم ما لقيت في أكتيومٍ من ظهورٍ على العدو ونصرٍ
 لا يقولون أو يُعيدون إلا نبأً بات في المدينة يسرى
 الملكة :

بالإفك الرجال ماذا أذاعوا كذبٌ مارووا صراحٌ لعمري
 أي نصر لقيت حتى أقاموا ألسنُ الناس في مديحي وشكري؟
 ظفر في فم الأمانى حلو ليت منه لنا قلامة ظفر
 وغداً يعلم الحقيقة قومي ليس شيء على الشعوب بسرٍ
 شرميون:

رَبَّةُ التاج ذلك الصُّنعُ صنعي أنا وحدي وذلك المكرُ مكري
 كثرت أمس في الإياب الأقاوي لُ وظنَّ الظنون من ليس يدري
 فأذعتُ الذي أذعتُ عن النصِّ رِ وأسمعتُ كلَّ كوخ وقصر
 خفتُ في خاطري عليك الجماهيم رِ وأشفقتُ من عدِّي لك كثر
 فاغفري جرأتِي، فياربِّ ذنب يتعب العذر فيه مهَّدتِ عذري
 الملكة :

شرميون، اهدئي فما أنت إلا مَلَكٌ صيغ من حنان وبرٍ
 أنت لي خادمٌ ولكن كَأنا في المَلَلاتِ أهلُ قُرْبى وصهر
 إنما الخادمُ الوفيُّ من الأهل ل وأدنى في حالٍ عسر ويسر

إسمعى الآن كيف كانَ بلائى وانظرى كيف فى الشدائد صبرى
 أيها السادة اسمعوا خبرَ الحر ب وأمرَ القتال فيها وأمرى
 واقطعى العلبَ والبحرَ يطغى والجوارى به على الدم تجرى
 بين أنطونيو وأصكتاف يوم عبقرى يسيرُ فى كل عصر
 أخذتُ فيه كلُّ ذات شراع أهبة الحرب واستعدتُ لشر
 لاترى فى المجال غيرَ سُبوح مقبل مدبر مكر مفر
 وترى الفلك فى مطاردة الفل لك كنسر أراد شرًّا بنسر
 وتخال الدخان فى جنبات ال جوجنحاً من ظلة الليل يسرى
 ودوى الرياح فى كل لُج هزج الرعد أو صياح الهزبر
 وترى الماء . منه عودُ سرير لغريق ، ومنه أحناء قبر
 يغسل الجرح شرًّا من غسل الجر ح ويأسو من الحياة ويبرى
 كنت فى مركبى وبين جنودى أذنُ الحرب والأمر بفكرى
 قلت روما تصدعت فتى شط رآ من القوم فى عداوة شطر
 بطلأها تقاسماً الفلك والجيد ش وشباً الوغى يبحر وبر
 وإذا فرق الرعاة اختلاف علّوا هارب الذئاب التجرى
 فأملى حالى ملياً وتدبرت أمر صهوى وسكرى
 وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى

كنت في عاصف، سللتُ شراعي منه فانسَلَّت البوارجُ إثرى
 خلصت من رَحَى القتالِ ومما يلحقُ السُّفن من دمارٍ وأسرٍ
 ففسيتُ الهوى ونُصرة أنظن سيوسَ حتى غدوته شرَّ غدرٍ
 علمَ الله قد خذلتُ حبيبي وأبا صيتي وعوني وذُخري
 والذي ضيَّع العروشَ وضحى في سبيلِ بألف قُطر وقطرٍ
 موقفٌ يعجبُ العلاكُنت فيه بنتَ مصرٍ وكنتُ ملكةَ مصرٍ
 [ملتفتة إلى زينون] :

زينون . فصلتُ الخبرُ عن القتالِ والسفرِ
 وقلتُ عن إياي وخطبة انسحابي
 ما ليس يعلمُ البلدُ ولا درى به أحدُ
 فهل لديك الآنا ما يجلبُ السلوانا
 من الأمالِ المُسليه والصُحفِ المُلِيه

زينون: عندي يا مولائي روائعُ الآياتِ
 تسعون ألفَ سفرٍ قد كُتبتُ بالتبرِ
 من كلِّ رَقٍّ عجبٍ في العلمِ أو في الأدبِ
 قبضراً أنطونيومٍ وهب لنا مناجمَ الذهبِ
 وكلَّ غالٍ مدخرٍ من الجواهرِ الأخرِ

أسلابه من حربه وطعنه وضربه
هدية من قيصر لبسلة الإسكندر
أنشؤ : إذا كانت الكتب في شرعكم
فإن الغنى بدر القسواق
وما الكتب قوتي ولا منزلي
فما أنا سوس ولا أنا فار
الملكة : حكيم لعمرى على جهله
ظريف الحديث لطيف الحوار
زينون [منيظا] :

ولكنها حكمة السائمات
وكلتاها لا تعدى الشعور
أنشؤ : رويدك مولاي بعض السباب
هَبِ الليل طال فقطعه
وأقبلت بالكتب تطوى الطوال
وزدت على الأرض علم السماء
إذا ما نفقت ومات الحمار
فليس السباب سبيل الكبار
بدرس وأصبحت تفي النهار
وتنشر في إثرهن القصار
كبار كواكبها والصغار
أينك فرق وبين الحمار ؟
زينون [غاضباً] :

ماذا تقول السيده ؟

الملكة [ضاحكة] :
واحدة بواحدة

أبي أنوبيس ، أرجو

أنوبيس : بل تأمرين مطاعه

الملكة [مشيرة إلى باب محراب مفتوح ومتجهة إليه] :

هذا مقامُ صلاتي وهيكلُ الضراعة

ولي خطايا كثيرة لا تبرحُ البالَ ساعه

فادخلُ وصلِّ لأجلي فنك تُرجي الشفاعة

[يدخلان المحراب ويتبعهم الحاضرون ما عدا حابي وديون وليسياس]

ديون [متهمكا] :

إسكندرية صرت رفرف مجد من كل ناحية عليه ستار

اختصَّ آلهة الجلال بصره وتفرد الكُهان والأخبار

ما خطبهم حابي ، وماذا بيَّتوا

ليسياس : ما هذه الألفاظ والأسرار ؟

حابي :

أرايتَ وقعة أكتيوم وما جرى فيها وكيف تصرف المقدار !

ليسياس ، إنك قد سمعت حديثها كالسحر في الآذان حين يُدار

تبدو الخيانة فيه وهي أمانة ويرى الثبات عليه وهو فرار

وعلمت كيف نجت وكيف اقتض عن أنطونيوس أسطولها الغدار

ليسياس :

واليوم حابي، أين أنطونيو وما
قل لي : أحيي في البلاد مشرد
فعلت بفل جيوشه الأقدار ؟
هو أم له قبر بمصر يزار ؟

حابي :

ليسياس، تسألني تجاهل عارف

ليسياس :

بل جاهل لم تأت الأخبار

حابي :

لم تأت حتى جاء في آثارها
ويقال بل أخذته تحت شراعها
تجري الرياح بما تشاء قلوعه
ويقال غضبان عليها عاتب
وعلى صفاء العاشقين سحابة
آلى وأقسم لا يرى في قصرها
إن البلاء أجل من ألا يرى

ديون :

عجب أتخفى في الهشيم النار ؟

حابي :

أنطونيو منا بأقرب نُكثه
ويعدُّ أهبتَه ليوم حاسم
يدعو من الرومان من يختار
في البر يغسل عنه فيه العار
ويكون ميدان الرحي ومدارها
تلك التلال وهذه الأسوار

فهنالك خاتمة الصِّراع وموقف إما التَّعَارُ بِهِ وإما الغار

[يسمع صوت أنوبيس من داخل المحراب مرثلاً هذا النشيد] :

إيزيسُ ذاتَ الحجابِ مالكةَ العالمينِ

شعبك لاقى العذابُ من عبثِ الظالمينِ

يا من خفضنا الجباه لعزها ساجدينِ

صُغنا إليك الصلاة من أدمع النادمينِ

ستار

المنظر الثاني

« في إحدى غرف القصر الملكي ورحى الحرب دائرتين اكتافبوس وأنطيبوس
على أسوار الإسكندرية — حابي في الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة »

هيلانة : أتدخل حابي مقاصيرها ؟ بلغت من الجرأة المنتهى
ستعلم أمرك ذات الجلال
حابي : بل أمرت أن تراني هنا
هيلانة : عجبت لها ولتديرها كذلك قد أمرتني أنا
إذن هي تجمعنا يا ججود وتجزيك عن سخط الرضى
حابي : هيلانة خليك من ذكرها حديث الأفاعى طويل المدى
هيلانة : رويدك حابي لقد أحسنت فإلى أراك أسأت الجزا ؟
حابي : هيلانة ، يا طيبها خلوة وإن قل في ظلها الملتقى
تعالى هيلانة نعط الغرام عنان الحديث ونشك الجوى
أنيلي يدي يدبك اللتين نعيم بينهما والشقا
هلم هيلانة

هبلانة: حابي أراك بِكُنْهِ الْأُمُور قَلِيلَ الْهُدَى
 من القصر لا تَلْتَمِسُ خَلْوَةً وإن هو من كلِّ حَسٍّ خلا
 سماءُ القصور لها أذنان وأَرْضُ القصور بعين ترى
 حابي : هبلانة لا تقطعي نَشْوَتِي بِقُرْبِكَ أَوْ حُلِيِّ بِاللُّقْمَا
 أمهما تَخَيَّلْتُ صَفْوَةَ الْحَيَاةِ خَلَقْتَ عَلَى جَانِبَيْهِ الْقَدَى؟
 ميلانه : حسانك حابي لا تهم ولا ترمني بعقوق الهوى
 ولَذُّ بِالْأَنَاءِ فَإِنَّ الْأَنَاءَ صَدِيقُ الصَّوَابِ عِلْوُ الْخَطَا
 فلو كنت وحدك شُغِلَ الْفُؤَادُ لَهَا نَ الْبَلَاءُ وَقَلَّ الْعَنَا
 ولكن حقوق كلوباترة
 حابي : وَأَيُّ حُقُوقٍ لَهَا تُدْعَى

[تدخل كليوباترة]

كليوباترة: حُقُوقُ الْوِلَايَةِ يَا ذَا الْغَلَامِ حُقُوقُ الرَّعَايَةِ يَا ذَا الْفَتَى
 وصبري عليك لأجل الفتاة

حابي [مأخوذاً] : إلهي لقد سمعت ما جرى
 الملكة : وسدّي السامع حبا بها وَأَنْتِ تُعِينُ عَلَى الْعَدَا
 وترسل في العرش هجر الكلام وتُخْفِي الْحَفِيزَةَ لِي وَالْقَلِي
 ولكن لننس الذي قدمضي فَشَلُّكَ تَابَ وَمَشَى عَفَا
 إلهي لقد سمعت ما جرى

دع النُّود عن مصرَ لي إنني أنا السيفُ والآخرون العصا
ولا تُطع الفتية العابثين أسود الكلام نعام الوغى

[يدخل أنوبيس]

[إلى أنوبيس]

أبي : قد أتيت

أنوبيس : سلامٌ عليكِ شعاع المدائن نور القرى

الملكة : أبي قد تَلَقَّى هنا العاشقان وكان بتديري الملتقى

فبارك فتاتي وبارك فتاك وكفكف هواه إذا ما غلا

أنوبيس : حياتك حابي كنيستِ يشاكل أولها المنتهى

مقيّدة باليقين القنوع وما أمر القلب أو ما نهى

الملكة : كزهر المقاصير لم يتنفع بطول الأديم وعرض الثرى

أنوبيس : وتحسبُ في الكتب علم الحياة وما منه في الكتب إلا شذا

حابي : لعلّ كذى الشك في حرصه يقيس الطريق ويحصي الخطأ

أرى راكب الشك ملء المجال طويل العنان بعيد المدى

ولو شككت في السراج الفرائش لكان سلاماً عليها السنا

أنوبيس : ولكن تمرُّ على ما تراه تُجاوزه نحو ما لا يرى

وهذا الملاك

[مشيراً إلى هيلانة]

كمولاته طليق الإرادة حرُّ الحجى

تَمْشَى عَلَى جَنَابَاتِ الْحَيَاةِ كَمَا يَتَمْشَى سُعَاعُ الضُّحَى
يَهْوِضُ الْوَسْوَاحِلَ وَيَغْشَى الْحُلَى وَيَأْوِي الْحُضَيْضَ وَيَلْوِي الدُّرَى
وَيَحْتَرِقُ الْعَرَصَاتُ الْفَسَاحَ وَيَنْفُذُ مِنْ ضَيِّقَاتِ الْكُؤَى
وَيَرْتَعُ بَيْنَ أَنْوْفِ الْأَسْوَدِ وَيَلْعَبُ بَيْنَ عَيُونِ الظُّبَا .
الْمَلِكَةُ: وَلَكِنَّهُ طَاهِرٌ حَيْثُ طَافَ نَقِيُّ الدُّيُولِ عَفِيفُ الْخَطَا
أَبَى قَدْ نَسِينَا حَدِيثَ الْقِتَالِ فَمَنْذُ الصَّبَاحِ تَدُورُ الرَّحَى
وَجَيْشُ الْحَلِيفِ وَجَيْشُ الْعَدُوِّ بَظَهْرِ الْمَدِينَةِ رَهْنُ الْوَعَى
هَنَالِكَ يُقْضَى مَصِيرُ الْبِلَادِ فَمَا الْبَقَاءُ وَإِمَا الْفَنَاءُ
وَمَنْ عَجَبٌ كَادَ يَمُضِي النَّهَارُ وَمَا مِنْ رَسُولٍ وَلَا مِنْ نَبَا

[يدخل جندي من جنود أنطونيوس منهوكا يملؤه الفبار]

الجندي: سَيِّدَتِي جِئْتُكَ بِالْأَخْبَارِ لَقَدْ جَرَتْ بِسَعْدِكَ الْجَوَارِي
انْتَصَرَتْ جُنُودُنَا الضَّوَارِي تَحْتَ لَوَاءِ الْبَطْلِ الْمَنُورِ

قِصْرُ أَنْطُونِيوسَ عَلَى آثَارِي

الْمَلِكَةُ: يَا فَرَحًا مَا أَعْظَمَ الْبُشَارَهُ ! حَلَّتْ عَلَى أَكْتَافِيوَا الْخَسَارَهُ
«وَأَكْتِيَوْمٌ» قَدْ أَخَذْنَا ثَارَهُ خُذْ يَا رَسُولُ هَذِهِ الْبُشَارَهُ

[تمنحه بدرة من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب]

شرميون: سَيِّدَتِي يَا طَرِبَا سَيِّدَتِي يَا فَرَحَا !
دَارَتْ عَلَى أَكْتَافِيوَا وَجَيْشُ أَكْتَافِيوَا الرَّحَى

مبلّاه : مَلَكَتِي هل تسمعين

[يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد]

الملكة : [منمّنة] صوت بوق وهتاف

[تقوم الملكة إلى النافذة وترحف أذنيها وعينيها]

هو والله نشيدي والمغنّون جنودى
والخارقى التى تَنَحُّ فُقْ من بُعد بنودى
ولديها فارسٌ مُدّ تشم شاكى الحديد
يَترأى فى عنان الـ سَجْو كالكبرج المشيد
هو أنطيوخس دُخْرى وطيرى وتليدى
[إلى شرميون ومبلّاه]

أيها البتآن هذى ليلة العيد السعيد
صَلِّيا مثلَ صَلَّاتى واسجُدا مثلَ سَجُودى

[يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة]

هو ذا أنطونيوس من جانب الميناء أقبل
هيكَلٌ يحمله من صافنات الخيل هيكَل
الـرِّدَاءُ الأَرْجُوَانِيُّ على عطفه مُسْبِل
مَبْسَمٌ يضحك من تحـ ست جبين يهسل
هو ذا يدنو

شرميون : أتى والسلة

هيلاثة :
الملكة [تتدبر الباب]
سولاتى ترجّـل

أيها البتـان هـذى لـيلةُ العـيد السـعيد
[أنويس هامساً لحابى] :

حابى، أحيط القصرُ بالذئاب وبنى من السُّخَطِ عليهم مابى
[للملكة] :

سيدتى تأذنُ فى انسحابى ؟ وتأذنين مَلِكْتى لحابى
الملكة [ضاحكة] :

إلى الأفاعى ؟

أنويس : لا إلى المحراب

الملكة : رَأَيْكَا فى المُكْثِ والذهاب

[يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه
أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة ماداً يديه]

أنطونيو : إلهتى !

الملكة : قيصرى !

أنطونيو : سلطاتى !

الملكة : ملكى !

أنطونيو : عندى لك اليومَ يادُنْياى أخبارُ

الملكة : عَجَلْ فديتكُ

أنطونيو : لا ، لا بدُّ من ثمن

الملكة : كرائمُ المال ؟

أنطوبو :

مالالبال مقدار

[يمد إليها جبينه في ضراعة]

رُدِّيْ عَلَى هَامَتِي الْغَارَ الَّذِي سَلَبْتُ فُقْبَلَهُ مِنْكَ تَعْلُوها هِيَ الْغُلُو

[تقبله]

كلوباترا:

اليومَ تَعْلَمُ رُوماً أَنَّ ضَرَّتْهَا تُقَلِّدُ الْغَارَ مَنْ تَهْوَى وَتَخْتَارُ
واليومَ تَعْلَمُ رُوماً أَنَّ فَارِسَهَا جيش بمفرده في الرُّوعِ جَرَّارُ
أنطونوسيدي. هل نحن في حُلْمٍ؟ أسألمُ أَنْتِ؟ لَا أَسْرُ وَلَا عَارُ؟

أنطونيو :

أَسْرُ؟ وَهَمْتَ كُلُّو بَاتِرَا أَتُظْفِرُ بِي أَيْدِي الْكُجَّةِ وَفِي كَفِّي أَظْفَارُ
لَوْ قُلْتُ قَتْلُ لَكَانَ الْقَوْلُ أَشْبَهَ بِي كَأَسُ الْمَنَايَا عَلَى الْأَبْطَالِ دَوَّارُ
الْحَرْبُ تَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي شَدِيدٌ عَلَى الْأَقْرَانِ جَبَّارُ
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَتِي وَالْحَرْبُ جَارِقَةٌ وَالصَّفُّ تَحْتِي بَعْدَ الصَّفِّ يَنَارُ
قَدْ جُنَّ تَحْتِي جَوَادِي فَهُوَ عَاصِفَةٌ وَجُنَّ نَضَلِي بِكَفِّي فَهُوَ إِعْصَارُ
رَأَيْتُ حَمَلَةَ صَدَقٍ غَيْرَ كَاذِبَةٍ لَا السَّيْلُ يَحْمِلُهَا يَوْمًا وَلَا النَّارُ
لَمَّا صَدَمْتُ جَنَاحِيهِمْ وَقَلْبُهُمْ عَنِ الْخِيَامِ وَمِنْ أَوْكَارِهِمْ طَارُوا
وَمَا وَجَدْتُ لَا كِتَافِيو وَقَادَتِهِ رِيحًا ، وَلَمْ أَتَبَيَّنْ أَيْةً سَارُوا

ومالت الشمسُ أو كادتُ فراجني شوقُ إليك قديمُ الداءِ سوارُ
حتى رجعتُ ولو أني طردتهمُ لبات أكتافُ عندي وانتفضى النارُ

كليوباترا :

تركهم لغد ! هذي مجازفةٌ غدٌ غيوبٌ وأسرارٌ وأقدارُ

[مخاطبة أوريوس]

أوريوس، أنت بفنِّ الـ قتال أعلمُ مني

الحربُ فنُّك أورو سُ والسياسةُ فني

إن كان دمرُك، إلها فأنت في الحرب جني

فكن بحقِّك عاوني وقلْ لقيصرَ عني

إبر المني لم تقصّر بل قصّرَ التمني

فلو صبرتم قليلا وسرتم في تاني

أرحموني وروما من الخصام المعنى

أوريوس: سيدتي لم تقصدي لما عدلت سيدي

عجلت في الحكم على ما لم ترى وتشهدي

لقد حملنا حملة صكمتها لم يعهد

استنفدت بأس القنا وقوة المنهد

فكان لا بد لنا نرجي القتال للغد

أنطونيو: كلوباترا دعينا من تجنيك كلوباترا
 أتبكين على الصبر وقوم حرموا الصبرا؟
 وبني من صبرك الواهي جراح الأمس لم تبرا
 لقد منيت أسطولي لدى أسطورك النصرا
 حليف كنت أرجو أن سأشتد به أورا
 فعباً تحت أعلام لك حتى زحما البحرا
 وقد كانا الجناحين وقد كنت أنا النبرا
 وأجرى الفلك أكتافيو فأجريت كما أجرى
 صفقناها وأرسلنا بها تفتحم الجبرا
 كلانا مارس الحرب وعانى الكر والفرا
 فلما آذنتنا الحر ب بالمركة الكبرى
 تسلت بأسطولك من غمرتها الحرى
 فقلت انسجبت ضعفاً وقال الناس بل غدرا
 ولو كان لهم قلب كقلبي التمسوا العذرا

كلوباترا: أنطونيوس ملكي أنطونيوس سيدي
 ليس العبوس سنة لوجهك الطلق الندي
 ولست من يغضب في ليل الشراب والدد

ولست للكأس على	شاربها بالمفسد
قلبك كنز الحب وال	رحمة والتودد
وكم حقدت ثم أض	بعت كأن لم تحقد
ألست بالأمس وأم	س لفته لم تبعد
وهبت لي جريرتي	والصفح نصف السودد
فأطو معى حوادث ال	أمس ولا تجدد
وامض معى في لذة ال	يوم ودع هم الغد
أنطونيو: كلوباترا بحبيك	من التأنيب خلينا
لقد سقت وقوادي	إليك النصر فجزينا
مرى بالكأس والطاس	وبالندمان يسقينا
وبالقصف وبالغزف	وحذاق المغنينا
وما طيب ألوانا	وما طاب رياحينا
وقولي الشعر علويا	كما كنت تقولينا
وأوحيه إلى شادي	ك يلقيه فيشجينا
غدا نستأنف الحرب	ونطويها مياديننا
أنشو: ونغشاها مخامير	ونلقاها مجانينا
كليوباترا: مر بما شئت قيصر	وأشر كيف تأمر

لَكَ قَصْرِي وَمَا حَوَى الدُّرُ
قَصْرٌ كُلُّهُ مَسْخَرٌ
لَيْسَ شَيْءٌ وَإِنْ غَلَا
عَنْ حَيْبٍ يُؤَخَّرُ
لَتَكُونَنَّ لَيْلَةً
آخِرَ الدَّهْرِ تُذَكَّرُ
لَا نُبَالَى إِذَا صَفَتْ
بَعْدَهَا مَا يُكَدَّرُ
تَحْلُمُ الْحُلُمَ لَسْتَ تَدْرِي
بِمَاذَا يُفَسَّرُ

[لوصفاتها ووصيفاتها] :

البَدَارُ البَدَارُ يَا وَصِفَاتِي
ووصيفاتي البدار البدارا
قِصْرٌ قِصْرٌ هُوَ الْأَمْرُ النَّاسُ
هي على القصر فليكن ما أشارا
هُوَ يَنْغِي وَلِيْمَةٌ فَاصْنَعُوهَا
وانسقوها كما اشتهى واختارا
أَطْلَعُوا هَذِهِ الشُّمُوعَ شُمُوسًا
تَذَرُ اللَّيْلَ بِالْعَشِيِّ نَهَارًا
وَأَعِدُّوا الْخَوَانَ قَدْ حَمَلُ الْآلُ
وَأَدِيرُوا الْكُثُوسَ وَالْأَوْتَارَا
وَاجْعَلُوا بِالْمُدَامِ شَمْلَ النَّدَامَى
يتبارى خلاعةً ووقارا
مَضْرُوبٌ إِنْ أُولِمَتْ سَمَتْ بِالْأَغَانِي
درجات وأسمت الأشعارا
لَا تَسِيرُوا عَلَى وَلَا تَمُوتُوا رُومًا
سَرَفًا فِي الْفُسُوقِ وَاسْتَهْتَارَا
كَلِمَا أُولِمَتْ أَسَاءَتْ إِلَى الْعَقْدِ
لِ وَجَرَتْ عَلَى الْحَضَارَةِ عَارَا
وَلَقَدْ تَجَعَلُ النَّارَ نَدَامَا
ها وأسد العرينة السَّيَّارَا

قائد روماني [لزميله غاضباً] :

أَتَسْمَعُ مَا تَقُولُ عَدُوُّ رُومَا قَدْ اجْتَرَأَتْ عَلَى رُومَا الْبَغْيُ
أَتَحْتُ لَوَائِهَا وَبِجَانِبِهَا يَخُوضُ الْحَرْبَ مِنْ رُومَا كَمْيُ؟
الآخر :

غَدَاً تَلْقَى . وَإِنْ غَدَاً قَرِيبٌ عِقَاباً فِي الْبِلَادِ لَهُ دَوِيٌّ
الأول [لأنطونيوس في عتب وغضب] :

أَمِيرِي أَنْطُونِيوْ أَفِي الْحَقِّ أَنَّنَا نَبِيتُ سَكَارَى وَالْعَدُوُّ مَبِيتٌ ؟
[ينظر إليه أنطونيوس نظرة طويلة ثم ينصرف عنه إلى كليوباترا فيهمس القائل :
أَلَا إِنَّهُ لَيْلٌ لَهُ مَا وَرَاءَهُ غَرَامُكَ حَتَّى فِيهِ وَالْمَجْدُ مَبِيتٌ

ستار

الفصل الثاني

«في حجرة الولاة بالقصر الملكي ، حيث ترى كليوباترا ووصيفتها هيلانة»
«وشرميون، وأنطونيوس، وأوروس، وبضعة من القواد الرومان، وأولبوس»
«طبيب الملكة، وأنشومضحكها، وغانيزساقبها، وحاجب يعلن أسماء القادمين»

أنطونيو: قياماً لشرب الخمر على حب كليوباترا
كليوباترا: على حبك أنطونيو على الجيش على مصر
قائد روماني : على روما

كليوباترا: دعوا روما ولا تجروا لها ذكراً
فما أنطونيو منها وإن كان ابنها البكر
ولكن تحت أعالي يقود البر والبحرا
القائد : أحق مارك أنطونيو س من رومية تبرا ؟

[تنظر اليه كليوباترا فيقرأ في عينيها ما تريد]

أنطونيو: أجل أتبع مولاتي ولا أعصي لها أمراً
كليوباترا: على حبك أنطونيو
أنطونيو: ثلاثاً أربعاً عشرة

أنشرو : وإن شئتَ فعشرينَ إلى ما فوقها سُكُرا
وإن شئتَ من الدنيا وصلنا السُّكْرَ للآخرى
قائد روماني [لزملائه همساً] :

دَعُوا أَنْطُونِيو إني أرى السُّكْرَ به أزرى
لقد كان الفتي الفطنَ فصار الحَدَثَ الغِيراً
قائد آخر [همساً] :

سنلبثُ ساعةً نَحْتالُ حتى إذا سَلَّتْ عُقُولُهُمْ انسلنا
فما المُتَدَلِّهِ السُّكْرُ أَهلاً لتنصره السيوفُ إذا اسْتَلَّنا
الحاجب :

أَيَّاسُ الْمُغْنَى وَجَوْقَةُ الْعُرَافِ
وراقصاتُ القصرِ

[يدخلون]

كليوباترا: أَهلاً بوفدِ الآلهةِ أهلِ الفنونِ النابِهةِ
الحاجب : الشيخُ زَيْنُونُ

رَبَّانُ أَنْطُونِياد [يدخلان]

أنطونيو: ماذا عن الأسطولِ منك يا أَخِيْلُ نَعْلَمُ؟
هل تَحَدَّثُ فِتْنَتَهُ أَوْ لَمْ تَزَلْ تَضَرِّمُ؟

أخيل : مَوَلَايَ إِنْ الْبَحْرَ يُخِ
 وَمَا نَوَاهُ فِي غَدٍ فِي سِرِّهِ وَيَكْتُمُ
 فَلَا أَقُولُ مُقَدِّمٌ مَثَلُ غَدٍ مُسْتَبْهَمٌ
 وَلَا أَقُولُ يَنْبَرِي وَلَا أَقُولُ مُحْجَمٌ
 كَلِيبَاتِرَا : أَخِيلُ ، دَعْنَا مِنْ غَدٍ لِلْحَرْبِ أَوْ يَسْتَسْلِمُ
 أَخِيلُ ، مَا الْعَيْشُ سِوَى إِنْ غَدًا تَوَهَّمُ
 فَلَا تَكُنْ كَبَاخِلٍ سَاعَةِ صَفْوٍ تَغْنَمُ
 أَتَيْتَهُمْ مُنَادِمًا عَلَى النَّدَامَى يَلْطَمُ
 الْيَوْمَ شُرْبُ لَمْ نَأْتِهِمْ لِيَنْدَمُوا

زِينُونَ : وَغَدًا حَرْبُ
 غَانِمِز : كَلَامٌ مُحْكَمًا
 الْحَاجِبُ : بُولَا الشَّاعِرُ حَبْرًا السَّاحِرُ

كَلِيبَاتِرَا [ضاحكة] :

حَبْرًا ، أَعْنَدَكَ سِحْرُ يَشُلُّ طَاغُوتَ رُومًا ؟
 وَيَجْعَلُ النَّاسَ فِيهَا حِجَارَةً وَرُسُومًا ؟

[القواد الرومانيون يدمدمون]

أَنْطُونِيو : سِيدَتِي لَا تَجْرَحِي قَوَادِي وَلَا تَتَّالِي بِالْأَذَى أَجْنَادِي
 وَقَلِّ السُّخْطَ عَلَى بِلَادِي

كليوباترا : أنطونيو ما أنت رومانيُّ ألم تقل إنك لي جنديُّ ؟
 أنطونيو : بلى ، وددت أنني مصريُّ وأنني تابِعُك الوفيُّ
 ما في سوى رضاك لي مُضَيِّ

أنشو : تلك والله قضيةٌ أصبح الراعي رعيه
 حكم الحبُّ على قيصرٍ والحبُّ بليسه
 صار كالشعب وساوى همج الإسكندرية
 أنطونيو : حبرا ، تكلم ألا عجيبه ؟ من سحر منفي أو سحر طيبه
 حبرا : إله الحرب سامحني فإني غلبتُ على أباستي الغضابِ
 هم لا يجلسون على غناء ولا يتحدثون على شراب

كليوباترا : ولكن قيصر يدعوك حبرا وقيصر لا يردُّ بلا جواب
 وأنت الكاهن العراف فانظر أغير السحر شيء في الجراب

حبرا : إذا ما شئت مولاتي فإني أطلع في الكفوف وفي الكتاب
 كليوباترا : أدن من قيصر حبرا وانظر الكفين واقرا
 أنطونيو : تعال حبرا وقلِّبْ يديَّ يميني ليسرى
 لعل أسرار كفي كواشف لك سرا
 [يتقدم حبرا ويمس في كف أنطونيوس]
 ألا ترى لي بقاء ؟ ألا ترى لي عمرا ؟

حبـرا : يا عَجَبَ الفـال ! مولا يَ عَجَبُ النـاسِ أـمرا
 حـيـاتُه بـيـدِه والنـاسُ يَحْيـونَ قـسـرا
 إِنْ شـتَ عـشـتَ نـهـارا أو شـتَ عـمـرتَ دـهـرا
 [قائد روماني إلى زملائه مساء] :
 لو كـنتُ مـنـه قـريـبـاً لـقـلتُ في أذنِ حـبـرا
 حـيـاتُه في يـدِه أم في يـدِ كـيـلـوبـاتـرا !
 كـيـلـوبـاتـرا : تـعالَ الآنَ سَلْ كـفـيَّ وبيِّنْ ما الذي تُخـفـي

[يتقدم حبـرا إليها ويمسك يدها بعناية وشغف]

حبـرا : يا لك كـفـاً كـنـتُ العـاج ناعـمـة كـخـمـلِ الدِّبـاجِ
 لا مِسـها من الجـحـيمِ نـاجـي !

[ضحك]

تـفـدى الأـكـفُ كُلُّها يـمـينا بيضاءَ حـمراءَ تـرُفُّ لـينا
 كما أظـلَّ الشَّفـقُ النَّـسـرينا

أنطونيو [ضاحكا] :

سـمـعتِ حـبـرا مـلـكتـي كـيـفَ ابـتـكـرُ كـلَّفَ أن يـصـنـعَ سـحـراً فـشـعـرُ
 بولا الشاعر : السـحـرُ والشـعـرُ سـواءٌ في الأثـرُ

كـيـلـوبـاتـرا : لـقد أعـجـبـكُ الشـعـرُ وراقتُكُ مـعـانـيـه
 وما سـرَّكَ أنطونـيو سُـرـورِ كُلِّه فيه
 فـا تـأـمرُ في حـبـرا بأى البـرِّ أجـزيـه ؟

حبرا [لأنطونيو] :

جائزتي يا سيدي تقبيلُ هذه اليد !

أنطونيو [ضاحكا] :

قَبِّلْ وَلَا تَرُدِّ

[يقبل يديها بين إقدام وإحجام] :

حبرا : عَجَبٌ عَيْنِي لَا تَهْ
هذه كَفُّ إِلَهٍ
كليوباترا : خَلَّنِي مِنْ زُخْرُفِ الْمَدِّ
ما وراءَ اليدِ يا عَرَّ
أَحْضِيضُ يَوْمِي الْآ
خَاتَمُ الْأَيَّامِ أَوَّلِي
حبرا : مُلْكَتِي يَوْمُكَ فِي الْآيَّةِ
نَابُهُ الصَّبْحُ كِيَوْمِ الشَّمْسِ
خَطَرَ الْعِزِّ عَلَيْهِ
ثُمَّ يَتَلَوُّهُ بَقَاءُ
أنشو [لزينون] :

رَأَيْتَ الشَّعْرَ قَدْ أَجْدَى
زِينون : إِلَهَتِي وَمَلَاكِي
فَإِذَا قَلَّتْ يَا فَا؟
كُنِّي الْمُهْرَجَّ عَنِّي

قد نال مني ولولا ناديك ما نال مني
 أنشو : سيدتي عبدك أنشو قد صدق
 الفار في مكتبة القصر نطق
 يقول إن أسرق فزينون سرق !
 همي في الجلد وهمه الورق
 يسطو على آثار كل من سبق !

أنطونيو : إني أرى أنشو وأمشاله زادوا على زينون في الجراء
 يا ويح للشيخ على فضله أصبح في مجلسهم هزأه
 أنشو : هبوه في الدرس بحراً هبوه في العلم أمه
 لا يخلق العلم نفساً ولا ينبه هم
 كم عالم في يد الجاهل هلين ملق الأزمه
 كلبوباترا : أقل المزح يا أنشو وأرسله بمقدار
 فلولا الجهل ما رحت تقيس الليث بالفار

زينون : يا سماء احفظي ويا أرض صوني

أظهرت عطفها على زينون !

كلبوباترا : يا غانميز هات النبيذ

هات اسقني واسق الحبيب

واسق الملا

يولا الشاعر : بنتُ الدُّنَانِ أمُّ الزَّمانِ

خَبَّأَها في قَبْرِهِ

ساقى « مِنَّا »

لَوْنُ الفَرْحِ حَنَّا القَدَحِ

سِرُّ السُّرُورِ صَفْوُ الحَيَاةِ

قُتِلَتِ المُنَى

قيصرُ ، ذى سُلالةِ الفيومِ

كليوباترا :

تَنَمَّى إلى عَقائِلِ الكُرومِ

مُخبَّوءة من عهدِ مصرائيمِ

قد عُمِّرَتْ كَعُمُرِ النُّجُومِ

دِنَانُ مِصرٍ لا دِنَانُ الرُّومِ

القواد الروم [يدمدمون ويتهايمون] :

قائد : قولوا يا رومانيسونا تحيا روما

تحيا

آخر :

تحيا

ثالث :

أنشو [ضاحكا] . تحيا الخمر يحيا السُّكْرُ

القواد : تحيا روما

تحيا مصرُ

جاعة من المصريين :

أنطونيو : أيها الشاذي أياسُ بلغ السكرُ مداهُ
 غنّني شعرَ ملاكي غنّني شعرَ الإله
 أنا لا أطربُ حتى أسمعَ الحبُّ الحياهُ

أياس [مغنيا] :

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لروحينا عن الحب غنى
 غنّنا في الشوق أو غنّ بنا نحن في الحب حديثٌ بعدنا

رجعتُ عن شجورنا الريحُ الحنونُ وبعيننا بكى المزنُ الهتونُ
 وبعثنا من ثقاتِ الشجونُ في حواشي الليل برقاً وسنى

خبري يا كأسُ واشهد يا وترُ وارو يا ليلُ وحدث يا سحرُ
 هل جئنا من ربا الألس السمرُ ورشفنا من دواليها المنى

الحياةُ الحبُّ والحبُّ الحياهُ هو من سرحتها سرُّ النّواه
 وعلى صحرائها مرّت يداهُ فحرت ماءً وظلاً وجنى

نحن شعرٌ وأغانىُ غدا بهوانا راكبُ البيد حدا

وبنا الملاح في اليم شدا وبكى الطير وغنى مؤهنا

من يكن في الحب ضحى بالكرى أو بمسفوح من الدمع جرى
نحن قربنا له ملك الثرى ولقينا الموت فيه هينا

في الهوى لم نأل جهد المؤثر وذهبنا مثلاً في الأعصر
هو أعطى الحب تاجي قيصر لم لا أعطى الهوى تاجي منا

* * *

صوت : مرحى مرحى يحيا الفن

آخر : يحيا الشعر

ثالث : يحيا اللحن

[تقوم كليوباترا الى شرفة فيتبعها أنطونيوس]

قائد روماني [لزميل من زملائه هامساً] :

هل انظرت الى الأميرة ؟ إنها سكرى تعثر في خليع عذارها

آخر : وتأمل المفتون كيف جرى على آثارها وانجر في تيارها

آخر | لزملائه حيث يسمعه أوريوس وألبوس] :

وانظر الى أوريوس في تردده يابى الهتاف معنا لمولده

ألبوس [ساخراً] :

أوريوس ملء يومه ملء غده فقي تضج الحرب من مهنده

ويشتهى الأبطال فضل سؤدده قد راعني فناؤه في سيده

بنفسه وقومه ومولده يَغْلُو غُلُوَّ السَّكَبِ فِي تودده
يُقَيِّدُ السَّكَبَ وراءَ مرصده فيحرسُ الدَّارَ على مُقَيِّده
أوروس :

تلك الدُّعَابَةُ يا طيبُ ثَقِيلَةٌ فحذارِ ثم حذارِ من تَكَرَّرها
لولا الوليَّةُ والشَّرابُ وحُرْمَةٌ لأميرة الوادي السعيد ودارها
لَنَزَعْتُ من أَقْصَى لَهَا تَكُ مَضْغَةٌ كَثُرَتْ على الأبطال في استهتارها
أولبوس :
أوروس !

أوروس :
أولبوسُ صَهْ بَرِّحِ الخفا ورأيتَ نَفْسَكَ في مَقَاضِحِ عارها
ماذا خَبَّاتَ من السُّمُومِ لِمُلْكَةٍ غَفَلْتَ عن الأفعى ولؤمِ جوارها ؟
إِلَّا تَكُنْ عَلِمْتُ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا جاسوسُ أَكْتافِيو على أسرارها
مازلتَ منذَ وَفَدْتَ تُطْلِعُهُ على أخبارِ قيصِر أو على أخبارها
إنا رجالُ الحربِ ليس يفوتنا لحظُ العيون ولا خَفِيُّ حوارها

[أولبوس يحاول أن يتكلم فيمسك به قائد روماني ويهمس إليه] :

أَقْصِرْ أَخِي إِنْ الْجَمَاعَةَ عَرَبَدَتْ فَإِذَا لَجَجْتَ لَفَتَّ مِنْ أَنْظَارِهَا
إِسْلِمْ بِنَفْسِكَ فِي الظَّلامِ وَلَا تُثَرِّ رِيباً أَخَافُ عَلَيْكَ غِبِّ مَثَارِهَا
إِنِّي لَا أَخْشَى الْكَأْسَ أَنْ تَجْرَى دَمًا فَتُصِيبَ شَيْئاً مِنْ رَشَاشِ عُقَارِهَا

أولبوس [لنفسه وهو ينسل إلى الخارج] :

أوروس! أنطونيو احسب كما غداً روما الأبيّة لم تتمّ عن ثارها
[يخرج]

أنطونيو [من أقصى البهو] :

أما للرقص هيلاً نة في ثيلتنا حصّة؟

ألا تجمع بين الكا س والنعمة والرقصه؟

فهذى فرصة الأنس وقد لا ترجع الفرصه

ميلانة : الراقصات يقمن الراقصات يثبنا

ولا يدعن افتنانا ولا يقصرن فنا

[تقوم الراقصات ، برقصه مصرية]

أنطونيو [قادماً] :

مرحى مرحى يحيا الفن

صوت : يحيا الرقص

آخر : يحيا الحسن

أنطونيو :

قد انتصف الليل أو فوق ذاك وآذنتنا بالمضى الدجى

ودون الخيام سرى ساعة وعند الصباح تدور الرحى

فهل تأذنين لنا يا ملاك فلا بد من سئة من كرى

ولست أقول ملاكى الوداع ولكن أقول إلى الملتقى

كليوباترا :

مكانك قيصر لا تذهبن ولا تبحر القصر أهلك أسى

أنطونيو :

ذريني أعبي للقتال كتابي
 ذريني أهبي الأحاديث في غد
 ذريني أزد تاجيك غار وقائعي
 ولست أخاف الدارعين وإنما
 وليس كمين الحرب ما أنا هائب
 فلي في غد شأنان في البر والبحر
 فإن غداً يوم سيبقي على الدهر
 وأقرن شعباني جلالهما نسري
 أخاف فجاءات الخيانة والغدر
 ولكن كمين الغدر في ظلمة الصدر

[لأخيل] :

فيا قائد الأسطول هل من مكيدة
 تدير لي خلف الشراع وما أدرى؟
 كليوباترا :

إمض إلى الهيحاء أن
 ابن الأسود في اللبد
 طونيو كما يَمْضِي الأسد
 دونك في هذا الزرد

إمض إلى المجد ولا
 المجد لا يسأل عن
 أنت لروما في غد
 والشرق سلطاني الذي
 ياليت سر، يانسر طر
 يُقعدك شغل في البلد
 صاحبة ولا ولد
 وقيصرون بعد غد
 إكليله لي انعقد
 عذ ظافراً أو لا تعد

ستار

الفصل الثالث

« معبد في الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح الى قسمين »
« القسم الأصغر خارج المعبد ونهض فيه شجرة باسقة ، »
« والقسم الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة الكاهن الأكبر »
« أنوبيس وعلى جدرانها رفوف نمت عليها حقائق »
« وقوارير؟ وهنا وهناك صرر وصناديق يشف بعضها عما »
« فيه من أفاع وحيات — باب خلفي يؤدي إلى المعبد »
« ونافذة جانبية تطل على الفضاء » .

[في حجرة الكاهن أنوبيس]

أنوبيس [يناجي نفسه] :

يقولون أنوبيسُ ولوعُ بأفاعيه
ومشغوفٌ بشعبان من الوادي يُرييه
وفي ناديه حَيَّات من الجن تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلم كما ذقتُ فنوا فيه
ألا يا رب خدّاع من الناس مُلاقيه

يَعِيبُ السَّمُّ فِي الْأَفْعَى وَكُلُّ السَّمِّ فِي فِيهِ !
[يخرج من الباب الخلفي]

[خارج الهيكل — تحت الشجرة — أنطونيوس وأوروس]
أنطونيوس: أوريوس إني جَهِدْتُ مَشِيًّا وَمَسَّنِي الضَّرُّ وَالسَّكَلُ
فل بنا نَسْتَرَحُّ قَلِيلًا . من قبل أن يَدَهُمَ الرِّجَالُ

[يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكرى] :

أوروس، ماذا دهاني؟	حتى نَسَيْتُ مَكَانِي
أَتَيْتُ مَا هَدَّ بِجَدِي	وَحَطَّ رَفْعَةً شَانِي
جَلَلْتُ نَفْسِي بَعَار	يَبْقَى بَقَاءَ الزَّمَانِ
لَمَّا كَحَلْتُ جَوَادِي	عَلَى الْفَرَارِ اِزْدِرَانِي
وَضَجَّ مِنِّي سَيْفِي	وَضَجَّ مِنِّي سِنَانِي
وَوَدَّتْ الْأَرْضُ تَحْتِي	لَوْ طَهَّرْتُ مِنْ عِيَانِي
أَنَا الَّذِي كَانَ أَمْضَى	مِنَ الْحَدِيدِ جَنْسَانِي
الْشَرْقُ يَدْرِي نَزَالِي	وَالْغَرْبُ يَدْرِي طَعْمَانِي
كَانَ الْمُلُوكُ عِبِيدِي	فَصَرْتُ عَبْدَ الْحَسَانِ
وَلَسْتُ أَوَّلَ حُرٍّ	اِسْتَعْبَدْتَهُ الْغَسَوَانِي

[يسكت لحظة ثم يستمر] :

ولم أرك الحرب استراح قتيلاً وأفضى إلى القيد الأسير المقيد

ولكن شقي الحرب والمصطفى بها

إذا انقضت الحرب الطريد المشرّد

ولولا: اختلاف الحرب بالناس لم يهن

عزيز ولم ينزل على القيد سيد

أوروس :

وقارك قيصر لا تجزعن وخل المقادير تجري المدى

تلق الهزيمة ثبت الجنان كما كنت تلق الفتوح العلا

فا أنت أول نجم أضاء ولا أنت آخر نجم خبا

وقد ينزل الشمس بعد الصعود وتسلم بعد اعتدال الضحى

ويارب غار عراه الجفوف على هامة قد علاها البلى

أمالك أنطونيوس أسوة بيوليوس قيصر أين انتهى؟

رأيتك والحرب تبلو الكماة فأشهد كنت إله الوغى

وقد كان سيفك غول السيوف وكانت قناتك غول القنا

وكنت إذا الموت أفضى إليك تحديته فأنثنى القهقري

وكان جنودك شر الجنود عليك وخيرهم للعدا

نخانت أساطيل أمّلتها وجيش عقدت عليه الرجا

وَحُلِّفْتُ فِي عَسْكَرٍ كَالنَّعَاجِ كَثِيرُ الثُّغَاءِ قَلِيلُ الْغَنَاءِ
فَمَنْ يَأْتِسُ مَاتَ قَبْلَ الْقِتَالِ وَمَنْ خَائِنٌ فَرَّ قَبْلَ الْمَقَاتِلِ
أَنْطُونِيو:

إِذْنٌ لَمْ أَكُنْ فِي الْوَعْدِ بِالْجَبَانِ وَلَا خُنْتُ أَوْرُوسَ عَهْدِ الْهَوَى؟
وَتَشْهَدُ أَنِّي أَنْطُونِيوسُ وَأَنِّي ابْنُ رُومَا وَأَنِّي الْفَتَى؟
فَإِنْ عَشْتُ عَشْتُ نَقَى الْجَبِينِ وَإِنْ مِتُّ مِتُّ كَرِيمِ الثَّنَا
[يَرَى أَنْطُونِيوُ شَبَحًا فَيَسْأَلُ أَوْرُوسَ مَبْهُوتًا]

أَنْطُونِيو: أَوْرُوسُ!

أَوْرُوس: مَوْلَايَ

أَنْطُونِيو: تَأْمَلُ مِنْ تَرَى؟

أَوْرُوس: هَذَا أَوْلَبُوسُ وَقَدْ حَثَّ الْخَطَا

أَنْطُونِيو: تَرَى إِلَى أَيْنَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَى؟

أَوْرُوس: هَا هُوَ سَارَ نَحُونَا هَا قَدْ دَنَا

[يَظْهَرُ أَوْلَبُوسُ]

أَوْلَبُوس: تَحِيَّةٌ قَاصِرَةٌ

أَنْطُونِيو: بَلْ أَنْطُونِيوُ لَا غَيْرَ بَلْ قُلِّ الشَّرِيدُ الْمُقْتَنَى

لَا تَخْذَعُونِي قَادِرًا أَوْ عَاجِزًا كَفَى غُرُورًا بِالْوَلَايَاتِ كَفَى

أَوْلَبُوس: مَوْلَايَ

أَنْطُونِيو:

لَسْتُ الْيَوْمَ مَوْلَى أَحَدٍ أَكْثَافِيوُ السَّيِّدِ وَالْعَبْدُ أَنَا

مررت بالقصر فكيف نأسه؟ هل عن كليوباترا أولبوس نبا؟
 صرَّحَ ابنُ، قُلْ غَدَرْتُ، قُلْ جَدَّدْتُ بقيصر الثالث دولة الهوى
 قد صَنَعْتُ بِي عند حاجة الوغى ما لم يكنُ يصنعهُ بِي العدا
 أسطولها إلى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا
 أولبوس : مولاي أعفني

أنطونيو : تكلم لا تخفْ إني أرى عليك روعة الأسي
 أولبوس :

مولاي مهلاً في الظنون واتَّدد إن من الظن اتهاماً وأذى
 أنت على مالك من مروة رميت بالغدر أحب من وفي
 أنطونيو : ماذا تقول ؟

أولبوس : كليوباترا انتحرت بطعنة الخنجر في صدر الضحى
 أنطونيو :

يا للسماء ! انتحرت ! أين؟ أين؟ ولم؟ وكيف كان ذلك؟ ومتى؟
 أولبوس :

مررتُ بالقصر ضحى اليوم فلم أجد له نظماً ولا حسناً يرى
 بدا لعيني خللاً موحشاً غير عويل ها هنا، وها هنا
 أنطونيو :

انتحرت ! يا للخبر ! ويا لقسوة القدر !

إن الأمور انتقلت من خطر إلى خطر
 ما غدرت وإنما أنا الذى بها غدر
 واختلتما من قولهم انتحرت وما انتحرا
 إذهب أولبوس ودعنى والهموم والكدر
 ما بجراحات القلوب ب للأطباء بقصر
 [يذهب أولبوس]
 [لروما] :

روما حنائك واغفرى لفتاك	أواه منك وآه ما أقساك !
روما سلام من طريد شارد	في الأرض وطن نفسه لهلاك
اليوم يلقي الموت لم يهتف به	ناع ولا ضجعت عليه بواكى
إن الذى أعطاك سلطان الثرى	لم تنعمى لرفاته بشراك
إن الذى بالأمس زنت جبينه	بالغار عقق جهده وعصاك
يارب تاج فى جبينك زاهر	عطلت منه مفارق الأملاك
الأمهات قلوبهن رقيقة	ما بال قلبك لم يكن لفتاك !
أعرضت غضبي فى الحياة فرحة	لا تحرمينى فى الممات رضاك
إن كان موتى كل ما تبغينه	فهنالك ! ها أنذا أموت ، هنالك !
يا أم ، عذرك فى اتهام بسوءى	بادى وعذرى فى العقوق كذاك
لولا الجمال وقتنة من سحره	ما حل فى قلبى هوى لسواك

صفحاً كليوباترا فُرِّبَتْ زَلَّةٌ قد كنت تغفرين حين أراكِ
 لما لقيتُك في الجبال وعزّه قهرت قُوى الظافراتِ قُواكِ
 فنسيتُ في ناديك ذكرَ وقائعي وسلوتُ أيامي بيوم لفساكِ
 سجدتُ لأعلامي الصَّوارم والقنا وأبى مُهندُ لحظك الفتاكِ
 قدتُ الجحافلَ والبوارجَ قادراً مالى ضعفتُ فقادنى جفناك ؟
 أخرجتُ أمرى واختيارى من يدي وتركتنى نفساً بغير ملاكِ
 خللتُ السلامةَ في نواك فذقتها فإذا الكوارثُ كُلهنَّ نواكِ
 عاديتُ قومي في هواك وأضمرتُ روما على الحرب من جرّاكِ
 وشردتُ في شرق البلاد وجدّني طلبي عِدائى بغربها وعِداكِ
 أغدو على سيف العدو وناره وأروحُ بين مكانٍ وشباكِ
 وتلستُ نفسى السيوفِ ورامنى فى البر والبحر السكى الشاكى
 كانت حياتى للرجال أليّة واليوم هُنتُ فأقسموا بهلاكى
 ولقد ذهبَتُ من الظنون مذهباً فذمّتُ عهدك واتّهمتُ وفاكِ
 حتى إذا حُمَّ القضاء وراعنى عطلُّ المقاصر من بهاء حُلاكِ
 ضحيتُ بالدنيا وقلتُ رخيصةً وبذلتُ أيامى وقلتُ فداكِ

أماناً إله الحرب ما أنت صانع
لقد ذلّ من بعد امتناع كأنه
صدعت أكاليل وحطمت صارمي
ولم تألني هدماً وكنت بنيتني
ملأت سبيلي بالهوى وصروقه
تسكّرت حتى اخترت لي معول الهوى

أروس غلاي ، إن في النفس حاجة

أوروس:

وعندي أقصى طاعة العبد فأمر

أنطونيو:

أوروس أرى الدنيا بعيني أظلمت
وضاقت بي الأرض الفضاء فكلها
غويت وأوفى بي على الحفرة الهوى
قشعيرة الخوف اعترتني ولم تكن
ملكيت من الأحداث رعباً فضمتني
أرى الموت بمدود اليدين كنقذ
دعاني، ولو أني على النفس مشفق
أروس، أرى الماضي يطيف خياله

وكانت قديماً كالصباح المنور
سبيل طريد ضائع الدم مهدر
نفت، ومن يركب شفا الجرف يذعر
إذا ما اقشعرت تحتي الأرض تعترى
إليك وقرب من إزارك مژري
لمثلي من غرق الحياة مسخر
مددت إليه الكف لم أتأخر
وتعرض لي أحلامه في التذكر

ذكرتُ بروما أُرْبُعِي وملاعي وأين ضِفافُ النيل من شَطِّ تَيْبَرٍ؟
 وأيامَ يَدْعُونِي الهوى فَأُجِيبُهُ وينفخُ في البوقِ المُنَادِي فَأُنْبِرِي
 قَتَنْتُ الغَوَانِي بَرَهَةً وَقَتَّنِي ولكنني عن سُودَدٍ لم أَقْصُرْ
 فهِمَّةٌ قَلْبِي فِي شَرَابٍ وَصَبُوءٍ وهِمَّةٌ نَفْسِي فِي عِلَاءٍ وَمَفْخَرِ
 أُرُوسُ تَوَاقَفْنَا عَلَى كُلِّ غَمْرَةٍ وكلِّ مَجَالٍ ثَائِرِ النَّقْعِ أَكْثَرِ
 وَفِي مِهْرَجَانِ الْفَاتِحِينَ وَعُرْسِهِمْ وتحتِ لَوَاءٍ أَوْ عَلَى عُودِ مَنْبَرِ
 فَمَالَتْ بِنَا الدُّنْيَا فَصَرْنَا بِمَوْقِفِ شديدٍ عَلَى الْأَبْطَالِ بِالذِّلِّ مُشْعِرِ
 نَرَى الْأَرْضَ فِيهِ وَالسَّمَاءَ تَنَاهَتَا إِلَى فَلَكٍ نَحْسِ الْجِهَاتِ مُسَمَّرِ
 فَكَيْفَ مُقَامِي يَا أُرُوسُ عَلَى الْأَذَى وصبري عَلَى الْعَيْشِ الذَّلِيلِ الْمَكْدَرِ!

أروس :

أَجَلٌ قِصْرُ اعْتِضُنَا مِنَ الْعِزِّ ذَلَّةٌ وَمِنْ حَلْيَةِ الْأَعْلَامِ عُطْلُ التَّنَكُّرِ
 فَهِنًا كَأَنْقَاضِ الْحِصُونِ عَلَى الثَّرَى وَضِعْنَا عَلَيْهِ كَالْقَنَا الْمُتَكَسَّرِ
 نَهِيمٌ كَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَطَالَمَا أَخَفْنَا سَبِيلَ الْعَاھِلِ الْمُتَكَبِّرِ
 وَمَا مَنَزَلُ الْأَبْطَالِ إِلَّا رَحَى الْوَعَى إِذَا هِيَ دَارَتْ أَوْ رَوَّاقُ الْمُعَسْكَرِ

أنطونيو : فماذا ترى أوريوس ؟

أروس : رَأْيُكَ أَوَّلٌ وعندك تُرَجِّي نَظْرَةَ الصَّدَقِ فَانْظُرْ

لقد عشتُ ظلاً لا أرى غيرَ ما ترى ولا خيرَ في الرأي التَّبَّيعِ المُسَيَّرِ
أنطونيو:

أروس، أنا الأعمى وأنت هي العصا نخذُ بزمام العاجزِ المُتَحَيِّرِ
أروس:

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى على النفسِ محتوم القضاء المُقَدَّرِ
أنطونيو:

وماذا يقولُ العاجزون إذا ابتُلُوا؟

أروس: يقولون حُكْمُ اللَّهِ يا نفسُ فاصبري
أنطونيو:

أروس، يقومُ العاثرون وقلبا يُقالُ عِشارُ الكوكبِ المُتَغَوَّرِ
أروس، ألم تفهم؟ هو الذلُّ فاشفني بضربةِ سَيْفٍ أو بطعنةِ خَنْجَرٍ
فإنك حرٌّ إن فعلتَ وفائز بسيفي وأثوابي ودرعي ومِغْفَرِي
أوروس:

معاذِ خِلالِ البرِّ مولاي! أعفني فليس يدي تقوى ولا السيفُ يجترى
وأنت الذي لو بيعَ بالروحِ ودَّه ومالي سوى روحى تقدَّمتُ اشترى
لآلهةِ الرومان أشكوكَ قيصرى ظلمتَ فلم تُنصفْ ولائى وتَقْدِرُ
أجعلُ في الميزانِ حبيَّ وطاعتي وشتيَّ عروضي من ثيابٍ وجَوْهر؟

لقد جادلى بالسيف والدرع قيصر

[يطعن نفسه بمنجبره]

وجدتُ بأيام الحياة لقيصر

أنطونيو :

أوروسُ عفواً قد ذهبَ ضحيةً وجفَى عليك ترددى المقوتُ
فعلتَ منى كيف يجبنُ قيصرُ وعلتُ منك العبدُ كيف يموتُ

[يطعن أنطونيو نفسه فيخر على الأرض جريحاً]

[ينتقل المشهد إلى داخل المبد حيث يدخل أنوبيس إلى حجرته ويناجى أفاعيه]

أنوبيس :

هلمَّ لكنَّ بنسات التلال	وجنَّ الخرائب من صالحجر
تبدل من حولكنَّ المسكانُ	وأي القفار وأين الحُجر
يدُ العلم وهى حديدية	حو تكن من جنبات الحُفر
وجاءت بكنَّ إلى حُجرتى	أسارى القوارير رهنَ الصُرد
أرابنى الناس فى أمركنَّ	وصرتُ حديثهمُ والسمر
وقيل أنوبيسُ حاورَ تسيلُ	إليه الأفاعى إذا ما صفر
وما فتنى بجلودٍ لَكُنَّ	مرقشة كإهاب النمر
ولا بهيكل مثل العصي	من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كدقِّ الحصى	ولا بعيون كوقد الشرر

ولكن أزاوُلُ علم السموم وعلمُ السموم جليلُ الخطر
لقد كان لي في مُعاناته تجارِبُ أنفقتُ فيها العُمُرُ
إلى أن نجحتُ ، نعم قد نجحتُ وعاقبة الصابرين الظَّفَرُ
فكم قد شَفِيتُ بطبي اللَّدِيسُغَ وأيقظتُ من نَزْعِهِ المحتَضِرُ
فقل إلهُ أعاد الحياةَ إلى الميت أو خدُنُ جنُّ سحر
صنعتُ من السم ترياقه وقد يَخْتَنِي النفعُ تحت الضرر
وأنتَ والناسُ قد تلتقون ففِيكَنَّ شرٌّ وفي الناس شر

[يدخل حابي خلصة]

أنويس [مستمراً] :

وتقتلن عُمى عيونِ السلاح ويقتلُ قاتلهم عن بصر
لسانُ ابن آدم أو نابكُنَّ كلا السائلين لعابُ القدر
حابي : سلامٌ أبت

أنويس : حابي ؟ سلامٌ لك يا حابي

حابي : أمشغولٌ أبي اليومَ بذات القرن والناب
وأنطونيوس مهزومٌ وأكتافيو على الباب ؟

أنويس [باستخفاف وهو يشير إلى أفي] :

حابي ، تقهقر ناحية تلك الخيشة داهية

[يتقهقر حابي قليلا بينما يلهو الكاهن أنويس بالحقاق والقوارير]

تلك القوارير وذى الحقائق غوثٌ إلى مُستنجدٍ يساقُ
لكل سمٍ عندها ترياقٌ

حاجي : أبتى ، من للرعيّة من لأوطاني الشقيّة ؟
خلّ حياتك في الأسفاط واشعر بالرزق
بعد حين تملاّ الوا دى الأفاعى البشريّة
أبتى نحن من اليأس م عبيدُ القيصريّة
أذنٍ أذنيك على قدّ سهما من أذنيه
واسمع البوق تجد من أحرف الرقّ دويّه
أنويس : حاجي ، تقبل هذه القنيّة واقبض عليها بيد ضنيّة
فإنها ذخيرة ثمينة !

حاجي [لنفسه] :

يا للسماء لأبي ! تراه يستبزي بي ؟
ويجّ له ، عساه جُ نّ أو لعله نبي
أوحى له السماء عد سم غيها المحجّب
يعلم من يلدغ من رقطاء أو من عقرب
لأحلمن حقّه مثل تيمّة الصبي
يا لك شيخاً طيباً يأتى بكل طيب !

[مخاطباً أنوبيس الكاهن] :

ربيع الحمى أبى فكي
دع الأفاعى واشتغل
الوطن المكدوغ أو
ف للحمى لم تغضب ؟
بالأفعوان الأجنب
لى اليوم بالمطبيب

أنوبيس : وأين كنت يا فتى
وأين فرسان المقات
أدرتم وجوهكم
تركتم أنطونيو
من أجلكم سل الحسا
ما كان ضرركم لو لا
أبعد أن حل على الن
ولم يجد من شبيهه
أتيت تدعوني كما
الرأى ليس نافعا
وأين فتیان الحمى ؟
ل هل مضوا إلى الوغى ؟
ساعة دارت الرحى
س وحدة يلقى العدا
م وإلى الحرب مشى
تفتم على اللوا ؟
يل وواديه القضا
ولا شبابه فدا
تدعو العجائز السما
إذا أوانه مضى

[يدخل جند من حرس الملكة] :

البلدى : مولاي ، ذات الجلالة

الملكة الآن عندي ؟ أنوبيس :

[تدخل كليوباترا في حاشيتها]

كليوباترا : تحية يا أبت

أنوبيس : سيدتي في حُجرتي

مُرى بما شئت يكن وإن تحدّي قدرتي
كليوباترا :

أبي ، أعلمت أن الجيش ولى
أنوبيس : وأن يوارجى أبت المضيا

علمتُ وكان ذلك في حسابي
وذا حاجي به أفضى إليّا

كليوباترا :

وهل نباك عن أنطونيوس
وكيف جرت هزيمته عليّا

وما أدرى أردوه قتيلا
صباح اليوم أو أخذوه حيّا؟

أبي ذهب الحليفُ فكن حليفي
فقد أصبحت لأجدُ الوليّا

أبي خفتُ الحوادثَ

أنوبيس : لا تُراعى
لباة النيل ليس تخافُ شيّا

كليوباترا :

أبي لا العزل خفتُ ولا المنايا
ولكن أن يسروا بي سَيّا

أيوطاً بالمناسم تاجُ مصرٍ
وثمتَ شعرةٌ في مفرقيّا؟

وما تُتُّها لا يُحسُّ المنونَ كمن مات في النوم لا يُحتضر

كليوباترا : [مرودة قوله في صوت خافت] :

وما تُتُّها لا يُحسُّ المنونَ كمن مات في النوم لا يُحتضر
ولكن أبي هل يُصانُ الجمال ؟

أنويس : نعم لا يحول ولا يندثر
كليوباترا : وهل يطفأ اللون ؟

أنويس : لا بل يضيء
كليوباترا : كما رفَّ بعد القِطاف الزهر

وهل يبطل الموتُ سحرَ الجفون ويبيد الفتورَ ويفنى الحور
أنويس : إذا الجفنُ ناء به فانكسر

كعهد العيون بطيف الكرى كليوباترا : أبي ، والشفاه ؟

أنويس : لواقى الذبول
كما احتضر الأقحوان النضر وما الموت أقسى عليها فإ
كليوباترا : وما عصاة الناب ؟

أنويس : ونخر أخف
وأهون من وخزات الإبر كليوباترا : وما شبح الموت ؟

أنويس : ماذا أقول ؟

كليوباترا: ثُمِّلَهُ لِي كَانَ قَدْ حَضَرَ
أنويس:

زَعَمْتَ ابْتَى الْمَوْتَ شَخْصاً يَحْسُ وَعَظَّمْتَ مِنْ خَطْبِهِ مَا صَغُرُ
وما هو إلا انطفاء الحياة وَعَصَفُ الرَّدَى بِسَرَّاجِ الْعُمُرِ
وليس له صُورَةٌ فِي الْعَيُونِ عَلَى قُبْحِ صُورَتِهِ فِي الْفِكْرِ
إذا جاء كان بَغِيضَ الْوُجُوهِ وَإِنْ جِئَ كَانَ حَبِيبَ الصُّوَرِ
كليوباترا:

إِذْ هَذِهِ الرُّقْطُ فِي ذِمَّتِي فَصْنُهَا وَأَحْسَنُ عَلَيْهَا السَّهَرُ
وَأَقْسَمُ لَتَأْتِ إِلَيَّ بِهِنَّ وَلَوْ أَنَّ دُونِي الظُّبَا وَالسُّمُرُ
أنويس:

يَمِيناً يَا بَرِيصَ أَحْمَلِينَ إِلَيْكَ وَلَوْ فِي سَلَالِ الْخَضِرِ
إذا بات في خَطَرٍ تَأْجُ مَصْرَ سَبَقْتُ إِلَيْكَ بِهِنَّ الْخَطَرِ
كليوباترا:

أَتَجْمَعُ لِي يَا أَبِي آيَةً أَمِيرُ الرُّسُولِ بِهَا إِنْ حَضَرَ؟
أنويس:

هُوَ التَّيْنُ أَبْعَثْ حَابِي بِهِ وَالرُّقْطُ بْنُ غَضُونِ الثَّمَرِ

ابْنَتِي ذَلِكَ مَحْصَرَا فِي ادْخَالِيهِ لِلصَّلَاةِ
وَاسْكُبِي الدَّمَاعَ عَنِّي أَنْ يَقْبَلَ الدَّمَاعَ إِلَاهِ
هُوَ ذُو الْمُلْكِ الَّذِي يَبْقَى وَيَفْنِي مَا سِوَاهِ

[خارج الهيكل — ثلاثة جنود رومانية]

الجندي الأول : تحيا روما يحيا قيصر

الجندي الثاني : روما العظمى أبداً تنصر

الجندي الثالث : ما ذاك؟ ما فوق الطريق؟ ما أرى؟

هيهلاً رفيقاً معي لننظرا

الأول : هناك مقتولان ضرجا الثرى

الثاني : نعم أرى ثم دما وخنجرا

وهيكلين من حياة أقصرا

الثالث : جبتار يا مصرف الحروب بارك لنا في هذه الجيوب
وابعث لنا بالذهب المحبوب

الأول : يا عجَب الأقدار! أنطونيوس؟

الثاني : أنطونيو! أجل وذا أوريوس!

وأحسب السيد مات بيده ثم هذا العبد مثال سيده
لهني على أنطونيو في مرقد

[يئن أنطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود]

أنطونيو :

ويحي أحى أنا جريح؟ ماذا يريد القضاء ماذا
جنود أكتاف أدركوني يا ليتني مت قبل هذا

جندی :

لا بل جنودك لـكن خانوك حُباً لروما
 آخر : وما نُسوك عليهم تحت اللواء زعيما
 ترى بهم مَطْلَعُ الشمس أو تَوَمُّ النجوم
 أنطونيو : يا جنردى رصصباي ليس ذا وقت العتاب
 اتركوني وعذاب

[ينفى عنه]

جندی : لهنى عليه راده الإغماء وأوشكت تَزْفُه الدماء
 وليس إسعافٌ وليس ماء

آخر : هَلُمَّا اسلاد مَسْلُماً احملا وجيثا بمولا كما الهيكلا
 وأمضى فأبلغ أكتافيو الحديث أعرّفه المنزلا

[فى حجرة الكاهن - كليوباترا والكاهن والهاشية عائدتين من المحراب]

كليوباترا: أبى دخلت ونفسي حَيْرَى الزَّمان حزينه
 وقد تركتُ المصلّى ومِلُّ قَلْبى سَكِينه
 إن الصلاة على شدّة الزمان مُعِينه

[يسمع صوت الجند من الخارج]

كليوباترا: ما تسمعون أصيخوا شرٌّ وهذا بَرِيدُه
 كان الضجيجُ بعيداً والآن يدنو بعيدُه

حابي : أسمعتم! ضجةً صاخبةً وجريحٌ وجنودٌ في الطريق
ها هم قد دخلوا الدار به

أنوبس : دارنا الشاطئ لا يأتى الفريق
حابي : ها هم قد حضروا

أنوبس : يا مرحباً أعدوا! كان أم كان الصديق
[يدخل الجنديان اللذان يحملان أنطونيوس]

كليوباترا :
وسخ عيني ماذا ترى؟ ومن المحـ مول كالسيف في الأكف خضياً؟
أيها الجنـد ما بأيديكم اليوم ؟ م ؟
جندى : جريحٌ على الطريق أصيبا
كليوباترا :
أقدرون من حملتم ؟

جندى : حملنا هيكلاً عزاً في الرجال ضربيا
قد عرفناه خيراً من هز رُمحاً ونضاً صارماً ولاقى الحروباً
[تأمل كليوباترا في وجه الجريح]
كليوباترا :

آه أنطونيـو حبيبي أدركوني بطبيب
ما ترون الأرض تروى من دم الليث الصيـب
أنتى ، أين قوى طببك والسحر العجيب

هو في إغماءة الجرح ح فنبهه بطيب
هو ذا يفتح عينيه ويصفي لنحيبي
أنويس [محاو لا إسعاف الجريح] :

تلك أنفاسه توالى وهذا
هو ذا قد تخلصت سفتاه
أيها الملكة ارفقي بجريح
لا تناديه بالدموع مرارا
أنطونيو :

كليبتر ا عجب ! أنت هنا
لم تموتى .. هم إذن قد كذبون
كليباترا :

سیدی روحی حیاتی قیصری
أنت حی ؟
أنطونيو :

كليباترا :

من نعانى كذباً ! من قالها
أوللبوس النذل الخؤون
أنطونيو :

مر فاستوقفته أسأله
قال ماتت فتجرعت المنون

كليباترا زوديني فبيلة
من ثناياك العذاب الشبات
وأضيئ بسناها مقلة
يسدل الموت عليها الظلمات

سيقولُ الناسُ عني في غدٍ من أولى الرحمة أو أهل الشَّاتِ:
بطلٌ لم تظفر الحربُ به في الهوى تحت لواء الحب مات
[يسلم الروح]

كليوباترا :

قد تَدَامَى عُدُوِّي الأَرَضِ ض وميزانُ الشعوبِ
مال كالشمس جمالاً وجلالا في الغروبِ
أيها المجروح لو تد رى جروحي وندوبِ
أيها الذاهب قد آ ن عن الدنيا ذهبِ
أيها الخالص ودّاً ليس ودّي بالشوبِ
أيها الصادق وعداً ليس وعدى بالكذبِ
عن قريب ينطوى القبر ر علينا عن قريبِ
كَلَّلُوهُ بالرياحين وبالغار الرطيبِ
واهتفوا في أذنيه بأناشيد الحروبِ

واحبيباه، جاءه الموت فاستسلم لا يستطيع إلا ذهوبا
كان ما خفت أن يكون وحلت نكبة لم تفاجيء المنكوبا
[اتنوى فائمة]
أيها الجند مات قيصر فابكوا معي السيد الجسور الوهوبا
شبكوا ساعديه من فوق صدر كان في الروع بالمنايا رحباً

واعرضوا سيفه على راحتيه واركزوا الرمح من يديه قريبا
لا بل امضوا لشأنكم جندروما ودعوني وسيفروما السليبا
أنا وحدي له ديارٌ وأهلٌ إن دعا داره ونادى النسيبا
[ينسحب الجنود]

ويح لي قد طلبت عند طباع الناس ما عزّ عندهم مطلوبا
خلق الناس للقوى المزايا وتجنّوا على الضعيف الذنوبا
واحتفوا في الحياة والموت بالغا لب فانظروا هل عظموا مغلوبا
شيعوا الشاة جيفة بمداهم واتقوا وهو في الرمام الذيا
أنويس : الوقار الوقار يا لبأة النيل ولا تجعل الزئير النحيبا
وقني للخطوب في عزّة الملك وفي كبره تذلّ الخطوبا
[يدخل جندي من جنود أكتافوس]

الجندي : قيصر أكتافوس آتٍ يعود أنطونيوس قيصر
كليوباترا : قيصر أفر الأسير منه من في حمى الموت ليس يؤسر
[يدخل أكتافوس ومعه جنود]

أكتافوس :

سلام ملكة الوادي سلام كاهن الملك
يقول الناس أنطونيو هنا لم يتمدّ عنك
كليوباترا : نعم لم تفرّق بعد وإن أمن في تركي

وهذا الجسد الفاني جلاء الرّيب والشك
أكتافيوس :

إذن قد قُضِيَ الأمرُ وصار الليثُ للهالكُ
كليوباترةُ لا تَحْشَى فلن آخذهُ مِنْكَ !
كليوباترا : أبى تهزأُ أم بالميّت أم بالموقف الضنك
إن استطعتَ على مالك من بطش ومن فتك
وما حَوْلَكَ من خيل وما تحتك من فُلك
نُحْذِهِ من يد الموت ومن عاجزةٍ تبكى !

[يدنو جندي من جنود اكتافيوس ليتحقق موت أنطونيوس]

كليوباترا :

مَكَانَكَ يا عبدُ لا تَهْتِكَنَّ على سيد الهالكين القنّاع
تريد لتكشفَ عنه الغطاء عسى تحته حيلةٌ أو خداع
عَبَّثْتَ به وهو تحت الطّيا لـس ملقَى السلاح قليلُ الدّفاع
ولم تَحْتَشِمُ بُقْعاً من دم عليهنّ تُحْسَدُ مصرَ البقاع
رَوَيْدَكَ ، ما الموتُ مُسْتَبَعْدٌ ولا هو مستغربٌ من شجاع
وإن التماوتَ فعلُ الثعالِبِ ليس التماوتُ فعلُ السباع

أكتافيو :

أنا ناك سيدتي إنه قى طاهرُ القلبِ حرُّ الطباع

أراد ليحتاط لي جهده ويخلص في خدمتي ما استطاع
تتحأخا الجند ما أنت والميست الأيقرب الشمس للأشعاع
أتأذن سيدتي أن أطيّف بخدن الصدام رفيق الصّراع؟
ومن كنت تحت القنا ظله ومن كان ظلّي تحت الشّراع
وكنا نشيد لروما الفخار ونجني لها الغار من كل قاع
ونأتي القلاع فنحتلها وإن بعدت كالنجوم القلاع
ونركز في السهل أرماح روما ونطلع أعلامها في اليفاع؟
يا ذنك؟

كليوباترا:

قيصر لا إذن لي أيني ويامر من لا يطاع؟
تصرف بجثمانه كيف شئت فليس له اليوم منك امتناع
وما جئة الليث إلا لقي إذا الناب طاحت أو الظفر ضاع
[يتقدم أكتافيوس ويرفع القناع عن وجه أنطونيوس]

أكتافيوس:

لقد حسم الموت ما بيننا وفضّ اللّجاج وفضّ النزاع
فمن حقّ اليوم بل واجب على أقدسّه أن يضاع
أقبل ما قبل الغار منك وأهتف: أنطونيوس الوداع

الفصل الرابع

« في القصر الملكي ، في غرفة العرش ، غرفة مظلة على »
« البحر . كليوباترا متكئة على حافة الشرفة ، شرميون »
« وهيلانة في أقصى الحجرة تنهر من عينيها الدموع »

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها] :

نام « مَرْكُو » ولم أنم	وتفردت بالآلم
ليت جرحي كجرحه	لقي الموت قاتلأم
قاتل الله ماضياً	قتل المفرد العلم
أنطوان أنقض الكرى	ساعة وانقل القدم
قم كأس اغنم الهوى	واشرب الراح بالنعم
وتخير على المنى	وتمتع من النعم
واغمر الأرض بالقنا	وتغلب على الأمم
وقد الخيل في الوها	د ووثباً إلى القمم
أيها العين أبصرى	إنما كنت في حلم

[ملفتة إلى شرميون] :

يا شرميون بلغنا موقفاً حرجاً لا الرأي ينفعنا به ولا البأس
لم يبق ثقب رجاء كنت ألمحه إلا تعرض حتى سب اليأس

[تلقى نظرة على الاسكندرية من المرفقة]

لجئى يحدثنى بوشك أفوله إسكندرية ، هل أقول ذاعا ؟
وشئت برك جدولا ونخيلة وكسوت بحرك عدة وشراعا
وأنا اللبأة وقد ملأتك غابة وأنا المهاء وقد ملأتك قاعا
قد خفت من بعدى عليك بما لكا يطلن فيك الفاتحين سباعا
يأتين زرعك بالرياح عواصفا ويجهن ضرعك بالذئاب جياعا
فاذا الحضارة بعد طول بنائها قد دك ركن بنائها وتداعى
شرميون :

يا يزيس سيدتى بالولاء بطول التعاشر والمصطحب
بمالي يسابك من خدمة ومن صحبة تشبهان النسب
على أى وجه أدرت المصير وقلبت رأيك فى المنقلب ؟
فهذا السكون يثير الشكوك وهذا الهدوء يثير الريب
وماذا اعتزمت ؟ وماذا كتمت ؟ أرينى فما بيننا من حجب
ولى فى حياتك رأى يساق وليس على إذا لم يصب

كليوباترا :

إذن فاذا كرى أن خصمى العتيد يخاف اتحارى ويخشى الهرب
وليس الذى يشتهى لى الحياة ولكن له فى حياتى أرب
له فى غد موكب الفاتحين إذا أقبلوا فى جلال العلب
يجرون فى رومة الأرجوان وقد برزت فى الثياب القشب
وتزدان بالغار هاماتهم إذا ارتفعت فى الخيس اللجب
يحاول قيصر منى المحال ويذهب فى غير وجه الطلب
يريد ليعرضنى فى غد على شعب روما كأنى سلب
ويفضح مصر وسلطانها وتاج العصور وعرش الحقب
لقد ساء تدبير أكتافيرس ولم يلق من خدعتى ما أحب
[نسمع وطء أقدام]

ماذا وراء الباب ؟

شرميون :

حس قادم

أجل ديب حارس أو خادم

هيلانة :

كليوباترا :

من حرس القصر

بل حارس جاف

من نشوة النصر

معربد الخطو

رجليه من كبر

لا تسع الأرض

شرميون :

ملكتي دعي هذه الفكر
جند رومة يعبد البدر
في سبيلها يركب الغرر

كليوباترا :

شرميون صه إنه حضر

[يدخل حارس]

الملكة : ماذا وراء الجندي؟

الحارس : رسالة من عبد

هل تأذنين ؟

الملكة : أد

الحارس : أيها الملكة قد جا .. إلى القصر غلام

في ثياب الحقل خلو الشكل بمشوق القوام

جادل الحراس في حد في ورق بالكلام

يدعي أن أباه كان عبدا للقام

ناله بستان تين من أياديك الجسام

فهو يهدي لك باكو رته في كل عام

الملكة [هامة] :

شرميون ذاك حابي وجنساء في يمينه

جاء في الميقات يهْدِي لِي بِاَكُورَةٍ تِينِهِ
[للحارس]

أَلَا تَقْبَلُ يَا حَارِسُ مَنْ مَنَى هَذِهِ الْبَدْرَةَ ؟
الحارس : بِشُكْرَانٍ وَهِيَّاتٍ عَلَى الشُّكْرَانِ لِي قُدْرَهُ
الملكة : وَالْآنَ لَوْ تُحْضِرُ لِي الْفَلَاحَا لَعَلَّهُ يُحَدِّثُ لِي انْشِرَاحَا
إِنِّي نَسِيتُ الْبَسْطَ وَالْمَزَاحَا
الحارس :

عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ سَأَتِيكَ بِهِ السَّاعَةَ
[يخرج الحارس]

الملكة :

يَا شَرْمِيونُ تَعَلَّيْ الدُّنْيَا وَيَا هَيْلَانَةَ اخْتَبِرِي الزَّمَانَ الْقَاسِي
إِنَّ الَّتِي حُرْسَتْ بِأَبْطَالٍ الْوَعْيِ بَاتَتْ تُصَانَعُ سَفَلَةً الْحَرَّاسِ
[يدخل حابي في ثياب فلاح ومعه الحارس]

هيلانة [همسا] :

حابي ، نَعَمْ حَابِي وَتِلْكَ نَظَرْتُهُ وَهَذِهِ مَشَيْتُهُ وَخَطَرْتُهُ

يَا لَيْتَ شَعْرِي مَا تَكُونُ سَلْتُهُ ؟

حابي : نَحِيَّةٌ لِلْمَلِكَةِ وَنِعْمَةٌ وَبَرَكَهٌ

وَنَفْسُ عِبْدِهَا لَهَا وَكُلُّ مَا قَدِمَ لَهَا

سَيِّدَتِي جِئْتُ إِلَى بِحْرِكَ أَهْدِي سَمَكًا

أَحْلُ تِينَا وَلَوْ اسططعتُ حملتُ مملكه

حاجي : سيدتي

الملكة:

أَدْنُ فَإِنَّهُ ابْتَعَدُ وَقُلْ فَمَا يَسْمَعُ غَيْرَنَا أَحَدُ

حاجي : سيدتي

الملكة:

حاجي ، أَنُوَيْسُ اجْتَهِدْ لَنَا وَأَنْجِزِ الْغَدَاةَ مَا وَعَدُ

يُرِيدُ أَنْ يَشْفِينِي مِمَّا أَجِدُ وَأَنْ يَقَ مَمْلَكَتِي عَارَ الْأَبَدِ

جئتُ كما يَأْتِي لَوَقْتُهُ الْمَدَدُ

وَقِيَّتْ لِي حَاجِي وَلَمْ تَكُنْ تَنِي ضَعِ السَّلَالَ وَانصَرَفْ لَا بِلَقَفٍ

حتى ترى كيف يَكُونُ مَوْقِفِي

[تَلْقَى نَظْرَةً عَلَى السَّلَالِ]

مَا لِي مُلِئْتُ مِنَ الْمَنِيَّةِ رَهْبَةً	إِنَّ الْمَنِيَّةَ فِي رِقَابِ النَّاسِ
أَسَى الْجِرَاحِ جَزَعْتُ عِنْدَ لِقَائِهِ	وَالنَّفْسُ تَجْزَعُ مِنْ لِقَاءِ الْأَسَى
إِنِّي طَوَيْتُ بِسَاطِ كُلِّ مُدَامَةٍ	لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَرْبُ هَذِي الْكَاسِ
يَا خَادِمِيَّ بَلْ ابْنِي تَلَطَّفَا	فِي الْبَحْثِ حَتَّى تَأْتِيَا بِأَيَّاسِ
فَعَسَى يُغْنِيَنِي نَشِيدَ الْمَوْتِ أَوْ	نَعْمَا أَجُودُ عَلَيْهِ بِالْأَنْفَاسِ

شرميون :

مَلَكْتِي نَادِي أَيَّاسَا إِنَّهُ بِالْقُرْبِ مِنْكَ
هُوَ فِي الْمَقْصُورَةِ الْآخِرَى مَعَ الْبَاكِينَ يَبْكِي
فَكُرْهُ فَيْكَ وَلَا يَجْسُرُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْكَ

الملكة :

يَا وَجَّحَ صَحْبِي بَعْدَ طَوْلِ سُرُورِهِمْ قَعَدُوا إِلَى أَحْزَانِهِمْ يَبْكُونَا
جِيئِي بِهِمْ يَا شَرْمِيونُ لِيَنْظُرُوا جَلَدِي فِيهِدَأُ بَعْضُ مَا يَجِدُونَا
[تخرج شرميون]

كليوباترا [تمنحني على زنبقة في أبيض] :

زَنْبَقَةٌ فِي الْآنِيَةِ ضَخِيَّةٌ الْآنَانِيَةِ
جَنَّتْ عَلَيْهَا غُرْبَةُ الْأَسْرَى الْكُفَّ الْجَانِيَةِ
وَبَدَّلَتْ مِنْ سَعَةِ النَّوْرِ بَوَّةَ ضَيْقِ الْبَاطِيَةِ
يَسْقُونَهَا مِنْ جَرَّةٍ بَعْدَ الْعَيُونِ الْجَارِيَةِ
يَا جَارَتَا شَأْنُكَ لَا يُشْبِهُهُ إِلَّا شَانِيَةِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي الْعَرِيضِ غَيْرُ دَارِ خَاوِيَةِ
وَكُنَّا ذَابِلَةً عَمَّا قَلِيلِ ذَاوِيَةِ
زَالِ النِّعَمِ وَفَرَّغْنَا مِنْ حَيَاةِ قَانِيَةِ

[ترجع شرميون ومعهما أياس وأنشو وغيرهم]

الملكة [إلى أنشو] :

أنشو يعزُّ عليَّ أنك ساهمٌ يبدو عليك الهمُّ والتفكيرُ
أنشو ألا قولُ يسرٍّ وضحكةٍ إن السعيدَ الضاحكُ المسرورُ
قد كان أيسرُ ما صنعتَ يسرني أعلَى سروري اليوم أنت قدير؟

أنشو : سيدتي جرى بما فيه سرورك القدرُ
من لا تسره السما لا يسره البشرُ

الملكة : أياس، هل من صوت؟ غنَّ نشيدَ الموت
[أياس يبنى هذا النشيد]

يا طيبَ وادي العدم من منزلٍ من منزل
لم تمش فيه قدم للعذلِ وادٍ نخل
أنا فيه لحبيبي وحبيبي فيه لي

يا موتُ ملِّ بالشرعِ واحملْ جريجَ الحياة
سرَّ بالقلوعِ السراعِ إلى سُطوطِ النجاة

شراعُك الفضِّي في لجَّه التَّبري
كالحلسم في الغمض يجرى ولا يجرى

في ظل ليل ساج أقسم لا يسرى
مغلل الديباج مطيب الستر

في يقظة يظهر لي أم أرى حلا
فلك من الجوهر يخرق الظلما

على الدجى لمّاح تحسبه نجما
ليس به ملاح يسلكه البيا

أضوى من الفجر في ظلة الأسداف
من نفسه يجرى لم يجره مجداف

مدّ شراع النور يا حسن ما مدّا
كاللؤلؤ المنشور لو ينفح النّدا

يا لك من زورق ملاحه الأقدار
ينجس به المفرق من لجة الأكدار

[يدخل الحارس]

الملكة: ما وراء الحارس ؟

الحارس: العا

عة يا ذات الجلالة

قائد يحملُ من فيصراً كتافو رساله
الملكة: أدخله ، أدخل رسول قيصر

[يخرج الحارس ويدخل القائد]

القائد : قيصرُ العالى إلى سيدتى يهْدَى التحية

هو فى الشُّكْنَة بالقر ب من الدار السنيه
يُظْهِرُ العَطْفَ عليها وهى بالعطف حريه
ويقولُ الأمرُ ما تأ مُر فى الإسكندريه
ولها الوادى وما يحملُ ملكاً ورعيه
وبنوها يرثون الملكَ من روماء الوصيه
وإذا حَلَّتْ بروما وجدت روماء خفيه
تلقاها كأعلى درة فى القيصريه
ما الذى تقترحُ الملكة ما تُملى عليه
لتقلُ سيدتى حاً جتاً تُقَضُّ العشيّه

كليوباترا [كأنما تناجى نفسها] :

وإذا حلت بروما وجدت روماء خفيا
تلقاها كأعلى درة فى القيصريه

[نضحك فى تهكم وألم]

أيهما القائدُ أدبٌ ست فأحسنَت الأداءُ
 بَلَّغْنِ قيصَرَ عني كلُّ شكرٍ ودُعاء
 ثم زدْ أمنيَّةً قد بقيتْ لي ورجاء
 أنا لا أكتُمُهُ ما سرٌّ من أمرى وساء
 لي سرٌّ كاد عن نفد سى يزويه الخفاء
 صُنته عن صاحباتي وصحابي الأماناء
 حبذا لو زارني قيد صرُّ في هذا المساء
 وله الشكرُ إذا لم يأت أو إن هو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتي لمولاي قيصَرَ وأنقلُ ما أبديتِ من رَغبات
 ولم لا يُلَيِّ دعوةَ الحسن طائعاً ويسعى له مستعجلَ الخطوات؟
 وقد كان يوليوسٌ يقومُ ببابه ويمثُلُ أنطونيوسُ في العتبات

كليوباترا [بمظمة] :

أسأت أخا الرومان فهم إشارتي

القائد :

إذن فبهي لي تلك من هَفَواتي

[يخرج القائد]

كليوباترا :

أراني لم يُحسنْ إليَّ مُعاصري
فكيف إذا ما غيَّب الموتُ ذادقي
كأنِّي بعدى بالأحاديثِ سلَّطتْ
وبالجيل بعد الجيل يروى زخارفاً
يقولون أنِّي أفنتُ العمرَ بالهوى
فدأ لغرامى بالرجال وحُسنهم
فليس الغلامُ البارِعُ الحسنُ فتني
ولم يَسْتَرْوِجِدِي من الروم فتيةً
ولا كلُّ غصن من بنى مصر مائل
يموتون بي عشفاً ويشقون بالهوى
ولكن عشقتُ العبقريَّةَ طفلةً
كلفتُ بكلِّ أحرز الأرض سيفه
إذا هبَّ من غرب البلاد تَلَفَّتْ
تَعَثَّرَ حظي بعد طول سلامة
ومن يمش في ورد الأمور وشوكها

ولم أجد الإنصافَ عند لداتي
وبَدَّدَ أنصاري وفَضَّ حُماتي
على سيرتي أو وُكِّلْتُ بحياتي
فن زور أخبار وإفك رُواة
بهيمة اللذات والشهوات
غرامُ الغواني أو هوى الملكات
ولا الرائعُ الأجلاد والعَضَلات
جُنُونُ العذارى فتنة الخفِرات
يَظِيرُ إليه قلبُ كل فتاة
فكم من حياة في يدي ومات
وفي الغافلات البُلَّة من سنواتي
وحيزتْ له الدنيا من الجنَّبات
بلادُ بأقصى الشرق منذِرات
وأقلع نُجُمي بعد طول ثبات
يَعُدُّ الخطأ أو يحسب العثرات

[تنظر إلى السلال]

يا مرحباً بالسَّلهُ والرُّقْبُ المَطْلَهُ
الكافياتي الذَّلهُ

[ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملكة ووصيفتها وحابي]

كليوباترا :

أدخلي بي يا شرميون على طفلي أودِّعهم الوداع الرهيبا
فمساهم إذا تحجَّب صدرى وجدوا صدرك الحنى الرحيا
[لحابي وهيلانة]

ولدىَّ اهجرا القصورَ فإني قد وجدتُ النعيمَ فيها غريبا
ولها ضجَّةٌ وفيها فضولٌ يرهقُ الحبَّ واشياً ورقيا
خلييا عنكما المدائنَ يا ابني فضوضاؤها تُميتُ القلوبا
إن لي في سهول طيبةً حقلاً طيبَ الماء والهواء خصيبا
غرسته يد الشباب فأضحى وارفا كالشباب حسناً وطيبا
ألف الحبُّ من نواحيه أيكا جمع الطير هاتفا ومجيبا
يُسمعُ البُلبُلُ العشيقَةَ فيه وتُغنى الأليفَةُ العندليبيا
أفقٌ لا يُظللُ إلا عُجبا وثرى لا يُقلُّ إلا حيبا
إشربا من كرومه واسقياها صافى الحب والهوى المسكوبا
والعبا عند كلِّ ماء غدير تريا الماءَ للجباب لعبا

وسلا الورد هل تنفّس في الور د وهل ناسم البعيد القريبا
أدرِكَ لذة الشروق ولما تبلغ الشمس بالحياة الغروبا

[تخرج كليوباترا وشرميون]

حابي :

هيلان، هذا مقال النصيح من ملك فما ترين وما تنوين هيلانا
هلم طيبة نزل في خمائلها ونبن مثل بناء الطير دنيانا
كطائر ين على بحر وعاصفة قد آتسا من وراء الشبط بستانا
تداركتنا أبر المالكات به وأشرف الناس إحساسا وجدانا

هيلانة :

حابي ، عرفت الخلال العلييات لها وكنت أمس أقل الناس عرفانا

حابي :

خلى الجفاء حياتي إن ساعته مضت وهذا أوان السلم قد آنا
الله يشهد أني قد سدلت على ما كان من نزعات الرأي نسيانا
وأننى اليوم أبكيها وأندبها ولا أقيس بها في الطهر إنسانا
اليوم ضحت وزكاها الفداء كما زكى المقرب باسم الله قربانا

هيلانة :

إن التى شب في نعمائها صغرى ونبتت لى في سلطانها شانا
إن لم أمت دونها أو لم أمت معها فاجزيت عن الإحسان إحسانا

حابي :

والحب هيلان؟ ماذا تصنعين به

هيلانة :

إن الصداقة فوق الحب أحيانا

حابي أراها أزمعت وأرى الفجيعة واقعة

فاذهب فجئ بأنوبس فحسى يرد الفاجعه

حابي :

وسواء أردتها أم أبي ذلك القدر

في غد أيها الملاء كُ إلى طيبة السفر

[يخرج حابي]

هيلانة :

ويح حابي اعتقاده أن سأحيا فلتلق

ليستني نلت قبلة منه قبل التفريق

[تدخل كليوباترا وفي أثرها شرميون]

كليوباترا :

بروحى وإن لم تبقي منى بقيّة صغار ورأى ذوق اليتم نوح

أذوب لبواهم وأعلم أننى حملت عليهم ما يجل ويقدح

وقد أشتى عيش الذليل لأجلهم فلا المجدي رضى لولا النبل بسمع

فصفحا صفارى إن شقيتم بمصرعى وإنى لأرجو أن تنفوا وتصفحوا

وَدَاعَا صَغَارِي صَيَّرَ اللَّهُ يُتِمَّكُمْ إِلَى خَيْرٍ مَا يَكْفِي الْيَتَامَى وَيُصْلِحُ
أَطْفَتُ بِكُمْ وَالنُّومُ تَسْرَى سَنَاتُهُ عَلَى صَفَحَاتِ كَالْأَهْلَةِ تَلْسَحُ
وَمَا مِنْكُمْ فِي الْحَزِّ إِلَّا حِمَامَةٌ عَلَيْهَا طَلِيلٌ نَاعِمُ الْفَرْعِ أَفْسِحُ
تَنَامُ وَمَا تَدْرِي الْكَرَى مَا وَرَاءَهُ وَلَا الصُّبْحُ فِي ظِلِّ الرَّبِّ كَيْفَ يُصْبِحُ
أَتَغْدُو عَلَى الدُّنْيَا كَأَمْسِ طَلِيقَةٍ ضُحَى الْيَوْمِ أَمْ يُغْدَى عَلَيْهَا فَتُذْجُ؟

[ملتفتة إلى هيلانة وشرميون] :

فِيمَ هِيلَانَةُ تَبْكِيْنَ وَأَنْتِ شَرْمِيون
كَفَكْنَا الدَّمْعَ فَلَا شِدَّةَ إِلَّا وَتَهَوْنِ
وَاعْلَمِي بِنْتِي أَنْ أَلَا بؤْسَ وَالنَّعْمَى دُونَ
[تركع أمام تمثال إيزيس]
الْيَوْمَ أَقْصَرَ بَاطِلِي وَضَلَالِي وَخَلْتُ كَأَحْلَامِ الْكَرَى آمَالِي
وَصَحْوَتُ مِنْ لَعِبِ الْحَيَاةِ وَلَهْوِهَا فَوَجَدْتُ لِلدُّنْيَا نُحْمَارَ زَوَالِ
وَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَلَا بِمَوَاكِبِي بَصُرْتُ وَلَا بِكُتَاتِي وَرَجَالِي
وَطَلْتُ بِسَاطِلِ الْمَادَانَاتِ وَأَمْرَقْتُ كَأْسِي وَفَضَّتْ سَامِرِي وَنَقَالِي
إِيزِيسُ يَنْبُوعُ الْحَنَانِ تَعْطِي وَتَلَفَّتِي لَضِرَاعَتِي وَسِوَالِي
أَنْتِ الَّتِي بَكَتِ الْأَحْبَةَ وَاشْتَكَيْتِ قَبْلَ الْأَرَامِلِ لَوْعَةَ الْإِرْمَالِ
إِنِّي وَقَعْتُ عَلَى رِجَالِكَ فَارْحَمِي ذُلَّ الْمُلُوكِ لِمَجْدِكَ الْمُتَعَالِي
هَلْ تَأْذِنِينَ بَأَنْ أُعْجَلَ نُقْلَتِي وَأُحْثَّ عَنْ دَارِ الشَّقَاءِ رِحَالِي

وَعَلَاكِ مَا أَدْعُ الْحَيَاةَ جَبَانَةً
إِنِّي اتَّفَعْتُ بِعَبْقَرِيَّ جَمَاهَا
وَجَمَعْتُ بَيْنَ شَعُورِهَا وَعَوَاطِفِي
وَوَجَدْتُهَا قَدْ خَلَّدَتْ أَبْطَالَهَا
بَنَتُ الْحَيَاةَ أَنَا وَتَشْهَدُ سِيرَتِي
مِنْهَا تَنَاولْتُ الرِّيَاءَ وَرَاثَةً
وَقَسَوْتُ قَسَوَتَهَا وَلَسْتُ كَلِينَهَا
وَلَرُبَّمَا رَشِدْتُ فَسَرْتُ بِرُشْدِهَا
وَوَجَدْتُهَا حَبَابًا يَفِيضُ وَلَذَةً
يَوْمِي بِأَيَّامٍ لَكثْرَةٍ مَا مَشَتْ
وَلَقَدْ لَقَيْتُ مِنَ الْحَيَاةِ صَبِيَّةً
نَخَلِيتُ مُلْكِي طِفْلَةً وَشَرِدْتُ فِي
شَرَعْتُ عَلَى السُّوْطِ فِي كُتَابِهَا
يَا مَوْتُ هَلْ حَرَجَ عَلَى مُسْتَنْجِدٍ
يَوْمِي أَجْجَلُهُ وَلَوْ لَمْ أَنْتَحِرْ
يَا مَوْتُ أَنْتِ أَحَبُّ أَسْرَافِاسِي
يَا مَوْتُ لَا تُعْطِنِي بِشَاشَةِ هَيْكَلِي
أَوْ ضَيْقَ ذَرْعٍ أَوْ قَطِيعَةَ قَالِي
وَنَمْتَعْتُ مِنْ عِبْقَرِيَّ جَمَالِي
وَقَرَنْتُ رَحْبَ خِيَالِهَا بِخِيَالِي
فَبَسَطْتُ سُلْطَانِي عَلَى الْأَبْطَالِ
مَا كُنْتُ مِنْ أُمَى سِوَى تَمْشَالِ
وَأَخَذْتُ كُلَّ خَدِيعَةٍ وَمَحَالِ
وَأَقْلَسْتُ فِي صَدِّي بِهَا وَوَصَالِي
وَنَوْتُ فَأَغَوْتَنِي وَضَلَّ ضَلَالِي
لَجَعَلْتُ لَذَاتِ الْهَوَى أَشْغَالِي
فِيهِ الْحَيَاةُ وَلَيْتَنِي بَلِيَالِي
مَا جَلَّ مِنْ بَوْسِ وَرَقَةٍ حَالِ
صَدْرِ الصَّبَا وَرَأَى الْمُسْكَارَةَ آلِي
وَالْيَوْمَ تَضْرِبُنِي بِدَرْسِ غَالِي
بِكَ أَنْ يُسَاقَ وَاقِعَ الْآجَالِ
لَلْقَيْتُ يَوْمًا مَا لَهُ مِنْ تَالِي
لَا تُعْطِ رُومًا وَالشُّيُوخَ عَقَالِي
وَاحْفَظْ ظَوَاهِرَ لِحْتِي وَجَلَالِي

يَا مَوْتَ طُفْ بِالرُّوحِ وَأَسْرِ قَهْرَهَا كَمَا سَرَقَ الْكَرَى عَيْنَ الْخَلَى السَّالَى
 حَتَّى أَمُوتَ كَمَا حَيَّيْتُ كَأَنَّنِي بَيْتُ الْخَيَالِ وَدُمِيَّةُ الْمَثَالِ
 وَكَأَنَّ إِغْمَاضَ الْجَفُونِ تَنَاعَسُ وَكَأَنَّ رَقْدَتِي اضْطِجَاعُ دَلَالِ
 سَرُّنِي إِلَى أَنْطُونِيُو فِي نَضْرَتِي وَرُوءِ جَلْبَابِي وَزِينَةِ حَالِي

[تقوم إلى إحدى السلال فتكشف التين عن أفعى] :

هَلَلِي الْآنَ مُنْقَذَتِي هَلَلِي وَأَهْلًا بِالْخُلَاصِ وَقَدْ سَعَى لِي
 شَرِيْتُ السَّمَّ مِنْ فَيْكِ الْمُفَدِّي بِسُلْطَانِي وَزِدْتُ عَلَيْهِ مَالِي
 عَلَى نَائِيكِ مِنْ زُرْقِ الْمَنَايَا شَفَاءُ النَّفْسِ مِنْ سُودِ اللَّيَالِي
 وَبَعْضُ السَّمِّ تَرْيَاقُ لِبَعْضِ وَقَدْ يَشْنِي الْعُضَالُ مِنَ الْعُضَالِ
 دَعْوَتُ الرَّاحَةِ الْكَبِيرَى فَلَبْتُ فُبُعْدًا لِلْحَيَاةِ وَلِلنُّضَالِ
 هَلَلِي عَانَتِي أَفْعَى قَصُورِ بِهَا شَوْقٌ إِلَى أَفْعَى التَّلَالِ
 سَطَتْ رُومًا عَلَى مُلْكِي وَلَصَّتْ جِوَاهِرَ أَسْرَتِي وَحُلَى آلِي
 فَرُمْتُ الْمَوْتَ لَمْ أَجِبْهُ وَلَكِنْ لَعَلَّ جَلَالَهَ يَحْمِي جِلَالِي
 فَلَا تَمْشِي عَلَى تَاجِي وَلَكِنْ عَلَى جَسَدِ بَيْطُنِ الْأَرْضِ بِأَلِي
 وَقَدْ عَلِمَ الْبَرِّيَّةُ أَنَّ تَاجِي تَمْتُهُ الشَّمْسُ وَالْأَسْرُ الْعَوَالِي
 يُطَالِبُنِي بِهِ وَطَنٌ عَزِيزٌ وَأَبَائِي وَدَائِعُهُمْ غَوَالِي
 أَدْخُلُ فِي ثِيَابِ الذِّلِّ رُومًا وَأَعْرِضُ كَالسَّبْيِ عَلَى الرِّجَالِ؟

وأُحدَج بالشَّمَاة عن يميني ويعرض لي التَّهْكُمُ عن شمالي ؟
 وألْقَى في النَّدى شيوخَ روما مكانُ التَّاجِ من فَرْقَى خالي ؟
 وأغشى السَّجَنَ تاركةً ورائي قصورَ العزِّ والغُرَفَ الحوالي ؟
 وتحكمُ في روما وهي نَحْصِي وتُسْرِفُ في العقوبة والنَّكال
 يراني في الحبائل مُتَرْفوها وقد كان القياصرُ في حبالي
 إذن غيرُ الملوك أبي وجَدِّي وغيرُ طرازم عمِّي وخالي
 سأَنْزِلُ غيرَ هاتبةٍ إذا ما تَلَطَّطَت المنيَّةُ للنَّزال
 أموتُ كما حَيَّيتُ لعرش مصرٍ وأبذلُّ دُونَهُ عرشَ الجبال
 حياةُ الذِّلِّ تُدْفَعُ بالْمَنَسَايا تَعَالَى حَيَاةُ الوادِي تَعَالَى
 [تتناول الأفعى وتمهد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها إلى السلة]

يا ابنتي ودِّي ... هَلْبا ... زَيْنَانِي للمنيَّة
 غُلَّسَانِي ... طَيِّبَانِي ... بِالْأَفَاوِيهِ ... الرُّكِيهِ
 أَلْبَسَانِي حُلَّةً ... تُهْ حَبُّ أَنْطُونِيو ... سَنِيهِ
 من ثِيَاب ... كُنْتُ فِيهَا أَتَلَقَاهُ صَبِيهِ
 ناولاني التَّاجَ ... تاجَ الشَّمِ س ... فِي مُلْك ... الْبَرِيهِ
 وانثرا بين يدي عر شَي ... الرِّياحِينِ الْبَهِيهِ
 [تموت بين وصيفتيها]

شرميون [تتناول من إحدى السلال أفعى] :

كلوبترا ويا لهسني عليك يا كلوبترا

وصيفاتك في الدنيا وصيفاتك في الأخرى

[وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت]

هيلانة [تفعل ما فعلته شرميون] :

كلوبترا ذهبت اليو مَ بالدنيا ككلوبترا

تعالى أيها الأفعى أريحني أنا الأخرى

[يدخل أنويس وحابي]

أنويس :

انسلت المهرّة من قيدها وأفلت الطير من الصائد !

حابي : هيلان ، يالهفا على الحبيبة على الجمال وعلى الشبيبة

على الفتاة الحرة النجيبة

[يتعس جسما]

يا للحياة ما تنى ديبا أبي، تأمل جسمها الرطبا

واسمع تجمد لقلبها وجيبا

أنويس : حابي ، نسيت حقة النجاة

هيات أعصيك أبي هيات

حابي :

إن أنس أشياءك أنس ذاتي !

[يخرج الحلقة من جيبه]

خُذْهَا

لعلها تصحو من السبات

أنويس : بل اسكب في فم الفتاة

[يشتغل حابي بإيقاظ هيلانة]

أنوبيس [على جثة كليوباترا] :

بنيت رجوتك للضحية والفدا فوجدتُ عندك فوق ما أناراجي
إن تُصبحي جسداً فنفسك حرة وعُلاك سالمة وعرضك ناجي
سيقولُ بعدك كلُّ جيل مُنصف ذهبتُ ولكن في سبيل التاج

[ثم يلتفت الى جثة شرميون] :

وأنت أيضاً شرميون جيفة متٌ ولكن ميتة شريفة

ما أعظم الملكة والوصيفة !

حاي : أدنُ أبي ألق النظرُ يا لعجائب القدر !
أنوبيس : أحدثُ ترياقى الأثر ؟

حاي : أنظرُ أبي ترياقك ——— محسن ماذا منحا ؟

أنظرُ فهذا ملكي من رقبة الموت صحا

قد فتحَ العينين به داليأس من أن تُفتحا

وهذه أنفاسه ربحانها قد نفحا

مولاي قد قرّبت من سعادتي ما بزحا

أنت الذي رددتها روحاً وكانت شبحا

يا قلبُ كيف لم تطرُ عن الضلوع فرحا

ميلانة : يا ويح لي ! ويحَ لي هل صدقتني عينيه ؟

حاي أفي الدنيا أنا ؟

حاي : بل أنت دنياي هنا

هيلانة : منذاً جنى عليه حتى بعثت حيه ؟

حابي : أبي الذي شفاك ياملاكى

أنويس : لا بل ملاك الحب قد شفاك

وأدمع الإخلاص من فتاك

هيلانة : أبي لقد مرّ على الموت وكنت من عذابه تنجوت

علام حلت بينه وبينى ؟ الموت لا يذاق مرتين

[ترى جثة الملكة وهى تتلفت]

رحماك آلهة الوادى ذهلت فلم أذكر ملاكا وراء العرش مضطجعا

بالأمس ، لا ، لا بل اليوم التحقت به صرعت بالناقع السارى كماصرعا

لقد رحلنا عن الدنيا الغرور معاً مالى رجعت إلى الدنيا ومارجعا

ليت الطبيب الذى داوى فأخرجنى إلى الحياة على الدنيا به طلعا

مليكتى ، ربتي ، صفحا ومغفرة . إن المروءة كانت أن نموت معا

الكاهن : بُنيتى . . .

هيلانة : صه أبي ،

الكاهن : لا أنت واهمة

فلستما فى ملاقة الردى شرعا

وقفتم موقفاً في الخطب مختلفاً لو جربت فيه غير الموت مانعاً
 حاي : تعالى نحي في الحقل مع الطير كما تحيا
 هلي الحب هيلاً نة فالحب هو الدنيا
 أبي دونك باركننا وإن شئت فشاركنا
 أنوبس : إذا فارقت محرابي فمن يبكي على مصر ؟
 سألني ها هنا ابني إلى أن أقضى العمرا
 هلياً ابني باسم الله سيرا وابنيا الوكرا
 هلياً جنة الوادي هلياً طيبة الغرا
 لن فرقنا الدهر فقد تجمعنا الذكرى
 [يخرجان]

[يسمع صوت بوق]

أنوبس : البوق دوي قيصر أقبل
 [يدخل حارس]

الحارس : مولاي قيصر

[يتنهي عن الباب ويدخل قيصر وفي معيته الطبيب أولبوس] :
 أنوبس :

ما يبتغي قيصر من أسيرته ؟ إن التي أعسدها لزيته
 يدخل روما وهي في كتيبتة تزيد في موكبه وقيمه
 ماتت ولم تنزل على مشيئته بورك في النيل وفي عقيلته

قيصر :

آلهة الرومان ، ماذا أرى ؟ امرأةٌ تَسْخَرُ من قائدٍ
قد أبطلت كيدي على ضعفها ولم تنزل تَسْخَرُ بالكائد
في الجسد الحي تَمْنِيَتُهَا لم أبغها في الجسد البائد
[يركع قيصر عند جثة كليوباترا]

أنوبيس [لنفسه] :

الحادثُ العجيبُ قيصرُ والطبيبُ
يَغْدُرُهَا وعِصْدُهُ يباهي قريبُ

أكتافيو :

عجيبٌ يا طيبُ أرى قتيلاً ولكن لا أرى أثرَ الجراح !
أليست في الفناء أرفُّ لوناً وأندى من رياحين الصباح
فهل تدنو فتكشف كيف ماتت أيا لسم الزُّعاف أم السلاح ؟

[يقترب أولبوس وينحني على صدر الملكة من الناحية التي رميت فيها الأفعى]

أولبوس :

جبينُ مُشرقُ الغرَّةِ ووجهُ ضاحكٍ نُضْرَةٍ
وعينان كأن الموات في جفنيهما كُسرَه
وهذا فُها تبدو السمناء عنه مُفْتَرَّة
ولكن قيصرُ ادنُ انظرُ هنا السرُّ هنا العِبره

فبين السَّحر والنحر كمثل الخدش من إبره
مكانُ النَّاب من صلِّ شديد البأس والشره
[تلدغه الأنفى]
إلهى ، قيصرى ، آه لقد مسَّتْ يدي جمره
سرى السَّمُّ بأعضائي وعمتْ جسدى فتره
وجاءت سكرة الموت فلاصحو... من السَّكره
[ثم يسقط ميتاً]

أكتافىوس :

ويل النفوس من لجأت القدر !
وويح الملبوس بالأنفى عثر

أنوبيس [لنفسه] :

قد وقع الحافر فيما قد حفر

قيصر :

وداعاً كلوبترا إلى يوم نلتقى وتنفض عنها الهامدين المقابرُ
عما الموت أسباب العداوة بيننا فلا الثأر ملحاح ولا الحقْدُثائرُ
وما استحدثت عند الكرام شماتةً صُروف المنايا والجُدود العواثرُ
وداعاً وإن نحن اقتتلنا وبجرت حساميهما أوطاننا والعشائرُ
تحدّيتنى بالموت حتى قهرتني ومالى سلطان على الموت قاهرُ
ترفعت عن قيدي ومّت عزيزةً وأيدى المنايا للقيود كواسرُ

وَأَنْتِ الَّتِي نَازَعْتَ رُومًا مَكَانَهَا وَجَرَّتْ بِنَادِيكَ الْقِيُودَ الْقِيَا صِرَ
لَعِبْتَ بِأَنْطُونِيوِيُولْيُوسَ حَقْبَةً كَمَا جَاءَ بِالْمَسْحُورِ أَوْ رَاحَ سَاحِرُ
وَمَا أَنَا إِلَّا سَيْفُ رُومَةٍ بَاتِرَا أَصِيبَ بِهِ سَيْفُ لُرومَةٍ بَاتِرُ
زَجَرْتُ فَلَمْ أُسْمَعْ فَقَاتَلْتُ مَكْرَهَا وَفِي الْحَرْبِ إِنَّمَا تَرَدَّعَ السَّلْمُ زَاجِرُ
وَأَنْطُونِيوِيُولْيُوسَ الْكَرِيمِ بِمِثْلِهِ يُطَاوِلُ أَنْسَابَ الْمُلُوكِ الْمُصَاهِرِ
وَدَاعَا عُرُوسَ الشَّرْقِ كُلَّ وَلَايَةٍ وَإِنْ هَزَّتْ الدُّنْيَا لَهَا الْمَوْتُ آخِرُ
[يُخْرِجُ أَكْتَا فَيُوسَ وَحَاشِيَتَهُ وَتُزْفُ التَّحَايَا لَهُ مِنَ الْأَبْوَابِ وَالْحَنَاجِرِ خَارِجَ الْقَصْرِ]
أَنْوَيْسَ :

أَكْثَرَى أَهْلُ الذَّنَابِ عَوَاءً وَادَّعَى فِي الْبِلَادِ عِزًّا وَقَهْرًا
أَنْشَدَى وَاهْتَنَى وَغَنَّى وَضَجَّى وَاسْبَحَى فِي الدِّمَاءِ نَابًا وَظُفْرًا
لَا وَإِزْيَيسَ مَا تَمْلِكُ إِلَّا وَادِيًا مِنْ ضِيَاغِمِ الْغَابِ قَهْرًا
قَسَمًا مَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ لَكُنْ قَدْ فَتَحْتُمْ بِهَا لُرومَةَ قَهْرًا

على بك الكبير

أو

دولة الماليك

تمهيد

زمن الرواية :

حوالي سنة ١٧٧٠ ميلادية .

مكانها :

الفسطاط والصالحية وعكا .

أشخاصها :

على بك الكبير : حاكم مصر ، ويلقب بشيخ البلد .
 محمد بك أبو الذهب متبني على بك والخارج عليه ومن أمراء المماليك
 مراد بك من أتباع على بك وأولاده .
 ضاهر العمر صاحب حصن عكا وحليف على بك .
 مصطفى اليسرجي « الجلاب »

آمال	}	إماء معروضات للبيع
شمس		
زكية		

عشاق	شاب شركسى مع الجلاب .
أم محمود	الماشطة والواسطة فى بيع الجوارى .
رزق الله الوكيل	وكيل على بك .
بشير بك	من أصحاب على بك .
عثمان بك	، ، محمد بك .
قائد الأسطول الروسى فى عكا .	
أمراء .	
جواسيس .	
قواد .	
جنس .	
فتيات .	
أغوات .	
خدم .	

الفضل الأول

في قصر علي بك الكبير

« حجرة من القصر واسعة فخمة على الطراز الشرقى مفروشة بنميس الطنافس قد نثرت فيها الوسائد والصفوف وزين سقفها بثریات الزجاج الملون المشكل وركزت في زوايا أرضها الشمعدانات الكبيرة ... »

« جلس هناك في انتظار علي بك الكبير ، مصطفى اليسرجي (الجلاب) ومعه ثلاث فتيات شركسيات (آمال) و(شمس) و(زكية) وشاب شركسي اسمه عشاق من جنسهن وقرابتهن وأم محمود الماشطة »

زكية : يا أم محمود تلك دنيا	وهكذا فلتك القصور
وهكذا شمس في الليالي	تنزل هالاتها البدور
قصر سماواته الثريا	وأرضه الوشي والحرير
أم محمود : ونحن يا شمس نحن بؤس	بيوتنا الجص والحصير
ننقل من حفرة للحد	تساوت الدور والقبور
شمس : يا أم محمود خبريني	أهنا ينزل الأمير
أم محمود : أجل	

شمس : ومن ذا وما يُسمى ؟
 أم محمود : سلطان مصر على الكبير
 سمس : والطيب يا أمُّ لم تُسمى الندِّ والمسك والعبير
 مصطفى : لا تعجبي هم ملوك مصر دنياهم الطيب والبخور
 زكية : وما الأمير يا يسر جى ما له من العمر
 مصطفى : قد جاوز الشباب إلا أنه كهل نضر
 أم محمود الماشطة :
 ما بلد العز غير مصر كيف طعمتن يا بنات
 سمس : طعام شاة طعام عرس لم يرو أمثاله الرواة
 ما القصر ما الفرش ما الألوان
 ما الأكل ما الشرب ما الطهارة
 مصطفى : هذا هو الملك ملك مصر وهكذا الحظ والهبات
 وأنت آمال ؟
 آمال : خلياني ما تلك إلا خزعات
 القصر كوني على جبال جللتها الثلج والنبات
 إذا عوى الذئب من مكان أجابه الكلب والرعاة
 زكية : أجل حننا للجبال الشيب وللشقاء القارس العصيب
 وكل راع واقف للذئب أمن خوف الحمل الرعيب

تلمحه كالعلم المنسوب والوعلى في الجيئة والذهب
والديديان في فم الدروب

مصطفى : بخ بخ مرحى يا كومة الشحم
يا جزر بلوط لكن من اللحم
أم محمود : أعرفت يا جلاب أنك جئت بالحمل الثقيل
عن تلك كان لنا غنى ما تلك إلا سقط فيل
مصطفى : يا أم محمود اقصدى لكل سلعة ثمن
إن سراة الناس في مصر يحبون السمن
وهذه الكومة في ها سمن لكن حسن

[يسمع أذان العصر بصوت شحى من محراب في دار الامارة فتلثفت

شمس بأمر محمود وتقول]

شمس : ما هذه الرنة في قبلة القصر
زكية : صوت من الجنة يهتف بالعصر
أم محمود : ما زالت السنة والبر في مصر
يا رب أيدها بالعز والنصر

شمس لمشااق :

قم غن يا عشاق أغنية المعاز
وناج بالاشواق أحبة القوقاز

عشاق يفتي: كوخ وراء الجبال مُكَلِّسٌ بالجليل
فديته لا أبالي بكل قصرٍ مشيد
ما مرَّ يوماً بيالي إلا بللتُ خدودي

* * *

يا منزل القوقاز عِمٌّ من بعيد صباحا
لمت لمعةً بازى فى الجوِّ سلَّ الجناحا
سلمَّ على الممَّاز إذا غدا أو راحا

* * *

وقل له يا راعى فى الناي هات الانينا
اسمع على البعد راعٍ صوتاً من الغائينا
هل أنت للعهد راعٍ أم قد تركت الحنينا
« بعد صمت واطراق من الجميع »

أم محمود للبنات :

تعالين بنات الشر كس الفيد تعالينا
ذكية : ولم ؟ ماذا ؟

أم محمود: تعالين
تزدكن يدي زيناً ولا أترك لا شعراً
ولا خدأ ولا عيناً

أم محمود لشمس :

تعالى أيها الشقرا وهاتى شعرك التبرى
هلى اقتربنى منى وألقى الرأس فى حجرى

غداً يأخذك الشارى وما تدرين من يشرى
أم محمود لآمال :

تعالى أيها السمرا فان الخير في السر
أشعر ذاك آمل أم الليل إذا يسرى
قضاك الله للوالى أو الحاكم في مصر

آمال في غضب :

دعيني مرأة السوء دعيني بومة الشر
قضاك الله للجوع وللسجن وللقبر

أم محمود لمصطفى :

يا سيدي النحاس هذه ضبع فارجع بها لا تشرها ولا تبغ
إلا إذا ساومنا فيها سبع

آمال الى صاحبها :

قوما إليها

شمس : وأنت ؟

آمال : لا ، لا أحب الفضولا

على ثوب جمال ما احتاج يوماً ذيو لا

شمس : ما الخطب مم غضبت آمل ؟

زكية : ما بالها ساخطة ما بال

أم محمود : غيبة ما عرفت ما المال

مصطفى همساً لشمس : شمس
شمس : كَيْسَرَجِي

مصطفى : انظري
آمال ماذا غمها
ميلي لآلها ونحدي
فيما يسرى همها
آمال : بل الحق معي وحدي
وأنن الغييات
سوام نحن أم نحن
نفوس آدميات
أم محمود لركة :

وأنت يا ضخمة يا بدينه
يا محلا يخطر بالمدينه
قومي إلى أقبل للزينه
رُزقت عمدة بلا قرينه
ثروته في داره دفينه
يطلب منا امرأة سمينه
مصطفى : يا أم محمود أرى
آمال جد مغضبه
هائجة صاحبة
ثائرة مقطبه
في وجهها تكاد تبدو
نفسها الممذبه
مصطفى لآمال :

آمال بنتي استريحي
وقللي التفكير
لا تحملي هم شيء
دعي لي التدبير
عساي أغنم ملكا
أو أستفيد أميرا
فتحكين بمصر
وتنزلين القصورا
ملك الجمال كبير
زيديه ملكا كبيرا
صوني جمالك هذا
عن أن يعيش فقيرا

آمال : يا أبى ما تريد بى أنت تلهو وتلعب
 ملكة أو أميرة أهدا القلب
 حلم ثم ينقضى وأمانى تكذب
 كيف تسمو إلى العلا ابنة باعها الأب
 ثم مستمرة : أبى .. تاجر كما شئت وكيف أردت فاحترف
 ولكن لا ترم ثمنى ولا فى هذه الغرف
 فبيع الجنس فاحشة أليس كذلك اعترف
 أبى ، شرف على فقر ولا فقر إلى الشرف

مصطفى لنفسه

يا مال ما فيك من سحر ومن خطر
 لقد نزلت بنا عن رتبة البشر
 تاجرت بالجنس حتى صار محترماً
 عند الشعوب وما جنسى بمحتقر
 ذهبت بالشركس الآساد أعرضهم
 عرض الرعاة صغار الشاء والبقر
 لولاك ما بعث أطفالى ، فما كبدى
 من الحديد ولا قلبي من الحجر

مصطفى يقبل على آمال :

طفلة آمال أنت أنت ما تدرين شيئاً
 هنا الدنيا وملكك لك فى الدنيا نهيأ
 آمال : خلّ عنك الملك والقه ر ولا تذكر علياً
 إب ما تصنع بى قد بغض الدنيا إلياً

ثم لنفسها

رَبُّ جَنِّبِي شَبَابَ ذَا الْبَلَدِ لَا يُصْنِي مِنْهُمْ رَبُّ أَحَدٍ
 لِي أَخٌ فِي أَرْضِ مِصْرَ بَاعَهُ وَالَّذِي لَمْ يَخْشَ مِنْ يَبِّعِ الْوَالِدِ
 رَكِبَ الْآفَاقَ فَرَحًا مَا لَهُ مِنْ جَنَاحِ الْآبِ وَالْأُمِّ سَنَدِ
 جَمَعَ الْقَرْيَةَ فِيهِ وَسَقَى أُمَّهُ الشُّكْلَ فَاتَتْ بِالْكَدِ
 لَسْتُ أَنْسَى عِبْرَاتِ إِثْرِهِ قَدْ جَرَتْ شَيْعَنُهُ حَتَّى ابْتَعَدِ
 وَهُوَ يَوْمِي يَبْدُ مِنْ رَقَةٍ وَأَبِي مِنْ غَضَبٍ يَوْمِي يَبْدُ
 رَبِّ مَا صَارَ إِلَى أَيْنَ أَنْتَهَى أَهْوَى الْخَيْلَ لَوَاءُ أُمِّ وَتَدِ
 يُوسُفُ الْمَسْجُودُ فِي مِصْرَ لَهُ أُمٌّ مِنَ الْجُوعِ لِيُوسُفَ بَجَدِ

ذِكَاة : وَأَيْنَ بَنُو السُّلْطَانِ ؟ لَمْ لَا نَرَاهُمُ

أَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ يَغْتَدِي وَيُرُوحُ

يَرْفُ الشَّبَابَ الْغَضَّ مِنْ طَلِيسَانِهِ

وَيَنْفُحُ رِيحَانِ الصَّبَا وَيَفُوحُ

شَمْس : فَلَا خَيْرَ فِي دَارٍ إِذَا لَمْ يَطْفَ بِهَا

نَسِيمَ شَبَابٍ أَوْ شَعْنَاعِ جَمَالِ

وَلَا خَيْرَ فِي رَوْضٍ بِغَيْرِ بَهَارَةٍ

وَلَا خَيْرَ فِي قَاعٍ بِغَيْرِ غَزَالِ

مِصْطَقَى : أَجَلُ لَهُ ابْنٌ

شَمْس : مَا اسْمُهُ ؟

مُحَمَّدُ الْعَالِي النَّسَبِ

مِصْطَقَى .

شَمْس : لَعَلَّهُ أَبُو الذَّهَبِ ؟

زكية : لله ما أحلى اللقب

فقيه رنة الذهب

مصطفى : متبني الأمير والمتبني
ن بهدي البلاد كالأبناء
نعتوه لنا فقالوا أمير
أريحي من صفوة الأمراء
تغدق الألسن المديح عليه
وتفيض الشفاه حسن الثناء
ملكٌ سابق إلى كل فضل
نابغ الفرس عبقرى البناء

ثم مستمراً : وأنت يا أم محمود

أم محمود : محمد ليس براً ولا وفياً أميناً

بالأمس عقق أباه

فكان شرّ البنينا

واليوم يشهر حرباً

على الأمير زبوناً

وأما أخوه

زكية : كيف؟ من؟ هل له أخ؟

أم محمود : أجل ، وهو أيضاً لم يلد له أبوه

زكية : إذن فعلى والد الناس كلهم

وكل شباب الضفتين بنوه

وكيف الفتى يا أم محمود، ما اسمه؟

أم محمود : غلام وضيء المفرقين جواد

رأيتنه مثلي تذكر ساعة رأيناه

شمس : من؟ ما اسم الأمير؟

أم محمود :
 أم محمود لآمال :
 مراد

هناك آمال انتي هناك
 آمال : ما ذاك يا أم اذكرى ما ذاك
 أم محمود : الحظ يا بنتاء قد أعطاك

عُشقت عشقاً سوف يروى في السير
 عشق له في مصر والشرق خطر
 وعاشق على النساء كالقمر
 آمال : يا أم محمود هديت . . ما الخبر ؟

أم محمود : لقيت مراداً أمس

آمال : ماذا يهمني ؟

أم محمود : عجيب ألا يعني النساء مراداً ؟

فقي علم في مصر . . في الشرق كله

نيل كأبناء الملوك جواد
 يحب علياً جهده ويحبه

على فبين السيدين وداد

كأنى به نال الولاية وانتهت

إليه أمور في غد وبلاد

يحبك يا آمال حبا مبرحاً

على مثله ما انضم قط فواد

زكية : عرفته

نسان ومن ؟

زكية : أمس إلى السوق حضر

ذاكَ الخفيفُ كالقنا ة والوضي كالقمر

أنى لنا أمس فما اختص سواك بالنظر

آمال : عرفته ذاك الوقاح في دعاية الهذر

ذاكَ الذى قلبنا أمس كتقلب الحصر

شمس : وكنت أنت قبلة ال لمحظ وموضع الفكر

أم محمود : وأنت كنت وزكي ة الحسير المحتقر

آمال : أوداك الذى تقولين يهوانى

أم محمود : أجل وهو أرفع الناس قدرا

هسى صه هس انظرا ها هو ذا قد حضرا

« يدخل مراد بك »

مراد بك عند الباب لنفسه :

ويح لى رب ما أرى أم محمد ود إلهى وهذه آمال

هى فى القصر كيف جاءت إليه

كيف واقاه مصطفى المختال

أتراها قد حازها لعل جبر الجاه واحتواها المال

كيف هل بعد فى فواد على

موضع يحتوى عليه الجبال

رَبِّ مَالِي أَهَابَهَا كُلِّهَا قَتُّ وَمَالِي يُرُدُّنِي الْإِجْلَالَ
وَأَنَا الذَّنْبُ لَمْ تُسَلِّطْ عَلَيَّ قَلْبِي
مَهَاةٌ وَلَمْ يُسَيِّطِرْ غَزَالُ

ثم لأم محمود ومن معها :

سلام أم محمود سلام يا بنياتي
أم محمود : سلام لك هـ ولأى

زكية : وعلوى التحيات

مراد بك ويشير إلى آمال : أم محمود مالها ما لتلك المحبيه

أم محمود : مالها سيدي

مراد بك : انظري كيف تبدو مقطبه

لقتيني فلم تقم بلقائي مرحبته

مالها اليوم مثل عهدي بها أمس مفضبه

أم محمود : سيدي قد ظلمتها إن بنتي مهدبه

غير أني وجدتها منذ بدا الصبح متعه

شمس : معذرة ياسيدي لآختي المعذبه

نحن النهار كله كالسبع المقلبه

مراد بك : مصطفى

مصطفى في ناحية وحده : سيدي

«لنفسه» : أهذا مراد؟

ونحن ما أضلله فيم جاء

مراد بك: مصطفى هل نسيت أنا التقينا

عند سوق الرقيق أمس مساء

مصطفى : سيدى ما نسيت واليوم نستا

نف فى حجرة الأمير اللقاء

مراد بك: والى اخترت من طبائك

مصطفى : نرجها إلى أن يرى الأمير الأطباء

مراد بك: أترى ما تزال تأبى

مصطفى : أجل

مراد بك: ويحك هل يملك الرقيق الإباء

آمال : سيدى من عنيته؟ قل لى بمن عرضت؟

مراد بك: أعنى المليحة الحسناء

آمال : سيدى إتنا حرائر ما زلنا

مراد بك: ولكن غدا تصرن إماء

آمال : وغد سيدى عليه غطاء

أترى عن غد كشفت الغطاء

مراد بك: قم مصطفى، هذه الحسناء تعجبني

أليس يكفيك فيها ألف دينار

مصطفى : أَلْفٌ ! قَبِلْتُ

مراد بك : إِذْنٌ تَأْتِيكَ كَامِلَةٌ
فاخرج ببنتك واحملها إلى داري
آمال : أَيْ أَبِي أَنْتَ نَمَضِي بِي وَتَعْمَلَنِي
كالشاة ! هذا لعمرى أعظم العار

مصطفى : آمال

آمال : قَفْ أَنْتَ عَبْدُ الْمَالِ يَا أَبَتِي
تُلْقَى الْبَرِيَّةَ لِأَجْلِ الْمَالِ فِي النَّارِ
لَا سِيدِي ، لَا أَبِي ، لَا تَذْكُرْ أَيْمَنًا
فَلَسْتُ مَخْلُوقَهُ لِلْبَائِعِ الشَّارِي

مصطفى لنفسه :

رباه أعظم من وجدى ومن شفى
على ابنتى اليوم إعجابى وإكبارى
وَأَنْتَ تَعْلَمُ وَالْأَفْعَالُ شَاهِدَةٌ
أَنْ ابْنَتِي حُرَّةٌ مِنْ نَسْلِ أَحْرَارٍ
يَا أَلْفُ سَحَقَاوِيَا مَا لُ اسْضُ مِنْ سُبُلِي
نَقَطَعْتَ مِنْكَ أَسْبَابِي وَأَوْطَارِي

«ثم لآمال :

آمال هَيَّ اذْكُرِي لِي كَيْفَ أَدْفَعُهُ
مَآذَا أَقُولُ فَإِنِّي لَسْتُ بِالْدَّارِي
«ثم لنفسه :

آمال : أبي أما نحن في دار الأمير «على»
 إني لجارةٌ حرٌّ مانع الجار
 لا أبرح القصر إلا عن مشيئته
 فُكِّمَهُ هو في النافذ الجارى
 مراد بك : ويح لي قد رددت أقبح ردٍّ
 وأبت أن تُجيبني الحسناء
 لمصطفى : سئرى من يفوز بالبنت يا وغد
 لآمال : ومن يقتنيك يا حقا
 « ويخرج مراد بك »

آمال لنفسها :

ما بال قلبي بمراد مَدُّ تَلَقِينَا اشْتغَلُ ؟
 لَمَسْنِي أَحَبُّهُ لا لا ، فمالي والرجل
 عساي قد همتُ به هذا لعمرى الخبل
 خياله في فكرتي في كل ساعة مثل
 مالي أحسُّ لاجعا بين الجوانح اشتعل
 إن فُتِحَ البابُ يرى أولَ إنسانٍ دَخَلَ
 أو جىء بالزاد وجسده بجانبى اِكْلَ
 وإن شربتُ حَضَرَ الماءَ فَعَلَّ وَتَبَسَّلَ
 قد أَخَذْتُ صورته على مشاعري السُّبُلِ

وحيث سرت طاف بي وأينما حلت حل

أم محمود تنظر الى الباب وتقول :

أرى الأبواب قد فُتحت وأسمع وقع أقدام

مصطفى : على جاء قمن له بإجلال وإعظام

يدخل على بك ويحاشيته رزق الوكيل . . الأغا مرجان . بعض الخدم
على بك : أضعنا نهارك يا مصطفى أطلنا انتظارك لاعن جفا

مصطفى : يباب الأمير ولي النعم يطيب الوقوف لأوفى الخدم

على بك [هـا مصطفى] :

يا مصطفى قد بعنى من سنوات ولدا

مصطفى : أجل صبي كاب من أذكي الصغار محتدا

على بك : ما ارتبت فيه ساعة أن سيكون سيذا

مصطفى : عاش أبوه لا أرى أباه إلا أسدا

على بك : ولكنه لم يدُر في البلاد ولم يعرف الناس حتى فسد

فسل الحسام وهز القناة وأصبح عز ريل هذا البلد

مصطفى : ذاك ذئب لم أبته حنش غسيري باعه

بش ما باعوك يا مؤ لاى يا شؤم البضاعة

على بك : وأين البنيات ؟

مصطفى : ها هن قه نوقار المولاى فى المجلس

على بك : تخير الحسن قبلي
 على بك [لرزق] : بارزق ما أنت راء
 رزق الوكيل :
 أم محمود : بل قل ثلاث شمس
 فكيف كيف اختارى
 كذا تكون الجوارى
 تنزلت في نهار
 على بك [ممازحا] :

من أنت يا شر وجه
 أم محمود : أنا يا مولاي حسن الماشطة
 ثم لنفسها : آه من لي بحياة ثانية
 ليتنى يا ليتنى يا ليتنى
 ومن أحلك دارى ؟
 أنا فى أمر النبات الواسطة
 ليتنى أرجع يوماً غايه
 آه لو ينفع قولى : ليتنى !

[أم محمود . تأخذ يد شمس وتأتى بها] :
 فهذى كاسها شمس
 على بك : تعالى الله ما أبهى
 [ثم ترجع شمس وتأتى بزكية] :
 أم محمود : وهذه زكية
 ولكن حسنها أحسن
 تعالى الله ما أفتن

على بك [ممرضاً عنها ومشيراً الى آمال] :
 وهذه الحورية ؟

أم محمود : مهاء فداها الفيد من شركية

لها سيرة عند الملوك تدار

إدا بررت ود النهار قيصها

يغير به شمس الصبحى فتعار

وإن نهضت النشئ ودقوامها

نساء طوال حولها وقصار

لها مبسم ، ثم الخليج لأمله

وعاشت لآل في الخليج صفار

على بك : ما اسم هذى الة ؟

أم محمود : آمال الحسناء

يا بك لآمال :

آمال كيف ألفت قصرى

و لم لا ألت سلطان مصر

ج ما موقعه منك ؟

من البلور والسلك

ع بالصندل والمسك

س والقوقاز والترك

والثروة والملك

هذا الصنع أو يحكى ؟

قصرى من صنع البله

المصرى في الذوق أحد

قد بلغ الفن بمصر الكمال

من غيره يصنع هذا الجمال ؟

آمال : جنة الله يا أمبر على الأرض

على بك : وهذا الوشى والديبا

وما نيك المصاييح

وهذا الخشب المصنوع

لقد طفت على فار

وأدخلت قصور العز

فهل أبصرت ما يشبه

نم مستمرا : وكل ما أبصرت في

فليس يعمل الصانع

آمال : لا عجب مولاي يا طالما

على بك : لكن أرى القوقاز أعلى يدا

آمال : سيدى

مصطفى [همساً] :

حاذرى ابنتى قدرى المور قف لا يخطر العقوق بياك

آمال : لا أبى، خلنى أبع أشك بى خذل الصبر قلبى المتمالك

آمال [لعل بك] : سيدى

على بك : ما أرى ؟ دموع لآلٍ ذهبت فى الحدود دشتي المسالك

مم تشكين يا ابنتى مارواء الدمع ؟

آمال : لا شىء

على بك : بينى ما هنالك ا

آمال : سيدى، غير شأننا بك أولى

هذه السوق لم تليق بجلالك

تشتري النفس أو تباع على الآر

ض ولم يرض فى السماء المالك

مصطفى : قللى الهم يا ابنتى والتشكى

وانظري الحال وافكرى بما لك

هذه السوق نعمة الوطن الباس منس منها

على بك : ونحن نعلم ذلك

أنا أيضاً مررت بالسوق يا أما

ل، حالى يا بنت من مثل حالك

قد وقفنا بهذه السوق نبغى دولا من ورائها وبمالك
وقديماً كانت سبيل المعالي للبهالك أوسيل المهالك
على بك [مستعراً] : لك الله يا آمال، أنت كبيرة

وكل كبير النفس سوف يسود
فداؤك نفسى هذه نفس حرة
وهذا إباء ما عليه مزيد

أتيت بما لم يأت فيما مضى لهم
ملوك على عرش الكنانة صيد
شرونا وباعونا صفاراً وفتية

كما بيع سودان بمصر عبيد
فما كان منا من رأى الرق سبةً
ومن قال عند البيع لست أريد

ثم مستعراً: الخطبُ غيرُ عظيم لا تحزنى يا فتاة
وكلُّ جرح يُداوى إن عالجته الأساة

آمال : مولاي قالوا رزقت نفساً فضائل الصالحين فيها
بأى دين تحوز رقى وتشتري البنت من أبيها

على بك : أبوك ؟

آمال : أجل والدى

على بك : مصطفي أنت أبوها ؟

مصطفى : أجل سيدى

على بك : فماذا ترى ؟

مصطفى : فى يدك الفتاة

تصرف لقد خرجت من يدى

على بك : دع البيع يا مصطفى والشراء

وزوج فتانك أو فاردد

مصطفى : بمن ؟

على بك : بى

مصطفى : إلهى !

على بك : أجل بى أنا

مصطفى : سمعت فتاتي اشكويه احدى

آمال : علام أجربته بعد ؟ لا سأعلم ما صاحبي فى غد

على بك : لم تقبلى الرق منذ حين يالك من حرة نبيله

والآن تخشين من زواج تمشين فى ظله ذليله

آمال

آمال : مولاي

على بك : هاك قصرى سوسيه بالنبل والفضيله

أم محمود : تحية للملك من أمة فى المملكة

مصطفى : أقبل ستر مولاتي

آمال : أبى ! أستغفر الله !

على بك : وأنت الملكة اليوم مرى وانتهى على الدار
وحلها حول الشمس من في أرجاء آذار
وكوني قفل أموالى وأذخارى وأسرارى
ولا يهمنى ترحالى ولا تشغلك أسفارى
فللغنم والصييد خفوف الأسد الضارى
وللرفعة والمجد سفار القمر السارى
آمال : مولائى هاتها بدأ قد طوقتني خير يد
هات أضع في راحتك قبلاً بلا عدد

مصطفى : يا للجلال والخطر ويا لتوفيق القدر
من البشير بالخبر إلى البيوت والأسر
حظ لعمرى قد كل فمن يبلغ الجبل
وكل دارع نزل على الشعاب والقلل
أنا ظفرتنا بالأمل

أم محمود : قن بنات الشر كس للهو والتأسس
زدن سرور المجلس برقصكن الخمس

شمس : عشاق ماذا أخرك لم لم تجرد خنجرك
قم لالعاب الغيد ترك كيف تخوض المعترك

عشاق : غدا يعقد للوالى على الحسناء آمال
جبال الشر كس اختالى بهذا النسب العالى

هَلُّوا الفرحَ الأكبرَ	هَلُّوا رقصةَ الخنجرِ
غداً يملك الوادى	من الحاضر والبادى
فمن طالب أفراح	ومن شاهد أعياد
هَلُّوا الفرحَ الأكبرَ	هَلُّوا رقصةَ الخنجرِ
غداً يبتهجُ العصرُ	ويُسمى فرحاً مصرُ
ويجلى الشمسُ والبدرُ	ويزهو بهما القصرُ
هَلُّوا الفرحَ الأكبرَ	هَلُّوا رقصةَ الخنجرِ

هتاف خارج القصر :

لازلت منصور القنا يا أسد المعارك
أطعمتنا سقيتنا ياربُّ زد وبارك

على بك : اسمعوا

رزق : ضجة

الأغامرجان: أجلُّ وابتهاَلُّ ورجالٌ بسيدى يهتفونا

على بك: من تَرى الهاتفون رزقُ ويا مرجانُ أخرج فانظر من الصاحبونا

الأغا : عادةً تلك كل يوم خميس عندنا ألف جائع يطعمونا

على بك : امض فاجعل فى كفّ كلّ فقير

ذهباً يطعمونَ منه البنينا

نفحةً من أميرة النيل مولاتك

آمال : بل منك سيّد المحسّينا

رزق : مولاي

على بك : من ؟ أو رزقُ ذا ؟

رزق : كم ذا تجودُ وكم تهبُ

إن الخزانة أصبحتُ بنداكَ كالبحر الحربُ

المضنة انفضتُ وما قد كان من ذهب ذهب

رمضان راح بنصفه والنصف راح به رجبُ

على بك : أجل نحنُ أطعمنا الفقير ولم يكنُ

له في قصور المترفين طعام

ونحن سقينا ابن السيل ولم يكن

يبلُّ له فوق الطريق أوامُ

ونحنُ حصننا اليتيمَ نمسحُ دمه

وآواه منا محسنون كرامُ

ترى الزاد مبدولا وفي كل ساحة

يتامى قعودُ حوله وقيام

ونبني فركنَ الثقافة والحجا

يشادُ وركنُ الصلاة يُقامُ

ودارُ يواسي البؤس فيها ومنزلُ

تداوى جراحاتُ به وسقامُ

ونرفق بالعجاء بأسوجراحها تُفَاتُ على ساحاتنا وتنامُ
على بك للاعا مرخان وهو بالباب .
مرجان ، خير

مرجان . سيدى «لشير»

على بك أدخله ليس دونه سُرُور

آمالآ : أمردى ، تُراعى بتسر من أولاي

آمال يوم محمود .
مرئى سعله بالمهمات قد كثر
أمر سحر .

أ. محمود . ملكتى ما تُرديد ما الحُر

آمال . شمس

شمس . لبيك ملكتى دولت الشمس والقمر
آمال لركية: أخت

ركية : أهديك ملكتى زاد فى شأنك القدر

آمال : حُلن فى القصر جولةً وتنقلن فى الحجر
نحن فى الود والصفاء كأمس الذى غبر
عشن ضيفاً على فى الـ قصر ما امتد بي العمر

« يخرجن مع مصطفى وعشاق .. ويدخل بشير بك فتنتحي آمال ناحية »
 « من الحجرة تشرف من نافذة فيها على ساحة الدار »

علي بك : ماذا وراءك يا بشير
 بشير بك : شأن ساعرضه خطير

علي بك : قل
 بشير بك : لا أقول لأنه شأن يسر إلى الأمير

علي بك يذهب ببشير بك إلى ناحية أخرى من الحجرة :
 علي بك : عجل وكاشفني بما بلغت من الجدد الأمور
 والبو

بشير بك : من ؟

علي بك : أبو الذهب

بشير بك : يأخذ للشر الأهب

حاز الأقاليم إليه وتألف العرب

والفر في ركابه والشعب جذلان طرب

فلنر تحلل فر بما جن فعجل الطلب

علي بك : أرى الأزيمة اشتدت وأبطل انفراجها

بشير بك : فصبراً عساها آذنت بذهاب

علي بك : صبرت طويلاً يا بشير فما جلا

ولا ذلل الصبر الجميل مصابي

ولو أن رُزئي بالغريب احتملته
ولكن بأهلي نكبتى وعذابى
يُطارِدنى فى الأرض من دَبِّ فى يدى
وربى فى حجرى وشبَّ ببابى
ومن طلب الدنيا بياسى وسطوتى
فلما حواها فى يديه سطا بى
ومن عشت أبنيه وأعمُر ركنه
فصير هدى شغله وخرابى
لقد آن أن أسمى وأن أدفع الأذى
بشير امض هبى للرحيل ركابى
إلى كم قعودى عن عدوى وكيده
وهذا عدوى لا يملُّ طلابى
سأخرج نحو الشام فى قلِّ شيعتى
فهى جياذى وادع خير صحابى

بشير بك: وماذا وراء الشام ؟

على بك :

أسد ضرا غم

ألفهمو حولى لنصرة غابى

يزيد بهم جيشى وتقوى عشيرتى

ويشتد ظفرى فى القتال ونابى

الان فرغنا

بشربك أسنى يا بلى أَمْضِ ؟
 على مك . بل ابنى ابطر يا بشرب
 إِذَا مَا فَتَّيْتُ ١٥. المساء بهرب الأبيره ماداً تفتير
 بشربك: ولىل غدٍ والذى بعد
 وإن شئت فابق الليالى الكثير
 ونحن فتمضى فتأق العريش
 ونبقى بها بانتظار الأسير
 رُيغُ الجواسيس طول الطريق
 ونهرب من منكرٍ أو نكير
 رُندركما أدب مستملاً
 كفى التبرأتى قليل الظهور

علي مك : بل امض بنا سر بنا سر بنا
 فما تجلب الحير مثل البكور
 لآمال لا تجزعى أميرتى لا بد لي من السفر
 لقد دعت حادثة من الحوادث الكبر
 كيت راج وسفر
 مُراحه من القدر
 أغيب شهراً واحداً فاشطرى

آمال : سأنتظر

على بك : ما أنت إلا ملكٌ نهى بقصرى وأمر

فى ذمة الله يا ربّة القصر

آمال : وأنت مولائى شبت بالنصر

على بك لرزق : سأصعد يا رزقُ نحو الصعيد لشغل

رزق : ولم لا صعود القمر

« ثم لنفسه : صعود الدخان إلى ذروة إذا صار فيها اسحى واندثر

على بك : وما فى الخزانة أوفى القصور بأمر الأميرة فيه اتهم

« لآمال : هكذا مصر كل يوم شتون شغلت مصر بالشتون الناسا

وكان اللاد خيلُ جهاد كل يوم تبدل السواما

رزق الوكيل لنفسه :

لا رحلةً ، لا سفرٌ هذا لعمرى الهرب

وما الصعيد يقصدون بل إلى الشام الطلب

أما أنا فقد ملأت اليد من أبى الذهب

إذا الزمان بلى بعد حين انقلب

يجعلنى محمد على خزائن الذهب

على بك : سلام على قصر الإمارة والغنى

ولإيوان سلطاني ودست جلال

ووالله ما فارقت مغناك عرقل

ولا خطرت سلوى الأمور ببال

وأعلمُ أنى عنك لا بدَّ زائلٌ
 وأنتك منى لا محالة خال
 ولكن أُمورٌ قد جرت وحوادثٌ
 بنقلةٍ دنيا أو تبدل خال
 فخالفتنى من كان عند إشارتى
 يصول بجاهى أو يعيش بمالى
 وعقّ الذى ربيت فى حجر نعمتى
 ووطأت أكنافى له وظلالى
 تألف أصحابى وألب شيعتى
 على وأغرى بالخروج رجالى
 لقد جئت بابن ليس لى فكأنما
 أتيت بأففى من سحيق تلال
 تفرّق عنيّ الناسُ إلا بطاتى
 ولم يبق حولى اليوم غير عيالى
 سأمضى وما عندى لهم إن تركتهم
 سوى قوتِ أيام وخبز ليالى
 وقد زعم الناسُ الغنى فى خزائنى
 أتى من حرام تارة وحلال
 وأقسم لم تُحرز يمينى دهما
 من المالِ إلا أنفقته شمالي

أسير. أجل أمضى نعم فعسى السرى
 تروح بنجى أو تنجى بهلال
 فما الدهر إلا حالة ثم ضدها
 والا ليالٍ بعدهن ليالٍ
 وتلك التى أحبت أول وهلة
 وأشركت فى ملك وشيك زوال
 أعود إليها فى المواقب ظافراً
 وفرقاً بالنصر المؤزر حالى
 وأرجع حراً تحتى النيل كله
 وما من بنى عثمان فوق وال

[يخرج على بك ومعه بشير بك ورزق الوكيل ويبقى مرجان بالباب]
 [تسمع ضجة وصرخة من امرأة أمام القصر تقول]

يا ربّة القصر	لامسك الضر
هل عندكم غوث	هل عندكم نصر
لحرة فى واد	ليس به حر
آمال : مرجان ويحي هذه صيحة	وامرأة صارخة باكية
مرجان أنظر	
مرجان :	هى ذى أقبلت
	معوّلة صاخبة شاكية

[تدخل امرأة مقطوعة الأذن وصارخة]

آمال : ماذا دهي يا خاله أنت بشر حاله
ذا الدم من أساله ؟

المرأة : جنود وراه كبير لهم من الدين قد جردوا والخلق
أتوا دارنا فمضى نصفهم أزال العفاف ونصف سرق
ومال على أذني بعضهم بسكينه طمعاً في الحلق
آمال تدفع الى مرجان صرة :
مرجان خذ ناول

مرجان : تعالى خذي

آمال : لا بأس يا خالة لا بأس
انتظري عود علي غداً في غد يرتدع الناس

« المرأة تأخذ الصرة وتصبح مولولة »

وأذني أين ألقاها مضت أما لها أما
ويا من عنده أذني أما يكفيك قرطاما
« تسمع ضجة ثم تدخل فتاة مذعورة »
الفتاة : سيدتي

آمال : وأنت أيضاً

الفتاة : رحمة سيدي

آمال : ما تشكين : يا ابن

آمال : ابن سدي

يدبحون إخوتي في ساحة الرملة

آمال : ويح لهم ماذا جنوا ويح لهم

آمال : لا شيء

آمال : لا لا بد من داع دعا

النفس لا تقتل يا أخت سدي

الفتاة : صدقت يا أميرتي إلا هنا

لا ينزل الرأس بمصر جسدا

إلا نزول المرء في بيت الكرا

آمال : نذكرني قولي لي الحق اصدقني

الفتاة و حاء : قد سرق الإخوة جحش الكتخدا

سر امض مرجان مع الفتاة

واشفع لدى الحاكم للجنابة

« ينصرف مرجان مع الفتاة »

يدخل أغا آخر ويقول :

سبدي

آمال : وأنت ما عندك قل

الأعيا : ابن الأمير سيدي مراد

آمال : ابن الأمير . ا هي تجل جي به
 أكلهم لسيدي أولاد
 أدخل مراداً واثني بمصطفى
 آمال لنفسها : أخاف إن قلت أبي أن يعرفنا

[يظهر مراد بك]

آمال لنفسها : ويحي ويحي لعل ما أرى
 إني أرى الغدر على هذا الفتي
 مراد بك : تحية سيدتي أتذكرين من أنا ؟
 آمال : كل الذي أعرفه ابن الأمير ههنا
 مراد بك : أميرتي قد خدعوك ما على لي أبا
 ما أنا إلا صاحب قدمه وقرباً
 آمال : يا عجبا

مراد بك : ومم يا مالكة القلب العجب
 وكل ما في الأمر أن ليس على لي باب
 وليس ما يمنعني من أن أحب وأحب
 آمال : تحب أو تحب قو لا يلق بالأدب
 نسيت للقصر ولي ولأبيك ما وجب

مراد بك : قد عرفناك يا أميرتي إننا أمس التقينا في معرض الجلاب

مراد مستمراً: ذهبت لأشترى فاشتراني وباعني
 غزالٌ بسهم المقلتين دمان
 هممت ولكن صاحب الصيـدر دني
 وصير سلطان البلاد مكاني
 ولم يدر أني فوق شأن محمد
 وشأن علي في الرياسة شاني
 إذا ما حوتني كفة رجح الذي
 رمى بي في ميزانه فخواني
 وجاء علي فاشترى

آمال : لست صادقاً بنى أمير للكارم بان
 مراد بك : وطار عن الوادي
 وماذا يعيبه ألم تخلق العقبان للطيران
 مراد بك يقترب منها :
 آمال لو تعرفينا آمال لو تعطينا
 مصطفى بالباب وقد سمع كلامهما «لنفسه»:

أرى شبح الجريمة حام حولي
 كما ناش الغريم الأفعوان

آمال لمراد بك :
 لا تدعني باسمي ولكن نادني باللقب
 مراد هذا هوس قف عند حد الأدب

مراد ما مقصورتى بمجلس لأجنبي
أخرج

مراد بك : على رسالك مولاتى

آمال : دعسنى . اذهب

مراد بك : بحق الحب مولاتى

آمال : ظلمت الحب با نادى

فما الحب فضولى ولا لى ولا فاجر

ولكن معدن النبل وكنز الخلق الامير

(تنحسر المماة عن جبهة مراد بك ليعلم أثر جرحه به)

(جبينه كان قد أصيب ٤ في مشرقه)

مصطفى احمد أن يرى أثر الجرح وهو بالباب :

إلهى هذا جرحه ذا مكانه

أما بان طول الامر تلجس لئلا

إلهى هذا الجرح فوق جبينه

مضت سنوات ما شغوى العلائق

لقد بارز الصبان بالسيف ناشئا

فصادف سيفاً خدش الرأس صارما

إلهى ارى أشياء ثم مهولة

وأشفق فيها من عقابك صارما

إلهى لا تجعله حقاً ومراً أكن
 بما أرا راء من عذابك حالما
 كنى غضباً يا ربُّ حسب عقوبة
 وحاشاك لم تظلم ولم تك ظالما
 إلهى كانت هفوتى عن غواية
 فبت فكن لى فيهما اليوم راحما
 آمال لمصطفى :
 وأبتسا

مصطفى : ليك آمال

آمال : إلى يا أبى

مصطفى : أحب بهذا الصوت أحب بالنداء أحب

آمال : أبى

مصطفى : ابنتى أنت هنا ؟

آمال : تعال قف بجانبى

مصطفى : لا بأس يا ابنتى علب لك دون ناديك دى

آمال : أبى لقد ديس العرين فى غياب الضيفم

مصطفى : من فى مقاصير الأمير ؟ ما أرى من الفتى ؟

آمال : ذئب بشكل آدم للصيد فى الغاب أتى

مصطفى [مبهما] :

خنجرى أين خنجرى اليوم منى

يفسل المار والديّة عنى

ففى أن يُريحنى من صبي

عابث ، أو يريحه هو منى

هو يطفى بسنه ساريه

أننى الليك ساعدى هو سنى

آمال : أبقي ما تقول ؟ ماذا قلت ؟

مصطفى : سلاحى

آمال : لا لا أبى لا ترغنى

آمال [لمراد بك] :

يربك إلا حقنت الدماء

مرادبك : دماى أنا أم دماى اللعين ؟

مصطفى : أتلعننى يا أضلّ الشباب

أتلعننى يا أعقّ البنين

مرادبك : ولّم لا وما لك من حرمة

مصطفى : ستعلم ما حرمتى بعد حين

سأقلع عيناً سمّت للباة

وأقطع رجلاً مشّت فى العرين

آمال : كفى هوساً أيتها الأمير

مراد بك : أبي هوسٌ ملكتي !

آمال : بل جنون

كفى جرأة

مراد بك : وعلامَ اجتأأت ؟

آمال : على امرأةٍ تحفظ الغائبين

مصطفى : مراد لك الويل من سادرٍ وقاحِ اللسان وقاحِ الجبين

هتكت على الحزن محرابه ودست على عبرات الحزين

ولم تحتشم في خطاب الشيوخ ولم ترج فيهم وقار السنين

مصطفى [لنفسه وهو يبحث عن خنجره] :

ربّ ضللّ يدي وحطّم سلاحي

ربّ لا تقضِ أني أقتل ابني

مراد بك : سيسبق سيفي خنجر الشيخ

مرحباً

مصطفى :

بسيفك من ماضى الحديد يمانى

فهاثِ مرادُ السيفِ هاتِ منيَّتى

أرخ من عذاب الحادثات جَنائى

مراد بك [وقد شعر سيفه] :

إلهى مالى قد غلبتُ على يدي

وما بالُ سيفي إذ همتُ عصاني

وما بال نفسي بعد طول جمودها
 قد انفجرت من رحمة وحنان
 عَفَوْتُ قَبْلُ يَا شَيْخُ مِلْ عَنِّي انْطَلِقْ
 وعش ناعماً في غبطة وأمان
 مصطفى : أميري ذا رأسي نخذه بضربة [يخرج مراد بك]
 عساني أرى هذء الضمير عساني
 مصطفى [لنفسه ، ويتبع مراد بك] :
 أَأَنْتِيهِ؟ لَمْ لَا؟ لَا. بل استأنِ مصطفى
 أَأَذْكُرُ لَابْنِي كَيْفَ خَسَّةُ شَانِي
 آمال لنفسها: وَيَجَ لِي وَيَجَ قَدْ قَسَوْتُ عَلَيْهِ
 وتجاوزتُ في العقوبة حَدِّي
 ما الذي استوجب الأمير وما أذنب حتى رددته شرَّ ردِّ
 وَيَجَ قَلْبِي يَحِبُّهُ كَذِبَ الْقَلْبِ
 وبعداً لِحُبِّهِ أَلْفَ بُعْدٍ
 هو مستهترٌّ على حجراتي
 وتناسى أمانة الزوج عندي
 لَا. بل القلب شغله بمراد هو شغل من الحياة وقصدى
 رَبِّ مَالِي أَحْسُ نَحْوَ مَرَادٍ
 شفقاً زائداً ولوعة وجد
 وحناناً كأنه رقَّةُ العشق جرى في دمي وولمي وجلدي

صدق الأولون ألآن أدرى
 كيف تجزى القلوب وداً بودّ
 كيف قلبي تجبه كيف تهواه
 بودّى لو تستفيق بودّى
 عبثاً أمر الفؤاد وأنهى
 وسدى أسترده عقى ورشدى
 كل نصيح يُقال للقلب فى التّرك
 وفى سلوة الهوى غير مجد .

لم لا أشتى مراداً وأهواه
 ومالى أغالب الشوق جُهدى
 ومرادُ الذُّ فى العين لمحا
 من سنا الصبح بعد ليلة سُد

ملكّ جاء حجرى بشرح الحبّ
 أفى الحقّ أن يُجازى بطرد
 لم لم أتخذ فى حادث الدهر
 نصيراً يرد عنى التعدى
 لم لم أتخذ بعد على
 ركن دنياى أو دِعامه مجدى

لا وربَّ الجلال والحقَّ «آمال»
 ارجعي للصواب «آمال» جدتي
 أنت من أمة تصون حمي الزوج
 وتقضي حقوقه وتؤدي
 ربُّ لا تجعل العلاقة إلا
 من سلامٍ إذا التقينا ورد
 ربُّ إن البلاء مني قريبٌ
 وأرى حفرةً وأخشى التردّي
 رب لا تقضِ أن أخون عليّاً
 وأعني على الوفاء بعهدي
 أنا حيرى وأنت تهدي الحيارى
 كيف أهوى على هوى الزوج عندي
 ثم مسترة: لا لا رويدك يا آمال لا تثبي
 على الأمير ولا تجزيه طغيانا
 واحمي حمي الليث في أيام غيبته
 إن اللبابة تحوط الغاب أحيانا
 هببه لم يخلع الدنيا عليك ولم
 يلبسك تاجاً ولم يُنزلك إيوانا

هبيه لم ينفجر قبل الزواج ولا
 بعد الزواج ولم ينهل إحسانا
 هبيه سافر في شأن له جَلَلٍ
 يبنى لدولته في الأرض أركاناً
 أما هو الزوج يُرعى حقَّ غَيْبته
 وتَجعل الحرّة الفضلى له شانا
 لقد أقامك في محرابه مَلَكاً
 لا تجعلى المَلَك المهدى شيطانا

سـتـار

الفصل الثاني

في قلعة ضاهر العمر صاحب عكا

« فناء قليل الضوء مبنى من الحجر انتشرت المصاطب في جوانبه »
« يطل من بعض جهاته على الميناء حيث يرسو الأسطول الروسي »
« في ناحية من فناء الدار بعض الجنود يتحدثون »

أحد الجنود: سمعتم الرعد؟

آخر: سمعنا القهقهة

بربكم هل في السماء مسبعة؟
أم في السماء وقعة ومعه

الأول: بجبل من الرغام انشقاً

أو كالنحاس بالنحاس دقاً

الثاني: والبرق لمحّة القبس أو زفرة حرّى النفس

أو كالدم القاني انبجس

شقّ الظلام وخفق على ملاءة الأفق

كَأَنَّهُ خِيَطُ الشَّقِّقِ

حبيش : ضرغام

ضرغام : ماذا يا حبيش ؟

حبيش : أَلَعَمَى لَكَ الْعَمَى

البرد زاد

ضرغام : صه أما في طوبة نحن أما

حبيش : ضرغام إني قد حسدت القوم في جهنما

ضرغام : اصعد إليهم إن أردت

حبيش : كيف ؟

ضرغام : هاك سلما

وانشد حماق بينهم وطف بها مسلما

حبيش ملاط : ملَّاط

ملاط : لَبَّيْكَ حَبِيشُ

حبيش : قم أخى لك العطب

ملاط : وما الذى أصنع يا حبيش

حبيش : جئنا بحطب

ملاط : من أين ؟

حبيش : قم خذكلما لاقت يداك من خشب

ملاط : كيف أَجُرُّ الساق والبرد بأطرافى ذهب

كَأَنِّي مَيِّتٌ الْيَهُودُ نَزَعَتْ مِنْهُ الرُّكْبَ
 حَيْشُ : يَالِكَ بَرْدًا قَارِسًا وَزَمْهَرِيرًا لَازِعًا
 لَا الصَّوْفَ فِيهِ وَاقِيًا وَلَا الْحَرِيرَ نَافِعًا
 ضَرْغَامُ : مَا الصَّوْفَ مَا الْحَرِيرَ لَا لَا أَعْطَانَا بَرَادَعًا
 حَيْشُ : أَنْظِرْ قَفَا صَاحِبِنَا كَأَنَّهُ بَغْلٌ ذُبُجٌ
 وَأَنْظِرْ أَهَاتِيكَ أَنْوُفٌ فِي الْوُجُوهِ أَمْ بَلَحُ ؟
 كَأَن كُلَّ رَجُلٍ فِي أَدْنِيهِ قَدْ جُرِحَ
 « تَسْمَعُ فَرْقَمَةً »

آخِرُ : صَوْتُ ١ ؟

ضَرْغَامُ : أَجَلُ ١

الْأَوَّلُ : مَا الصَّوْتُ ؟

ضَرْغَامُ . تِلْكَ فَرْقَمَةٌ

الْأَوَّلُ : وَأَيْنَ ؟

ضَرْغَامُ : عِنْدَ التَّرِكِ هَلْ مِنْ مَوْقَعِهِ ؟

[تَسْمَعُ فَرْقَمَةً ثَانِيَةً]

حَيْشُ : وَذَاكَ ؟

الْأَوَّلُ : مَدْفَعٌ وَتِلْكَ بُنْدَقَةٌ

اسْمَعْ ١

ضرغام : وما ذلك ا

الأول تلك طقطقه

أقدامُ خيل في الفضاءِ مُطلقه

ملاط : ربِّي متى ينقضي البلاءُ وتنقضي الحربُ والشتاءُ

حيش : ربِّي متى كنعم بالسُّلم متى
كم. ذا إلى كم نحنُ حربٌ وشتا

آخر : كم أنا كالفار شقي من خندق الخندق
أصحو على المدفع أو على صفيح البندق

حيش : قل لنا يا خرابُ ما هذه الحالُ متى تنتهي وأين المصيرُ؟
قدسئنا القتال واشتاقت الزوج إلى زوجها وحنَّ الصغير
وتركنا وراءنا الدور عزَّ القمح فيها وقلَّ فيها الشعير
وبنو ضاهري شرا بهمو العُساب والشهد قوتهم والفطير

آخر : كل حين يجيء من مصر جيش

ينزل القدس أو يحلُّ الشاما

وأمرُّ يقاتلُ الترك في مصر

أق شاهراً علينا الحساما

نحن ما بين مصر والترك ضعننا
 وسثمننا الحياة والآياما
 غم نحن بين راع وذئب
 أى هذين جاع كنا طعاما

آخر : وغداً ..

حيث : ما غداً ؟

الأول : بلالة عظيم

حيث وآخرون : كيف ! ما ذاك ؟

الأول : إسألوا ضرغاما

ضرغام : العمى للرجال ما تبصرون الفلك في البحر تشبه الأعلاما

آخر : فلك من ؟

فلك قيصر الروس في البحر تصب الردى وترمى الحماما

قطع من جهنم راسيات قعد الشر حولهن وقاما

وغداً ينزل الجنود فيه تلون هذى القلاع والآجاما

ملاط : إذن فأهلا بغدٍ إن غداً قد اقترب

آخر : كيف ! وماذا في غدا ؟

ملاط : فيه كرائم السلب

غداً نفوز بالسلاح والملابس القشب

آخر : وما على الصدور من قلائدٍ ومن صُلبٍ

وعادة الروس ينوءون بصليبان الذهب

[يدخل ضاهر المر ومعه حسين المصري]

ضاھر : وكيف حال الدار ؟

حسين : غابة الأسل

أو هي وكر النسر في رأس الجبل

ضاھر : وسهر الدار على الضيف الأجل

حسين : تحفظه حفظ الجفون للسقل

ضاھر : والشام ، كيف تجد الشام ؟

حسين : نزل يلق في جنة عدن للرسل

أنهارها من لبن ومن عسل لا شيء إلا في ذرا الشام كل

إن تخل من شيء فمن لحم الحمل

ضاھر [ويصنق] :

غضبان صعب يا عبوس يا نكد

صعب وغضبان : لبيك مولاي اقترح أشر تجد

ضاھر : امضوا اجمعوا الخملان من سوق البلد

وقدموها للضيوف منذ غد

[ينسحب حسين والخادمان]

يدخل خادم ويقول :
مولاي

ضاهر : ما ذا . . زائر آخر ؟

الخادم : لا سيدى ، بل هذه زاتره

ضاهر : امرأة أنثى ؟

الخادم : أجل سيدى

ضاهر : وما اسمها ؟

الخادم : لم ترض أن تذكره

ضاهر : هل صرحت من أين جاءت ؟

الخادم : أجل من مصر مولاي من القاهرة

ضاهر : وما سننها ؟

الخادم : غادة في الصبا تشبهها الزنبق الطيبا

وقد لبست حلة للسفار

وشالا كوشى الضحى مذهبا

تريد تقابل ضيف الأمير

ضاهر : تريد عليا إذن مرحبا

نم لنفسه : إلهى أنثى لدارى سمعت تريد عليا فما تطلب

ترى امرأة هى أم حبة تريد صديق أم عقرب

[يخرج ثم يعود بشمس]

شمس : سلامٌ لك مولاي

ضاهر : سلامٌ جارة الدار

فما أنت وما تبغين من ضيفي ومن جاري

شمس : رسولٌ أنا يا مولاي قد جئتُ بأخبار

جري في مصر الدهر بأحوال وأقدار

ضاهر : وما ذلك؟

شمس : لا أعطى سوى مولاي أسراى

ضاهر : هي تقدم فتش السنده

شمس : لا سيدى يحسن أن تبعده

مُر لا يمدَّ الوحش نحوى يده

الخادم ويتقدم نحوها :

ماضراً لو زحزحت الـ خادة فضل البرقع

شمس : مالك يا وغد ولد برقع دع عنك دع

الخادم : عمي لك يا عمر ما ذى غدا تُر لكنها أفعوان قبَعُ

وتلك الجفون سلاح مضي وسهم أصاب وسيف قطع

وفي الصدر غدارة ههنا وأخرى إلى جانبها تقَعُ

وهذا القوام كريح الأمير إذا اهتز في كفه أو لمع

أميرى أنزع منها السلاح

[يدخل على بك]

على بك بعد أن يسمع : سلاح الملاحه لا ينتزع

« ينزل ضاهر »

على بك لشمس :

أهلا بشمس بالرسول ومرحبا

بنسيم مصر ونفحة الأحباب

كيف الأحبة «شمس» هاتي خبري

قد طال بعدى عنهم وغياي

كيف الديار وكيف قصرى هل ترى

ترك القواصد والصنائع بابي

أتراهمو قد رددهم خدى وقد منعوا طعامى عنهمو وشرابى

وموائدى يا شمس كيف موائدى

والطاعمون بها وكيف رحابى ؟

شمس : مولاي طيب نفساً فبرك لم يزل

يمجرى وخيرك فى يد الطلاب

على بك : والناس شمس ؟

شمس : مع الأمير قلوبهم لكن سيوفهم مع الكذاب

الغزُّ والأمراء حول ركبهِ

على بك : وكذلك كانوا أمس حول ركبِي

والأزهر المعمور ؟

شمس : صاد محمد فيه الشيوخ وعاد بالطلاب

على بك : والشعب ؟

شمس : سال يا أمير كعبه قد مال عن باب وقام بباب

والترك قد نصبوه بعدك هرة يتصيدون بظفرها والناب

على بك : والقصر كيف القصر كيف صديقتي

وشريكتي في شذتي ومصابي ؟

أرأيت آمالا وكيف وجدتها ؟

شمس : لم نفترق مولاي

على بك : منذ ذهابي ؟

شمس : عزمت علينا أن نقيم بقصرها

وتعطفت وحنّت على الأتراب

على بك : فوجدتها يا شمس

شمس : خير عقيلة وأجل ربة منزل وحجاب

ملأت مكانك عزّة ومهابة

وكست حماك جلالة المحراب

سَهَرْتُ عَلَى ذِكْرِ الْأَمِيرِ وَعَهْدِهِ
 سَهَرَ اللَّبَاءُ عَلَى حَرِيمِ الْغَابِ
 لَوْ كُنْتَ أَمْسَ تَرَى رَأَيْتَ أَيْيَةً
 غَضَبِي عَامِيَةً عَنْ الْأَحْسَابِ
 عَلَى بَكَ : غَضَبِي ؟ وَمَمَّ وَمَا جَرَى مَارَاعَهَا ؟
 شمس : من سَافَلَ مُتَهَافَتَ دَبَابٍ
 عَلَى بَكَ : مَا ذَاكَ شَمْسُ مِنَ الْوَقَاحُ مِنَ الَّذِي
 نَقَلَ الْخَطَى مِمَّنَارِلِ الْغِيَابِ
 شمس لنفسها :
 رَبَّاهُ مَاذَا قُلْتُ لَمْ خَبَّرْتُهُ
 عَلَى بَكَ : قَوْلِي أُجِيبِي ؟
 شمس لنفسها : رَبُّ كَيْفَ جَوَابِي

شمس لعلي بك :
 ذَنْبٌ فَلَا تَجْعَلْهُ شَغْلَكَ سَيِّدِي
 إِنَّ الْقَذَارَةَ شَيْمَةٌ الْأَذْنَابِ
 عَلَى بَكَ : مِنْ ذَاكَ شَيْسُ ؟
 شمس : مَرَادُ
 عَلَى بَكَ : وَيَحْيِ لَهُ وَلِي وَيَحْيِ مِنَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ
 أَمْرًا دِيصْنَعُ ذَاكَ مَاذَا غَرَّهُ بِخِزَاتِي مَا غَرَّهُ بَثِيَابِي

والزوجُ شمس؟

شمس : استعصمت في دينها

ورمّت بزائرِها وراءَ البابِ

على بك لنفسه :

يا نفسُ قد خان مَنْ قَلَدَتْهُ ثِقَّتِي

وكان حولي لواءُ الصَّحْبِ والآلِ

هذا أبو الذهب استولى على شيعي

وحازَ دونيَ جاهي واحتوى مالي

واليوم هذا مرادُّ نال من شرفي

ما لا يمر لأعدائي على بال

على بك لشمس :

تعالَى نَجَلُ يا شمسُ في دار ضاهِرٍ

تعالَى نرى الجيشَ الحليفَ تعالَى

فَنَحْنُ اقْتَسَمْنَا الحِصْنَ ثُمَّ عِيَالَهُ

على كثرة اللاجي وثُمَّ عِيَالِي

« يدخل حين من باب ويدخل سعيد من باب آخر »

سعيد : حسين هنا ؟

من أرى مَنْ سعيد ؟

حسين :

سلامٌ حسين

سعيد :

سلامٌ سعيد

حسين :

سعيد : أأنت هنا لم تزل يا أخى تراقب في الشام حال الطريد ؟
 حسين : وكيف اقتحمت فناء العرين

وجاوزت هذا الحصار الشديد ؟

سعيد : بمال بذلت هنا وهناك وبالمال يُعطى الفتى ما يريد
 حسين : متى جئت من مصر ؟

سعيد : هذا الصباح

حسين : ومن كان معك ؟

سعيد : بغال البريد

حسين : وماذا بمصر من الحادثات ؟

وهل جد في أرض مصر جديد ؟

سعيد : حوادث مصر على حالها

وأمس القريب كأمس البعيد

حسين : وكيف محمد ؟

سعيد : خلفته كما يشتهي وعلى ما نريد

قبول يحرق قلب الحسود ودنيا تفيض وشأ يزيد

لقد نزل الريف في راحته وحج إلى قدميه الصعيد

ترى الأمراء على بابهم يقومون فيه قيام العبيد

وللفقهاء على داره صباح مساء زحام شديد

حسين : إذن قضى الأمر مصرنا
سميد : أجل ملكنا اليوم فيها وطيد

حسين : ركتي سعيد ؟ تجيء الأمير ؟
سميد : أجل وهي موضع إعجاب

يشير بها في أحاديثه وينشرها بين أصحابه
ونحن كلانا على باله غداً تلاقى على بابه
ونطعم أطيب إحسانه ونلبس أسبغ أثوابه
حسين : وما أتيت يا أخي تصنع في هذا البلد
سميد : ذلك سرى يا حسين لا يقال لأحد
حسين : حذار أن تقول أو تفعل شيئاً ينتقد
نحن بدار ضاهر دار العديد والعدد
الجمع يقظان بها وإن ظننته رقد
وكل جاسوس هنا عليه عين ورصد
وقد تظن ضاهراً مبتعداً وما بعد
وضاهراً ليل نهار في السلاح والزر
قد جعل الشام هي الغاب وطاف كالأسد
« ثم بعد فترة سكون »

سميد : حسين !

حسين : ماذا يا سعيد قل لي

سميد : أين ترى اصادف الآن على ؟

« يقبل على بك »

حسين : سعيد ألقم التمدد هذا الأمير مقبلا

يمشي الطوي بنا ونخسـال الأسد المستملا

سعيد : حسين ما له انحنى ما باله ترهلا

لأمشين حو

لا بأأخى بل ابق

حسين

لا

سعيد :

حسين : إياك أن نقول ما يغضبه أو تفعلا

فهو مهيب ههنا كاللبش في جوز الفلا

سعيد : لا نخش لا أكون إلا محسنا ونجلا

ألم يكن أمس أمير البلد المبعجلا

على بك لسعيد :

من المرء من أين من أرض مصر ؟

فهذا اللباس لاس الوطن

سعيد : أجل ملكي من رعاياكو

على بك : ومن مصر هذا اللسان الحسن

وما أسمك ؟

سعيد لنفسه : ما همه اسمي !

سعيد

سعيد لعل بك :

سعيد تذكرت من أنت من ؟

على بك :

سعيد لنفسه :

تذكرني عجب كيف ذاك
ولم نجتمع مرة في الزمن
تراه بي ارتاب ظن الظنون
تراه لما كلفوني كطين

على بك : وكيف تركت بمصر الأمور ؟

سعيد :
عواصف حول مراسي السفن
وجو الأمور من الحادثات كثير الغيوم كثير الدجن

على بك : وكيف تركت الأمير الجديد ؟

سعيد :
سقيم الولاية نكد الزمن
على بك : ولم يا فتى هل تولى الولي
وخان من الشيعة المؤمن

سعيد : أجل يا أمير ودب الخلاف

وثارت هنا وهناك الفتن

على بك : حديثك يا صاحبي لا يساغ

ولا تطمئن إليه الأذن
عساك تبالغ فيما تقول لعلك تخلق ما لم يكن
إذن لم يخن عهدي الأمراء ولم يقلب الترك ظهر المجن

ولم ينس أصحابي الفقهاء أياديَّ عندهم والمنن
ولا الشعب ملَّ الأمير القديم

ولا بالأمير الجديد افتتن
بلغت المدى أيُّ هذا الفتي رويدَ تانَ رويدَ تانَ
فما نحن في فلات الحجاز ولا نحن في ربوات اليمن
ولكن على الشام فوق الطريق

تمرُّ الركابُ بنا والسفنُ
وأخبارُ مصرَ وأحوالُها هنا سمرٌ للقرى والمدنُ

سعيد : وكتب الثقات إلى سيدي

على بك : وما هي من أرسل الكتب من ؟

سعيد : كتابان من عمر البحر كسي ومن حسن

على بك : من ؟ صديق حسن ؟

كتابان من مصر من صاحبي ؟

سعيد : أجل سيدي

على بك : سوف أغلي الثمن

وَأين الكتابان ؟

سعيد : خذ سيدي

خذ النعش خذ من يدِّي الكفنُ

« وينقض عليه بالنجس ليعقب علي بك على ساعده »

حسين لنفسه : أسفاه على سعيد فما أدرى إلى أين ينتهي أين يُمسى

نحن سيان في البلاء وأيدٍ طلبت رأسه ستطلب رأسي
هو في قبضة الأميرين لم لا أتوارى أنسل أنجو بنفسي

« ثم ينسل هاربا »

على بك : كيف ترى يا معتدى لقد وقعت في يدي
بدخل ضاهر ويقول :

اتركه لي يا سيدى

اتركه لي فإنه في دارى سطا بضيفي وسطا بجارى
على بك : من ؟ ضاهر ؟ بالنفس أفدى ضاهرا
أكنت معنا يا أمير حاضرا

ضاهر : كنت عليك يا صديق ساهرا
والآن أذهب يا أمير بصاحبي

على بك : أتريد تذهب باللائيم العادى
ضاهر : لم لا وفى دارى وبين عشيرتى
شهر السلاح على أمير الوادى
دعنى أحل به العقاب وخلصنى

أمنع حمى شرفى وحوض ودادى

سعيد في ضراعة :

مولاي !

على بك : ما بك قل ؟

سميد : بمصرَ وحقها

لا تُلقِ رَأْسِي فِي يَدِ الْجَلَادِ
مَوْلَايَ سَيْفَكَ بِي أِبْرُ فِسْلَهُ

إِنْ شِئْتَ فَاقْتُلْنِي بِسَيْفِ بِلَادِي
ضَامِرٌ : حَسَنٌ قُمْ أَنْهَضْ يَا بَنِي قُمْ الْطَالِقُ
فَلَقَدْ طَلَبْتَ الْخَيْرَ عِنْدَ جَوَادِ

أَنَا قَدْ وَهَبْتُكَ لِلْأَمِيرِ وَقَدْ عَفَا
إِنْ الْأَمِيرَ بِكُلِّ فَضْلٍ بَادِي
عَلِي بَك : أَلَا نَ سَعِيدُ

سميد : أَمِيرِي قُلْ ؟

تَكَلَّمْ أَيْنَ نَبِيٍّ مِنْ أَمْرٍ
عَلِي بَك :
وَمَنْ بِذَلِكَ الْمَالِ بِي مُغْرِيَا
وَكَيْفَ أَتَاكَ جَوَاذُ السَّفَرِ
تَكَلَّمْ أَيْنَ

سميد : سِيدِي أَعْفَى
عَلِي بَك : قُلِ السَّرَّ لَا تُخْفِهِ لَا تُخَفِّفْ
أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ الْمُجْتَرِي ؟
فَلَا خَيْرَ فِي أَنْ يَذْبَعَ الْخَبْرُ
فَسَرُّكَ عِنْدَ صَدِيقِ الْعَمْرِ
قُلِ الصَّدَقُ تَأْمِنُ بِهِ كُلُّ شَرٍّ
وَعَبْرٌ مُرَادٍ بِهِ لَمْ يُشْرُ
سميد : مُرَادُ أَشَارَ بِقَتْلِ الْأَمِيرِ

على بك : مراد ؟

سميد : أجل إنه المعتدى وما أنا إلا سلاح شهيد
على بك « ملتفتا بظاهر العمر » :

سمعت أخي ما يقول الغلام عدو من الأهل ثانٍ ظهر

إذا ما بغى الأهل والأقربون

فكيف من العالمين الحذر

« يخرج الظاهر يتغيب لحظة ثم يمود فيقول »

ظاهر : أميري

على بك : من صاحبي ظاهر ؟

ظاهر : هنالك مولاي ضيف حضر

على بك : ومن ؟

ظاهر : قائد الروس في عكة أيدخل مولاي أم ينتظر ؟

على بك : أمير على البحر ماذا يقود ؟

ظاهر : بوارج للروس مثل الجزر

على بك : وماذا ترى أنت مرني أشتر

ظاهر : تلاقيه فهو جليل الخطر

على بك : ألاقيه ؟

ظاهر : لم لا وما في اللقاء إذا ما سمحت به من ضرر

« يصفق الشيخ ظاهر فيدخل القائد الروسي محاطاً برجال »

« الشيخ ... ويخرج ظاهر وسعيد ورجال الشيخ »

القائد : التحياتُ للأمير

على بك : تحياتُ وأهلا بسيدي الربان

أدنُ خدُ مجلساً بجني تفعل

القائد : عشت مولاي مولاي الإحسان

نحن جاران يا أمير ولكن نحن في منزلين مختلفان

أنت كالليث رابضاً في الصحارى

وأنا الحوت في العباب مكاني

على بك : غير أني مقيد بخطوب

حبست همتي وردت عناني

القائد : لا تضق يا أمير ذلك أسطول

لال البحار نور المواني

سفن القيصر العظيم قصور

لك إن شئت زينت ومغان

على بك : أشكر القائد النيل وإن لم

يحه ما في خطابه من معان

مستراً : أنا في دار ضاهرو هي داري

مع أعوانه وهم أعواني

أنا في دار مسلم عربي

مانع الدار مكرم الضيفان

أنا في الدار أول مند هاجرت إليها وصاحب الدار ثان

القائد : سبأي ألب شاهراً ونقلاً

نجدة القيصر العظيم الشأن

لا ترومن بالمعصاة ملك مد

الملك الملائكة الحسام الجاني

كيف نبغى سرير مصر بشيخ

بدوي بصارم وحصان

على بك : بكريم من الرجال أبي عبقري الوفاء والإحسان
فزن القول يا نبيل وأمسك لاتنل ذكر صاحبي بهوان

القائد : ما أهنت الصديق مولاي لك

قلت أحسن تخير الأعوان

على بك : ليست النجدة البوارج كالاعلام

تطوي اللجاج كالطوفان
ليست النجدة الحديد ولا النار

بأيدى المشاة والمرسان

ليست النجدة اصطفاف العوالي

والتفاف العروش والتيجان

ما النجدة الحق إلا صاحب دمه

عند البلاء دمي أو ماله مالي

أخ قديم كعرق التبر خلته

لم أسق من وده إلا بسلسال

وعرضه عندي الغالي وإن بعدت

به الديار وعرضي عنده الغالي

القائد : كصاحب الدار؟

علي بك : لم لا ضاهرٌ رجلٌ
من المروءة لا عطلٌ ولا خال

« بقا نسي »

القائد : والملك مولاي ملك الضفتين

علي بك : أجل
الملك يا قائد الأسطول آمالي

القائد : إذن فتلک سفین القیصر اضطجعت
على فراسخ من عكا وأميال

فاركب أميري فيها واثت مصر غداً
في الدارين وفي الفولاذ والمال
لعلنا ندخل الوادي ممأ وعسى
على اوائك يغزو الترك أبطالي

علي بك : نمضي فتفتح مصرأ ثم بدخلها
أمنيّة الدهر تأتي لي وتسعى لي
غداً أحلُّ بأعدائي العقاب علي
ما استمرأ وأمس من قهرى وإذلالى
« يدخل ضاهر »

علي بك لنفسه : رباه ماذا يقول المسلمون ندأ
إن خنت قومي وأعماهم وأخوالي

يُقَالُ في مشرق الدنيا ومغربها
فعلتُ فعله ندل وابن أنذال
على بك [القائد] : أجل سموتُ لملك النيل أطلبه
بهتني وبأفدامي وأفعالي
لا أستعين على الأهل الغريب ولا
أرمي الذئب على غابي وأشبالي

القائد : مولاي تلك معاني تحتها كرم
ليست لمن طلب الدنيا بأشغال
على بك : بعداً وسحقاً لعلياء الأمور إذا
لم ألتبسها بخلق فاضل عال
الموت في ثمر ترقى لتجنيه
في سلم من ثعابين وأصلال
القائد : إذن أميرى فالأسطول منتظري
والبحر يسأل عن شأن الأميرال
على بك بصوت منخفض :

إذهب فما أنت دار ماغد فعي
يغير الله من حال إلى حال

« ينصرف القائد وبشيمه ضاهر وأتباعه »

على بك لنفسه :
رباه ما بالي أبعد محمد وعقوقه أشقى بكيد مراد

أنا صخرةُ الوادى براوحُ عاصفُ
ركنى ويبكرُ عاصفُ فينادى
حملتُ كواهلَ الخطوبِ كما حوتُ
هوجَ الرياحِ مناكِبُ الأطوادِ
ولقد تركتُ وراءى الوادى وما
بالضفتينِ قتي يحوطُ الوادى
لم يبقَ فى مصرٍ ومصرُ عزيزةُ
من قائلِ هذى البلادُ بلادى
الذئبُ يرتعُ فى الديارِ ويرتعى
والشعبُ يسرحُ كالقطيعِ الهادى
نقلَ الزمانُ زمامه ورمى به
من فائعِ باغٍ لآخرِ عادى
ويحى فما وقف الرجالُ كموقفى
من ظلمِ أحبابٍ وكيدِ أعادى
فهنالكِ فى فسطاطِ مصرِ محمدُ
جشيعُ العداوةِ لا يملُ طرادى
حتى حوى بيدٍ مواكبَ دولتى
وحوى بأخرى طارفى وتلادى
مالى محمدُ الأثيمُ يكيدُ لى
ومرادُ الباغى يدوسُ وسادى

عجبُ العجائب مصرُ صارت ضيعةً
 لمحمدٍ ورفاقه الأوغادِ
 ذئبٌ أتى الأتراكُ في الوادى به
 خلعوا عليه إمارةَ الأسدِ
 وبقيتُ في أرضِ الشامِ مُشرِّداً
 حيرانَ ليس لحيرتى من هادٍ
 قد نمتُ عن حقى وتاركُ حقِّه
 لاقى الخسارَ على الندامةِ غادِ
 مالى قعدتُ وتركيا مقهورةً
 والروس حولي يخطبون ودادى
 أسطولهم ييدى وقائدهم معى
 سأصيبُ جُندى عنده وعتادى
 لا يا علىُّ رويدَ في الغضبِ اتدِ
 ما تلكَ خطةٌ حكمةٍ ورشادِ
 ماذا جنتَ مصرُ على وأهلها
 إن الجناةَ علىُّ هم أولادى
 ماضٍ مصرَ وضررتنى إن لم تكنُ
 مهدى وكان بغيرها ميلادى

بلد رعانى فى الصبا وأحلنى بعد الشباب مراتب القواد
 ودخلته عبداً كيوسفَ مُشترىً
 فاعتضتُ تيجاناً عن الأصفاد
 لا يا علىُّ اسمعُ نُهاكَ ولا تُصخ
 لوساوسِ الشهواتِ والأحقاد
 لا ترمِ بالروسِ الشداد جماعة
 ضعفاء مهزولينَ غيرِ شدادِ
 لاتنسِ موضع مصر واذكر مالها
 من أنعم سلفتُ وبيض أباد
 لا تنسَ ماذا ألقتُ من سامر
 لك فى الشبابِ وهيات من ناد

شمس : أميرى

على بك : شمس سمعت النجى ؟

شمس : أجل سيدى وعلبت الخبر

على بك : فإذا ترين ؟

شمس : أرى الخطبَ جل وأنت عليه جليل الصبر
 وما زدتُ علماً بحلم الأمير ولا خلقه الأريحي العطر
 دع الروس لا تنتصر بالغريب وبالله بالأقربين انتصر

علي بك : وأين هو شمس ؟

شمس : هم في يدك وتحتَ لوائك مُرقل أشر
أصبح لسجايك فالخير فيك

علي بك : وليس يُقابل إلا بشر
أبو الذهب الفِرُّ بالترك لاذ

وفي مصر في غدها ما افتكر
وكم قد غزاها على رايتي وكم من سلاحٍ عليهم شهر
وكنّا خططنا انتشال البلاد

وإنقاذها من عتو التتر
وأن نستقل بسلطانها ونهضها في النواحي الآخر
شمس : تركت ورأى ما تبغى من العون والمدد المنتظر
علي بك : جموع ؟

شمس : هناك على الصالحية جمع كسرب الجراد انتشر
وينتظرون ركاب الأمير كمثل انتظار النبات المطر
« يمود ضاهر »

ضاهر : ضاهر عند ظن مولاي فيه

علي بك : من ؟ صديق خي حليقي ضاهر ؟

ضاهر : قد سمعت الذي جري ولست الفضل والنبيل والسجاي الطواهر
عزوتي سيدي ونفسي ومالي

في الذي شئت ما الذي أنت أمر

نَحْنُ إِيْلْفَانٍ يَا أَمِيرِي عَلَى الْأَرْضِ
وَالْفَانِ فِي مُتُونِ الضَّوَامِ

وَمَعِيَ مَدْفَعَانِ مِنْ سَلْبِ التَّرِكِ
وَتَلُّ مِنْ السُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ

وَالْمَوَاشِي كَثِيرَةٌ فِي ضِيَاعِي
وَالطَّرِيقُ الطَّوِيلُ بِالْخَيْرِ عَامِرُ
كُلُّ شَيْءٍ كَمَا يُحِبُّ مَهِيًّا فَتَى الظُّعْنُ سَيِّدِي مُرْسَاْفِرُ

عَلَى بَكْ : غَدَاً الظُّعْنُ يَا أَخِي قُمْ تَاهِبْ
إِنَّمَا الْغَنَمُ لِلْخَفِيفِ الْمَبَادِرِ
ضَاهِرُ اسْمِعْ هُنَاكَ فِي مَصْرَ

ماذا ؟

ضاهر :

أَهْبَةٌ يَا أَخِي وَجَيْشٌ مَنَاصِرُ

عَلَى بَكْ :

مِنْ صَحَابِي الْمُسْرِدِينَ وَأَتْبَاعِي وَمِنْ كُلِّ حَافِظِ الْعَهْدِ ذَا كَرِ
إِنْ جَمَعْنَا إِلَيْهِ جَيْشَكَ سَرُّنَا وَأَخَذْنَا عَمْدًا أَخَذَ قَادِرُ
وَانْتَزَعْنَا الْبِلَادَ مِنْ قَبْضَةِ

التَّرِكِ وَمِنْ كُلِّ فَاسِقٍ الْحَكْمُ سَادِرُ

أَنْ أَنْتَقِذَ الْبِلَادَ فَإِذَا أَنْتَ رَاةُ

هَلُمَّ وَالْجَيْشُ حَاضِرُ

ضاهر :

علي بك : حاضر^ه ؟ فلنسر^ر إذن
 ضاهر : يعيرون الله في حفظه بأيمن طائر^ر
 ثم يصيح : عَرَبَ الشام تلك مصر^ر دعتكم
 جماعة من عرب الشام : أَلَفَ لَبَّيْكَ مصر^ر لَبَّيْكَ ضاهر

سنتسار

الفصل الثالث

« الوقت بعد الغروب — في سرادق محمد بك ابو الذهب »
« بالصاحبة حيث دارت رحي الحرب بينه وبين علي بك . »
« في الوجه محمد بك راقدا على سرير وعثمان الجاسوس التركي »
« يكبس قدميه . في أحد جواب السرادق جماعة من البكوات »
« يتحدثون ويلعبون الشطرنج . في الجانب الآخر خادمان مصريان »
« مشغولات بتنظيف ملابس محمد بك ابو الذهب ... »

أحد الخادمين للأمر :

ولدى زعزوع أنصتُ أصغ للحقِّ المبين
نحن في أيام جهلٍ وبلاءٍ وجنون
نحن فوضى من مراح الشاة للخدر المصون
في زبون من حروب الأهل في إثر زبون
ورؤوس في الصواني نُزعتُ منها العيون
وعزيرٌ هان ما كان بيالٍ أن يهون
أصبح الناسُ على السوادى بلا دنيا ودين
حركات كالسكون وحياة كالمتون

وَقَفَ الْحَاكِمُ مِنْ كُلِّ رَخِيسٍ وَثَمِينٍ
 مِثْلَ مَا قَدْ وَقَفَ الدَّائِنُ مِنْ مَالِ الْمَدِينِ
 وَشَرِيكَ الشَّعْبِ فِي كَدِّ يَدَيْهِ وَالْجَبِينِ
 وَشَرِيكَ فِي الْأَوَانِي وَشَرِيكَ فِي الصَّحُونِ
 الْآخِرُ : يَا شَيْخُ هَذَا بَلَدٌ أَحْمَالُهُ بِلَا عِدَدٍ
 مِنْ سَلَفٍ وَكُفٍّ وَمِنْ نَكْوِسٍ وَفِرْدٍ
 وَكُلُّ يَوْمٍ مَطَرٌ مِنْ الضَّرَائِبِ الْجَدِّ
 وَتِلْدُ الْفِرْدَةِ مَا لَا يَعْلَمُونَ مِنْ وَلَدٍ
 عَلَى الْحَمَارِ فِرْدَةٌ وَفِرْدَةٌ عَلَى الْوَتْدِ
 وَفِرْدَةٌ عَلَى اللَّجَامِ وَهُوَ حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ
 وَفِرْدَةٌ عَلَى بَرَادِعِ الْحَصِيرِ وَاللَّبْدِ
 مُسْتَمِرًّا : يَا شَيْخُ لِي نَعِجَةٌ غَرَامِي وَكُلُّ هَمِي كَانَا إِلَيْهَا
 الْأَوَّلُ : مَا صَنَعْتَ مَا الَّذِي دَهَاها
 الثَّانِي : قَدْ ضَرَبُوا فِرْدَةً عَلَيْهَا

فَهَنْقَتْ ذِرْعًا بِذَاكَ حَتَّى ذَبَحْتُ شَاتِي وَطِفْلَتِيهَا
 الْأَوَّلُ : مَا قَدْ دَهَاكَ دَهَانِي وَمِثْلُ شَأْنِكَ شَانِي
 أَتَيْتُ طَنْطًا لَشَغْلِي وَكَانَ تَحْتِي أَتَانِي
 خَرَجْتُ مِنْهَا مَعَ اللَّيْلِ مُسْبِلًا طِيلَسَانِي
 فَرَّ فَوْقَ طَرِيقِي مِنْ لَا أَرَى وَيَرَانِي
 أَغَا عَلَيْهِ سِلَاحٌ فِي صُورَةِ الشَّيْطَانِ

فصاح بي قف ترجل لقد سرقت أتانى

الثانى : وما جرى ؟

الأول : قلت له بل الأتان لى أنا

فقال ذاك أمس إلا أنها اليوم لنا

بل هى لى وحدى فدعسها لى وامض من هنا

ثم رماني بيد كأنها كف النمر

ثم اعتلى ظهر الأتان

الثانى :

ثم ؟

الأول : لكن لم يسر

حتى سمعت هذة وصرخة من النهر

وأبصرت عيني وراء الليل آية القدر

حمادى تجمرت مثل تجمد البشر

فأغرقت راكبها وغرقت على الأثر

مبشر بك لثمان بك [فى نهكم واستهزاء] :

لقد رأيناك ضحى اليوم تضحى من الجبل

فوق حصان كالغزال رقعة وكالحمل

عثمان بك [و غضب] :

كذبتمو قد كان تحتى سيد الخيل «بطل»

لا حمل ولا غزال هو لكن الوعل

كالأفعوان في الشهاب والشهاب في القلل

مهميش بك : وقد تمايلت على السر ج تمايل الثمل

وقد تدلى بطنك الضخم عليه وانسدل

كأنك المحمل والحصان تحتك الجمل

عثمان بك : مهميش عبت حصاني ولم تدع لي اعتبارا

هذا جزاؤك عندي خذ هاك مني عيارا

« ويطلق عليه غدارته »

محمد بك : عثمان

ملكى

عثمان بك :

محمد بك : لا ترع قد كان من حزب على

كفيتنيه فتول اليوم ما كان يلى

هيو احملا جثته هيو اذهبوا بالرجل

« يخرج به البكوات والخدم »

« عثمان الجاسوس وهو يكبس قدم محمد بك »

عثمان لنفسه : خدمته والله ما خدمت إلا دولتى

ككبسته والله ما كبست إلا حاجتى

خادم تركيا أنا ما أنا خادم النبي

كم من حرير فى نواحي صدرتى وذهب

هاتيك ألقابى وتلك شرطى ورتبى

بما بلغت فى رضا الله وطاعة النبي

وتحت أعلام السلا طين السيوف القضب
أقست في مصر سنيس أنزوى وأختي
وأنا حيناً ماهن وأنت أحياناً صبي
أرمت أخاً على أخ وأصدم ابناً بأب
لم آل حكم الغز جهد الباحث المنقب

« يفتق محمد بك بنده دلي و ذمام »

محمد بك : ماذا يقولون عنا في مصر يا عثمان ؟
عثمان : عهد الأمير رخاء و غبطة وأمان
فصر راض بنوها والاس فيها لسان
يقول إن أميرى بحبه السلطان
محمد بك : والأمراء منهم مخاله عضبان
عثمان : الأمراء جميعاً ببابكم أعوان
لا يذكرون علياً و بيته مذ بانوا
فما لغيرك صيت ولا لغيرك شان

محمد بك : صدقت هم حيث كان الجدد في مصر كانوا

يقول جندى ويقول لمحمد بك :

مولاي عندي أخبار سوء وقفن في في فهو حائر

محمد بك : أنت رسول ؟

الجندي : أجل

محمد بك : بين إلام القتال صائر ؟

الرسل لا يسألون عما

بعد المناعى ولا البشائر

الجندي : مولاي

محمد بك : ماذا ؟ عجل . تسكلم

الجندي . دارت على جيشنا الدوائر

محمد بك : وما الذى كان من على ؟

الجندي : أعين فى أمره بضاهر

محمد بك : وفاز ؟

الجندي : فى أول التلاقى بقوة الشام والعشائر

محمد بك : إذن هلكنا ؟

جندي آخر وهو داخل : لا يا أميرى بل أنت ناج بل أنت ظافر

محمد بك : من قال ذا ؟

الجندي : شاهدا عيان

محمد بك : من أين ؟ ممّن ؟

الجندي : من العساكر

« يدخل الجنديان ويقبهما خدم يحملون صينية كبيرة »

الجندي : ها هما

محمد بك : مرحبا

الجنديان : عوافٍ حياةً

محمد بك : أوجزا

الجنديان : نحنُ موجزانُ المقالا

هُزِمَ الْجَيْشُ صُبْحَ أَمْسٍ وَلَكِنْ

عَادَ نَجْمُ الْعَدُوِّ ظَهْرًا فَلَا

لَحْمُنَا عَلَيْهِ حَمَلَةٌ صَدَقِ وَحَوِينَا الرِّجَالُ وَالْأَمْوَالُ

محمد بك لأحدهما :

زِدْ، أَبْنُ

الجندي : مَا قَصَرَ الْجَيْشَانِ ضَرْبًا وَطَعْمَانَا

« يَقْبَلُ الْبُكَوَاتِ »

محمد بك للجندي :

وَأَبُو مَيْلَةٍ (١) ؟

الجندي : غَشَى سَاحَةَ الْحَرْبِ دُخَانَا

أَحَدُ الْبُكَوَاتِ :

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ هُنَا ظُلْمَتَهُ وَاللِّبَانَا

وَسَمِعْنَا مِنْ هُنَا رَجَّتَهُ وَالْدَوْرَانَا

(١) مدفع من صنع واختراع محمد بك أبو الذهب .

محمد بك : اختراعى مدفعى قد ظهر اليوم وبانا
ومُرَاد؟

الجندي : كان كالليث لحاظاً وجناناً
شد بالزارة والوثبة في الحرب قُوانا
كلما انهار حصانٌ تحته احتلَّ حصانا

محمد بك : ثم ؟

الجندي : رمى بنفسه على على في الرحي

محمد بك : ثم ؟

الجندي : نجادا فلم يدعه حتى جرحا

محمد بك : أين هو الآن

الجندي : على آثارنا على سرير لينٍ مُظلل

يخدمه الناسُ ويُعنونَ به

كالولد الممهد المدلل

محمد بك همساً لعثمان :

عثمانُ هذا علوى لاتنسَ رأسه غداً

محمد بك للجندي :

تلك رؤوس شيعته . ومن سعى لنصرته . من بيته وعزوته

« يأخذ الجيش في العودة من ميدان القتال في أزياء شتى بين »
 « الضجيج المتواصل من الطبل والزمر ، وتقبل طائفة طائفة »
 « فيمر بخيمة محمد بك ، وكلها طافت به جماعة خرج إليهم »
 « البيك فينثر عليهم الذهب وهو يقول »

محمد بك : خذوا خذوا خذوا خذوا إني أنا أبو الذهب
 خذوا املأوا أيديكم من الشعاع المنسكب
 الجماعة : سلمت يا أبا الذهب وعشت أعطى وتهب
 أخجل جودك السحب

الجيش والنظارة يهتفون ممأ :

بنى الوادى قفوا حيوا اللواء
 وغطوا الأرض وردأ السماء
 رجوتهم من وراء الحرب نصراً
 وهذا النصر بين يديه جاء
 هو الرمز المقدس فاتبعوه وموتوا في القتال له فداء
 عليه ضجة الفرح ابتهاجا بطلعته الحبيبة واحتفاء
 كأن وراء هيكله خيالاً
 من الشهداء والجرحى تراءى

على قدم حيوا العَلَمُ
حيوا الشعار حيوا الفخار
رمز الوطن مجد الديار

أحد القواد القادمين :

سیدی فُزْتُ بالمُنَى هو ذا الجيش قد رَجَعُ
وَهَبَ اللهُ نصرَهُ للبريدین والتَّبَعُ
وعلى وجيشه شَبَعَتْ منهما الضبُعُ
ليس يُدْرِى أُمَاتُ أم في يد الجُند قد وقع
عبد بك : أجل أرى الجيش اقترَبُ نشوانَ بالغِ الأربُ
يرسل رنةً الطربُ

مريق من الجند يتغنون من خارج الخيمة :

سَلِمَتْ يا أبا الذهب وعشتَ تُعْطَى وتهبُ
أعجل جودك السحبُ

جماعة أخرى من الجنود والنظارة يهتفون :

يا عسكر النيل بالسلامه يا عسكر النيل بالسلامه

ظفرت بالنصر كل حين وفزت بالعز والكرامه
 في يوم سلم وفي قتال وفي رحيل وفي إقامه
 فاشهدت القتال إلا رفعت للضفتين هامه
 أبلتتمو قادة وجنداً بورك في الجند والزعامه
 قد شيد الله مجد مصر والجيش من مجدها الدعامه

جماعة آخرون :

هلم خيل الوطن تخايلى فى الرسن
 اليوم أنت مطلقه حممه وطقطقه

محمد بك ابو الذهب وينثر الذهب :

خذوا خذوا خذوا خذوا خذوا خذوا
 خذوا املاوا أيديكم من الشعاع المنسكب
 الجماعة : سلمت يا أبا الذهب وعشت تعطى وتهب
 أنجبل جودك السحب

أحمد البكوات :

ملكى

محمد بك : ما جرى ؟

تأمل أسير

الأول :

سیدی من عواهل الشام كهل

على بك الكبير

محمد بك : من يسوق الرجال ضاهر الشام
عانٍ عليه قيدٌ وغُلٌّ

« يدخل ضاهر يحوطه الجند »

محمد بك : ويحهم ذاك ضاهر ما لجندى
قد غوروا ما لقادة الجند ضلوا
كثر الجند في الحديد عليه
وهو كالليث في الحديد يدل

محمد بك ، ويتقدم منه :

ما أرى ضاهر يساق أسيراً
أنت من ذاك يا أمير أجل
أيها الجند ضاهر صار لي ضيفاً
نفلوا سبيل ضيفي خلوا
من فلسطين أنت ضاهر أم من أرو لبنان أم لك الشام أصل ؟

ضاهر : كل هذا هناك مولاي أصل
واحد يجمع الرجال وفصل
عرب كلنا ومنطقنا الفصحى
وآباؤنا نزار وذهل

محمد بك للهند :

ما صنعتُم بسيفه ؟

أحد الهند : هو عندي

محمد بك : هاته فهو مخرمٌ لا يحلُّ

محمد بك ويناوله السيف :

خذ تقلد والله ليس لهذا الظفر

إلا يدَ الحُصور محلُّ
أنتَ خيلٌ للبائسين وفيَّ وهو أيضاً لهم صديقٌ وخلُّ

ضاهر : لستُ أنسى لسيدى الفضلَ ما عشتُ

محمد بك : وهل في رعاية الحق فضلٌ

قد رددنا على السموءل سيفاً

كان دونَ الوفاء أمسٍ يسرُّ

ضاهر : كيف أمشى في الشام أو في سواها

ألبسُ العزَّ حين جارى يذلُّ

ذاك سيفي فأينَ إكرامُ ضيفي

مالى اليوم غيرَ ضيفي شغلُّ

محمد بك : من إعلى ؟

ضاهر : أجل ومن كملُّ

سيدى قيلَ في خلا لك برُّ
ليس يحصى وفي سجاياك نبْلُ

قد تركت الأمير في شدة الـ

سكر بـ وغادرتُ جمعنا وهو فلُّ
ما الذي أنت صانعٌ بعلِّ ؟

محمد بك : غايةُ الخيرِ فهو للخيرِ أهلُ

هو في قصرِه كأمسِ المفدى

بين أولاده الأميرُ الأجلُّ

ظاهر : أسروني ولو بقيت طليقاً

محمد بك : ما الذي كنت صانعاً ؟

ظاهر : كنت تلو

كيف أنبى اللواء حول حليقي

وأرمتُ الصفوفَ إذ تضجِلُّ

محمد بك : بل ستبقى بمصر ضيفاً علينا

مصرُ دارُ للأكرمين وأهلُ

ظاهر : ورجالي

محمد بك : سيلحقونك فيها لك عندي وللشيرة نزلٌ

ظاهر لنفسه :

ذاك الغدرُ والماليك فيهم

من قديم الزمان غدرٌ وختلٌ

« يشير محمد بك الى جماعة من رجاله فيخرجون بضاهر »

« يقبل مراد في جماعة من الجند »

محمد بك : ما أرى ؟ ماترون ؟

أحد الحاضرين : هذا مراد

محمد بك : هو ذا جرّ ذيله إذلالا

مراد بك : التحيات للأمير

محمد بك : مرحباً مرحباً تعال تعالا مراد

مراد بك : ألف بشرى مولاي

محمد بك : أهلاً وسهلاً أدن منى أعانق الربابا

« يا الله »

مراد بك : قد بلغت الآمال

محمد بك : لم لا وماعلقت إلا بسيفك الآمالا

كيف كان القتال؟ أين تركت الجيش ؟

مراد بك : خلني مظفراً محتالاً

بعد حين يمر من ههنا الجيش على سيدى رجالا رجالا

محمد بك : وعلى

ترصكته في يد الأسين قد ناء بالجراح ثقالا

بعد حين يأتي به الجند محمولا مسجى إذا استطاع انتقالا

« جماعة من الجند يتنثرون خارج السرادق »

سلمت يا أبا الذهب وعشت تُعطى وتهب
أخجل جودك السحب

« يخرج محمد بك في جماعته لتحييتهم »
« في هذه الأثناء يتقدم مصطفى اليرجى جريحاً من مراد بك زاحفاً على الأرض »
مراد بك: يا عجائب الحياة ما أرى هذا اليرجى

مصطفى اليرجى: اليرجى مصطفى

مراد بك: أنت الذي برزت لي من ساعة
مصطفى: أجل لآلئ من حُسامك الردى
مراد بك: لقد جرحت من يدي لم تمت

مصطفى: إني أحسُّ أجلى الآن دنا
مولاي لا تقطع حديثي وانتظر
عجائب الحياة فوق ما ترى

مراد بك: وهل عجائب الحياة غير ما يجرى هنا الآن؟
مصطفى: أجل وما جرى

مراد بك: فمت إذن وأعفى
مصطفى: لا بل أقم

واسمع فقد يُنجيك ما أروى هنا

مراد بك: سرٌّ ؟

مصطفى : أجل وقد ينالك الأذى

من أن أموت أنا والسرُّ معاً

مراد بك: إذن فقم إبقِ تأخر ساعة قل ما لديك ثم مت كيف تشاء

مصطفى : أهكذارباك جافٍ خشنٌ من الممالك مضيق الوفا

ليتك عشت راعياً في وطنٍ مهذبٍ الفتية صالح النشأ

مراد بك: دَعِ الفضول واحترس يا مصطفى

أنت غيٌّ لست تدري من أنا

أما كفالك أمسي أن أخرجتني أنا وقدمت علياً فاشترى

مصطفى : أنت محبها ؟

مراد بك : أجل

مصطفى : أنت

مراد بك : أجل

مصطفى : حذارٍ يا مراد من هذا الهوى

مراد بك مضطرباً :

ولم ؟ وما آمال ؟ أمي من دمي ؟ أم هي لحي

مصطفى : هي والله هماً

مراد بك : أختي ؟

مصطفى : أجل أختك

مراد بك : يال يالها من هول ما كنت عليه مقدماً

مصطفى : مراد أنت في صعيدٍ واحدٍ
 ضربت بالسيف المُرِّيَّ والآبَا
 مراد بك : ومن أبوها وأبي أنت ؟
 مصطفى : أجل أنا الذي باع الفتاة والفتى
 أنا الشقيُّ بائعُ ابنه
 مراد بك : أبي ما بعنا إلا لندركَ الغنى
 مصطفى : مراد أدركنى
 مراد بك : فذاك يا أبي
 رُوحى وإن قلت لك الروحُ فدى
 مصطفى : أنظر مرادُ أنا فى النزاع وما يُغنى المُفدُّون إذا النزاعُ أتى
 سَقْتُ لك الرقَّ وسقت الموتَ لى
 والرقُّ والموتُ على حَدٍّ سَوَا
 مراد بك : أعفُ أبى عني أتغفو يا أبى ؟
 مصطفى : القلبُ عنك وعن السيفِ عَفَا
 بل اعف أنت يا مراد عن أب
 باعَكَ طفلاً كبدِيعَةِ الدِّمَى
 ما رحمَ الدمعَ بعينيك ولا رَقَّ لذلك البُكى ولا رثى
 مراد بك : وأأسنى وأندى أبى عليك قد مُغنى
 أفق أبى تَكَلَّمْ

مصطفى : مراد ! لا يقوى في

« ويموت مصطفى »

مراد بك : مات انتهى ربَّ ارحم

« مراد بك يلقى عليه عباءته ويرجع باكياً »

تدخل آمال فيلسفها مراد بك ويقول لنفسه :

آمال اختيا أجلُّ أجلِّ هيا

لا كفينها تلك الضواريا

آمال لنفسها :

ماله مضطرباً يرمقني بالرضا حيناً وحيناً بالغضب

ما به ؟

مراد بك : آمال

آمال : مهلا سيدي ادعني حين تُنادي باللقب

مراد بك : اسمي آمال أختي

آمال لنفسها : أخته ؟

ربُّ من أين متى هذا النسبُ

نم لمراد بك :

كيف من نباك

مراد بك : نباني أبي أننا يا أخت من أم وأب

آمال : وأبي؟ أين أبي؟ أين مضى؟

مراد بك: هو هذا جثة

آمال : مات أبي

مراد بك: احمل الجثة يا أختي معي هي نحيبها هلي نحيب

آمال بعد أن تقف أمام الجنة وتتأملها :

حنانيك ربي أبي رمة يمر عليها التراب الحشن

أبي كيف صرت وراء التراب

إلى جسد بالبلى مرتين

أبي ما لاذنك قد أبطأت وكنت إلى سريع الأذن

وما بال حظي منك الصدود وكان نصيبي اللقاء الحسن

وأن يد سمحة طالما مسحت بها عراقي الهن

أحق أبي دهنك المنون

أجل وجرت فيك كبرى السن

ذهبت كما ذهب الأولون قتل الحياة جريح الزمن

مراد أخى

مراد بك: أخت لا تحزنى فاذا يرد البكا والحزن

آمال : أحق أخى أنه قد قضى وأنا فقدنا الذوا والركن

قضى في معارك لم يجنأ

غريب التراب غريب الوطن

ثم مخاطبة الجنة :

تمنيت أني أقيك الردى بنفسي ومن يدفع الموت من
وأجعل غُسلك ماء الشون
وأصنع من هُذب عيني الكفن
وأختط بين حنايا الضلوع صوانا ولحداً لهذا البدن
جُعلتُ الفدا لك بما دهاك ومن رماك ومن طعن
وليت جراحك بي يا أبي

مراد بك : رويدك أخت أقل الشجن

ولا تكثري حشرات الصديق
ولا تُشمتي الكاشح المضطغن
آمال : وكيف مراد وهذا أبوك لقي في التراب كأن لم يكن

[يخرج مراد بك وآمال بالجنة]

[يؤتى بعلي بك مجروحاً محملاً على سرير من جريد يوضع له ناحية من الساحة]

على بك لنفسه :

ويحي تفرق عسكري وخيامي
وطوى الزمان وريبه أعلامي
أحتال والأحداث تُفسد حيلتي
وأروم والأيام دون مرامي

لما طَوَّتْ مُلْكَ الكِنَانَةِ رَاحَتِي
لَمْ يَكْفِنِي فَطَلَبْتَ مُلْكَ الشَّامِ
صَيَّرْتُ حَرْبَ التُّرْكِ وَجْهَ سِيَاسَتِي
حَتَّى اقْتَنَيْتُ عِدَاوَةَ الْأَقْوَامِ
وَكَفَرْتُ إِحْسَانَ الَّذِينَ خَدَمْتَهُمْ
حَتَّى تَجَرَّأَ خَادِمِي وَغُلَامِي
فِي الصَّالِحِيَّةِ مَالٌ صَرَحُ مَطَامِعِي
وَكَذَاكَ رُكْنٌ بِنَايَةِ الْأَوْهَامِ
النَّصْرُ غَابَ وَكَانَ طَافَ بِرَايَتِي
حِينَأَ وَحَامَ عَلَى شِبَابَةِ حَسَامِي
وَحَمَلْتُ فِي سُرْرِ الْجَرِيدِ بَيْلِدَةً
وَطُثْتُ جَوَاهِرَ عَرْشِهَا أَقْدَامِي
قَدْ عَشْتُ بِالدُّنْيَا الْعَرِيضَةِ حَالِمًا
حَتَّى انْتَبَهْتُ فَلَمْ أَجِدْ أَحْلَامِي
دُنْيَا أَرَدْتُ مِنَ الْعُرُوشِ حُطَامَهَا
جَعَلْتُ سُرِيرَ الْقَشِّ كُلِّ حُطَامِي

بالأمس جَلَلْتَ الترابَ مواكبي
واليومَ لا خلقي ولا قدامي
اليومَ أرسفُ في دمي وجراحتي
وغداً أجرُ منِّي وحمامي
أنا قد جعلتُ الغزَّ مهبطَ نعمتي
وخصمتهم بمنازل الإكرام
فلدغْتُ من صِلِّينَ منهم عِقِّي
هذا وذاك أضاعَ حقَّ ذمامي
وتتابعَ الأمراءُ في أثرهما
يستمرثون عداوتي وخصامي

« يقبل محمد بك أبو الذهب في حاشيته »

محمد بك أبو الذهب :

يا ويح لي ماذا جرى هذا أبي وسيدى
سيعلمُ المغرَى به كيف عقابي في غدٍ
« ويتظاهر بالأسف ويتقدم للآلة الجريخ »

محمد بك أبو الذهب :

يا أسفا على «علي» يا أسفا على أبي وسيدى وموئلي
يا أسفا على الكريم المفضل

أحد البكوات همساً :

ماذا يقول ؟ سيده ! شلت يده شلت يده

على بك لحمد بك :

محمد اسمع مراد غادر

اقض عليه وأنت قادر

محمد بك : لا بل تعيش سيدي ويديك تقتله

سيدي انس اليوم وافكر في غد

على بك : ليس للغلوب غير الذل غد

محمد بك : بل غداً تبرا من جرحك

علي بك : لا قلنا قام من الجرح الأسد

أحد الحاضرين همساً لآخر :

الذئب جرب في العربي ظفره فأصابه

لا تحو دارك أرقاً حتى تحطم نابه

على بك لحمد بك :

محمد اطلب لي قليل ماءً إني أحس حرقه الظماء

محمد بك : مولاي لا بأس فداؤك الناس

محمد بك لعثمان ويتاوله حقاً :

عثمان جى بالشراب أغشه بالعناب

على بك : عجل وأطفي لهبي أسرع وخفف عذابي

« يذهب عثمان ثم يعود بالاء »

علي بك لحمد بك ويتأمل الكأس :
 أغريت في الصبح في عقورا ما أنا من جرحه بصاح
 والآن أرسلت كلب سوء يدس لي السم في القراح
 وهكذا تخرج الأفاعي وتفرغ السم في الجراح

علي بك لثمان :
 عثمان ما دسست لي في السكاس
 عشب القفار أم تراب المس
 السم أحيانا طيب آس

« ويشرب »

محمد بك لعللى بك :
 أبى وأميرى كفى سوء ظن
 محمد نل كل ما شئت منى
 ومالى الوملك والسم فنى
 أخذت الخيانة والقدر عنى

« محمد بك يعتمد لي حاشيته فيخلط بالأمراء الآخرين »
 علي بك وقد لبح آمال ومراد بك قادمين :

أرى ويح لي ماذا أرى ؟
 توالت جراحاتي وطال عذابي

مرادٌ وآمالٌ . عدوى وزوجتى
 فيا زمنى هل من جديدٍ مصاب
 يُعذِّبُنِي يا رب أنى أراهما
 قد اختلطا من جيئةٍ وذهاب
 إذن هى تهوى النذلَ وهو يحبها
 إذن ليس ما خبرتهُ بكذاب
 إذن فرادى لم يثبُ بى وحده
 ولم يفتحم سترى ويسطُ بياى
 ولكن أعارته الخبيثة ناهيا
 وما فى ذراها من نقيع لعب
 أجل هدماً عشتى معاً وتعاوننا
 على ثلم محرابى وهتك حجابى
 آمال لنفسها :

إلمى أعن زوجتى وبُلِّ جراحه
 فما باله مستوفزاً لعنابى
 رمانى بعين قلبت عن كراهة
 وعن نظرات كالشرار غضاب
 ترى ظنَّ بهيَّ سوءاً ترى اذ تاب فى أخى
 تفكر فى جُرمى وكيف عقابى

له العذر في حال أضاعت صوابه
فإني أنا الأخرى أضمت صوابي

وتتقدم من علي بك :

سيدي مولاي

علي بك : من ؟ أنت ؟

آمال : أجل

علي بك : أعزبي عنيّ خلّيني أعزبي

الآقاويلُ إذن صادقةُ الرواياتُ إذن لم تكذبِ

آمال : ما أذاعوا سيدي ما نقلوا ؟

علي بك : خبروني امرأتى تعبتُ بي

آمال : مع منْ أعبتُ، مع هذا الفتى ؟

مع شقيقى وابن أمى وأبى

علي بك لمراد بك :

مراد

مراد بك : مولاي

علي بك : أعزبِ لا بل تعالِ اقترِبِ

مراد بك : أبى

علي بك : سؤالُ يافقِ أصغِ إلى أجب

مرادُ كنتَ لا ترى غيرى فما غرّك بي

أنتَ الذى اشتريتهُ بنفسى وذهى

ولم أقصّر معه عن واجب المؤدّب

مراد بك: مولاي خلني إلى
أعف فانت أهله
ضميرى المذب
هب لي جرائمي هب

على بك: مراد

مراد بك: مر

على بك: أوصيك خيراً
أما تراها أصبحت
بالملاك الطيب
من غير زوج وأب

ثم مستمراً: مراد بني أصح أصغر لي
مراد بك: تكلم أبي هات قل سيدي
على بك: بناء الممالك واهي الأساس
تعلم من الذاهبين استفد
وبين كداً بك سبل الرشد
وسلطانهم مضمحل العمدة

وضيعتهم بعد طول الإياء
إذا فسد الخلق في أمة
وصاحبكم ذهبته نفسه
يحب النساء ويهوى الطعام
بفضل التعاون سدنا البلاد
إذا قام بان إلى غاية
وأولع بالعصبة العاملين
فلم ير واحدهم همة
مميناً مراد لما في البلاد
يلم الممالك من فرقة
عوى الذئب فيها وصاح الأسد
فقل كل شيء لهم قد فسد
فكل عنايته بالجسد
ويبنى القصور ويغني الولد
ولولا تعاوننا لم نسد
تعر بالهادم المجتهد
رجال كسالى منوا بالحسد
وفضلاً لآخر إلا حقد
سواك يليق لحكم البلد
ويوقف من حزمهم ما قد

وَرُجِعُ لِلطَّاعَةِ الْمَارِقِينَ وَيَكْسُرُ مِنْ شَرِّهِ الْمُسْتَبِدُّ
فَتَيْبٌ بِالْفَيْ غَدَاً ثَبُّ بِهِ وَقَمِ أَنْتَ فَاحِمُ الْحَيِّ بَعْدَ غَدِّ
« وَيَقْضَى عَلَيْهِ »

مراد بك : وَيَجَّ لِلْمَجْدِ حَلٌّ بِالْمَاجِدِ الْمَوْتُ وَأَخْنَى عَلَى الْكَرِيمِ الْحَمَامُ
رَحْمَتُهُ لَهُ مَضَى وَتَوَلَّى وَاسْتَرَدَّتْ جَمَالَهَا الْإِيَّامُ
آمال : مات لا يا مراد قل هو حيُّ

قُلْ أَخِي تِلْكَ ضَجْعَةٌ وَمَنَامُ
فَرَحِي يَا عَلِيٌّ مَا أَنْتَ رَاءُ مَا تَمُّ بَيْنَ نَظَرِيكَ يَقَامُ
فَرَحِي مِثْلَ يَوْمِ نَحْرٍ عَلَيْهِ مِنْ دَمِ الْبَرِّ لِحْمَةٌ وَابْتِسَامُ
ضَحَّتِ الْحَادِثَاتُ فِيهِ بِكَبْشِ

بِجَمْعِ الشَّرْقِ فِيهِ وَالْإِسْلَامِ
قَدْ أَصْبَنَّا مِنَ الْعَيُونِ كَلَانَا أَدْرَكْتَنِي وَأَدْرَكَتْكَ السَّهَامُ
أَحَدُ الْبِكَاوَاتِ لَأَخْرَ :

أَرَأَيْتُمْ أَسْمَعْتُمْ جَرَاءُ تِلْكَ يَا وَيْحَ مَرَادٍ وَيْحَ لَهُ
مَالَهُ اسْتَهْتَرَ فِي مَوْقِفِهِ وَمَضَى يَفْعَلُ فَعَلَ السَّفَلَةَ
أَنْظَرُوا فَمَوْعِلُهَا مُقْبِلُ وَهِيَ بِالْإِسْمَاعِيلِ إِلَيْهِ مُقْبِلَةٌ
تَرَكَ الْمَقْتُولَ لَمْ يَكْتَرِثَا لَدِمَ مِنْ حَوْلِهِ قَدْ جَاءَ إِلَيْهِ
أَتَرَى يَطْمَعُ أَنْ يَخْلُفَهُ وَهِيَ هَلْ تَطْلُبُ زَوْجًا بَدَنَةً

آمال وثلاث : ونفا :
مراد أخى

مراد لك : لبيك آمال

آمال : النار وميتنا عيون القوم من كل جانب

وإني لشكلى مرتين وما دروا
 تولى أبى عني ولم يبق صاحبي
 مراد بك : كذاك فضول الناس شغل بحاضر
 كما قد شغلناهم وشغل بغائب
 ومن ألسن تجرى بسوء وهما
 فوائد عند الغير أو في مصائب

آمال : صدقت مراد أنظر تأمل فضولهم
 لقد رمقونا بالعيون الشواغب
 يرون عجيباً أننا هنا معاً
 وأنتك تمشي يا أمير بجانب

أحد البكوات يتقدم :

مراد من الحسناء؟

مراد بك : ما أنت ؟ ما الذي

يهمك من أمر الحسان الكواعب

« ثم لآمال :

أأبصرت يا أخت الفضولي

البك لنفسه : أخته عجيب فلم نعلم له من أقارب

« لمراد بك : وأين ترى كانت ومن ذا أتى بها؟

رواية غاو أو مقالة كاذب

« مراد بك بهم ويلطمه بيده لطمه شديدة »

آمال لمراد بك:

ترفق أخى ساعه

البك لنفسه : تدعوه يا أخى إذن لم يكن فيارواه بلاعب

مراد بك: تعلم إذن أن الفضول وقاحة

وأن عقابي عنك ليس بعازب

البك : وأنت تعلم أن سيفي منية وغدارتي محشوة بالمعاطب

مراد بك: وقوسك ؟

البك : قوسي ليس يخطيء سهمها

مراد بك: ورمحك ؟

البك : مثل الأفعوان الموائب

مراد بك :

وقلبك إني لأرى القلب حاضراً على أنه أمضى سلاح المحارب

وإلا فذا صدرى فضع فيه ما تشا

وسدد إليه ماضيات المضارب

البك : وكيف اجترأتى سيدى وابن سيدى

معاذ أياديكم معاذ المواهب

مراد بك: إذن خلّ شأننا ولا تشغل بنا

وطرفى فضاء الأرض ذات المناكب

آمال : مرادُ أخى

مراد بك: آمال هذا محمد

بلاحظنا فى الجمع لحظَ المراقب

ولابدَّ من إنباته بالذى جرى

آمال : وما ضرَّ سرُّ قابله كُلُّه خاطب

محمد يقرب ويقول :

مراد أرى شغباً وأسمع ضجةً بنى أهدام موضع للتصاخب

ونحن على موتٍ وحول جنازةٍ

وفى ماتم غمٍ وشيكِ المواقبِ

مراد !

مراد بك: أميرى !

محمد بك : تلك والله ريبة

مراد بك: تفضل أميرى واستمع ثم عاتب

محمد بك: أما هذه عرس الكبير فما أتى بها ههنا بين ازدحام المناكب

مراد بك: بلى يا أميرى وهى أختى

محمد بك : أخته اخنايك ربى تلك إحدى العجائب

مراد بك: أجل سيدى أختى اجتمعنا من النوى

على قدرٍ من صنعةِ اللهِ غالب

ولم ندر قبلَ اليوم أنا قرابةً وأنا التقينا فى كريم المناصب

محمد بك : ومن قال للصنوين هذا ؟

مراد بك : أبوهما

محمد بك : وما هو ؟ مَنْ ؟

مراد بك : بعض التجار الجوالب

محمد بك : وأين فادعوه فأعلى محله وأرسله ابنه فوق الكواكب

مراد بك : تعيش وتبقى . . مات

محمد بك : مات أبوكما ؟

مراد بك : أجل . هو ذا يدمى وراء العصائب

محمد بك : جريح ؟

مراد بك : أجل لكن قضى من جراحه

محمد بك : قتيلاً ؟

مراد بك : أجل ثاوي وراء السباب

محمد بك : وما تصنعان الآن ؟

مراد بك : ما أنت امرئ

محمد بك : هنا لك حراسي وثم ركائب

نأخذها إلى الفسطاط حتى تيجي بها

إلى قصرها محفوفة بالرفائب

وبعد غد تجرى على القصر نعمتي

ويأتيه برى كالغيوث السواكب

آمال وهي منصرفه :
وداعاً أبي !

محمد بك : صبراً جميلاً أميرتى
ولا تفعلِ فعل البواكى النوادب
آمال : عفا اللهُ عنه كان شيخاً مصلياً
محبّ اليتامى راغباً فى المثاوب
لقد طلب الدنيا بمصر فناها
فولّى إلى الأخرى وجوه المطالب

ستار الختام

الرسالة هـ

تمهيد

زمن الرواية : سنة ١٨٩٠ م
مكان الرواية : حى الحنى - القاهرة
أشخاص الرواية :

الست هدى

الست زينب : صديقتها

من فتيات الجيران	[خديجة
		أسماء
		بهية
		اقبال

عبد المنعم المحامى : زوج الست هدى

حلمى : كاتبه

السيد العجيزى : من أعيان الريف وزوج آخر للست هدى

من أصدقاء «السيد العجيزى»	[محمد
		أحمد
		عامر
		الشيخ الحلبي
		مصطفى النشاشقي
		أماز : أغا
		رضوان : خادم
		سلمان : مراب

الفصل الأول

« في دار صغيرة مؤلفة من : « مندرية » في الطبقة السفلى ، ومن مُسلم يُصعد منه إلى قاعة صغيرة ، وثلاث حجرات ... والمنزل مطل على مسجد « أبي الليف » بحى « السيدة زينب » ! ... » .

« الست هدى » وحارثها « زينب » في إحدى الحجرات ... » .

الست هدى : كيف يا أخت أنت؟...

زينب : نحن برغد كلنا ما بقيت أنت برغد

الست هدى : أنت يا « زينب » الوفيّة بالعهد

زينب : ولم لا أفى وخيرك عندي؟

نحن من أربعين عاما على خير جوارين اثنتين وودّ

الست هدى : لا ، بل العهد لا يزيد على العشرين ...

خلى حسابه ، لا تعدّى ! .

اسمى زينب ، اسمى يا صديقى . لك هذا الدُّبوس

زينب : لي أنا ؟ ...
الست هدى : بعدى

أنا أعطيتُ كلَّ صاحبةٍ شيئاً
وأنصفتُ في الوصيةِ جهدي
مايقولُ الجيرانُ « زينبُ » عني ؟

زينب : اتركيهم ، لا تحفلي بالردِّ
الست هدى : يقولون في أمرى الكثيرَ وشغلهم
حديثُ زواجى أوحديثُ طلاق
يقولون إني قد تزوجتُ تسعةً
وإننى وارىتُ السرابَ رفاقى

وما أنا « عزيريل » وليسَ بما لهم
تزوجتُ ، لكن كان ذاكَ بمالي

وتلكِ فدّاديني الثلاثونَ كلّما
تولّى رجال جثثي برجالٍ

فأكثرَ عُشاقٍ وما أكثرَ خطّابى ..
ولولا المالُ ما جاءوا أذلاءً إلى بابى ...
لستُ ما عشتُ ناسيةً لستُ أسألو حياتيةً
أول البختِ « مصطفى » « مصطفى » كان ستاريةً

حينَ يمشى تظنُّه نخلَةٌ «المرج» ماشية

رحمةُ الله عليه لم يكن يطلبُ مالي
تلكِ «أبعاديَّتِي» وهى جنونٌ للرجال
لم تكن تخطر فى العام له يوماً يبال

لم يكن يعنيه من ذاكِ سوى قبضِ الإجارة
جعل الله تعالى جنةَ الخلد قرارة

ماتَ فكدتُ أموتُ حزناً وكان عمرى عشرين عاماً
ثم تزوجتُ بعد خمسٍ من ذائرى فعلتى حراماً؟!

زينب : أجل! تَمِيشِينَ وَتَدْفِينِينَا حتى تصيبى منهم البنينا

الست هدى : وزوجى الثانى «على» ولم يكن يصلحُ لى
يألتينى لم أقبل

ذاك ، لما لى اختارنى واخترته لاله
ما كان إلا مُفلساً وقعتُ فى حباله

يرحمه الله ، وكان ذا بخر
وكان إن يقعد وإن يقم نخر
وإن مشى تخرجُ أصواتٌ آخر

يرحمه الله لقد عشنا معاً
من السنين الصاخباتِ أربعا
ثم مضى لربّه لا رجماً

رحمةُ الله عليه جُنَّ بالنسل جُنُوناً
ثم لما مات، ما خلف لي إلا دُيُوناً

ومات لم تبكو عُيُونِي وكان عُمرِي عشرينَ عاماً
ثم تزوجتُ من سيّواه من ذايري فعلتي حراماً؟!

زينب : أجل... تعيشين وتدفنيني حتى تُصيّبي منهم البنينا

الست هدى : ولستُ أنسى زوجي الرابعا

لا نافعاً كان ولا شافعياً
قالوا: أديبٌ لم يروا مثله ولقّبوه الكاتبَ البارعا
قد زينوه لي ، فاخترته ما اخترتُ إلا عاطلاً ضائعاً

رائحٌ أكثرَ الزمان على الصُحف مُتغدي
يكتب اليوم في «اللوا» وغداً في «المؤيد»
ليله أو نهاره فارغ الجيب واليد

ويعجبني عند المُباهاة قوله :

بنيتُ فلانا أو هدمتُ فلانا

وقد يُصبحُ المبْنىُّ أَوْضَعَ مَنزَلاً
وقد يصبحُ المهدومُ أَرْفَعَ شَأناً

رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ كَانَ لَا يَحْقِرُ مَالاً
كَانَ إِنْ أَفْلَسَ لَا يَسْأَلُنِي إِلَّا رِيَالاً

ثُمَّ تَزَوَّجْتُ بِبُوزْبَاشِي «قَر»
نَهَى كَمَا شَاءَ هَوَاهُ وَأَمَرُ
لَقَدْ وَدِدْتُ أَنَّهُ زَوْجُ الْعُمُرِ

لَا عَفَا اللهُ عَنْهُ ، لَا غَفَرَ اللهُ لَهُ ، لَا ارْتَقَى لِرُتَبَةٍ «صَاغِر»
لَا عَفَا اللهُ عَنْهُ ، قَدْ كَانَ لَصّاً ، لَمْ يُرِدْنِي لَكِنْ أَرَادَ «مَصَاغِي»

وطلالاً زَيْنٌ لِي أَنَّنِي أَبِيعُ أَوْ أُرْهَنُ أَطْيَانِي
مَنْ أَجَلَ «بُوزْبَاشِي» ؟ لَقَدْ خَلَّ ، لَا
لَا أَشْتَرِي جِيْشاً بِفَدَّانٍ

لِحَاءُ اللهِ كَانَ مُنَى فَوَادِي
وَفَاكِهَتِي وَرَّيْحَانِي وَرَاحِي
وَكُنْتُ أَحْبَبُهُ وَيَحِبُّ طَيْبِي
وَيَحِلُّ بِالْقِلَادَةِ وَالْوِشَاحِ
وَكُنْتُ مُقَامِراً شَرِيبَ خَمْرٍ
يَجِيءُ الْبَيْتَ فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ

يَكَادُ إِذَا تَوَرَّطَ فِي قِسَارٍ
يُقَامِرُ بِالنُّجُومِ وَبِالسَّلَاحِ

عشنا ثلاثاً ثم افترقنا وكان عمري عشرين عاماً
طلقتني فالتمتُ زوجاً من ذائري فعلتني حراماً!.

زينب : أجل تعيشين وتدفنين حتى تصيبي منهم البنينا

الست مدي : وعشتُ عامين دون زوج ثم تزوجتُ بالموظف

لم أنسه منذ مات يوماً
ما كان أبهى! ما كان أظرف!..
كان خفيفاً وكان حلواً
ومن نسيم الربيع أطف!..

ما كنت أدري إذا تولّى
أجيبه أم قفاه أنظف!..

يرحمه الله مات ما وجدوا
في جيبه غيرَ قِطْمَتِي ذَهَبِ!..

وسُبْحَةٍ من خزائني سُرقت
كانت على الرف من وفاة أبي
وسُمت في دفنه ومأتمه ولم أضيق عليه في رَجَبِ

رحمةُ الله عليه كان «جَخَاخًا» كبيرًا
كلَّ يوم يدعُ البيتَ رئيسًا أو وزيرًا
ثم لا يرجعُ لي إلَّا كما كان صغيرًا

رحمةُ الله عليه كان مشغولًا بِطِيبِي
كلَّ يوم بزُبُونٍ أو بِسَمَسَارٍ يَجِينِي
وفداديَّ عِنْدِي هي في الحفظِ كَدِينِي

ما كان في وَجَنَتِي يَقْبَلُنِي بل هُمُّهُ في يَدِي يَقْبَلُهَا
وعينه في خَوَاتِمِي أَبَدًا يحدثُ النفسَ كيف ينشُلُهَا

ثم اقترنتُ بِفَقِيهِ عالمٍ في البلدِ
لا في الشيوخِ الْقُدَمَاءِ ولا الشيوخِ الْجُدُدِ
كهلُّ أخوخسينَ لكنَّ في نشاطِ الأُمَرَدِ

زينب : عرفتهُ ، ذاكَ الفقيهُ «الشيخُ عبدُ الصمدِ»
قد كان في «الخطِّ» وجيهًا ومُقبَلَ اليَدِ
وكل من مرَّ به خاطبَه بِسَيِّدِي !...

الست هدى : يرحمه الله لقد أدبني
حتى عرفتُ كيف تخضعُ النِّسَاءُ ؟

زينب : أنتِ ؟...

الست هدى : أجل !.. أدبني يدهُ ورجلهُ وبالعصا

زينب : كيف ... متى ؟

الست هدى : رأى غباراً عالقاً بجبّتي
ولم أكن أعلم من أين أتى ؟

فقال هذا التراب من نافذة
من كنت منها تنظرين ياترى ؟ ..

وهاج حتى خفت أن يقتلني
وشمر الذيل وجرد العصا

وجاء بالنجار من ساعته
سدّ الشبايك وشمّر الكوى

فقلت يهواني وتلك غيرة
يا حبذا الزوج الغيور حبذا ! ..

وقبله لم أر من غار ولا
من ظن في قلبه لغيره هوى

يرحمه الله لقد مات على
سخرى ونمحرى بمد ماصلي الضحى

مات ولم يرقد له جنب ولا
بدت عليه علة ولا اشتكى

رحمة الله عليه لم يكن
وإذا ما جاءني أوجثته لم يقلب عينه في « صيغتي »

لكنه مُنذُ كُنَّا ما حلَّ عقدة كَيْسِه
 يَفْضُلُ الأكلَ مِنْ غَيْرِ مالهِ وفُلوسِه
 كَأَنَّ الأزهَرَ المعمورَ يَبْتِى
 هناك «جراية» وهُنَا «جراية»! .
 خَلَّفَ الشَّيْخُ مِنَ الأولَادِ ما يَمَلَأُ حَارَهُ! ...
 قُسِّمَتْ ثروتهُ فِيهِمْ فَنَالَ الطِّفْلُ بَارَهُ! ...

عشت مع الشيخ نصفَ عامٍ
 وكان عمري عشرين عاماً
 ومات فاخترني سِوَاهُ
 من ذا يَرى فَعَلَّتِي حَرَاماً؟! ...

زينب : أجل تعيشين وتدفنيننا حتى تُصِيبِي مِنْهُمُ البَينَا
 الست هدى : أَتَذْكُرِينَ بَعْدَهُ من جاءَ بَيْتِي يَخْطُبُ؟! .
 زينب : مَنْ ذَاكَ ؟ مَنْ ؟

الست هدى : أَنْتِ الَّتِي جِئْتِ بِهِ يَا زَيْنَبُ! ..

زينب : «مَهْدِي» المَقَاوِلُ الشَّرِي المَتَلِي مِنَ الذَّهَبِ
 الست هدى : قَدْ ذَهَبَ اللهُ بِهِ أَجَلُ! . إِلَى النَّارِ ذَهَبُ! .

لم يَنْسَ أَنْ يَذْكُرَ «أَبْعَادِيَّتِي»
 ما لِلْغَيِّ ، وَلَطِينِي مَالَهُ؟! .

ولم يكن عند الطعام يَسْتَجِي
يَا كُل مَالِي وَيَعُدُّ مَالَهُ!...

يرحمه الله وإن لم أرَ لَوْنَ قرشه
عشتُ اثنتين معه لم أنتفع بقرشه
لو لم يمت لمت من جَحْتِه وفشِه
كأنما تسربت عماره في كرشه
يدب كالخلوف في خروجه من قشه
وما استرحت ليلة من طاحنه ودشه
ومن تلال جيره ومن جبال «دبشه»
ظلت عامين في بلاء وكان عمرى عشرين عاماً

ومات «مهدي» فاعتضتُ عنه
من ذا يرى فعلتى حراماً؟!..

زينب : أجل تعيشين وتدفنين حتى تصيبي منهم البنينا

الست مدى : ثم اقترنتُ بمحامٍ عاطلٍ
شريب خمرٍ يحتسيها في الضحى

قلتُ دعاويه وقلَّ ماله
وأصبح المكتبُ منه قد خلا..

عبد المنعم المحامى: « زوج الست هدى ، وهو سكران ، يصعد السلم » :

هدى ، ضلالٌ ، أين أنتِ ياهدى ؟
أين المعجوزُ ؟ أين جدَّتى هدى ؟

الست هدى : « وَانْكَدَا » زَيْنُبُ « وَاْدَاهِيَتَا
لَقَدْ أَتَى لَمْ أَذِرْ مِنْ أَيْنُ أَتَى ؟ !
يَشْتَمُ فِي السَّلَمِ

زينب : خَلِيٍّ دَعَى لَا تَفْرِضِيهِ غَيْرِ سَكْرَانَ هَدَى !
رَأَيْتُهُ ،

الست هدى : وَكَيْفَ ؟

زينب : مِنْ تَحْتُ وَقَدْ
كَانَ مِنَ السَّقْفِ أَطْلًا وَانْحَنَى
وَكَانَتِ الْحَارَةُ مَنَّا امْتَلَأَتْ فَأَرْسَلَ الْقَيُّ عَلَيْنَا وَرَمَى !

الست هدى : الْقَيُّ ؟ مَاذَا قُلْتَ ؟

زينب : قُلْتُ مَا رَأَيْتُ عَيْنِي وَمَا مَرَّ عَلَى رَأْسِي وَمَا

عبد المنعم : « وَهُوَ بِالسَّلَمِ »

هدى ، عجوز النّحس ، أنت قردة

خطوطك الوحلُ وكُحْلُكَ العَمَى

الست هدى : سَمِعْتَ يَا زَيْنُبُ ؟

زينب : خَلِيهِ ، دَعَى
 لَا تَفْرِضِيهِ غَيْرَ سَكْرَانَ هَذَى
 وَمَرَّةً جَاءَ « أَبَا اللَّيْفِ » ضُجِّي
 أُذِنَ فِي النَّاسِ يُصَلُّونَ الْعِشَاءَ
 فَضِيحَةٌ فِي الْخَطِّ !

الست هدى : وَأَفْضِيحَتَا
 زينب : مَا شَهِدُوا فِي « الْحَنْفَى » مِثْلَهَا
 عبد المنعم : « وَهُوَ بِالسَّلَامِ »
 هدى تَمَّالِي يَا عَتِيقَةُ أَظْهَرِي
 عِنْدِي لَكَ النَّعْلُ وَهَذِهِ الْعَصَا

الست هدى : سَمِعْتَ يَا زَيْنَبُ ؟
 زينب : خَلِيهِ ، دَعَى
 لَا تَفْرِضِيهِ غَيْرَ سَكْرَانَ هَذَى
 الست هدى : دَمِيهِ يَهْدِي مَا يَشَاءُ غَدَاً تَرَيْنَ زَيْنَبُ
 فَنِي غَدِي لِي وَلَهُ شَأْنٌ ، غَدَاً يُؤَدِّبُ
 زينب : وَمَا الَّذِي عَزَمْتِ يَا حَبِيبَتِي أَنْ تَصْنَعِي

ألت هدى : أقذف فى القسم به وأشتكى وأدعى
إن رجال القسم ، والنائب والقاضى معى !..

«لزوجها»

لَتَنْدَمَنَّ يَا لُكَّحُ يَا مَنْ يَقُومُ وَيَقَعُ

عبد المنم : « وهو بالسلم »

ماذا سمعتُ ؟ صوتها ؟ أنتِ بومتى هنا ؟ !..
الآن يَجْمِيزَةُ « الخطُّ » أريكِ مَنْ أَنَا ؟ ...

زينب : هُدى ، حبيبتى اسمى تعالى اهْرِبِ معى ! ...

ألت هدى : أَنَا ؟

زينب : اسمى ، دَعِيهِ ،

ألت هدى : لَا

زينب : دَعِيهِ يَا هُدى ، دَعِي ! ...

لَا تُفْضِيهِ إِنَّهُ مُتَمَلِّئٌ ، لَيْسَ يَمِى ! ...

عبد المنم : « وهو بالسلم »

هدى ! هدى ! أين هدى ؟

أين المَجُوزُ البَالِيه ؟ ...

أين مضيتِ بومتى ؟ أين ذهبتِ خُفِّى ؟

خَدَّكَ ضِفْدَعَتَانِ قَدْ أُسْنَتَا

وَأُذُنَاكَ عَقْرَبَانِ مِنْ قَنَا

وحاجباكِ والخطوطُ فيهما
كدودتينِ اكتظتا من الدِّما

وبينَ عينيكَ نِقَارٌ وجفا
عَيْنُ هُناكَ خاضتْ عينا هُنا !..

الست هدى : دعيني أقطعُ عليه الحذاءَ وأجزِ الوقاحَ على ذنبه
دعيني أضربهُ حتى يُفِيه
قَ فلا بدَّ زينبُ من ضربِهِ !..

رب : قد جاء ... هَيَّ نتقى جنونه وهوسه
ففي يمينه المصا وفي الشمال المكنسه
سكرانُ يضربُ إذن لتهربُ هلمَّ زينبُ
هذه حجرةُ نومي أسرعى زينبُ فيها
نحنُ يا زينبُ لا نكبحُ سكرانَ سفيها
« تدخلان المجره ، وتستندان وراء الباب »

عبد المنعم : « وهو داخل يترنح »
هدى ذاتُ الفدادينِ هدى

الست هدى : فسكرٌ في طيني

عبد المنعم : من لى بالزبرجدِ ؟ من لى بالزُّمُرْدِ ؟
ياليتَ ذاكَ في يدي !...

الست هدى : سمعتِ ؟ عبدُ المنعمِ قد هام في خواتمي
« يجتاز » عبد المنعم « القاعة إلى حجرة نومه »

الست هدى : زينبُ انظري ما الذي صنعَ ؟

زينب : جاءَ حجرةً ثمَّ فاضطجعَ
فلندعه في النوم فلندعُ
الآن أستودعك الله هُدى

محفوظة ،

الست هدى : لا تهمليني زينبُ ! ...

« تخرج زينب »

« تسمع ضججه بالسلم ... »

الست هدى : ما الصوتُ ؟ ... ما أسمعُ ؟ من يا ترى ؟
ما هذه الضجة في السُّلم ؟

هذا خَطُوطي وكُحلي وتلك صبغة شعري
لم أنسُ حمرة خدي لم أنسُ زينةَ صدري

وهذا الثوبُ ما أبهى !. وهذا الخُفُّ ما أحسن !.
ومنديلى على رأسى ما أحلى ! .. وما أزين ! ...

وهذه خواتمي بها يدي مرصعة

وهذه قلائدي في كبتى مُلكمة

اقترب الصوت وتلك أرجلُ

تدبُّ عند الباب ، مَنْ ؟

- أصوات : هل ندخلُ ؟؟
الست هدى : ادخلنَ ! .. أهلا وسهلا ومرحبا بالحبائب
- « تدخل أربع فتيات من بنات الجيران : « خديجة »
و « أسماء » و « بهية » و « إقبال »
- خديجة : صباح الخير يا عمّة
الست هدى : صَبِّحْتُنَّ بِالْخَيْرِ
- « خديجة » ابنتي هنا ؟ هذا هو التفضلُ !..
خديجة : إنْ أنا بالعمّة لم أسلُ ، فعمّن أسألُ ؟..
الست هدى : أنتِ ابنتي ستأخذينَ خاتمي الزمردا !..
خديجة : اليوم يا عمّة ؟..
الست هدى : لا !..
خديجة : متى إذن متى ؟ !
الست هدى : غدا ! ..
- من بعد موتي ،
خديجة : لا تموتي ، أنا عمّتي الفدا !..
الست هدى : « لأسماء »
- : وأنت يا أسماء إذا ميتٌ غدا
أخذتِ هذا الخاتم الزبرجدا
- أسماء : لا كان يا عمّة عشت الأبداء !..
إقبال : أسماء يا عمّة مخطوبةٌ ،
الست هدى : لمن ؟

- اقبال : لشيخ عمدة في الصيد !
- الست هدى : حذار يا أسماء أن تفعل
- أسماء : أنا؟ أبي يختار لي من يريد...!
- الست هدى : قولي له : العمدة جربته
- أسماء : أقول؟ من يسمع أو من يمي؟...!
- إن أبي صعب ولا أجترى
- الست هدى : إذن دعيني أنا أفعل ، دعي !...!
- « لبيهة »
وأنت يا ابنتي ؟
- بيهة : خطبت من زمن
- الست هدى : من زمن؟ تبارك الله، لمن؟...!
- بيهة : لضابط في الجيش !
- الست هدى : ضابط؟
- بيهة : أجل !...!
- الست هدى : أحسنت ، أحسنت ، تخيرت الرجل !...!
- بيهة : ما اخترت يا عمتي ولكن أبي وأمي تخيرا إلى !...!
- بنات مصر يخطبن لكن لا يتناقشن في الرجال !...!
- نبأع يا عمتي ونشري ما نحن إلا عروض مال !

- الست هدى : « لأسماء »
وكيف أخُشِك « بَنَّا »
- أسماء : تقبَّلُ اليَدَ
- الست هدى : عَشْتِ
- أسماء : مَخْطُوبَةٌ هِيَ أَيْضًا ! ...
- الست هدى : ماذا تقولين بنتي ؟ .
- مَنْ الكَبِيرَةُ ؟ « بَنَّا » أُمُّ الكَبِيرَةِ أَنْتِ ؟ ...
عَمْرُكَ بِالتَّخْمِينِ
- أسماء : لَسْتُ خَالَتِي مُخَمَّنَةً
- فِي رَجَبِ الَّذِي مَضَى أَتَمَمْتُ عَشْرِينَ سَنَةً
- الست هدى : عشرون أنت يا ابنتي إذن فما عُمرى أنا ؟
- أسماء : سَتُونَ يَا خَالَه ؟
- الست هدى : مَنهُ لَمْ أَرَمْنِكَ أَرْعَانَا
- أسماء : خَمْسُونَ يَا سَيِّدَتِي ؟ !
- الست هدى : كَذَبْتَ كِذْبًا بَيْنًا
- أسماء : إذن ففي العشرين يَا خَالَه أَنْتِ وَأَنَا !
- الست هدى : هَذَا الْحَدِيثُ كَذِبٌ خُذِي بِنَا فِي غَيْرِهِ !
- كُلُّ أَمْرٍ دَاخِلُهَا بِرِزْقِهِ وَعَمْرِهِ

خديجة : أُسْكُنِي أَسْمَاءُ خَلِّي السَّنَّ مَا هَذَا الْفَضُولُ ؟ ...
 هِيَ يَا خَالَةَ حَقَّقِي لَيْسَ تَدْرِي مَا تَقُولُ ! ...
 أَنْتِ يَا خَالَةَ فِي وَجْهِكَ فَدِ خُطَّ الْقَبُولُ ! ...
 لَا مَشِيبَ لَا أَصْفَرَارَ لَا غُضُونُ لَا ذُبُولُ ! ...

الست هدى : سَمِعْتِ أَسْمَاءُ ؟ عَلَّمِيهَا مَا الْقَوْلُ ؟

خديجة : بَلْ أَنْتِ عَلَّمِينَا ! ...
 الست هدى : صُنَّ جَمَالَ الْوُجُوهِ صَوْنًا فَالْسُنُّ بِالْوَجْهِ لَا السُّنَيْنَا !
 « يَسْمَعُ صَوْتُ خَارِجِ الْحَجَرَةِ »

ما ذَاكَ عِنْدَ الْبَابِ ؟ صَوْتُ رَجُلٍ ؟
 القادم : سَيِّدَتِي ! ... أَدْخُلِي ؟

الست هدى : « أَلْمَازُ » ، ادْخُلِي ! ...
 « أَلْمَازُ » أَغَا ! ...

الأغا : سَيِّدَتِي ! ...

الست هدى : يَا مَرْحَبًا يَا مَرْحَبًا ! ...

الأغا : أَرْسَلْتَنِي حَرَمُ الْبَاشَا

الست هدى : أَعِدُّ

الأغا : أَرْسَلْتَنِي حَرَمُ الْبَاشَا إِلَيْكَ

الست هدى : هَذَا أَغَا الْبَاشَا اقْتَرَبَ مَاذَا وَرَاءَ الْقَادِمِ ؟

الأغا : أَحْمَلُ يَا سَيِّدَتِي تَحِيَّةَ الْهُوَآنِمِ ! ...

الست هدى : بالله « أَلْمَازُ » إلا جلستَ بالقُرْبِ مِنِّي
تُحِبُّ بُنَى جَرَّبَ بَنُ السَّرَايِ وَبُنَى
« تناوله قهوة »

ما للهوانم « أَلْمَازُ » ليس يسألنَ عَنِّي؟ ...!

الأغا : نسيتَ يا سيِّدتي أَمْسَ، أَمَا كُنَّ هُنَا؟ ...
الست هدى : ومنَ أَنَا حتَّى تزورني الشُّمُوسُ منَ أَنَا؟ ! ...
الأغا : واليومَ يا سيِّدتي أُرسلنني بِالرَّكَبَةِ
الست هدى : جئتُ إِذْنُ في طَلَبِي؟
الأغا : أَجَلْ ، وتحتُ العَرَبَةُ
الست هدى : أَيُّهِنَّ يا أَغَا؟
الأغا : « فيكثُورِيا »، المُقْفَلَةُ؟
ذاتُ الرِّقَّافِ الخلفاءِ فِ السُّتُورِ المسدلة؟

ركوبةُ الهانمِ في الأعيَادِ والمواسمِ؟
إلى السراياتِ مِن الإنشَاءِ إلى الهياكَلِ؟

الست هدى : « للفتياتِ »

« الجَوَانِتي » هُنَاكَ « أَسْمَا » انظُرِيهِ
انظُرِي يا « خديجةُ » الفَرَجِيَّةُ
« وهي تلبسُ »

انظُرِي « إقبالُ » ما أجملَ هذِي الفَرَجِيَّةَا
انظُرِي شَالِي « أَسْمَا » كيفَ حلَّى كَتَفِيََّا

ثم انظُرَا هُنَاكَ يَا بِنْتِي فَوْقَ الْكَنْبَةِ
مَرْوَحَةً مِنَ النَّعَامِ بِيَسَدٍ مُذَهَّبَةٍ
وَحُلِيًّا هُنَاكَ لِي مَرْوَحَةً
عَاجًا وَآخَرَى كُلُّهُمَا مِنَ الصَّدَفِ

خديجة : « هسأ »

أسماء ! ...

أسماء : أختي ! ...

خديجة : أبيت أم معمل من مراوح ؟ ! ...

أسماء : ما تصنعين خالتي بهذه المراوح ؟ ! ...

الست هدى : أنا ابنتي مولعة بها وبالرَّوَّاحِ ! ..

ذكرتني « أسماء » لا تنسى الورد -
على الرَّفِّ وَلَا الْيَاسَمِينَ

أسماء : خالة ماذا ؟

الست هدى : كلُّ شَيْءٍ عِنْدِي

أسماء : أنتِ سمان أم الماوردي ؟

الست هدى : « أسماء » تعالِ انظري

كيف ترين رجلياً ؟ !

هذا الحذاء هل ترى

يليق للفكتوريا ؟ ! ...

أسماء : خالة لا تبذل لي

هذا الحذاء « مملكة » ! ...

الست هدى : الله يا بُنَيَّسِي
يطرح فيك البركة ! ...

« للأغا »

« أَلْمَازُ » هي تنطلق طال وقوف العرب
لا أحد في الخط إلا استوقفت العرب
فحارة قامة وحارة منقلبة

الأغا : سيدتي لا تخافي مركبتى لا تحيز
الست هدى : « أَلْمَازُ » أنت ظريف ومركباتك عيز
« للفتيات »

قد آن أن أجيب دعوة الأفا
هي ابنتى هي ألبسانى
« الفتيات يشتغلن بلباسها ... »

الست هدى : « لمديجة وأسماء »

أنت ابنتى وهذه فتاتى بنات جارأتى وصاحباتى
إذا حرمت النسل هن بناتى

وكل ما فوق صدري وفي يدي من « مصاغ »
وكل شئ بيتى لحن بعد دماغى

الفضل الثاني

« في قاعة الدار »

« عبد المنعم يتناول طعام الفطور ... الت هدى »
« عبد المنعم ينادى حلمى الكاتب وهو تحت ... »

عبد المنعم : حلمى ! ... تعال ! ...
حلمى : سيّدى ! ...
عبد المنعم : تعال يا ابنى إصعد
« يحضر حلمى »
تعال قرّب « شلّة » تعال ههنا اقعد
صبيحت بالخير أهلا
حلمى : يا صبيحتك السعادة ؟ ...
هذا الفطور سيّدى بصحة وعافية ! ...
عبد المنعم : تعال جرّب هذه الصناعة
حلمى : لقد أكلتُ الفول منذُ ساعة

- عبد المنعم : تلك بضاعةٌ وذى بضاعةٌ
- حلمى : « وهو يأكل »
القول يا سيدى لذيذٌ
- عبد المنعم : القول من حارة النصارى
والعيش من مخبز الرمالى ؛
الست هدى : والزيت من مَعْمَل «البَدارى»
- عبد المنعم : البدارى ! ما تلك ؟ لا تلك سوقٌ
قد سمعنا بها ، ولا تلك حارة ! . . .
- حلمى : ولِمَ يُونُك يا هانمُ
- الست هدى : كالشَّهْدِ وكالشُّكْرِ
- حلمى : ومن أين به جىء ؟
- عبد المنعم : من الجنة والكُوْثر ! . . .
- القول يا حلمى لذِيذٌ فكلْ
وخلِّ ما تسمع من دَشِّها
فما على الدنيا سوى أكلها
ولا على الأرض سوى فَرَشِها
- كل، كل، ولا تُصْنِغْ لها فإنها مُمْتَخِرَةٌ
وكل شىء لم يكن قادِرَةٌ أن تَخْلُقَهُ

الست هدى : لا أيها الفاضل ، لا ما أنا بالمحامية ! ...
أثير من شقشقة زوبعة في آنية ! ...

حلمى : وما ذاك يا سيدي في يدك ؟
عبد المنعم : ألد من اللبن المزبد
زينب ! ...

حلمى : على الرقيق ؟ ! ...
عبد المنعم : لا يا غبي ! ...
على الفول ! ...
حلمى : أفضح يا سيدي ! ...

الست هدى : نحن يا حلمى هلكنّا أصبح المنزل حانة
صار لا يكفي المحامي كل يوم « جمداته » ! ...

زينب : « لدى الباب »
العوافي ! ...
عبد المنعم : صوت لدى الباب
الست هدى : هدى زينب جارتى ، تعالى تعالى

« لزوجها »
خبىء الخمر أخف ما أنت فيه
عبد المنعم : دعنى ، دعنى ، ما لكُن ومالى ؟ ..
الست هدى : ادخلى جارتى ادخلى ، هى خشى
« لزوجها » خبىء الخمر ! ...

عبد المنعم : أتر كينى وحالى

- الست هدى : أدخلُ زينبُ ادخلُ لا تهابي
- زينب : مَنْ هُنَا ؟ قد سمعت صوت رجال ...
- الست هدى : الأفندي وسكرتير الأفندي
- ادخلُ ، لا غريبَ زينبُ عندي
- زينب : الأفندي وتقولين ادخلُ ؟
- الست هدى : ادخلُ ليس سواء ها هنا ؟ ...
- ما الذي تخشين يا أخت ادخلُ
- زينب : لا ، دعيني ! ... أنا لم أنس المصا
- « زينب تتصرف مذعورة ، ويظهر «الماز أغا» لدى الباب »
- الماز أغا : صباح الخير يا هانم
- الست هدى : مَنْ ؟ صُبِحْتَ بالخير
- «لزوجها»
- هذا أغا الباشا أتى وفيم جاء يا تُرى ؟ ...
- إرم الزيب من يدك فهو من أهل الثُّقى
- عبد المنعم : لينصرف لشأنه فما له وما لنا ؟ ...
- الست هدى : إرم الزيب قُلْتُ
- عبد المنعم : لا
- الست هدى : يستهزئ الناس بنا
- قم امض حلمي بالزيب ، بل به أمضى أنا
- « تنهى الزيب ... فيدخل الأغا »

- الأغا : سيدتي ، عندكِ ناسٌ ؟
 الست هدى : ماسوي زوجي هنا
- أغا : « للزوج »
 عافية ياسيدي هذا فطور أم غدا ؟ ...
 عبد المنعم : اذن تفضل ، كلُ معي فولٌ لذيذٌ يا أغا
- الأغا : بصحة يا سيدي أكلتُ من وقتٍ مضى
 عبد المنعم : لا ، لا ، بل ادخل يا أغا ادخل مكاناً غيرَ ذَا
 هذا المكانُ قدرٌ خذيه ثمَّ يا هدى
- الأغا : يا حبذا المجلسُ لو لا شغلٌ داعٍ لقضيتُ النهارَ ههنا
 حلمي : وما الذي يشغلك الآن ؟
- عبد المنعم : وما يعنيك يا أحقُّ من شأنِ الأغا ؟
 الأغواتُ تنقضي أعمارُهم بين السرايات هناك وههنا
- « هماً »
 اتركه يمضي يا غبي فلا أريدُه ههنا
 حلمي « للأغا » : أنت ظريفٌ يا أخِي
- الأغا : أنت الظريفُ لا أنا
 « للمحامي »
 ما اسم أخينا ؟
- عبد المنعم : ذاك « حلمي » كاتبُ
 الأغا : السكرتيرُ ؟ مَرَحَباً بَمَرَحَباً

والآن في حراسة الله

حلمي : انتظر يا سيدي ! ...
 عبد المنعم : « همساً »
 دعه ! ...
 حلمي : انتظر نخرج معاً
 عبد المنعم : وأين يا حلمي ؟
 حلمي : أشيع الأغا
 الأغا : لا سيدي بالله
 حلمي : لا ،
 الأغا : بل ابق !
 حلمي : لا ! ...
 الأغا : لي كلمة ياسيدي أقولها للهائم
 عبد المنعم : « مبتسماً » اذهبي مع الأغا هدى
 الأغا : ياسيدي الهائم أختي لا تخف
 حلمي : أنظر إليه ما أخفه دماً ! ...
 عبد المنعم : إمضي هدى هلم شيمي الأغا
 الأخت يا هدى تشيع الأخا
 « السيدة والأغا يخرجان »
 الحمد لله على نعمته زال المنأ
 أشربها ؛ فلا هدى ولا الطواشي هنا

لي ساعة ما ذاقها أنفي ولا ذاق في
 « ويخرج الكأس من مخبئها بين قدميه »

حتى لَكِدْتُ من ظمى أشربها بقدى
 حرمت منها ساعةً وأنت كنت السببا
 سبحانه من لم يُعطِكَ الفهم وأعطاك الغبا
 الآن تأتى هدى فكن فطنا حلمى وكن ثعلبا وكن حذرا
 إن هدى ذئبةٌ

حلمى : علىَّ أجلٌ
 سوف ترى ما أكون ، سوف ترى

ما ذاك أولُ نصب جرّبت فيه صبيك
 عبد المنعم : احفظ لسانك حلمى قالُ زوجى مالى
 حلمى صبي هاهى ذى عائدةً
 حلمى : من يفتح الحديث؟ أنت أم أنا؟
 عبد المنعم : بل أنت ثم خلّ لي تمامه
 حلمى : ولم لا تفتح النارمما
 « تدخل هدى »

عبد المنعم : هدى
 الست هدى : لقد كنت غليظاً جافياً
 ولم تعظم الأغا

عبد المنعم : قد كنت مشغولاً بلقمتى هدى
 الست هدى : تعافى الخمر ضحى ! ...

ولو رآك لجرت فضيحة

عبد المنعم : لكن مضى وما رأى ! ...

حلمى : رأيت سيدى وكيف ساسه وكيف دارى وأنتى؟!
لأجل حينيك رى الزيب من يدينه

الست هدى : الرّجس رى ! ..

عبد المنعم : الآن أسنى يا هدى مسألة آن بها أن يُعتنى

الست هدى : وبم تريد أعتنى ؟

عبد المنعم : بمكتبى ،

الست هدى : وما الذى له جرى ؟

عبد المنعم : يكاد مكتبى يكون مقفلاً

الست هدى : ما ضرّنى أن يُقفل ؟ ..

حلمى : سيدتى المكتب «أبداية» هل تتركاه سدى؟!
فلته ألفان كل سنة

الست هدى : وكيف ذاك ؟ ومتى ؟

حلمى : بل زاد عن ذلك يا سيدتى

بالأمس ، من هارم مضى

الست هدى : وما الذى تريد أن أسنعه ؟

حلمى : مدّى لزوجك اليداً

الست هدى : وكيف يا حلوى ؟

حلوى : نبيعُ الطينَ أو زهرته إلى مدى

الست هدى : طيني أنا أبيعُه، أرهته ؟ ماذا تقول يا فتى ؟ ..

حلوى : لقد عرضتُ صفقةً رائعةً

إن أنقذ الكتب أنقذنا الغنى

الست هدى : حلوى تعقل ! ..

حلوى : دعيني « المتر »^(١) أغرق ديننا

كنا نقيمُ الدعاوى صارت تقامُ علينا

في كل يوم يطلبون « المتر » بالقدم

ويلي عليك سيدي ويلي على معلّمي

غدا ترين سيدي في قفص النّهم

الست هدى : « لنفسها »

أتسممين يا هدى ؟

إبكي هدى ، انثدي ، الطّمي ! ..

غدا يقولون : هدى تزوجت بمجرم

حلوى : الهامى عليه للناس دينٌ

تصلحُ الحالُ حين نخلص منه

ديته أنت تقدرين عليه

مائتا ليرة^(٢) ؛ فأدّيه عنه ! ..

(١) أى الأستاذ الهامى

(٢) الليرة الجنيه

الست هدى : أودى الدين يا حلمى ؟ ومن أين ؟

حلمى : من الطين

الست هدى : وماذا بعدُ يبقى لى إذا بتُ فدايىنى ؟
« لنفسها »

لولا فدايىنى وغلاؤها ما طاف إنسان على بابى
بها تزوجتُ وفي قطنها كفت أزواجى وخطابى
« حلمى »

أنا أودى الدين عنه ، أنا
ما تستحى يا شابُّ ما تخجلُ ؟

حلمى : ألت يا سيدتى زوجه والزوجُ من صاحبها تحمِل
الست هدى : أهل عن مستهتر يومه وليله سكران لا يعقل ؟
« تنادى »

رضوان !...

« يدخل رضوان »

رضوان : من ؟ « ستى » ؟
الست هدى : « همسا » رضوان !...

رضوان : مولاتى !...

الست هدى : اذهب على الفور أدعُ صديقائى
« يخرج رضوان »

« عبد المنعم يتمشى منفضا »

عبد المنعم : « لحلمى »

قد قلت يا حلمى الصواب إسمى هذا هو الصدق هدى
مكتبى الثروة مكتبى الفنى لا مكتب إلا أنا

الست هدى : أنت ؟ لأنك حانة تنقلت وأنت برميل مشى
وأنت شىء فى الرجال ضائع وعالة على النسا

حلمى : سيدتى لا تشتمى سيدتى لا تفضى
طينك قد ترجمه قضية فى المكتب

عبد المنعم : إني لم أخطبك يا هدى لفرط حسنك
ولا تزوجتك يا صغيرتى لسنك
ولا وقعت فى البلاء لسواد عينك

الست هدى : إذن لطيتى بى تزوجت ؟

عبد المنعم : أجل لطيتك ! ..

الست هدى : وأنا يا محامى الشوم ما اخترتك للقبح والمحيا اللميم

عبد المنعم : هذرين وقول هراى ليم إذن قد قبلتني لك بملا

الست هدى : ذكر الخاطبون فضلك عندي

فإذا أنت لست للفضل أهلا

عبد المنعم : إذن دعى الزبرجدا لى ودعى الزمردا
وكل ما حليت منه الكف والمقلدا

الست مدى : ولم ؟ قل لي : أmaal أيبك هذا ؟
أمك خلفت هذي الحلياً ؟

عبد المنم : ألسن الزوج ؟
الست مدى : لا ما أنت زوج
عبد المنم : فإنا ؟
الست مدى : بل طفيلي حلياً

عبد المنم : هان مصوغك !..
الست مدى : لا
عبد المنم : إذن لا بد لي من فلق رأسك

الست مدى : تضربني ؟ أمكذا يكون شكر الحسنه ؟
« وتناول عصا »

تضربني أنا التي تأكل زادي من سنه
عبد المنم : حلمي ... تقدمي بها خذ العصا من كفها
حلمي اختطف منها العصا

حلمي : ما حاجتي بخطفها ؟
أما تراها كاللبسة في مشار عنفها

عبد المنم : طر يا جبان ، وانزع من الخبيثة العصا

حلمي : بل الجبان من يجردُ العصا على النسا

تريد أن تأخذ بالقوة منها ما لها ؟

فألها لا تستميت في الدفاع ما لها ؟

الست هدى : يا ويلتنا واخجلنا وطاري لي رجلٌ بأذني حمار
أضحوكة الجارة شغل الجار لم ير إلا طلائعاً في الدار
ثيابه كفوطه الخمار تنضح بالليل وبالنهـار

عبد المنـم : أسمع حلمي كلام المعجوز ؟ وما تقذف الرمة البالية ؟
أخذت عصاى لتأديبها فجرت عصاك وقف ناحية

حلمي : رأيت رجالاً يضربون نساءهم
فشلت يميني يوم تضرب زينب (١)
« تدخل زينب ثائرة وراءها نساء من الحارة »

زينب : من قال تضرب زينب ؟ من قالها ؟ أنا أضرب ؟
: من قال ذلك يا هدى ؟ لأريه كيف يؤدب ..

الست هدى : ما قالها كاتب الحامى وإنما قالها الحامى
زينب : إذن هو السكير يا أخت
الست هدى : أجل

زينب : ما ستحى تقول ذاك يا رجل ؟
منذ متى فارق وجهك الخجل ؟

الست هدى : دافى زينب عنى شاركينى ما أقسى
منذ حين أوعد السكير أن يفلق راسى
إن أنا لم أعطه كدرى ويأقوتى وماسى

زينب : إذن دعيني هدى دعيني أنزل على زوجك انتقامي
عبد المنعم : حلمي تأمل هذه عصابة

من خدم البيت ومن بعض النساء
قد نظرت في البيت حتى جمعت سلاحها من ههنا وههنا
زحافة مكنسة مغرفة ونحن ما في يدنا غير العصا
حلمي تأهب استعد دافع

حلمي : قف أنت ، عن رأسك حام ، رافع ا.
أسامع أم أنت غير سامع ؟

انظر إلى الزحافة تدور في لطافة كمنق الزرافة

عبد المنعم : وتلك ؟

حلمي : تلك المنسرفة كالمقرب المؤلف

النساء : « يضربن الحام ويقلن »

اضربننه حتى يفسح
اضربننه ، خذ يا لضع
كيف ترى ؟ أين الوجع ؟

عبد المنعم : أجرتني حلمي تمال احمني

حلمي : أنا ؟ خلني ، خلني ، أهرب

على من اليوم لا تعتمد

فإني استقلت من المكتب

عبد المنعم : « حلمى وهو منصرف » :
 قف يا جيانُ تعالَ !... قلتُ
 حلمى : لا تنتظرني إني استقلتُ
 أنت تعرضت لذا إبقِ !... خذ الزُّبرجداً..
 وأنت كنت المعتدى أقمِ !... خذ الزُّمرُّداً..
 إني مستغفِر

عبد المنعم : والأجر ؟ ننسأه ؟
 حلمى : الأجر قد ضاع يعوض الله !...
 الست هدى : زينب تلك صخرةٌ بغيرِ حسنٍ فاضربى
 « تضربه »

أسيماً خديجةً اضربا رضوانُ أدبُ أدبِ
 هذا هو الفولُ فكلُ هذا الزبيبُ فاشربِ
 خذ من يدي الزُّبرجداً خذ من يدي الزُّمرُّداً
 وخذْ إن اسطقت اليدا

عبد المنعم : حسبي هدى كفى كفاني ضربا
 قد كان هذا اليومُ لي مُحبّاً
 سلّمتُ رايتي فكُفّي الحربا

الست هدى : إن أنا خلصتكَ ماذا تصنعُ ؟

عبد المنعم : أذهبُ !...

التمدى : ثم ؟ ...
 التمدى : أبدأ لا أرجع !..
 التمدى : أخرج إذن ولّ القفا يا لکم

قف يا محامي لي استمع واسمعن يا من ههنا
 النذل قد ردّ الطلاق لمشيئتي أنا

« تخرج عقد زواجها »

عصمتي منك في يدي شهدت لي الوثائق
 إمض يا نذل لا تمدّ إنك اليوم طالق !..

سستار

الفصل الثالث

« بحجرة بالطبقة العليا من دار المرحومة
« الست هدى » . « السيد العجيزى » من أعيان
الريف وزوج المرحومة « الست هدى »

العجيزى : « لنفسه »

المال صار يا عجوزُ مالى
وأصبحَ البيتُ وما حوى لي
من بُعدِ عشرةٍ من الرجال
نعم رجال كثيرٌ ماتوا بحسرةٍ مآلِكُ
كنتُ الموفقَ وحدى لما ظفرتُ بذلكُ
الطين فى « بنها » كاقيلَ لي
من أجودِ الأطيانِ فى الناحيةِ
وفى الضواحي يا عجيزى ابتهجُ
ما قيمةُ القدان فى الضاحية ؟

والبيتُ ملكٌ قيّمٌ وإن مشى فيه القدمُ
 مهتدَمٌ مُنَوَّرٌ من رأسه إلى القدمِ
 بأيسر البياضِ والترسيمِ يحيا من عدمِ
 ما قيمة البيت يا عجيزي

وما يساوي إن يبع يوما ؟

قد قيل لي هي ألفٌ
 وقيل ألفٌ ونصفٌ

والفرشُ شيءٌ حسنٌ الفرشُ لا بأس به
 لا بدُّ من تنجيدِهِ لا بدُّ لي من قلبِهِ
 الكنباتُ خشبٌ زانٌ وسنديانُ
 قيِّمَةٌ يبدو على صانِعِها الإتقانُ
 وهذه سَجادةٌ نادرةٌ ذاتُ ثمنٍ
 وهذه أخرى عليها قد تقادمَ الزمنُ
 وصيغَةُ المعجوزِ والحليُّ
 أين تُرى موضعُها اتلخى ؟
 أسألُ « رضوانَ » فإلى غيرِهِ من مُرشدِ

« ينادي »

رضوان ! ...

- رضوان : من ذاك يناديني ، أنت سيدى ؟
- العجيزى : رضوان أنت صادقٌ تعال « رضوان » اصعدا
- « يحضر »
- رضوانُ قل يا ولدى أين مكان الصيفة ؟
- في أى موضع ترى جواهر الميثة ؟
- رضوان : « مصاغها » يا سيدى ليس هنا
- العجيزى : أين إذن ؟
- رضوان : في منزل الباشا « صفر »
- قد ذهب الأغا به في عُلبة
- العجيزى : منذ متى ؟
- رضوان : من نحو شهر قد غبَر
- العجيزى : في المرض الأخير ؟
- رضوان : في أوله
- العجيزى : وأين كنت ؟
- رضوان : كنت في بعض السفَر
- العجيزى : أمانة ثم مُردُّ
- رضوان : سيدى أعلم منى بالدخائل الأخر
- العجيزى : وكنت أنت حاضراً ؟

رضوان : أجل حضرت يومَ ذاك ، وخدمتُ من حَضَرَ

« صوت من الطبقة السفلى »

يا صاحبَ المنزلِ

من

: العجيزى

الصوت : ثلاثة محمد وعامر وأحمد

جئنا نراك ساعةً فقل لنا

تنزل أم نحن إليك نصعدُ

العجيزى : قد حلتم بداركم اصعدوا عندي اصعدوا

« لرضوان »

رضوان اجلسهم هنا وحيثهم حتى أجي

وحيثهم بقهوة من عزبان « القهوجى »

« الثلاثة يصعدون »

رضوان : تفضلوا ياسادتي الآن يأتى سيدي

« ويخرج »

محمد : ثروة ضخمة

أحمد : وخير كثير

محمد : كل هذا إلى العجيزى آلا

أصبح الكلب بعد أن كان يمشى

ينفض الجيب أكثر الناس مالا

- أحمد : و « المصاغ » « المصاغ » بالروح أفديه
- فماذا من لؤلؤ وزبرجد ؟!
- محمد : وهل نسيت يا أخى خاتمها الزمردا ؟!
- فهم يقولون يساوى مائة وأزيداً !
- أحمد : قد ارتدّى المغفل الحريراً
- محمد : واتخذ الشاهي والكشميرا
- أحمد : إذا مشى حصبته أميراً
- وحذاؤه ، أرايته ؟
- محمد : لا ، كيف ، كيف حذاؤه !
- أحمد : تسبيك رفته ويأخذ ناظريك بهاؤه ! ...
- والحزام الحزام ، رقعة كشمير تمنيت أن أكفن فيها
- وكم وكم من قيّمٍ قد اقتنى بعد السعة
- ذاك الحمار تحت مثل الشعلة الملمعة
- محمد : لا يا أخى الحمار شىء من شهور أربعة
- قد اشتريته له وكنت في السوق معه
- إن زاد شىء فاللجام أو يكون « البردعة »
- أحمد : الطين ياعامر الطين عجب ! ...
- الطين أبعادية من الذهب

والبيت ياسيدي محمد البيت فخم البناء مشيد

محمد : كم ياترى الأرض والمباني ؟

أحمد : ألف ذراع وقيل أزيد . . .

محمد : عامر لم سكت لم وما ابتلاك بالبكم ؟

عامر : صه في غدٍ أستأجر الطين

محمد : وكيف وبكم ؟

عامر : ذاك فنى

أحمد : مذ كان يستأجر الطين

عامر : أجل تلك صنعتى يا عزيزى

في غد تكسب الشروط وأمضى

نحو « بنها » أحتل طين « العجيزى »

محمد : ما كالعجيزى رجل يدرى اغتنام الفرص

إن « هدى » دجاجة باضت له في القفص

أحمد : وقد رأيت كيف كان دفنها

قد دفنت مثل فقيرات النساء

عامر : لا يا أخى ظلمته إن الذى قام على المأتم والدفن الأغا

جاء من الباشا ومن زوجته

أخرجها « خرجة » عز و غنى

« يدخل العجيزى فيقول : »

المعجيزى : يا مرحبا بالأحباب يا مرحباً بالصُّحاب

: كذا أنسى، كذا أجنى كذا عني لا يسأل؟

محمد : بناشوق ولكننا نرى المشغول لا يشغل

أحمد : يا معجيزي عزاء مرة أخرى عزاء

أنت قد أحسنت والله وأظهرت الوفاء

مثل ما قد دفنت ما دفن القوم النساء

محمد : وما الذى أنفقت؟

المعجيزى : خن، قل على التوهم؟

محمد : أمانة؟

المعجيزى : فى الدفن ثم مثلها فى المأتم

« زائر ينادى من تحت »

يا صاحب البيت! ...

المعجيزى : « لنفسه » قد صار لي بيت

الزائر : يبقى لنا الحى ويرحم الميت

المعجيزى : « لنفسه »

: يرحمك الله هدى خيرك هذا عني

الزائر : تهاني يا معجيزى لقد ورثت جليلا

تهاني يا صديقى قد نلت خيراً جزيلا

- العجيزي : مَنْ ؟
- الزائر : « مصطفى النشاشقي »
- العجيزي : أَجِئْتَنِي بِعُلْبَتِي ؟
- الزائر : أَجَل ! ...
- العجيزي : تَعَالَ اصْعَدْ بِهَا اصْعَدْ ، مَعِيَ أَحَبَّتِي
- الزائر : مَعِيَ الْفَقِيهُ الْحَلْبِي
- العجيزي : يَا مَرْحَباً بِهِ ، اصْعَدَا
- « للحاضرين »
- ذاك فقيهٌ من سبيل دينه عَلَى هَدًى
- أَتعرفون الشيخ ؟
- أحمد : قَلْ عَامِرُ
- عَامِر : سَلْ مُحَمَّدَا
- محمد : فِي « الزَيْنَبِي » قَدْ سَمِعْنَاهُ يَرْجُ الْمُسْجِدَا
- ذاك الفقيهُ ليس بعده أَحَدٌ لَكِنَّهُ عِنْدِي مُزَوَّرُ الْبَلَدِ
- كَمْ حُلٌّ بِالْفَتَوَى وَبِالْفَتَوَى عَقْدُ
- أحمد : يَا حَلْبِي أَنْتَ حَبْلُ الْمُسْتَقَةِ
- كَمْ لَكَ فِي الْحَارَاتِ مِنْ مَعْلَقَةٍ
- لَمْ يَخْلُ بَيْتَ لَكَ مِنْ مَطْلَقَةٍ
- « يدخل النشاشقي والشيخ »

المعجيزى : هذا هو الشيخُ أتى يا مرحباً يا مرحباً

« للحاضرين »

استقبلوه وقفوا بين يديه أدباً

« لرضوان »

البنُّ يارضوانُ

الشيخ الحلبي : لا .. شيئاً من السكر أو يه

المعجيزى : اذهبُ جىء الشيخُ بها عطرةً وصافيةً

النشاشقي : « همساً فى أذن المعجيزى ، ويناوله العلبه : »

هذا النَّشُوقُ من نَشُوقِ المفتي
يليقُ للوآرثِ زوجِ السَّتِّ

آخر : « ينادى من تحت »

صاحب البيتِ

المعجيزى : سيدى

الزائر : عم صبحاً أنا عبدُ اللطيف شيخُ الحاره

المعجيزى : مرحباً مرحباً تعالَ تفضلُ

« للحاضرين »

رجلٌ لا يرى ثيابَ الجاره

الشيخ : « عند وصوله »

ولكن أنا ما قدرى ؟ وهذا مجلسُ عالٍ

المعجزي : « همسا »
تعال ، ما يقولون ؟

الشيخ : صنوف القيل والقال

يعزُّونَكَ بالميتِ يهثونَكَ بالمالِ
« وهو ينظر إلى جوانب البيت »

تعالى الله ما أبهى ... تعالى الله ما أوسع! ...
مكان الأنس والبسطِ وبيتُ النسوة الأربعِ
يرحمها الله لقد كانت ملاكا حسنا
ولم تقابل رجلاً في بيتها إلا أنا
فكم طعمت وشربت وكسيت ههنا
البيت لما اشتريته كان أبى شيخ حاره
ولم تزل كل عام تُجِيل فيه العماره
المعجزي : وأنت ؟ ..

الشيخ : كنت ابن خمسِ
إلا ليالي عريسٍ لم يدخل البيت زوج
فلست أذكرُ شيئاً لعبتُ فيها صبيّاً
وفارقَ البيتَ حياً

المعجزي : إذن فعمرو البيت ستون سنة

الشيخ : ومن يقولُ مائةً ماغَبْنَهُ
فهم يقولون « الفرنسى^(١) » سكنه

العجيزى : إذن فلقبوه بالعتيقِ

أحد الحاضرين : والأرض والموقع يا صديقى ؟
آخر : البيت كله على الطريقِ

الشيخ : بل منزلٌ مباركٌ تسكنه فى عافية
يكفيه ما حلَّ عليه من جلالِ الناحية
فأنت بين الحنفيِّ^(٢) والبتول الزاكية^(٣)

الحاضرون : لاتنس من جارِكْ إنك جارُ (الحنفي)
وكلنا خادمه وكلُّنا فى الكنفِ

آخر : « يزعم من السلم ويقول : »
يا عجيزى يا صديقى

العجيزى : « فى اضطراب لنفسه »

ذاك داودُ المغنّى

ربما خلَّطَ حتى

أضحك المجلس منى

(١) المراد بالفرنسى نابليون . (٢) السلطان الحنفى رضى الله عنه .

(٣) السيدة زينب رضى الله عنها .

داود : « من تحت »
أيها الوارث قل لي
أأعزّي أم أهنيّ ؟

المعجزي : « للحاضرين »
ذاك داود المغنيّ
قد أتى يسأل عنيّ

داود : لقد أتيتُ ومعى حميدةٌ لكي أريها دارك الجديدة
المعجزي : « لنفسه »
الويلُ لي الويلُ لي حميدةٌ في منزلي
كيف أوارى خجَلِي ؟ !

المعجزي : « للحاضرين »
أتسمعون ؟ ممه زوجته

أحمد الحاضرين : وما لداود وللتسفرنج

آخر : أضعده ، دعه يا معجزيّ ينجي

المعجزي : لا ومقام (الحنفيّ) ان ينجي

آخر : قابله لا تضع عليه سميّه ليس على أمثاله من حرج

المعجزي : لا، ان يطال عتبه سوف أريه أدبه
« وينزل فيصرف « داود » ويعود »

زائر آخر : « يصيح من تحت »

- الزائر : سيدى ا سيدى ! ... أنت هنا ؟
- العجيزى : مَنْ ؟
- الزائر : أنا سلمانُ يا عجيزى أأصعدُ ؟
- العجيزى : «لنفسه»
- ذاك سلمانُ جاء يطلبُ بالدينِ
وقد جنُ أمسٍ حتى تهددُ
- أحد الحاضرين : سلمانُ مَنْ ؟
- مصطفى : تجهله ؟ ذاك مُرابى الناحية
استرجعَ الخمسينَ منى بعد شهرينَ مِنه
- محمد : مُسلمٌ ؟
- مصطفى : وابنُ مسلمٍ وآله جَدُّ بقلب الصعيد شيخٌ ولئ
لم يدع لليهودِ فى « الخط » رزقا
ليس فى « الخط » غيره رِبوئُ
- يا يهودَ الأرضِ قد أصبحَ يشقى العالمون
من بنى الإسلامِ سلمانٌ ومنكم « سالمون »
- محمد : «هسا» وماله والعجيزى وما الذى جاء يصنع ؟
- أحمد : أليست الزوجُ ماتتْ فالوارث اليوم يدفعُ
- العجيزى : سلمانُ يا إخوانُ لم يأتِ لدينٍ أو سندٍ

عامر : وما يضر الدينُ لم يخلُ من الدينِ أحدُ

المعجزي : لا ، بل علاقتي به علاقةٌ من البلدِ
آباؤه كانوا وآبائي شيوخاً وعمدُ

محمد : نادِ إذنُ يصعدُ فلا بأس في

المعجزي : سلمانُ سلمانُ ^{بجيتِه} سلمانُ
تعال سلمانُ فما ههنا إلا أحياء وإخوانُ
« يدخل سلمان ويقول للمعجزي »

سلمان : قيل لي عنك مطلقُ البطنِ شكٌّ
كيف ياسيدي المعجزيُّ حالُك ؟

المعجزي : أحمدُ الله قد تعافيتُ فاجلس
« ههنا »

لا تخفُ ، في غدٍ يوافيك مالكُ

سلمان : أمانكُ شهرانِ حتى تفيقَ
وتهدأ فلمْ لاتمدُّ الأجلُ ؟ . .
وتدفعُ خمسين فوقَ الحسابِ
إذا الإرثُ من كل وجهٍ كتمل ؟ .

دواتي على وفيها اليراعُ وأنت بخير وهذا السندُ
لخذ فضع اسمك

المعجيزي : سِرُّ في الرواقِ لا يطلعنَّ علينا أحد
« ينصرفان »

محمد : قد دخلنا في الرواق سرًّا وقار بالوارث المُرَّابي
أحمد : وبين هذا وذا حسابٌ ويعلم الله بالحساب
« يعودان »

سلمان : « هما مصطنع »
يا مصطنع يا نشوق

سلمان : لبيك سلمانُ أهلاً
: لي كلمةٌ فاذنُ مني لا تنسَ دينك حلاً

المعجيزي : ماذا يقول المرابي ؟ وما أسرُّ إليك ؟
مصطفى : يريد مني نشوقاً مما رأى في يدَيْكَ
الحلبي : الحق أنه نشوقٌ طيبٌ

مصطفى : وفيه يا فقيه عرق العنبر
الباشوات كلهم قد أقبلوا عليه والفتى وشيخ الأزهري
وسيدات « الخط » من حين إلى

عامر : « في سخرية » آخر يبعث الأغا فيشترى
السيدات ؟ أنثى
على النشوق تطوف ؟

مصطفى : لم لا ؟ أما هُنَّ خلقٌ أما لَهُنَّ أنوفٌ ؟

لا تنس يا عامر ! . . .

عامر : ماذا مصطفى ؟

مصطفى : لا تنس يا أخى أعرّ الناسِ
أُمك كانت من غرامها به تأخذُه مِنِّي بالأَكياسِ

عامر : أمى أنا يا رجلاً لا يستحي نشاشقِي يذكُر الخُدْره
« يتناول كل من مصطفى و عامر عصاه »

مصطفى : وأى عارٍ بالشوق إنما
العارُ كل العار شغل السمره

شيخ الحارة : خذوا العصا من « عامر » و « مصطفى »
إلى أخافُ أن تكون « تجزّره »

عامر : دعوهُ لى لا بد من تحطيه
مصطفى : خلّوه لى لا بد أن أُكسّره

العجيزى : وحرمة الميتر تنسيانها وحق بيتى لا تراعيانهُ
غدا يقال عنكما قد سخرّا من العجيزى ومن ضيفانهُ

مصطفى : تلك العصا طرحتها ياسيدى حُبّاً بِكَا
عامر : وأنا أيضاً قد رميت بالعصا لأجلِكَ

« سوت من الخارج : »

دستوركم يا أهل هذا المنزل

المعجزي : مَنْ ؟ ..
الصوت : الأغا ! ..
المعجزي : أَلَا زُأْغَا ؟ .. تَفْضَّلْ

الأغا : « بدخل باكيا مولولا ... ويقول : »
آه على صديقتي آه عليك يا «هدى»
قد خرب البيت فليت لك عينا فترى !
أين جبين كان كالسبدرسنا وسنا ؟
وأين « أهلاً » كلما جئت وأين «مرحباً» ؟
وأين ما قد كان لي عندك من طيب اللقاء ؟
وأين صوت كان كالسحر ينادي يا أغا ! ..

المعجزي : ماذا دهاك سيدي هون عليك يا أغا ! ..

الأغا : «مستمرا» قد ذهب البيت ، لبيت الله وحده البقا
قد ذهب المال ، فسبحان الذي له الغنى ! ..

المعجزي : أفق تجلذ يا أخي ليس البكا من التقي

الأغا : أبكيك يا هدى وإن لم يرجع الميت البكا
« ويقع منى عليه »

مصطفى : « للأغا »

جرب نشوق مرة خذ تجدي الحزن هدا

المعجزي : رُشْوُهُ بِالْمَاءِ يُفْسِقُ

« لرضوان » رضوان هَاتِ كوزَ مَا

الأغا : « يرفع رأسه قليلا ويقول : »

وَلَيْكَ عَذْبًا بَارِدًا إني أَحْسُّ بِالظَّمَا
لَيْتَكَ مَامْتَ وَلَيْتَ الْبَيْتَ يَاهْدِي أَنَا ؟ !
هْدِي تَعَالَى انْظُرِي الْبَيْتَ مِنْكَ قَدْ خَلَا
« للمعجزي : »

سیدی اصنغ لی :

هدی رحمة الله على روحها وألف سلام

يا أسفا على هدى يا أسفا يا أسفا
مالی يَخُونُنِي فِي؟ مَالِي تَخُونُنِي الْقَوَى ؟
« ويتمايل الأغا ثم يسقط »

محمد : لقد رجعتنا فوقعتنا في البلاء والقنأ

المعجزي : « للأغا »

قم يا أنحى انْهَضْ قُلْ تَكَلَّمْ هَاتِرِ بَيْنَ يَاغَا
مَا نَحْنُ فِي مَا نَعْمَا مَا نَعْمَا قَدْ انْقَضَى
وَكُلْ حَيٌّ مَيِّتٌ يَوْمًا وَإِنْ طَالَ الْمَدَى

الأغا : تركت عندنا وصاة

- المجيزى : وما ذا ؟
- الأغا : كتبتُها قبل الزَّواجِ بِعامٍ
كتبتُها وأشهدتُ مُفتي القطرِ عليها وقاضي الإسلام
- قد نرکت برحمها الله امسكونى لا أقع ...
« ويتايل كاللشوان »
- المجيزى : قم خلفه يا مصطفى ! ...
- مصطفى : دعه لساعدي دَعْ
- الأغا : قد ترَّكتُ في عُلبة «مَصَاغِها» عشرَ قطعٍ
من جواهرٍ مُبرِّإٍ من الخلدُوشِ والبُقَعِ
- المجيزى : لمن ؟ ...
- الأغا : لعشرٍ من نساء الحارة من كل جارية و بنتٍ جاره
- المجيزى : وعيَّنتُهنَّ ؟
- الأغا : أجل ، وبَيَّنتُ
- المجيزى : يالَى ، ياللفين والخسارة ! ...
- يا أَسفَ الدهرِ على جواهرى يا ندمًا
- مصطفى : مالك يا أخى ؟
- المجيزى : أحسُّ أنَّ ظهري انقبأ
عوقبتِ يا هدى ولا أخرجت من جهنَّما
- « يضى عليه »

محمد : لا بأس لا بأس إني أرى به إغماء

شيخ الحارة : رضوان طرّجى بكوز

الحلبى : صبّوا عليه الماء

العجيزى : « وهو يفيق »

والبيت يا أغا أجب البيت ما أصابك؟ ..

الأغا : وقفته لبنت أول زوج

الحلبى : إن هذا قضاء حقّ قديم

العجيزى : أرى البنى والتسّف حقاً

يا كثيرَ التحليل والتحريم

قلبتنى هدى على النار حياً

قلب الله جسمها فى الجحيم

« للأغا »

وأثاث البيت هذا ؟

الأغا : جاء أيضاً فى الوصية !

أصبح البيت وما فى البيت يسكا لبيته

العجيزى : إرم يا دهر بالمصائب إرم

ظلمتنى هدى فما كان جرى ؟

شيخ الحارة : بقى الطين فانتظر رحمة الله
ولا يدخلنك اليأس منها
إنها خلفت ثلاثين فدانا بينها وأنت تعرف بنها

الأغا : لا ، لا تصدق سيدى
فما درى ، ما عرفنا

المعجيزى : ماذا جرى إذن ؟ أين
الأغا : الطين أيضا أوقفا
المعجيزى : لمن ؟

الأغا : لبيت الله والروضة قبر المصطفى
المعجيزى : يارب بيتك عني وعن نصيبي غني
وقل لقبرك يرجع لي ثروتي يا نبي
الطين أيضا قد مضى وكل شيء انقضى
يا لأعاجيب القضا

الحلبي : اصبر أخي ، تمر ، ما هذا الجزع
هب أن ذلك الزواج ما وقع
ليس الحياة غير ربي وشيخ
المعجيزى : « وهو يهجم عليه »

هب أن رأسك انقلب هب أن مخك اندلق
حتى جرى على الزلق

سلان : العطينُ أيضاً قد مضى يا ويح لي ، وينح ليّه ..
ضاع علىّ تمبي وضاعت الخسمية ..

هذا المعجزيُّ مزيج من غباءٍ ونكدٍ
قد جاء مصر هارباً من الديون في البلد
وماله من عمل فيها ولا له أحد
لكن عليه سند

النشاق : إذهب ، كل ، اشرب السند
الجميع : إذهب ، كل ، اشرب السند ! ...

ستار الختام

البن خيالة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٤

تمهيد

سنة ١٩٠٧

القاهرة

زمن الرواية

مكان الرواية

أشخاص الرواية

الست نظيفة

جمال

حُسنَى

عبد السلام

رشاد

عزيز

(البغيسة)

حنيفة

خادمتها

طبيب

محمّد

من أبناء اللوات

الفضل الأول

« قهوة » جميل « بيدان « لاظ أوغلي » . « جمال » و « رشاد »
« على مائدة يتحادثان ، وآخرون متفرقون . يدخل صبي القهوة »
« بصينية عليها المطلوب من المشروبات فيناول الزبائن . ويقول : «
« هنا سادة ، هنا القرقة ، هنا الشاي . ثم ينتقل إلى مائدة « جمال »
« و « رشاد » ، ويقول : خشاف سيدى . والبا^(١)نزهيران ؟ »

جمال : البانزهير لى أنا

رشاد : وشيشتى يا مصطفى

الصبي : طلبتها يا سيدى

[يمر بائع جرائد مناديا]

^(٢)
اللاوا

(١) الليمون

(٢) جريدة « اللاوا » التى أسسها الزعيم مصطفى كامل

- رشاد : اللوا تعال يا ولد
- البائع : إقرؤا حديث مصطفي^(١) إقرؤا خروج المعتمد^(٢)
- رشاد : كرومر ؟ خروج متى ؟
- البائع : خدا أو بعد غد
- رشاد : من قال ذاك ؟
- البائع : [ويشي]

مصطفي

- رشاد : التفت الأفكار حو ل مصطفي كالفائد
- جمال : وصارت الأخبار عند باعة الجرائد
- رشاد : آمين مهي بمصطفي كني تعنشا كني
- والعقلاء

جمال : كلهمو

رشاد : والأذكىاء

جمال : اشربهمو

(١) انزعيم مصطفي كامل

(٢) اللورد « كرومر » ، المعتمد البريطاني

رشاد : ما أنت ؟

جمال : لستُ منهمو

لانى أنا مع البلد إن قام قتُ أو قعدُ
لم يرنى فيه أحدُ

[اثنان على مائدة يتجادلان عن جمال] :

الأول : تأملُ المُكثِر من إعجابه بنفسه ينظر في ثيابه
تلفتُ الطاووس في إهابه

الثانى : لله ما أظرف . ياله فتى قد أبدع البارى تعالى شكله
لو كان هذا ولدى وواحدى خرجتُ قبل الموت من مالى له

الأول : من الفتى يا أنى ؟

الثانى : جمال هذا الذى يخلف البخيلة
على الدكاكين والضّياع والثروة الضخمة الجليله

هذا الذى يفترس الأكياسا ولا يرى الأحلام إلا ماسا
فإن صحا شكا لك الإفلاسا

ياخذ من هذا وذاك بالرّبا يُعطى نحاسًا ليردّ ذهبًا

وقيل شيء فوق ذا

وما يقولون ؟

الأول :

عَجَبٌ

الثاني :

الأول : ماذا ؟

الثاني : بسلاطُ بيتها مرَّكبٌ على السذهب

الأول : وذلك الآخِرُ من ؟

ذاك من الساسير

الثاني :

يبيع كل عامر يصيبه وخامر
وكم وكم زوج أو طلق من حرائير
تلقاه في كل طريق كالغبار السائر
من قهوة لبيرة لمتدى لسامر
ويدفع الشباب في السوَّحول والمخاطر
فمن يندى مسلف إلى يندى مقامير
ومن سموم حانة إلى لعب ماهير

لا يُبغض الله ولا رسوله

من العباد كالسرايين فيئة

الأول : أَى رِبَاً يَشْتَرِطُونَ يَا تُرَى ؟

الثانى : عشرون أو ما فوق ذاك فى المائة

أنظر إلى السمسار يسحر الفتى

وانظر إلى الغلام كيف استحسنة

عندى ألف ما مالكتُ غيرها

من لى بها ألفين إن فاتت سنة ؟

الأول : عندك ألف أنت ؟

الثانى : ألف ذهبا

الأول : تريد تعطيلها بفاحش الربا ؟

إذن لقد كنت تُرائى يا أحمى

ولم تكن تقسواك إلا كذبا

[جمال يرفع صوته] :

بالله من ذا الحديث دعنا

وانظر معى هذه الكُتُبَة

[ينظر إلى رجل وجيه ملفف بالثياب ومعهم] ويقول :

ومن يكون الوجيه ؟

رشاد : هذا مقاول يكبرون كسبه

وكل يوم عليه نعل وكل يوم عليه جبة

تراكم المال في يديه من حبة أميس صار قبة

جمال : وما قن الحظ بالكركدن وما أعجب المال من سمخته ؟

رشاد : ومن عجب بعد هذا المشيب

بني بائنتين على زوجته

ورام الزواج ببنت النقيب ؟

فما قيلوه على ثروته

جمال : وما تلك ؟ من هي بنت النقيب ؟

رشاد : فتاة هي البدر في ليلته

جمال : وما بيتها ؟

رشاد : قصر آباءها

طويل العماد عريض الغرف

جمال : وما مالها ؟

رشاد : القصر عنوانه

أليس القصور رموز الترف ؟

جمال : وما سمعة البيت ؟

رشاد : ماذا تقول ؟

أما في قديم البيوت الشرف ؟

جمال : وَلَيْمَ أَبَتَ الشَّيْخَ وَهُوَ الْغَنِيُّ

رشاد : وهل كل مافي الزواج المهور ؟

وهل يملأ التيس عين المهاة

وهل تحمل الكركدن القصور ؟

جمال : رشاد أمي حلوة ؟

رشاد : وذات قصير ، وكفى

جمال ، ما ضرر لو أتي صا هرت الغنى والشرفا ؟

أتعرف البنت يا رشاد

رشاد : وأعرف الأم يا جمال

جمال : كيف ومن أين ؟

رشاد : لي بيت السقيي من نشأتى اتصال

أمي كانت إليه تغدو

إذ أنا طفل . ولا تزال

جمال : ماذا ترى رشاد إن طلبتها ؟

تُرى تردني إذا خطبتها ؟

رشاد : أصنع لي ، أنت مثل ما تتمنى

« زينب » تجمع الغنى والجمالا

جمال : الغنى يا رشاد ؟ إنك تهذي

أنا أهذي ؟

رشاد :

أجل . وتخلط

جمال :

لا . لا

رشاد :

أنت فوق النقيب دخلا ورئعا

بعد حين وانت أكثر مالا

جدة تجعل الحديد على الماء

لِ وتُحَيِّ الأَبوابَ والأَقْصَالا

أشدُّ مني ومنكا

جمال : لكني يا صديق

سيُفَرِّج الله عنكا

رشاد : صبرا فَعَسَا قَلِيل

جمال : وجمالي ؟

رشاد : [ويخرج مرآة]

أفي جمالك شك ؟

خذ تأمل . أنظره في مرآتي

سوف تسي فؤاد زينب

جمال : من « زينب » ؟

رشاد : هذا يا صاحبي اسم الفتاة

جمال : رشاد ، اسمع ، عقدت العزم فاذهب

وأنتك فاخطب لي اليوم زينب

رشاد : إذن أعطني ليرة من حسابي

وبعد غد نلتقي ها هنا

جمال : [يناوله الليرة] :

قبلت نفسي

رشاد : [بعد أن ينظر أمامه] :

انتظر يا جمال بربك فالخط قد أحسننا

فهذا أخو زينب مقبلاً

فيسر حيث شئت ، ودعني أنا

[يجلس عزيفاً يقدم إليه رشاد]

رشاد : عزيزُ؟ مَنْ؟ أهلاً أنى منذ شهرٍ لم أركُ

عزيز : رشادُ أنت ما هنا؟

مَنْ ذا الذى كان معك؟

رشاد : أنظر إلى ثيابه ولونها كيف اتَّحد

أنظر إلى حدائه من النظافة اتَّقد

والبنطلون مُستَيّر لم ينكسر . لم ينقص

أعزني السمع أغير عندي لكم شيء يسر

عزيز : ما ذاك؟ هايت . ما الخبر؟

رشاد : هذا جمالٌ وحيّد جدّه

بخيلةٍ يا عزيزُ، جلدّه

عزيز : وعمرها يا رشادُ؟

رشاد : يربو على الثمانين

عزيز : تسلك مُدّه

والمالُ؟

رشاد : ما شئت من فدادين

ومن بيوت ومن دكاكين
والذهب الصب كل ناحية
في البيت ، من محباً ومدفون

عزيز : والآن ماذا تبغني ؟

رشاد : أريدُه زينبا

عزيز : وكيف ؟ هل يقبلها ؟

رشاد : كلمته في أبي

فامض إلى أمك يا عزيز بلغها النبا
لقد وصفت القصر لئلا يله وصفاً عجبا
ولم أزل أطيرى له السجد وأمدح الأبا
وأنت المجد القديم وأحلى النسب
وقلت عن أمك خيراً وامتدحت زينبا

عزيز : وقد نسيتني أنا ؟

رشاد : لا . بل أطلت الكذبا

عزيز : وما الذي قلت عني ؟

رِشَادٌ : قُلْتُ : فَتَى مَا أَفَاقَا
بِالْإِيلِ يَغْشَى الْمَلَاهِي وَبِالنَّهَارِ السَّابِقَا

مَزِينٌ : تَسَالَنِي عَزِيزُ رَأْيِي
لَمْ لَا ؟ أَلَسْتَ مِنْذُ زَمَنِ الْمُهْدِ أَخَا ؟

رِشَادٌ : أَتَمَّ عَزِيزُ يَا أُنْحَى فِي أَرْمِي
وَلَا يَفُكُ ضَيْقَكُمْ إِلَّا الْغِنَى

مَزِينٌ : الْمَالُ فِيهِ وَحْدَهُ خَلَاصُكُمْ
لَا بَدَّ مِنْهُ الْيَوْمَ أَوْ لَا فَعْدَا

رِشَادٌ : أَجَلٌ ، بَذِيرُ الْمَالِ لَا عَيْشَ لَنَا
وَكَيْفَ ؟ مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ ؟ أَفَتَنَا

رِشَادٌ : مِمَّا نَحْوُضُ فِيهِ مِنْذُ سَاعَةٍ
مِنْ الْفَقْرِ ، مِنْ ، وَتِ جَدَّةِ الْفَقْرِ

عَزِيزٌ : وَمَا الَّذِي نَهْنَعُ كِي نَصِيدَهُ ؟
لَا بَدَّ مِنْ مَصِيدَةٍ

رِشَادٌ : تِلْكَ أَنَا
اسْمَعْ أُنْحَى عَزِيزُ أَتَمَّ أَسْرَهُ

لَمْ يَبْقَ مِنْ وَجُودِهَا إِلَّا شَعْرَا

قصرُ كَو من قِـدَمٍ مُـهَدِّمٌ
 قد خَاطَ فيه العنكبوتُ وبنَى
 سكتهموه هاهنا وهاهنا
 كالـبوم . . كل يومَينِ في فضاء
 ملائمـوه خدماً أشداقهم
 دائرةٌ على الرغيف كالرحا
 أنظر إلى القصور كيف أصبحت
 لم يبق من مقدِّم ولا أغا
 احتجب القوم وراء ظلها
 لا يُسأل البوابُ إلا قال : لا

مزبذ : كفى رشادُ صفةً لبؤسنا . كفى . كفى
 ولا تعذب مهجتي ولا تهبج لي البكا
 واميض اجتهد رشاد في تزويج أختي بالفتى
 إذا كان لها أهلا

رشاد : ولم لا يا أنى ؟ لِمَ لا ؟
 فتى لم يحكيه الشبا ن هنادما ولا شكلا
 ولم يُنكر له الإخوان ن لا ظرفا ولا عقلا

ومن بيت يرى الناس عليه الخير والنبلا
أبوه كان إنسانا

عزيز : وهذا كله فضلا

عما وراء جدته

وعن عظيم ثروته رشاد :

يا ليتني في حالتي

اسمع عزيز يا أخى أنا وأنت لا نرث

أملط يارب كما خلقتنى راض على قلّة ما رزقتنى

عزيز : دعنا من الهزل . هلا أخذت في الجّد ساعة ؟

رشاد أنت صديق ماذا ترى في البضاعة ؟

ادخل بنا في الجّد يا رشاد متى تسراه ؟

رشاد : في غيد أراه

عزيز : لم تقل لى عن الفتى . ما أبوه ؟

رشاد : كان نقر الرجال . . كان مديرا

[ثم لنفسه]

كان والله يسكن المصبح والليل إلى كل حانة يسكيرا

عزيز : والفتى . كيف شغلُهُ ؟

رشاد : في الدواوين

عزيز : إذن قد نراه يوماً وزيراً

رشاد : لِمَ لا ؟

[ثم لنفسه]

قلْتُها ومن أين أدرى ؟ ربما صار حاجباً أو خفياً

[ثم لعزيز]

لا تسألني ما أبسوه يا أنى أو من الأمِّ وسلِّ ما جدُّهُ

لا ولا ما شغلُهُ ؟ ما جاهد ؟ في الدواوين ولا ما رتبُهُ

بجمالٍ في غيدٍ أو بعده بوزيرين تساوى ثروته

[بعد لحظة]

وَلِمَ لا وجدُّهُ نملةٌ

إذا وقفت أو مشيت حصَّلت

وتدخل في بيتها ما تُصيبُ

ولا يُخرج الدهرُ ما أدخلت

لو انقلبت من جميع الجهات

على القشِّ في فمها ما انقلَّت

ترى المال في بيتها في الخفاف

وتحت البلاط وحشو السلت

عزيز : عجبت . يأتي البخيل المال وهو يرى

أن البخيل إليه غير محتاج

وقل ما جاء حراً ما جسدًا ومشى

إلى الكريم الكثير الهم والحاج

آه ما أكثر حاجي من بجاجتي أناجي ؟

أزمة دوت فلم ألق لها وجهه انفراج

رشاد : عزيز أنت . فليس

ما شئت في ذاك فقل

عزيز :

رشاد : على البلاط يا عزيز كلنا ذاك الرجل

عزيز : إذن جمال صفة رابحة لنا كلينا

قد فهمت مآربي

رشاد :

ولست أنسى فضلكم عندي ولا

ما طوقت أمك أمي وأبي

عزيز : اذهب إذن رشاد فاطلبه

رشاد : لمن ؟

عزيز : لي ، ولزيب ، وأم زيب

رشاد : للآم والابن والبنيت ؟

أجل

عزيز : وكل من مت لنا بالنسب

رشاد : أصبت يا عزيز أنت فطن

عزيز : لا بل هو البؤس يفتن الغي

رشاد : وركوبى يا صديق وذهابى وإيابى ؟

عزيز : إمض أنفق ما تشاء واصبر إلى يوم الحساب

أنا لو بيع بفليس لم يخذ سوقا حرابى

كلانا رشاد على زورق كبير وموچ عنيف شقى

فإن ننج ننج بخير المتاع وإلا غرقنا مع الزورق

* * *

« ثلاثة آخرون جلوس على مائدة بالقهوة . »

« أحدهم يقرأ جريدة ، والآخرا يتعادثان »

الأول : من ذلك المِطْل من لحيته

كالبغل من وراء بخلة رنا

الثانى : تسأل عن ذاك الذى انحنى على

صحيفة يقرأ ولأنا القفا ؟

الأول : أجل . أجل هذا القفا

الثاني : هذا هو الدكتور

الأول : من ؟

الثاني : هبذ السلام مرتضى

يقرأ ما صادف من جريدة

من سطرها الأول حتى المنتهى

وتستوى مخف الصبايح عنده

ومخف ظهرن من عام مضى

تذاكر الدفن التي يكتبها

في الشهر أضماف تذاكر الدوا

وعيبه البخسل

الأول : فيه بخل ؟

الثاني : البخل من جارتى نظيفة

الأول : من يا أنى هذه ؟

الثاني : عجوز

في (الخط) من أسرة شريفة

ليس لها في الحياة إلا عبادة المال من وظيفته

حتى لقد صارت حديث الحارة
 وضحك الحارِ وتُخَرَّ الحارة
 كلُّهمو يحسدها بما لها ويتمنى حاله كمالها
 وهكذا الأنفس في ضلالها

الأول : ما غناها يا أخى ؟

الثانى : أكثرُ هذا الخُطُّ مالا

الأول : ومن الوارث إن ما تت

الثانى : فتى يُدعى جمالا

الأول : وذلك الدكتور ؟

الثانى : هذا « مادر »^(١)

الجوعُ يا أخى ولا الأكلُ ممّة

لقد دمانى للغداء مرّة

فقَّمَ البيضة بين أربعة

وحىء بالشواء

(١) أبخل العرب ؛ ويضرب به المثل فى البخل .

قل ماذا جرى ؟

الأول :

أومًا إلى خادمه أن يرفعـه

الثاني :

رأى فيه عيبًا وإن لم نجد

على اللـهم عيبًا سوى قـلـتـه

فقد كان أنضج لحـيـم رأيتُ

وقد كان كالـسـك في نكهـتـه

ومن بخـلـه تُفتحُ القهـواتُ

وتُغلقُ ، وهو مل « شيشـتـه »

يُقضـى بها طـرفـة يومـه

ويُقضـى بها طـرفـة ليلـتـه

الأول : ومريضاه ؟

الثاني : يلقاهم في الطريق حينًا ، وحينًا مل قهـوتـه

[فلام يدخل القهـرة صانـحـًا]

الغلام : أين هو الدكتور ؟

أحدهما : ذاك

سيدي أخى سـقـطـ

الغلام [للدكتور] :

تحت الترام

الدكتور: فليكن أو تحت وابدور الزايط

فما الذى أصابه ؟

السلام: انفلق الرأس

الدكتور: فقط ؟

هيا ولو أنى ما عالجت فى الشارع فقط

السلام: الله فى عون الجريح منك جراح القطة

« ستار »

الفضل الثاني

| في منزل السيدة نظيفة |

« حجرة بها دكة عليها ثلاثة ومخدات ثلاث — السيدة »

« نظيفة تلبس جلابية من الشاش الأبيض ، ومنمصة »

« بمنديل ، وفي رجليها القباء »

نظيفة : [تتكلم وحدها في الحجرة] :

منزلي حولى نظيف وأنا الست نظيفة

وبسلاطى ذاك أنسى بكثير من صحيفة

كل ما كلفنى ما وصابون وليفة

لا بساط لا كلیم لا حرير لا قطيفة

غير هذى الخشبات السخيزانات الخفيفة

ليس بیتی کیسوت الناس احمالاً کثیفه
 أنا بیتی فی الهواء الطلق والشمس اللطیفه

ودکتی تـلـک اعلیٰ لدی من ألف صفه
 کم مال زوجی ملیها وكان یقطر خفّه
 جلستُ فیها عروسا والیوم اذ أنا قفّه

[بعد أن ترى « حسی » الخادمة داخلة علیها ویدعها شیء]

تعالیٰ یا ابنتی جیسیٰ بماذا جئتینی « حسی » ؟
 حسی : لقد جئتُ بفنجان
 نظیفه : خذیه جرّی البنا

(١) وهذا شُبکی هاتی

حسی : أجل بالعود قد جیتُ (٢)

وفی الكیس مع الدخا من زندانٍ وكبریٰ (٣)
 نظیفه : سلمتُ حسی یداك

(١) أداة للدخین .

(٢) هود البخور .

(٣) مثنی « زند » ، وهو ما تقدح به النار .

حسنى : أنا مولاتى فـذاك

والآن هل آخذ نخرج^(١) النهار

نظيفة : إمضى خذيه لأنه فى (التكرار)

حسنى : هيا ته سيدتى ؟

نظيفة : أجل

حسنى : وما أخـرجتـ لى ؟

نظيفة : رأس من الثوم ونمـسـس من صغار البصل

حسنى : والسمن مولاتى ترى ؟

نظيفة : كأميس . لم أقـلـل

أوقية

حسنى : والأرز ؟

نظيفة : لا لا يدخلنـ منزلـى

لقد غلا سمرا ولا يُعجبـنى السـمـر الغـلى

حسنى : ليتـك بالزيت افـتـكر تـ والدقيق والعسل

نظيفة : ولـم يا حـسـنى أرا . لك اليوم عادك الخبـل ؟

(١) ما تخرجه « نظيفة » مادة من مواد لإعداد الطعام .

نسيت أن هاهنا وتحت هذى الكنبه
العشرات من قديم الكعك والغريبه؟
حسنى : لم أنس يا سيدتى

نظيفة : أنت لاذن مخربه

حسنى : قد انتهيت لقمة السقاضى

نظيفة : انتهيك عقربه؟

وما الذى اشتريت يا « حسنى » لنا من الخضرا؟

حسنى : « الباميا » كأنها الزر مرءد الخمام الحجر

نظيفة : « الباميا » ؟ منذ متى هذا الخضار قد ظهر؟

حسنى : جديدة .. قلت عسى سيدتى بها تسر

نادى المنادون عليها منذ أسبوع عجز

ترفل فى شوكتها وفى شبابها النضر

نظيفة : أجل لقد أكلتها فى منزل الشيخ « عمر »

كالذهب الإبريز والشوم عليها كالدر

حسنى : واليوم ناكلنها

نظيفة : أمر من طعم الصبر

اشتريت غالية مثل البواكير الأخر

حسنى : هدية تلك

نظيفة : وممن ؟

حسنى : من قريب لى حضر

نظيفة : من أين جاء ؟ ومتى ؟

حسنى : من الصعيد قد بكر

نظيفة : ولم تُرى جزيته ؟

بقبله مستعجلاً ؟

إمضى فتاتى وأطبخى

« دقية » مكملة

كانها خليفة

من عسل عملة

والثوم فيها لؤلؤ

وهى به مكملة

والعظم ..

حسنى : واللحم ..

نظيفة : احذرى

يتعبنى أن أكله

حسنى : اللحم يا سيدتى

فى « الباميا » ما أسهله

نظيفة : « حسنى » انظرى

حسنى : سيدتى

نظيفة : على البلاط وسخ

حسنى : الآن أغسل البلا طَ ثم أميضي أطبخُ

[تنزل السيدة إل حجرتها . . يدخل جمال]

جمال : حسنى

حسنى : جمالُ سيدى ؟

جمال : أنتِ هنا ؟

حسنى : أنتَ هنا ؟

جمال : ما تصنعين ؟

حسنى : صنعتى اليوم وصنعتى غدا

على البلاط أنحنى أغسله كما ترى

جمال : يارب لم خلقت للعذاب هذه اليداء ؟

حسنى : لا . . لا عذابَ سيدى إني أحب العمل

جمال : وأين جددى فلم نرى لا أراها هنا

حسنى : أظنهما مضت تصلى فى الحزانة الضحى

جمال : لله أو لئال يا حسنى ترى ؟

حسنى : كما تشاء

مالى وما عمله ؟ لكلِّ عبد ما نوى ؟

جمال : [لنفسه رقد رأى كيسا على الدكة] :

ما ذاك تحتي ... كيس ؟ بُشراي . هذا خراب
أعمر ليت شعري جرابها أم خراب ؟

كيس ؟ أجل كيس وحسني لا ترى ... لا تسمع
[ثم يقبله] :

كيس وفيه ذهب أخذه أم أدع ؟
[إثره مترددا]

لا ... لا ... أليس أنا ؟ لا ليت يدي تنقطع
[يتناوله] :

لننظر ما حوى الكيس

[يفتح ما فمه]

جنينان . . . ريلان

وهذا فص يا قوت وذى سبعة مرجان
[يخرج ما في جيبيه]

لننظر ما حوى جيبي أفرشات ونصفان ؟
حرام شدة البخل حرام طول حرمان

[يرد نقوده ، وينظر إلى الكيس] :

فإن مددتُ نحو كيسها اليدا سرقْتُ نفسي ما سرقْتُ أحدا

ولا أرى سارقَ نفسه اعتدى

لا يا جمال .. ما رأى رأيك في الناس أحد
من قال مالُ الوالدين مُستباحٌ للولد؟

[حسنى ، وقد نظرت إليه خلسة فرائه ، وهو يسرق]

يا أسفا على جمالٍ ما صنع؟ جاء إلى الكيس مرارا ورجع

حام عليه برهة ثم وقع

[لنفسها] :

ويح جمالٍ جرؤت على الحرام راحنة
ما كان لئسا إنما جنت عليه جدته

[جمال يدمس الكيس في جيبه] :

وليم لا؟ والمال مالى بعدها وإن تصرفت بمالى وحدا

وديعتى حتى تموت عندها

[يخرج مسرعا]

حسنى : يا ألف ويل على جمالٍ انسَلْ كاللصِّ فى الظلام
الفقر والبخل صيراه من ابن بيت الى (حرامى)

هو لصٌّ وسارقٌ غيرَ أنى أُجِبُهُ
حرمته القليل من حقِّه .. أين ذنبُهُ ؟

إنى بعينى هذه رأيتُــه مرددا
لما أحسَّ المالُ جُنْـنَ واضع الرِّشـدا
على التفسير والعفا فى والجبا تمودا
لو ملأت جودته يديه ما مَسَدَّ اليـدا
[ثم تسمع نبرة فتقول] :

قد رثَّ فى الجبيرة قبعاها

صلَّت وعادت من مُصلاها

وما درثٌ وهى تصلُّ الضحى

أنتُ جمالا من مخاياها

[تدخل السيدة نظيفة بدون أن ترى « حسنى »]

[فتقول حسنى لنفسها] :

تسرع نحو كيسها لم تسرنى .. فلانتظر

ماذا تُرى تفعل؟ هل تبكي دماً أم تنتحر؟
[نظيفة لنفسها] :

كيسى كانت هاهنا من ساعة .. شىء عجب!
من يا ترى طيره؟ كيف اختفى؟ أين ذهب؟
فيه ريالان وفيه قطعتان من ذهب
وضعه هنا وغبت عنه .. ليت لم أغب
كيسى حبيبي أين أنت؟ كيف ألك؟ أجب!

كيسى .. يارب أعدلى كيسى وخذه لى يارب من إبليس
وكل اص فاجر خسيس

إن عدت لى فشمعة للحنى أو شمعتان
قرش يعود لى به من القروش مائتان
وشمعة للسيدة توضع فى مسجدى
تبيت فيه موقده بالقرب من مرقدها

لا .. أنا فى فقر إلى شمعة
سيدتى « زينب » بي عالمه

ولم يرَ الناس ولم يسمعوا
سيدةً تأخذ من خادمة

[ثم بعد أن ترى « حسنى »]

نظيفة : حسنى

حسنى : مرى

نظيفة : أنت هنا ؟

حسنى : أجل

نظيفة : تعالى اسمعى

خلى البساط

حسنى : ما جرى ؟

نظيفة : دعيه ساعة دعى

حسنى : ماذا جرى سيدتى ؟

نظيفة : ما لم أكن أنتظر

مصيبة .. فاجعة

حسنى : ماذا دعى ؟ ما الخبر ؟

نظيفة : كيدي كان ما هنا طيره المطير

حسنى : ما كان فيه ؟

نظيفة : ذهبٌ وسُبحَةٌ وجوهرٌ

حسنى : وهل ظننتِ السوءَ بى سيدتى ؟

نظيفة : أستغفر الله ابنتى أستغفرُ

« حسنى » ابنتى خادمتى تسرقنى ؟

ذلك ما ليس ببالى يخطرُ

فى ذمّةِ الله كيسى عَوْضَنِى اللهُ عنهُ
واللّـصُّ لا بدّ يوماً يَقْتَصُّ لى اللهُ منهُ

حسنى : سيدتى مسرفةٌ سيدتى مضيقّةٌ
إن الحارِبَ لم يكنْ هذا المكانُ موضِعَهُ

نظيفة : إذهبي يا ابنتى عرفتُ غريمى

أنت لا تجهلينه فهو منّا

حسنى : مَنْ تُرى؟ مَنْ ؟

نظيفة : سلى ضميرك عنه أنتِ منه ملكتِ قلباً وذهناً

حسنى : مَنْ ؟

نظيفة : جمالٌ

حسنى : ماذا تقولين يامو لاقى

نظيفة : الصدق

حسنى : بل تظنين ظناً

من ؟ جمال ؟ هذا محال فظنى

بى أنا السوء

نظيفة : أنت ؟ حاشاك « حسنى »

حسنى : إذن من ؟ قطعة فى البيت لما لم تجد لها

مضت بالكيس ظنته هو الجملد أو العظم

نظيفة : [مستفحكة]

لمعنى اذهبى يا خبث يا نكبة فى الإناث

أوشكت تدخل الضحى . . الهسى الفو

طلة « حسنى » طيرى إلى الكانون

واحذرى الطبخ أن يشيط وسدى الـ

باب دون الأنوف . . دون العيون

حسنى : سيدتى ها أنا ذى ذاهبة لشايبا

انتظريني سامة ثم انظري طعامي

[تخرج]

نظيفة : [لنفمها]

قد ذهبت شأنها اليوم يوم « الباميا »

« حسنى » اذهبي ابنى لنى شك وإن

أظهرت أنى بك جد واثقة

قد سرق الكيس وما من أحد

سواك فى البيت فانت السارقة

ولكنى أداريك فأخفى خبر البئر

وكم سيدة قيدها الخادم بالسر

[جمال يدخل] :

نظيفة : من ؟

جمال : جدتى ... هذا أنا

نظيفة : من ؟ ولدى جمال ؟

جمال : ما صنع الزكام يا جدة

نظيفة : لا يزال
 وأنت ما تصنع يا جمال ؟ كيف الحال ؟
 جمال : الحال يا جدة زفت وقطران
 نظيفة : كيف ؟ انفض الجيب
 فيه جنينان
 جمال : أنا ؟ جنينان ؟ ومن أين له ؟
 جيبى حق من رياين خلا

جدة

نظيفة : روحى ... تكلم
 جمال : أقول لكن مدينى
 نظيفة : إلا النقصود فلانى
 جمال : إذن أمضى كما جدت
 ماذا ؟ فداك البنونا
 جدة لا تفصينا
 حلفت أميس يميننا
 إذن لا شىء يا جدة
 على أنى لم أغفر
 بشىء منك من مدة

نظيفة : والثلاثون رايالا ؟

جمال : قد مضى شهرها
 تلك شمتها يسد النشال فانسلت إليها

نظيمة : لا حَرَمَ اللهُ اللّهُوَصَّ خَيْرَكَ

ما بِالْهُسَمِ لَا يَسْرِقُونَ خَيْرَكَ

لَمْ تَلْقَنِي وَتَنْصَرِفْ بِمَالِي إِلَّا وَمَادَتْ قَعْمَةُ النَّشَالِ

كَأَنَّ مَالِي لَيْسَ بِالْحَلَالِ

جمال : لَمْ أَقُلْ مَالُكَ يَا جَسَدَةٌ تُنَحُّتُ أَوْ حَرَامٌ

فَلَقَدْ يُسْرِقُ مَالُ اللَّهِ وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ

نظيمة : الْعَيْنُ يَا جَمَالُ

جمال : لَا تَقْضُولِي لِمَا إِلَى مَالِكَ مِنْ سَبِيلِ

لَعَيْنٍ حَاسِدٍ وَلَا قُضُولِي

مَالُكَ فِي الْخَافِ وَالْمُسْدِيلِ

مَالُكَ فِي الْقَفْسَةِ وَالزَّنْبِيلِ

وَتَحْتَ مَاءِ الْبُئْرِ فِي بَرْمِيلِ

نظيمة : فِي الْبُئْرِ ؟ إِنَّ ذَا عَجَبٍ مَاذَا تَصَوِّغُ مِنْ كَذِبٍ ؟

[في اضطراب]

جمال لَا تَنْسِ الْأَدَبَ

في البئر يا ابني؟ هذه ما خطرث بمالي
 ليم لا تقول المال قد خبأت في مروي؟
 لكن هبوني قد فعلت ما لكم ومالي؟
 ألسن يا ابني حرة بصيرة بمالي؟
 أصنع ما شئت به أصنع ما بدا لي

جمال : هوئي جدتي طيسك فإني لم أنازعك هذه الحرية
 خبئي المال حيث شئت من المند

زلي في السقيف أو وراء حنية

ادفنيه في مطبخ أو كراير

أو لحاف أو ثلثة أو خشية

أو قوارير في قنطرة بئر

ذات عميق عن الظنون خفية

جدتي هذا كثير ما السلاثون ربالا؟

هي يا جدة ليست عند أمثالي مالا

لا يمينًا ملأت يـو ما ولا اغنت شمالا

نظرة : عند أمثالك ؟

جمال : أَيْ وَاللَّهِ

نظيفة : مَا أَنْتُمْ رَجَالًا

هِيَ تَبْسُفِي ثَرَوَةَ الْمَرْءِ إِذَا كَانَتْ حَلَالًا

اسْمِعْ جَمَالُ

جمال : سَامِعٌ يَا جَدَّتِي

نظيفة : جَدُّكَ يَا بَنِيَّ كَانَ مُفْلِسًا

جمال : مِثْلِي يَا جَدَّةُ ؟

نظيفة : لَا يَا وَلَدِي بَلْ كَانَ أَشَقَى حَالَةً وَأَتَعَسَا

أَسَسَ مِنْ شَرِّهِ نَقِيرَ ثَرَوَةٍ

جمال : لَمْ تَذْكُرِي جَدَّةُ كَيْفَ أَسَسَا

أَلَمْ يَكُنْ سَكْنَاهُ رَبِّهَا دَارِسًا ؟

أَلَمْ يَكُنْ طَعَامُهُ الْمُدْمَسَا ؟

أَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْبَلَاطِ نَوْمُهُ ؟

أَلَمْ يُحْسِرْ نَفْسَهُ أَنْ تَلْبَسَا ؟

نظيفة : وَمَنْ نَبَاكَ أَوْ مَنْ ذَا

رَأَى جَدُّكَ عُرْيَانًا ؟

جمال : هبهم لم يُتَّبِعُونِي كَفَانِي بِكَ عَنْوَانَا

جَدَّتِي مَا رَأَيْتُ قَطُّ عَلَى جَسَدِ

يَمِيكَ مَذْكَ كُنْتُ غَيْرَ هَذِي الثِّيَابِ

بَدَلِي ثَوْبِكَ الْقَدِيمَ أَهَذَا

كَفَنٌ يُرْتَدَى لِيَوْمِ الْحِسَابِ ؟

وَعَلَى الرَّأْسِ ذَلِكَ الشَّاشُ وَ (الْأَوَّلُ)

يَا (مَلَأَ تَعَاوَلَ الْأَحْقَابِ)

قَدْ عَفَا رَقْعَتَيْهِمَا الدُّشْرُ وَالطَّلُ

يُ طَوَّلُ الْمَدَى وَطَوَّلُ الْخِضَابِ

لَمْ يَرِ النَّاضِرُونَ رَجْلِيكَ إِلَّا

كَهْمِي الْجَمَامِ فِي الْقَبَقَابِ

نظيفة : قَدْ تَوَلَّجْتُ يَا جَمَالُ

جمال : دَهِيْنِي

اَتْرَكِيْنِي (أَفْشُ) جَدَّةُ مَا بِي

وَالَّذِي مَاتَ فِي الشَّهَابِ مِنَ الْحَسْرِ

مَانِي وَالْبَسْرَمَ تَقْنَلِيْنِ شَهَابِ

نقابنة : لا تذكّرني العزيز جمال
ودع الجرح . لا تحرك مصابي

جمال : اقتليني كوالدي

نقابنة : بعد الشر بل اسلم وحطني في التراب

إن يا ابن الجراب والمال فيه لك

جمال : من لي ببعض ما في الجراب ؟

ما انتفاعي به ؟ كليله . . اشريه

بعد ما آذن الصبا بذهاب

[سرورق هباء بالدمع]

اصفحني جدّة عما كان مني واغفر لي

رائدني ايتها الجدة أمضي لسبيلي

نقابنة : لقد نسيت يا حما لوطسويت ما جرى

والآن ادعوك

جمال : لما ذا ؟

نقابنة : للفداء . . ما ترى ؟

ابقي جمال نقّيسم لونا جديدا غالبا

إِسْقَ بَنِي كُلِّ مَعَى الْيَوْمَ عِنْدِي (بَامِيَا)
جمال : « الباميا » جديدة ؟ مَنْ قَالَ يَا جَدَّتِيَا ؟
نظيفة : أَكَلْتَهَا ؟

جمال : أَجَلْ مَرَارًا عِنْدَ أَصْدِقَائِيَا
نظيفة : فِي (الباميا) خَلَّ الطَّهَّا وَخُذَ الطَّوَاهِيَا
وطبخ « حُسْنِي » يَحْفَظُ الشُّبَابَ وَالْمَوَافِيَا

لِاجْلِسْ جَمَالُ سَاعَةً وَنَاجِنِي بِحَاجَتِكَ
جمال : مَاذَا أَقُولُ جَدَّتِي ؟
نظيفة : قَسْلُ مَا تَشَاءُ بِجَدَّتِكَ

جمال : أَنَا يَا جَدَّتِي كَبِيرَةٌ وَلَا أَطْلُبُ إِلَّا الزَّوَّاجَ

نظيفة : عِنْدِي صَهْبِيَّةٌ لَكَ

جمال : السَّخَّادُمُ ؟ لَا . كَمْ قَالَتْ : لَا

نظيفة : لَا تَدْعُ « حُسْنِي » خَادِمًا

جمال : ابْنَسَةُ مَنْ ؟

نظيفة : بَنَسِي أَنَا

جمال : لَقِيطَةُ رَيْثِيَا أَنْتِ . أَلَيْسَ هَكَذَا ؟

نظيمة : نذاكرنا الزواج نعال ننظر

زواجك كم يكلف يا جمال

حال : قليلاً جدتي

نظيمة : كم ؟

حال : نصف ألف

نظيمة : عندك ما لنصف الألف بال ؟

[نغم]

ما نهم مهر لا يبق عليها ولا يبق على الأفراح مال

| ثم دل جمال |

انشرح جمال ما يكو ن المهر

حال : عديده ميسه

سبعة : من الجنيات ؟

حال : اجمل ليست ريلات هيسه

و « شبكة » تصلح ان تهدى وانت المهدية

نظيمة : وكم تساي ؟

حال : مئة

نظيمة : أنريجها من مائيه ؟

جمال : ومئة كِراءَ بيتٍ للعروس وليَّة
 نملؤه أتممةً وحيلةً وآنيَّة
 ومئةً لفَرَحٍ ومئةً لجِيَّة
 نظيفة : واحيرتى ! واضيعتى ! « جمال » .. وانرايَّة !
 إني أنا زوجتك يا ابني بمئُ ما ورائيَّة

جمال : إذن فاعلمى جدتى أننى خطبتُ

نظيفة : وما لي ومن تخطبُ ؟

أحقاً خطبتُ ؟

جمال : أجل جدتى

نظيفة : ومن تلك ؟ ما يدتها ؟ ما الأب ؟

جمال : فتاة من « الخُط » بنت النقيب

نظيفة : بلا والد واسمها « زينب »

هنيئاً لك البيتُ بيتُ العفافِ

جمال : وبيتُ الغنى ، والغنى يُطلبُ

نظيفة : أنت تعرفنى من تكون

وما مالها ؟ إنها تكذبُ

لأنت أسعدُ منها وانت أكثر مالا
جمال : أنا ؟ انظري ذاك جبي هل تُبصرين ريالاً ؟
نظيفة : بل تلك « حسنى » فتأتى أتمُّ منها جمالا
وربما صارت على فقرها أكثر منها في غداً مالا

وكيف وجدت المال يا ابنى ؟

اقترضته

جمال :

ومن كم يا ابنى وكيف رباه ؟

نظيفة :

ومن أين تقيض الدين ؟

يقضيه قادر

جمال :

على الشيء لا يقضى الديون سواه

نظيفة : ازهدى « جمال » ناد « حسنى » أدعها

يا بنت

[ثم نادى] :

حسنى

جمال :

بنت

نظيفة :

مولاتى

حسنى : [تدخل]

نظيفة : عندي « جمال » يتغذى معي

هاتي حديث « الباميا » هاتي

حسني : سوف ترى ياسيدي صنعتي

وسوف تنسى « كفتة الحسني »

نظيفة : حسني بذات كثيرًا وما رفقت بمالي

اكفتة بيمين وباميا بشمال

حسني : سيدتي لاتغضبي لالحم في السميطنج لا كفتة لا كبا با

العظم لاغير ملأت « الباميا » منه ... فطابت نكهة وطابا

نظيفة : يسلم فؤوك يا ابنتي

[ثم جمال] : اسمع لها

« جمال » ... كيف تحسن الجوابا

جمال : جدتي هل فكرت في امري « حسني » ؟

نظيفة : كيف ؟ ماذا ؟

جمال : كجا افكرت بامري

زوجيها

نظيفة : ازوج البنت ؟

حسنى : لا... لا سيدى ... ذاك لم يمر بفكرى

أنت يا سيدى « جمال » كثير السـمـزج فاجعل محملاً من حـكـ فـيرى

أنا لا أقبل الزواج بإنسا ن ولو ساق مال قارون مهرى

أنا ما عشت لا أفارق هذا البيت إلا إلى قـوارة قبرى

نظافة : عشت « حسنى »

[ثم جمال] :

سمعت كيف أجابت ؟

كيف لم تنس لى حسنى ويرى ؟

[رثم السيدة نظافة بالوقوف] :

جمال : أين يا جـدة تمضيـن

نظافة : قريباً . . . خطوتين

أنا قد خبأت أميس لك يا ابنى موزنين

[تمشى وتخرج] :

جمال [لحسنى] :

بعدت جدتى تعالى أقبلد

بك تعالى حبيبتى قبلينى

حسنى : بعدت فأىكن هـسافى ودينى

حول عريضى لا يـمـد الله دينى

إن أكن خادما فتنفسي في خد
 ر من النبيل والعفاف مصون
 أبلغ يا سيدي سواي لما تد
 عو له اليوم من خسيس ودون
 جمال : هي حسنى لا يذهب الوقت
 حسنى : د عني
 وقت مشلى بجانب الكانون
 جمال : قبلة ما هنا على الجيد « حسنى »
 أو على الوجنتين أو في الحين
 حسنى : ما الذي قلت يا جمال
 جمال : طلبت الحق
 حسنى : حق المهووس المجنون
 لك يا سيدي جمال شئون
 فامض فيها وخلصي وشئوني
 جمال : إلى أين ؟ قفى (حسنى)
 حسنى : إلى الكانون والنار
 إلى الشغل الذي ينهى
 من الريبة والمار
 [وتمشى . . السيدة نظيفة تدخل]

نظيفة : جمال يا ابني

جمال : جسدتي

نظيفة : [لحسني] : ما لك ترجعينا

الموزتان يا جما ل صارتا عجينا

جمال : القيمما يا جدتي العففت الثينا

نظيفة : اشربهما يا ابني عسى أن يورثاك لينا

جمال : أنا يا جدة لا أقسوى على هذا العلاج

إن في البيت دجاجاً فاطرحيه للدجاج

« ستار »

الفصل الثالث

المنظر الأول

« الست نفلوفة على فراش أرضى فى قاعة من مزلها ، »

« وحولها » حسنى « رجاجة جثن للدوال عنها من الجارات »

زائرة [وهى داخله] :

العوافى أم الأفندى العوافى

حسنى : انخفيضى الصوت . . أميسكى يا خاله

الزائرة : ما لها ؟ ما بها ؟ عفا الله عنها

حسنى : هى من ليلتين فى شرّ حالة

زائرة : أم الأفندى عوفيت من قلبها تحببني

ما كان أنسى يدها هل الفقىير والغسنى

شفافا الله للبسيت وللجارية

جَـرَى إِحْسَانُهَا كَالسَّيْلِ حَتَّى أَغْرَقَ الْحَارَةَ

قَدْ وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَيْهَا مَرَّةً فِي «السَّيْدَةِ»

أخرى : فما رأيت ؟

الأول : نَحْوَةً وَكِرَامًا مَا أَزِيدُهُ

جَاءَتْ وَرَاحَتْ تُقْرِضُ اللَّهَ وَتُعْطِي مَسْجِدَهُ

وَكُلِّمَا مَدَّ فَقِيرٌ يَدَهُ

عَضَّتْ يَدَهُ

الثانية :

يَا أَخْتُ أَيْنَ ذَلِكَ الْمَدْحُ الْمَطْرُ؟

وَأَيْنَ جُودُهَا الَّذِي كَانَ الْمَطْرُ؟

الأول : [حسنى]

أَنْظِرِي خَلْقَكَ «حُسْنَى»

مَنْ ؟

حسنى :

هِيَ الشَّيْخَةُ «بَنْبَةُ»

الأول :

[الشَّيْخَةُ بَنْبَةُ تَتَقَدَّمُ] :

بَنْبَةُ : كَيْفَ حَالُ الْمَاهِمِ الْيَوْمَ ؟

أَنْظِرِي ، الْحَالَةُ صَعْبَةٌ

حسنى :

إحدى الزائرات :

« حسنى » اطريعى الغم ولا

تستسلمى إلى الكدر

رأيت رؤيا أمس

أخرى : ما ذلك

حسنى : خيراً . ما الخبر ؟

الزائرة : رأيتنى فوق طريق فيه طين ومطر

مشى به أم جمل لى تنثنى وتفتكر

تحمّل حمل جميل أو جملين من تجر

حسنى : ثم

صاحبة الرؤيا :

إذا فوق الطريق قم شيخ قد ظهر

كان نور وجهه تحت العمامة القمر

قد طرح الأحمال عنها بقرت على الأثر

حتى لبث ساعة هبت كيف لم تطل

سمعت يا شبيخة رؤى ياى ؟

سمعت العجيسا

الشبيخة :

رؤيا كأنها الفلق تبارك الذي خلق
 أم جمالٍ أعيّنت وزال عنها العناء
 وذلك الشيخ قطب على يديه الشفاء
 أخرى : أم جمالٍ بخيرٍ قد ألقى الحمل عنها
 [يظهر الدكتور مقيلاً]

إحدى الزائرات :

ماذا ؟ من الداخل ؟ من يا ترى ؟
 أخرى : هذا هو الدكتور عبد السلام
 الأول : أبعد هذا ، القطب يؤتى به ؟
 الثانية : وأى قطب ؟
 الأول : هل نسيت المنام ؟

أخرى : ماذا تقول ؟ تظن هذا القطب ؟
 الأول : ذاك هو العمى
 هذا الطيب مطربش والقطب كان معممًا

شنان بين القمر المنور المملح
 وبين تيس الجبل السففل المملح
 ما تلك فوق عينه ؟

الثانية : زجاجة مُدَوَّرَة
تَقِيهِ ضَوْءَ الشَّمْسِ أَوْ تَمْنَعُ عَنْهُ الْغَبَرَةَ
كَأَنَّهُا غَمَامَةٌ تَحْجِبُ عَيْنِي بِقَرَّةِ
الأول : وَلَمْ تَغْطِ بِالشَّيَا
كَأَنَّمَا أَخْرَجَ مِنْ
الثانية : سُدَّ الشَّيَابَ بِمَصْرِ
فَلَا تَرَيْنَ بِيَاضًا
بِالسُّودِ رَأْسًا لَقَدَمِ ؟
زَكِيَّةً مِنَ الْفَحْشَى
صَارَتْ ثِيَابَ الْإِمَارَةِ
إِلَّا عَلَى شَيْخٍ حَارَةٍ

الأول : وَمَا يَفِيهِ ؟
الثانية : إِسْأَلِي حُسْنِي
حسنى : يَفِيهِ « تَوْسَكَنَّة »
الأول : مَسْكِينُ الدُّكْتُورِ قَدْ أَصْبَحَ فُؤَادُهُ مَدْخَنَةً
الدُّكْتُورُ: الْعَوَافِي أُمُّ الْأَفْنَدِي الْعَوَافِي
حسنى : هِيَ فِي غَشِيَّةٍ وَنَوْمٍ عَمِيْقٍ
الدُّكْتُورُ: كَيْفَ حُسْنِي؟ مَا حَالُ أُمِّ جَمَالٍ ؟
حسنى : هِيَ فِي الْكُرْبِ خَفَّتْ اللَّهُ عَنْهَا
الدُّكْتُورُ: وَدَوَائِي ؟

حسنى : لما تعاطتُهُ نامت
نومةً لم تُقسم إلى اليوم منها

ما بها يا سيدي ؟ ما داؤها ؟
الدكتور : تُخمة من أكلية ذات دسم
حسنى : تخمة ؟ لا سيدي الدكتور . . لا
نحن لا نعرف في البيت التخمة

الدكتور : إذن بها ضعف
حسنى : ومن أين جاء الضعف
الدكتور : من قلبية ما تطعم

حسنى : وما يقوى الضعف ؟
الدكتور : الأكل يا حسنى
حسنى : وكيف الأكل ؟ أين الفم ؟

الدكتور : رحيم الله زوجها إنه كان صاحبى
كان في كل منزل وطريق بجانبى

[ثم ينتقل الدكتور بغاة لمحاولة إحدى الزائرات]

« خضرة أنت هنا ؟ ما تصنعين يا ابنتى ؟ »

حضرة : في كل ساعة أجي أسأل عن سيدتي

الدكتور : « حسن » زوجك ما

يصنع ؟

حضرة : في البيت انطرح

منذ تناول العسلا ج بالأواني ما سرح

الدكتور : وما له لم ينجسني ؟

حضرة : بأى رجل يمسك ؟

الدكتور : [إل مرجانة] :

ما ذاك يا بيضاء ماذا أرى ؟

مرجانة : تورم الخسد من الدمل

الدكتور : [يخرج مشرطا من جيبه]

هاتى أريه . . اصبرى ساعة

أفتحه

مرجانة : لا ، يفتح الله لى

أخرى : كديه يفعل تستريحى

أخرى : أقعدى حذار « مرجانة » أن تفعل

[يدخل جمال]

الدكتور: من ذاك؟ أنت جمال؟

جمال: من؟ سيدي الدكتور؟

كيف وجدت جدي؟

الدكتور: تسير نحو العافية

جمال: وكيف وهي من ثلاث لم تُفَقِّ؟

سنى: بل إنها من أربع كما ترى

وارحمته لك يا سيدي

ولطف الله بنا فيما جرى

جمال: حسنى أقل الحزن... يعفو الله عن

أزيد من هذا ويشفى أكثر

الدكتور: دما... لا تخافا ولا تمحزنا

في الأمر لليأس بالعصاير

وكم فاقيد الرشيد لا غائب

ورائي تركت... ولا حاضر

وآنتر لا راقيد في الفراش

إذا قلبوه... ولا سلمير

حسنى : أمريضاك كلهم وهكذا ؟

وهل يستفيقون يا سيدي ؟

الدكتور: تقوم عليهم يدي بالشفاء

قيام المسيح على المقعد

حسنى : [جمال]

وأنت سيدي جمال قوِّني

علمني العزاء والتعزية

زائرة : « مرجانة » انظريهما

الأخرى : يحبها

الأول : تحبُّه

الثانية : ويديه قلبها

الأول : وفي يديها قلبه

« يخرج جمال ، وتخرج مرجانة وبهض »

« الزائرات ، وتدخل إحدى الجسارات تدعى زهرة »

زهرة : ما حال أمِّ الأفتدى ؟

حسنى : سيدتي في العذاب

مضى عليها أربع في كربة لا تُفرج

في التزع لا وعى لها والسريس يخرج

زمرة : لدى خاطر خطر

حسنى : ما ذاك ؟

أخرى : ماذا ؟ ما الخبر ؟

زمرة : اصغين .. مما جربوه في الأسر

صوت « الفلوس » عند رأس المحتضر

إن كان في دنياه بالهزل اشتهر

يسمها فينطفي على الأثر

وكلمنا تأخرت عنه انتظر

حسنى : إذن قومي أريحها إذن من هذه الحالة

زمرة : وأين الشاش والفضة ؟

حسنى : من مالي يا خاله

زمرة : مالك أو مال سوا لك كل مال قد حضر

القصد أن يقرع صو ت المال سمع المحتضر

« حسنى » اسمى لى أصغى

هاتى مسلاة فرش

والآن فليأتى كل منكن فيها بفرش

ثم لحنى

« حسنى » خذى من طرف

وانت من ذاك الطرف

ثم لحنى

للجموع

وأنا أبقى هنا

لصبي موجود

وانت قُسم خذ لا تخف

والآن فلنقم إلى الفراش

ومثل صغى فاصنموا بالشايش

يدخل جمال

جمال : ما الحال حسنى ؟ وكيف أمست ؟

حسنى : فى التزع والكرب لا تزال

حسنى :

« يلهون بالشايش حتى يقتربوا من فراش المتضررة ، وهم »

« مسكون بجهات الأربع ، فتخرج الأول تقودا وتلقيا فى »

« الشايش ، فيعمل الهافون مثلها ، يتقدم « جمال » بلاة »

« ويخرج من جيبه تقودا ، ويقول : »

جمال : وأنا أيضا أشتريك هالك خذى ما أمتلك
وضعت كل فضتي كي تستريح جدي

« بان النقود »

« الأربعة يوزون الشاش بالنقود بينهم ، »

« وتقول الأولى مخاطبة المختصرة »

الأول : امضى ولا تفكرى فى المال وانسى حديث القرش والريال
أنت وما ملكت للزوال

هزوا معي . . هزوا معي يا أيها الروح الطامع
إلى النعيم الأوسع

وديمة الله اذهبي امضى ولا تعدّ بي
لله عودى والنبي

إحدى السيدات [بعد وفاة الجدة] :

قد انقضى الأمر قد خرج السرُّ
« حسنى لك الأجر »

حسنى [جمال] :

المبر . . وانخرج سيدى جمال

لمثل ذالا يصلح الرجال

المنظر الثاني

« في منزل المرحومة الست نظوفنة . »
« تظهر » حسنى « في ثوب أسود »

حسنى [لنفسها] :

عيني أحرق أننى في منزلى ؟

لا . كان لى فوهبتش بجمال

غاليته فى شغيف الفؤاد بحببه

حتى وهبت له الثمين الغالى

أعطيته ما كان أحسبج فى يدى

من مال جدته . . فليس بمالى

لم يرض قلبى أن أميش سعيدة

ويعيش فى بؤس ورقة حال

أُسرَاه يقدرُ خدمتى ومحبتى

أو لا يمرُّ له الصنيعُ ببالي ؟

رحمة الله على سيدتي
 وسقى الله ثراها وجزاها
 حرمتني الشاش حتى ذهبت
 فكسّني الخبز في الموت يداها
 وحمّني الماء حتى احتجبت
 فسقيت الشهد من فيض نداها
 صار لي من بيدها منزلاً
 والدكاكين وآلت خبيعتها
 ثروة قد نهص الجوع بها
 ومشى الحرمان فيها فبناها
 وهبت لي كل ما قد ملكت
 لم تدع من ذاك شيئاً لفتاها

[بعد لحظة]

لا ، ذاك مال جمال تركته لجمال
 وعدت ما كنت من قبل ، فوطقي هي مالي
 أجل أنا الحادم والطاهية
 وما أنا السارقة الباغية

ولا على الناس طفيلية
أجمل أموالهمو مالىة

سمعت حديث البخل حتى صعبته
زمانا أراه كل حين وأسمع
يروح ويفسدو بين عيني صورة
ويأتى حيالى بالحياة ويرجع

سيدتى وبخائها فى (الخبط) سارا كالثلث
وانتقلت وذكرها بالبخل فيه ما انتقل
يرحمها الله فما أنسى لها تلك الجميل
فى غضب عند الحواير واضطراب و (زعل)
وما اختلفنا مرة فى جميل ولا بجمال
لكن لأجل الثوم كما

ن الخلف ، أو حول البصل
ولم نكن من الدقيق ننتهى ولا العسل

يرحمها الله وإن لم تأت يوماً بحسن
 عاشت بشوبٍ واحدٍ كالميت عاش بكفن
 أما أنا . . فالشاش أو ما دون ذاك في الثمن
 وبذلتى وفوطتى طال عليهما الزمن
 وأجرتى عشرون قرشاً مع كثرة المهن

البئر لا أبرحها خارجة وداخلة
 صاعدة كالداو كل ساعة ونازلة

طباخة أصنع من لاشيء شَيْئاً ناكه
 وأنحني على البلا ط كل حين أغسله
 وكل دكان طلى أجرها أحصله

[تدخل زمرة.]

زمرة : العوافي يا ابنتي

حسنى : من جاءنا ؟ خالتي زمرة ؟ أهلاً مرحباً

أدخلي

زمرة : [لنفسها في حسد وحقد] :

يا لك من طبّاخة نثر الحفظ عليها الذهب

[ثم حسنى]

يَا هُنَاكَ الْمَالُ حَسَنَى

حسنى : مَالُ مَنْ ؟

زهره [لنفسها] : هِيَ تُخْفِنِى

حسنى : بَلِّغُواكَ الْكَذِبَا

زهره : تَجَبَّيْ . . . أَنْتِ إِذْنُ لَمْ تَرِىْ

مَالِ مَوْلَاتِكَ ؟

حسنى : لَا . لَا . تَجَبَّيَا

أَنَا يَا خَالَهٖ لَسْتُ إِعْمَةً

لَعَنَ اللَّهُ الْغِنَى الْمُقْتَضِبَا

زهره : إِنْ لِلْجِيرَانِ « حَسَنَى » أَلَسْنَا تَهْنِئِى طَوَالَا

حسنى : مَا الَّذِى قَالُوهُ ؟

زهره : قَالُوا أَنْتِ جَعَرْدِتِ بِحَالَا

حسنى : كَذَبُوا وَاللَّهِ لَمْ أَلْسَمِ لَهُ بِالْيَدِ مَا لَا

[تخرج « زهره » وتبعتها « حسنى » . يدخل « جمال »]

[تدخل « حسنى » وترى جمالا]

حسنى : مَنْ هَاهُنَا ؟ أَهْوَ جَمَالُ سَيِّدِي ؟

جمال : أَجَل . أَنَا الْغَرِيبُ فِي بَيْتِ أَبِي

أَنَا الَّذِي قَدْ سَلَبُوهُ مَالَهُ

لَمْ يَبْقَ مِنْ مَالِي مَا لَمْ أُسَلِّبْ

قَدْ ضَرَبْتَنِي فِي الْحَيَاةِ جَدَّتِي

وَفِي الْمَمَاتِ

حسنى : أَلَا لَا . لَسْمُ تُضْرَبُ

اجْلِسْ . تَفْضِلْ . اسْتَرِخْ

هَوْنٌ عَلَيْكَ سَيِّدِي

جمال : لَمْ يَبْقَ مِنْ مَالِكِ يَا

جَدَّةُ شَيْءٍ فِي بَيْدِي

ضَيِّعْتِ أَمْسِي ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فُضِّعَتْ غَدِي

« حَسَنَى »

حسنى : « جَمَالُ »

جمال : اقْرَأْنَا

حسنى : كَيْفَ ؟ لَا . أَبَدًا

جمال :
تغير الأمر من حال إلى حال
أنت الغنية « حسنى » والفقير أنا
المال مالك منذ اليوم لا مالى

حسنى : المال يا جمال ؟ الفقر ؟ الغنى ؟
ماذا تقول سيدى ؟ ماذا جرى ؟
جمال : أليس حرمانى لـونا متقنا
طبخته أنت وجسدتى معا ؟
« حسنى دعى الحب ولا تتجاهلى
حسنى : أتعلم الحب هل والربا ؟
حُرمتِ مِمَّ ؟

جمال : من تراث جدتى
حسنى : لاذن من الوارث
جمال : أنت لا أنا

حسنى : أنا أراك سيدى تهزأ بى
كفى جمال يتقرا منى كفى

أقسم هذا الأمر لم أعمل له
وانى آخِر من قدى به

جمال : أما رأيت كاتباً معممًا

وشاهدين يعملون ما هنا ؟

وشيخة تملي عليهم نسخها

تَحْرِمُ ذَا قُرْبَى وتُعْطِي أَجْنَبَا

كعين ربوة تخطي خيرها

إلى الوهاد مُسْتَحَقَاتِ الرُّبَى

حسن : جمال سسيدي تمال نحتكم

إلى الحقوق والصواب والنهي

هَبْ مَا تَقُول يَا جَمَالُ لَقَدْ جَرَى

جمال : لَقَدْ جَرَى

حسن : هَاتِ الْكِتَابَ فَاحْ مَا

تَشَاءُ ، وَابْتِ مَا تَشَاءُ

بَسَدَلٌ وَغَيْرٌ فِي كِتَابٍ وَقَفِيهَا كَمَا تَرَى

أَنْتِ غَنَائِي ، ، إِنَّ غَضَبِي

بَتَ مَا انْتَفَاعِي بِالْغِنَى ؟

أَمْضِي فَا بِنِي سَيِّدًا أَوْ ابْتِنِي

سَيِّدَةً أَطْهَرُ لَهَا

جمال : ماذا أرى ؟ تبكين حسنى ؟ مِمَّ ؟

حسنى : لا

جمال : كفى ابنتى كفى بكى

حسنى : خذ مالك وخلصنى أعيش كما

كنتُ أعيشُ أولاً

جمال : بحياتى قولى الحقيقة حسنى

أتحبيننى ؟

حسنى : أجل . مسئلة قلبى

جمال : مثل حُبى ؟

حسنى : جمالُ أحببتنى اليومَ مَ ؟

جمال : قديمٌ وحقٌ عيليكِ حُبى

كنتُ أهواك طفلةً تملأين الـ

بيتَ والحشوش من صياح ووثب

كنتُ أهواك طفلةً فى الكوانسين نائفة

كنتُ أهواك خادماً كنتُ أهواك طابخة

[ثم يمسك يدها ويقول]

كم اشتيتها يداً ما فرغت من العمل

كنت أراها كَيِّدِ الْمَلِكَةِ أَهْلًا لِلْقَبْلِ
وأشتهي رائحة الثَّوَمِ عليها والبصل

حسنى : سيدى أنت خطبت

جمال : لا

حسنى : نعم بل خطبت امرأة ذات يَسَارٍ

وأبوها كَابِرٌ ذو لَقِبٍ وله زرعٌ وضرعٌ وعقارٌ

جمال : وما تريدن "حسنى" ؟ أأنقضُ اليَدَ منها ؟

الله ربُّ جمالٍ يُغْنِيهِ عَنْكَ وعنِها

[امرأة تريد الصدود]

المرأة : أأحدُ في المنزل ؟

جمال : [من أجل]

من هذه ؟

أمُّ "و" على

المرأة :

أنت هنا ياسيدي ؟

أجل ، تفضلي ادخلي

جمال :

أم علي : [تصمد] .

دستوركم

جمال : تفضلي لا أحد في المنزل

حسني : [جمال]

من تلك من ؟

جمال : امرأة من بيت أمهاري الجدد

صديقة قديمة في كل أمر تجتهد

حسني : ماذا تريد يا تسري ؟

جمال : الآن نعلم الخبر

أما أنا فليس لي في بيت إنسان وطور

حسني : كرهت سيدي الغني ؟

جمال : أجل

حسني : وهكذا أنا

[ثم وهي خارجة]

لا ياخذ الإنسان من دنياه إلا الكففت

[تدخل أم مل]

جمال : يا مرحباً أم مل ماذا حملت من خبر ؟

أم مل : كنت رسول الصنف واليوم أتيت بالكدر

جمال : ماذا ؟

أم مل : أصبح يا سيدى أم العروس جنت

جمال : كيف ؟ ولم أم مل على ؟

أم مل : تريد فسخ الخطبة

جمال : كذا أنا

أم مل : وانت أيسفاً ؟

جمال : تلك كانت نيتي

قد سمعت لا شك أننى قد خسرْتُ ثروتى ؟

قد علمت باننى قد حرمتنى جدتى ؟

أم مل : أجل

جمال : فقالت مفلس ليس يليق لابنتى

أم مل : وهذه (الشبكة) ياسيدى

انظر ، تأمل ، خاتم لا يعاب

وهذه قيمة ما جاءنا
من (سديت) النقل وغالى الثياب
نحسون خذها ، عد ، من عادتي

جمال : [ياخذها]

أَنْ تَخْلَعِي يَا خالتي في الحساب

[ثم ينتهي من المد]

أم هل : هي نحسون سبيدي

جمال : هذه نحسة لك

اذهي . لست ناسياً أبداً الدهر فضلك

[تخرج أم هل ثم تدخل حسنى]

جمال : [بعد أن يراها]

رباه .. ما ذاك ؟ تلك حسنى ؟

من أين حسنى ؟

حسنى : من الستارة

سمعت ما قالت المعجوز

ولم أفتني لها عبارة

خُذْ سَيِّدِي

ما ذلِكَ ؟

جمال :

ذلِكَ وَقِفْ أُسْرَتِكَ

حسني :

[تَنَارُهُ رَرَقَةٌ]

كَانَتْ شُرُوطُ الْوَقْفِ لِي

فَاسْتُعِمَلَتْ لِحَدَمَتِكَ

وَمَا ظَنَنْتُ ثَرَوِي مَا كَانَ غَيْرَ ثَرَوَتِكَ

ذَلِكَ اتِّفَاقٌ قَدْ جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ جَدِّكَ

مَا أَرْمَدَتْ بِلَهْفِي حَوَّلَتُهُ لِبَهْمَتِكَ

جمال : جَدَّتِي فِي تَمَنَّيَاتِي بَرَّةٌ بِي وَمَحْسَنَةٌ

فَعَلْتُ فِي فَعْلَةٍ نَهَيْتِي مِنَ السُّنَّةِ

سَاءَ فِي الْمَالِ مَذْهَبِي فَبَرَأْتُ أَنْ تُحْسِنَهُ

وَأَنْتِ « حَسَنِي » أَتَحْيِينِي ؟

أَأَنْتِ فِي ذَلِكَ تَرْتَابُ ؟

حسني :

قَدْ كُنْتُ دُنْيَا مَخْلَقًا بِأَيِّهَا

دُونِي .. فَكَيْفَ انْفَتَحَ الْبَابُ ؟

- جمال : الآن «حسنى» أقبل نُجِّرْ حديثَ ما مضى
كيف وجدتِ جدتى ؟ وما مكانى عندها ؟
- حسنى : تحبُّكِ الحبُّ الذى كانت تحبُّهُ ابنتها
وتكتسبى إن غبت عنها أو بعدت الولم
تكاد لا تسمعُ إن غبت .. تكادُ لا ترى
- جمال : فما لها كانت تُذيقُنى الجفاء ؟ ما لها ؟
فلو سألتها العمى ضلَّتْ حلٌّ بالعمى
حسنى : سيدتى بخيلةٌ
- جمال : اهلُم يا حسنى بِذَا
وهى إذا قيسَتْ إلى جدِّى .. كالغيثِ ندَى
ما لها جدِّى .. وكأ ن أجد النسيم يدا
- حسنى : وأنا أيضًا سيدة
جمال : حنانيك .. ماذا قالت «حسنى» أخفَّتْنى
- أفدَّر رُبِّى أن يطسولَ عذابى ؟
أمداكِ حُسنى بِحُلِّ جدِّى .. إنى
إنف من مصاب صائر لمصاب

حسنى : لا تَحْشَى بَخْلَى سَيِّدَى . . لَسْتُ مَنْ
تَبْخُلُ فِي حَقِّ وَلَا وَاجِبِ

جمال : وَيَيْى ! أَرَمِيكَ بِالْبَخِيلِ ؟ قُبِّحَ اللَّهُ ظَنِّي
وَقَدْ رَأَيْتُ بَعِيْنِي وَقَدْ سَمِعْتُ بِأَذْنِي
فَأَنْتِ أَرْجَعْتِ مَالِي وَكَانَ قَدْ ضَاعَ مِنِّي
فَمَا سَوَى اللَّهِ « حُسْنَى » يَقْدِرُ يَجْزِيكَ عَنِّي

ستجمعنا الدنيا غداً . . كيف يا ترى
يكونُ طعامى أو يكون شرابى ؟

حسنى : سَنَشْرَبُ الْمَاءَ فِي أَوَانٍ
غَالِيَةٍ حُلْوَةٍ نَضِيدَةٍ
وَبِرَّةٍ كُلَّ ظَهْرِ يَوْمٍ
تَوْضَعُ فِي الثَّلَجِ وَالْبُرْدَةِ

جمال : وَالْأَكْلِ ؟

حسنى : مَا شَأْنُكَ مِنْ شَوَاءٍ
وَمِنْ دَفِينٍ وَمِنْ عَصِيدَةٍ

جمال : نَسِيتِ « حُسْنَى » مَا لَيْسَ يُنْسَى

ما ذلك ؟

حسنى :

« البامية » الحديدية

جمال :

هذه « الشبكة » التي أرجعتهَا المغفلة

خاتم قيد وضعته في البنان المُقبلة

[يلبسها الخاتم و يقبل يدها] :

حسنى : والمهر ؟

جمال : [يشير إلى النقود المرددة]

تلك هي لك أعطى جمال ما ملك

ما المال مهرًا للملك

حسنى : ومهرك سيدى ؟

مهري ؟ تُرانا

جمال :

تزوجنا هل دين النصارى ؟

دعى حسنى المزاح

أقول جدًا

حسنى :

ولم تأبى ؟ أتحسب ذلك هارا ؟

وكم من مسلمات سُقن مهراً وإن دُعِيَ الأباعد والعقارا
 جمال : إذن هاتي اذكرى مهري وسميَّه على قدرى
 فقد تعطينى قرشاً وقرشين . . وما أدري
 حسنى : بل الدنيا وما فيها وما جلَّ عن الحضير
 جمال انزل إلى البئر تجد مهرك في القمير

جمال : مهري في البئر؟

حسنى : أجل

جمال : كيف هوى ؟ كيف نزل ؟

أنزلها ؟ هذا خيبل !

حسنى : انزل إن شئت معا

لكي أريك الموضع

هناك تبصر العجب

جمال :

ما ذاك ؟

حسنى :

صندوق خشب

ممتلئ من الذهب

جمال : هناك الذهبُ الحلوُ إذن طيرى بنا طيرى

قبلتُ المهرَ يا حُسنَى إلى البيرِ إلى البيرِ

(ستار)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٤/٢٠٦٧

ISBN ٩٧٧ ٠٠١ ٠٢٦٨ ٩

